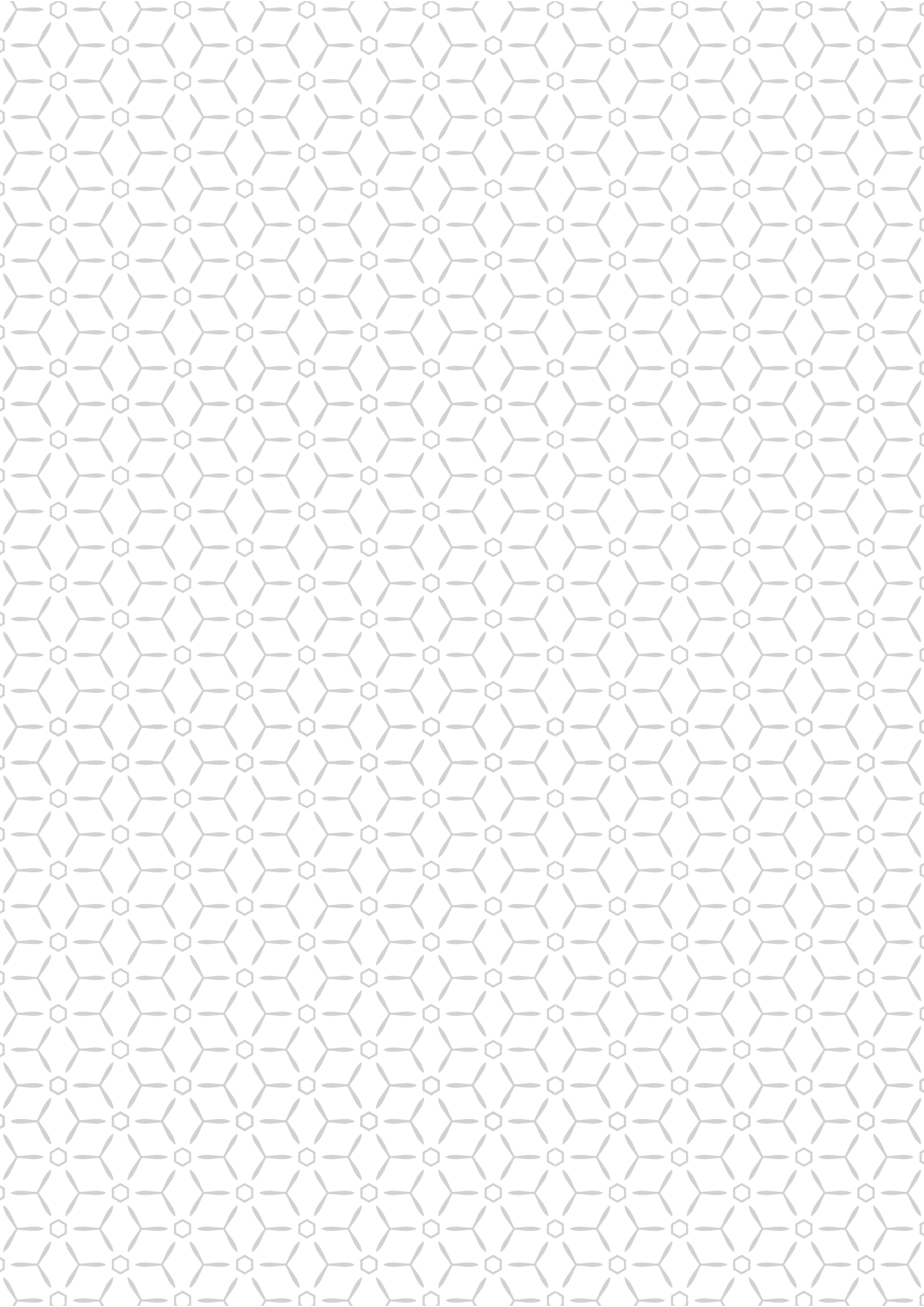




دراسة موضوعية



البحرُانُ والعلمُ

في القرآن الكريم

دراسة موضوعية

رسالة دكتوراه

في الدراسات الإسلامية
وقضايا المجتمع المعاصر

تأليف الدكتورة

مريم حسين علي محمد السادة

تقديم الأستاذ الدكتور

علي محيي الدين القره داغي
الرئيس العام لاتحاد العلماء المسلمين

مكتبة علي بن حسين بن علي السادة

الإصدار الرابع

مكتبة الأسرة العربية

العمران والعمارة

في القرآن الكريم
دراسة موضوعية

تأليف الدكتورة
مريم حسين علي محمد السادة

AL AMARAA
VAL UMRAN FI AL
KURAN AL KARIM

Dr. Maryem Al Saada

I. BASKI: İSTANBUL

القياس: 21x29.7 سم

عدد الصفحات: 384 ص

ISBN: 978-625-6451-17-9

الطبعة الأولى

2023 - 1445



مكتبة علي بن حسين
بن علي السادة

قطر - الرويس هاتف: 66599999

ali-library2021@hotmail.com

جميع الحقوق محفوظة

مكتبة الأسرة العربية
شارك الأفضل للمعرفة الأمانة



www.arabfamilybs.com

+90 212 631 81 09 - +90 555 028 1155

info@arabfamilybs.com

Sertifika No: 65276

UFUK NEŞRİYATIN.® TÜRKİYE BASIM YAYIN MESLEK BİRLİĞİ ÜYESİDİR.

Baskı Cilt: baskı Yılmaz Basimevi (Mat. Sert. Nu: 49749), kapak baskısı Salkım Ofset'te gerçekleştirildi



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم بقلم

أ.د. علي محبي الدين القره داغي

الأمين العام للاتحاد العالمي لعلماء المسلمين

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبتوفيقه تتحقق المقاصد والغايات، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة لجميع الكائنات، وعلى آله وصحبه، ومن تبع هديّه باستقامة وثبات، وبعد

فإن استعمار الأرض حسب المصطلح القرآني لا ينحصر معناه في بناء العمارات وزرع الأشجار والثمار ونحوها، وإنما يراد به طلب تعمير الأرض ظاهرها، وباطنها، وما عليها، وما في جوفها، وفي طبقاتها، واستغلال مواردها، واستخراج كنوزها لتحقيق الخير، والسعادة، والنفع، والطيبات للإنسان والمجتمع والدولة الرشيدة، وهذا يتطلب إعمال العقل والفكر بالإبداع والابتكارات للوصول إلى الاستفادة القصوى من كل ما فيها، ولكن يجب أن يكون في ظلال العقيدة الدافعة نحو العمران، والمؤثرة في تصرفات الإنسان، والأخلاق والقيم العالية في كيفية التعامل معها، حتى لا تتأذى البيئة، وتفسد الأرض، كما نرى ذلك ظاهراً في التغير المناخي، والتأثير السلبي للأوزون في عصرنا الحاضر بسبب طغيان الإنسان وحرصه الشديد على تعظيم الربح والرفاهية للرأسماليين فقط مع قطع النظر عما يصيب البيئة من الانهيار.

والعمران بهذا المعنى الذي ذكرناه هو إحدى كفتي ميزان التكليف لسيدنا آدم عليه السلام، ثم لذريته، والكفة الثانية هي التقديس والتسبيح - حسب تعبير الملائكة ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: ٣٠].

— حيث يشير ذلك إلى الجانب التعبدية المتمثل بالإيمان والشعائر التعبدية، والتربية والتركية المنبثقين من هداية الله (الوحي)، حيث خلق الله تعالى آدم عليه السلام لتحقيق هذين الهدفين معاً:



﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠] ، والمقصود به أنه أعطى له صلاحية التمكين من الأرض والإفادة منها، ولكن في ظلال التعبد الخالص لله تعالى^(١).

وقد أكد على هذين الميزانين أو كفتي الميزان قوله تعالى: ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرْ لَهُ ثُمَّ تُوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾ [هود: ٦١] حيث تدل الآية على أن الله تعالى طلب من الإنسان -أي فَرَضَ- تعميرها، ولكن مع الرجوع إلى الله تعالى والركون إليه، واستحضار رقابته وطلب مغفرته، ولذلك فأَيَّ عمران بدون كفة الإيمان بالله تعالى يؤدي إلى الطغيان والاستغناء والهيمنة على المستضعفين.

وكذلك فإن العمران الكامل لا يتحقق إلا بالعقل ، واستعمال أدواته، فذلك الشفع الكامل، والزوج الذي لا يتحقق الخير الكامل إلا بشقيه ، والميزان الحقيقي الذي لا يكون مستقيماً إلا بجناحيه وكفتيه.

وهذه الثنائية (الدنيا والآخرة، الوحي والعقل، الظاهر والباطن) من أهم خصوصيات المنهجية الصحيحة لهذا الدين القيم ، وأي خلل في هذا الميزان بإهمال كفة دون الأخرى، أو جناح دون الآخر ستترتب عليه آثار خطيرة ، ومشاكل كبرى.

فإذا كان الغرب قد اختل ميزانه الإيماني والروحي والأخلاقي مع تقدمه العلمي والحضاري ، فإن معظم المسلمين قد اختل ميزانهم العمراني والإبداعي القائم على العقل المبدع المستضيئ بنور الوحي، ولذلك وجد الخلل الحضاري والتقدم العلمي.

وهذا الكتاب الذي أقوم بتقديمه ، هو رسالة الدكتوراه للأخت الفاضلة الشريفة الدكتورة مريم حسين السادة ، قدمته لجامعة محمد الخامس بالرباط/ المغرب ، ونوقشت في ٩ / ٢ / ٢٠٢٣ م ، ونالت تقدير ممتاز مع مرتبة الشرف، وتنويه اللجنة وتوصيتها بطبعها.

وحقاً إنني عندما قرأتها استمتعت بالتدبير فيها، فوجدتها رسالة مهمة تنفع البلاد والعباد بإذن الله تعالى، وبخاصة في زمننا الذي اختل فيه معظم الموازين، فهي مساهمة بناءة لإعادة هذا الخلل في

(١) يراجع للمزيد من التفصيل والتأصيل، ومعرفة الموازين الربانية : كتابنا : فقه الميزان معياراً لفهم القرآن والسنة ورفعاً لمواطن الخلل والفرقة دراسة تحليلية تأصيلية جديدة لفقه الميزان وأثره على فهم الشريعة ، والاجتهادات المعاصرة مع تطبيق عملي على معظم القضايا التي وقع فيها الفراق، ط. الأولى، دار النداء استنبول / تركيا ١٤٤٠ هـ = ٢٠١٨ ، وصدرت الطبعة الثانية عام ٢٠١٩ ، نشر مركز القره داغي للسلم الاجتماعي والتنمية البشرية / ألمانيا.

نطاق ميزان العمران الذي ربطه الإسلام بالعمران المعنوي بجانب العمران المادي ، فهذان هما كفتا ميزان العمران في القرآن الكريم.

ومن إيجابيات هذا الكتاب أيضاً إبراز الجانب الإبداعي ، والجمالي للعمران والعمارة في القرآن الكريم ، وتميز منهجه في بيان مقومات العمران، وتحدياته ، وحلوله، وارتباط هذا المنهاج وشموله للعلوم الاجتماعية.

وقد بذلت الباحثة الكريمة جهوداً مضيئة في رسالتها من حيث المحتوى والتدقيق والتحقيق والمنهجية ، والاستيعاب ، فعاشت مع القرآن الكريم وارتقت -بفضل الله تعالى- فبينت منهاج القرآن الكريم في العمارة والعمران، ومميزات هذا المنهاج ، وخصائصه وضوابطه لتحقيق العمران، واستعرضت بشكل واضح الآليات التي تضمن استمرارية العمران في المجتمع، كما أوضحت الارتباط بين العلوم الإنسانية، والعلوم الأخرى وفق منهاج القرآن، وأبرزت بشكل يبين العلاقة بين العمارة والعمران في القرآن الكريم والمجتمع الإنساني ، ولذلك يقع على عاتق أمتنا الإسلامية استيعاب القيمة الحضارية للعمران والعمارة في القرآن الكريم.

والخلاصة أن الباحثة الكريمة الدكتورة مريم حسين السادة ، قد بذلت جهوداً طيبة ، وأبرزت عظمة القرآن الكريم في هذا المضمار، وقدمت خدمة جليلة لأمتها ، وأضافت إلى مكتبتنا الإسلامية قيمة مضافة، وثروة علمية ثرة وثرية يستفيد منها -بإذن الله تعالى- دارسو القرآن الكريم، والباحثون عن درره، وكنوزه، فجزاها الله خيراً، ونفع بها وبهذا الجهد المبارك الرائد للإسلام والمسلمين ، وجعل ما قدمته خالصاً لوجهه الكريم. آمين يا رب العالمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

كتبه: أ.د. علي محيي الدين القره داغي

الأمين العام للاتحاد العالمي لعلماء المسلمين

اسطنبول ٢٠ ذو الحجة ١٤٤٤هـ = ٨ يوليو/ تموز ٢٠٢٣م



أصل الكتاب رسالة دكتوراه قدمت لجامعة محمد الخامس بالرباط / مملكة المغرب
من أجل الحصول على درجة الدكتوراه في الدراسات الإسلامية وقضايا المجتمع المعاصر
تحت إشراف الأستاذ الدكتور محمد قجوي، ونوقشت الأطروحة بتاريخ ٢٠٢٣/٢/٩ م،

وقد تكونت لجنة المناقشة من:

الأستاذة الدكتورة بثينة الغلبزوري (رئيساً)

الأستاذ الدكتور محمد قجوي (مشرفاً ومقرراً)

الأستاذ الدكتور عبدالرحمن بوكيلي (مقرراً)

الأستاذ الدكتور عبدالرحمن نباتة (مقرراً)

وكان قرار اللجنة:

الحصول على درجة الدكتوراه بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف،

وتنويه اللجنة وتوصيتها بطبع الأطروحة.

الإهداء

إلى من غمرتني بحنانها وعظيم إحسانها، إلى النور الذي يضيء لي كل عتمة
إليك أُمي الحبيبة.. إليك يا أُماني واطمئناني

إلى من يفيض علي بكرمه وجزيل عطائه، إلى من استمد منه العزيمة والإصرار
إليك أبي الحبيب.. إليك يا ناصحي ومرشدي

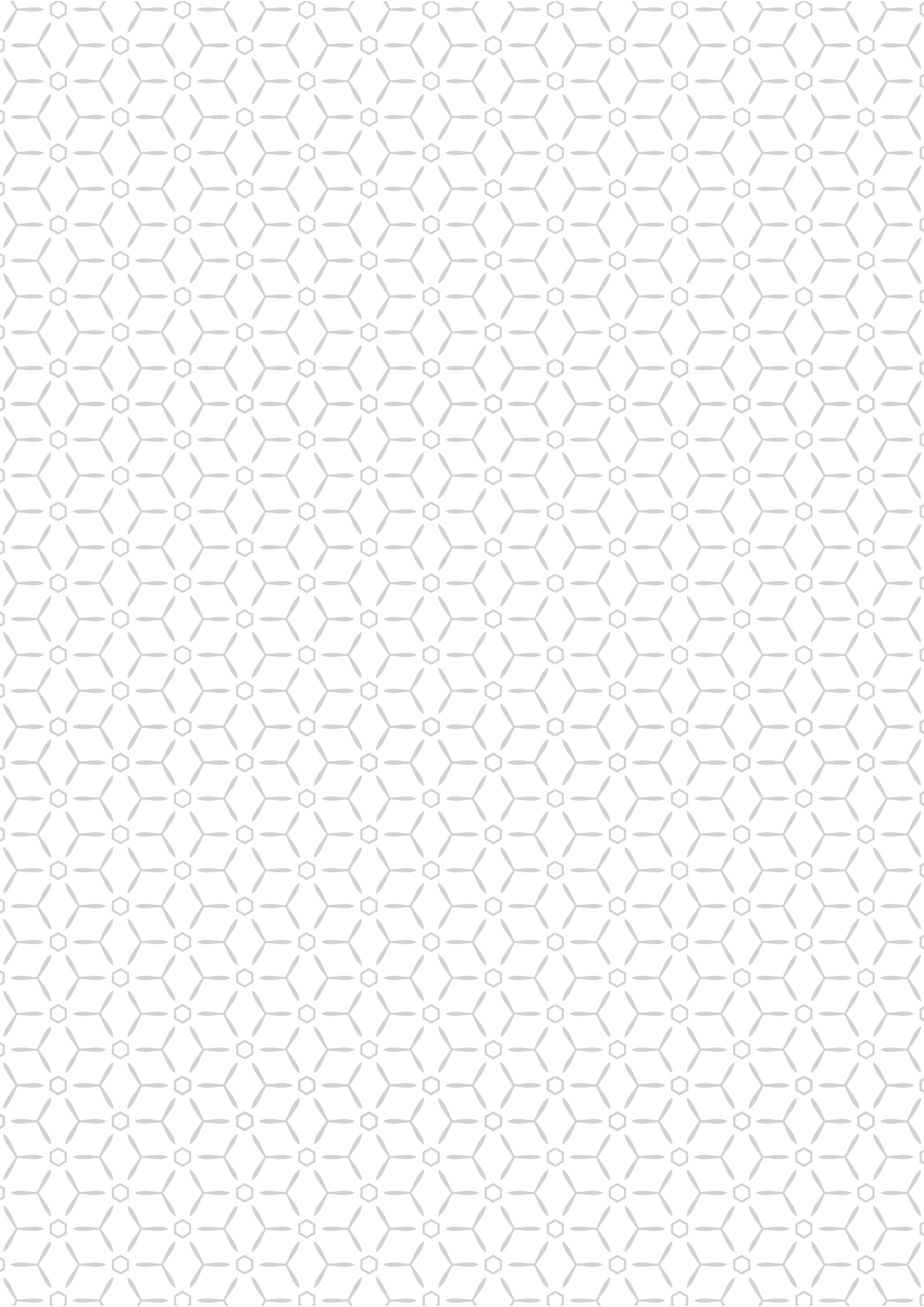
إلى من أنعم الله علي بحسن أخوتهم، ولم يخلوا علي من تقديم المساعدة
إليكم إخوتي وأخواتي.. إليكم يا سندي وأعضادي

إلى من تعلمت على يديها معنى الصداقة، وشاطرتني أفراحي وأحزاني
إليك صديقتي فاطمة.. إليك يا رفيقة كل لحظة

إلى كل قلب ينبض بنور الإيمان، ويشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رسول الله

أهدي إليكم ثمرة هذا الجهد المتواضع

د. مريم حسين السادة



شكر وتقدير

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَلَدَتِي وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي

عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ [النمل: ١٩].

إلهي يا واسع العطاء، يا من تقدست له الأسماء، والمتصرف بالخلق كيفما يشاء لك الشكر والثناء على النعم والآلاء، وما هديتني إليه من توفيق لاستكمال دراستي والسعي نحو تحسين الأداء، ولما ألهمتني به من صبر لتخطي المصاعب والعقبات فلك الحمد في السراء والضراء.

واعترافاً لذوي الفضل بفضلهم فإنني أتقدم بفائق الشكر والتقدير لوالداي الكريمين على كريم رعايتهما، ودعائهما ودعمهما المستمر، وتشجيعهما الدائم لطلب العلم وتحصيله.

وأتوجه بفائق الشكر للأستاذ المشرف فضيلة الأستاذ الدكتور محمد قجوي أستاذ التفسير وعلوم القرآن، ورئيس وحدة التكوين في الدكتوراه الدراسات الإسلامية وقضايا المجتمع المعاصر، ورئيس مختبر دراسات في قضايا العلوم والمجتمع بجامعة محمد الخامس الرباط، وذلك لإرشاده لي طيلة مراحل البحث، والذي لم ييخل علي من وقته الثمين، ومن خبرته الواسعة وحرصه المستمر في إبداء النصائح والمتابعات، وإفادتي بالمعلومات، وعظيم التوجيهات، التي مكنتني من تخطي العقبات، والتي أدت إلى ولادة هذا البحث، ولن تكفي هذه السطور للتعبير عن مدى مساهمته وتشجيعه الدائم لي، ولكن لا يسعني أن أقول سوى جزاك الله عني خيراً. والشكر موصول لأعضاء لجنة المناقشة فضيلة الأستاذة الدكتورة بثينة الغلبزوري، وفضيلة الأستاذ الدكتور عبدالرحمن نباتة، وفضيلة الأستاذ الدكتور عبدالرحمن بوكيلي، لتفضلهم بقبول مناقشة البحث، وإبداء الملاحظات القيمة التي أثرت من قيمة البحث.

كما أشكر الأستاذ الدكتور رمضان خميس زكي عبدالنواب أستاذ التفسير وعلوم القرآن بجامعة قطر على نصائحه الدائمة، وتشجيعه المستمر، وعظيم إحسانه.

هذا ولا يسعني إلا أن أتقدم بشكري وامتناني لصديقتي العزيزة د. فاطمة، أسأل الله تعالى كما جمعني بها في الدنيا على الخير أن يجمعني بها في الآخرة.

وأخيراً أتوجه بالشكر الجزيل لكل من قدم لي يد المساعدة وساهم في إنجاح هذا البحث.

قال تعالى:

﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا
فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾

[هود: ٦١]

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل الكتاب هدىً ورحمةً وإحساناً، وكرم الإنسان؛ فميزه بالعقل واللسان، وعلمه من العلم والبيان، ونوره بنور الإيمان، وأرشده إلى بر الأمان، والسلم في الأوطان، وجعله مستخلفاً في الأرض من أجل الإصلاح فيها عمارةً وعمراً.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، بلغ رسالته، وأدى أمانته، ونصح لأمته، وهدهم بستته، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أما بعد:

فمن عناية المولى عز وجل بعباده أن سخر لهم ما في الأرض جميعاً، يمشون في مناكبها ويأكلون من رزقه، من أجل عبادته **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، والقيام بما يصلح أنفسهم، ويصلح الفضاء الذي يعيشون فيه، قال تعالى: ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾ [هود: ٦١]؛ حيث اعتنى القرآن الكريم بمنهجه ونفحاته ببناء مجتمع إسلامي وحضارة تتوافق مع النظام الكوني والإنساني.

ويعتبر العمران محور العلاقة التبادلية بين الإنسان وبيئته، ويشكل موطن استثمار الخير الذي أنعم الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** به على الإنسان؛ المكلف بإعمار الأرض وتنميتها، وبالإعمار النفسي، وهو المحور الرئيس الذي يركز عليه الإعمار المادي، وذلك من أجل نهوض الإنسان بنفسه، وبني جنسه، والكون من حوله، والارتقاء إلى سلم التقدم والازدهار.

ولا نغفل في هذا السياق أن القرآن الكريم يدعو إلى الجمع بين الروح والمادة؛ فأما الروح من خلال الإيمان بالله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، واتباع العقيدة الصحيحة التي تدعو إلى الكمال الأخلاقي، وترويض النفس على حب الخير، وأما المادة فمن خلال القيام بالأعمال الصالحة، وواجبات الاستخلاف في مختلف المجالات التي تُسهم في بناء الحضارة والعمارة.

ومن ناحية أخرى فإن أهمية العمارة، والمحافظة على الفنون المعمارية الإسلامية أصبحت اهتمام معظم الدول الإسلامية؛ لما تبرهنه العمارة عن مدى تطور الدولة، ومدى تقدم مستواها الحضاري؛ فالحاجة إلى

منهجية توضح ما يتعلق بالعمارة من عناصر وضوابط، وتبرز ما فيها من مميزات باتت ضرورة قصوى، لا يسد حاجتها ويشفي غليلها سوى منهجية القرآن الكريم في العمارة؛ تلك المنهجية التي توضح خيوط الفعل الإيماني، وتؤدي إلى السلام النفسي، والأمن المجتمعي، والتقدم الحضاري.

فبناء على ما سبق ذكره ارتأيت التطرق إلى منهجية القرآن الكريم في العمران والعمارة، والتركيز على خصائص وأساليب هذا المنهج في العمران، ومن ثم استنباط أهم مميزات العمارة وضوابطها وعناصرها في القرآن الكريم، والمساهمة في عرض وإيجاد الطرق اللازمة للمحافظة على العمران والعمارة والمستقاة من القرآن الكريم، بما يكفل لأفراد المجتمع الإسلامي المحافظة على حضارتهم، والعيش في أمن واستقرار، وتقدم وازدهار.

أولاً: أهمية البحث

تتجلى قيمة البحث وأهميته في العديد من النواحي والتي من أهمها:

- ١- الناحية الشرعية: ارتباط العمارة بالعمران المعنوي، وعدم انفكاكها عن الآخر؛ فالعمران المعنوي الذي ينتج من العقيدة السليمة، وأحكام الشريعة، والأخلاق الحميدة، هو الذي يؤدي إلى عمارة قوية تستمر عبر الزمان.
- ٢- الناحية العلمية: معظم الدراسات العلمية التي تطرقت إلى موضوع العمران والعمارة جاء منطلقاً بشكل عام، في حين جاء منطلق هذا البحث حول التركيز على منهجية القرآن الكريم في العمران والعمارة دراسة تفسيرية موضوعية، والذي يتم من خلاله إظهار العلاقة بين عمران الوجدان وعمارة البنيان.
- ٣- الناحية الاجتماعية: يُعد العمران محور العلاقة المتبادلة بين الإنسان وغيره من الناس؛ فهناك حاجة إلى التركيز على العمران الجماعي وإبراز وظيفته في النهوض بالمجتمع، والتمتع بحياة متوازنة يسودها التعاون، والأمن والأمان.
- ٤- الناحية الحضارية: يُعتبر العمران والعمارة الأساس الذي يقاس عليه مدى تطور الدول، وتقدم حضارتها؛ فهناك ارتباط وثيق بين العمران والعمارة وبين الحضارة.
- ٥- الناحية الزمانية: يعتبر موضوع العمران والعمارة من الموضوعات التي يتزايد الاهتمام بها يوماً بعد يوم، لا سيما في المجتمع المعاصر؛ حيث إنها تخدم الماضي والحاضر والمستقبل، ولا يمكن

إغفال الضرورة الملحة حول المحافظة على التراث المعماري الإسلامي في ضوء التحديات المعاصرة.

- ٦- الناحية الفنية: تعتبر العمارة الإسلامية من خصائص الحضارة الإسلامية التي لها مميزاتها الخاصة، والتي ينبغي الخوض في معالمها وإبراز عناصرها، وتحديد ضوابطها.
- ٧- الناحية البيئية: الحاجة إلى الابداع في التصميم المعماري ومراعاة الظروف البيئية، والمواقع الجغرافية وفق المنهجية القرآنية في العمارة والبناء.

ثانياً: أسباب اختيار البحث

هناك العديد من الأسباب والعوامل الموضوعية والذاتية التي دفعتني إلى اختيار هذا البحث، والتي من أهمها:

- ١- أهمية الموضوع، والتأكيد على ارتباط العمارة بالعمران الوجداني.
- ٢- توضيح خصائص ومميزات العمران والعمارة في القرآن الكريم، وإبراز الجانب الإبداعي والجمالي فيهما.
- ٣- تحقيق مجتمع قادر على مواكبة التطورات العمرانية عبر مختلف العصور؛ وذلك من خلال تتبع المنهجية القرآنية في العمران والعمارة، والتي تراعي الزمان والمكان، وكل ما يكفل مصالح الإنسان.
- ٤- محاولة إبراز علاقة العلوم الإنسانية وكيفية تغلغلها في مختلف العلوم الأخرى، والتي من أهمها العلوم الهندسية.
- ٥- التصدي للعوامل التي تعيق حركة العمران والعمارة من خلال دراسة عوائق العمران والعمارة التي وضحتها منهجية القرآن الكريم، والوقوف على مقومات العمران والعمارة في القرآن الكريم.
- ٦- الرغبة في اختيار موضوع يكون كالسلسلة التي تكمل الموضوع الذي تم اختياره في مرحلة الماجستير والمتعلق بمنهجية القرآن الكريم في بناء أخلاق الإنسان؛ ولا نغفل في هذا السياق عن ارتباط الأخلاق بالعمران.

٧- اختيار موضوع يتم تفسيره تفسيراً موضوعياً؛ حيث يبقى التفسير الموضوعي من الأمور التي تحتاج إليها الأمة بشكل مستمر؛ فدراسة موضوع معين، والبحث عنه في مختلف الآيات القرآنية الكريمة، وبيان أحكامه، ومقاصده، وأهميته في ضوء القرآن الكريم، والدور الذي يقوم به في المجتمع. بالإضافة إلى معالجة قضية معينة للوصول إلى هدف قرآني سام، يتم من خلاله تتبع الآيات القرآنية الكريمة التي اعتنت بهذه القضية، وجمعها وتناول ما فيها من مقاصد وأهداف؛ فهذا من أشد ما نحتاج إليه في العصر الراهن؛ فالتفسير الموضوعي "منهج هام جداً لمعرفة أحكام القرآن وقضاياها المعرفية، ومن الاعتبارات الدالة على أهميته: أنه من أصح طرق التفسير، بالإضافة إلى توجيه القرآن الكريم والسنة النبوية إلى هذا اللون من البحث^(١)". ولا يغفل في هذا السياق من وجود فقر في الدراسات التي تقوم بدراسة موضوع معين دراسة تفسيرية موضوعية.

ثالثاً: مصطلحات البحث

- مصطلح المجال: من أجل ضبط أصل كلمة المجال تم الرجوع إلى كتب اللغة والمعاجم القديمة، وتم النظر أيضاً في كتب اللغة والمعاجم المعاصرة والاصطلاحية كونها تبين اللفظ في الاستعمال الحديث، ومن خلال النظر في كتب اللغة والمعاجم يتضح أن أصل المجال قائم على الحروف الثلاثة: الجيم، والواو، واللام، وهذا الجذر يدل على عدة دلالات، منها: "التراب الذي تجول به الريح على وجه الأرض^(٢)"، ومنها: مجال مفرد من مجالات: اسم مكان، أو موضع، أو حقل، أو ميدان، أو نطاق، والمجال الجوي: منطقة الفراغ الجوي الذي يتبع بلداً معيناً^(٣)، ومنها "البلاد^(٤)".

من خلال ما سبق نستشف وجود مفردات تتناسب مع لفظ المجال، ويمكن اعتمادها في البحث، وهي كالاتي: المحيط الذي يندرج تحت البيئة؛ حيث تعرف البيئة بأنها: "مجموعة العلاقات القائمة بين

(١) قجوي، محمد، التفسير الموضوعي وأهميته في فهم القرآن الكريم، ص ١٢-١٧.

(٢) الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد، العين، ح ١، ص ١٨١.

(٣) عمر، أحمد مختار عبد الحميد، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج ١، ص ٤٢٤، بتصرف يسير.

(٤) مصطفى، إبراهيم، والزيات، أحمد، وعبد القادر، حامد، والنجار، محمد، المعجم الوسيط، ج ١، ص ١٤٨.

عالمين، الأول طبيعي يضم الموارد على اختلافها، والآخر من صنع الإنسان نفسه، يضم كل ما ابتدعه من نظم سياسية واجتماعية وفكرية ساعدته في استغلال الموارد التي هيأتها له الطبيعة لسد حاجاته ورغباته^(١)؛ حيث تتألف البيئة من: "البيئة المادية (مجموع المكونات غير الحية، كالأرض، والجو، والماء)، والبيئة البيولوجية (مجموع المكونات الحية من الجماعات البشرية والجماعات الحيوانية والنباتية التي تتحرك داخل البيئة المادية)، بالإضافة إلى العلاقات المتبادلة القائمة بين هاتين البيئتين^(٢)".

ويقصد بالمجال في هذا البحث: البيئة التي تحتضن الإنسان في مختلف مجالاته، ويستطيع الإنسان فيها أن يمارس حياته مع غيره من الكائنات الحية، وفق ما جاءت به المنهجية القرآنية من أحكام بيئية تضبط للإنسان تحركاته، وتعامله مع مختلف المكونات الطبيعية التي من شأنها يتشكل المجتمع الإنساني، وتقوم من خلالها الحضارة ويزدهر فيها العمران، وذلك بكل ما تحويه من موارد طبيعية، ومواقع أثرية، وصناعات مادية كالمباني، والعمائر، والأفرشة، والأفنية، وغيرها من الصناعة الإنسانية.

رابعاً: الدراسات السابقة

من خلال البحث يتضح أنه لم يتم التطرق إلى موضوع العمران والعمارة في القرآن الكريم، بالشكل الموافق لهذا البحث؛ حيث تم ذكر فقه العمران والعمارة بشكل يركز على بعض الجوانب التي تم التطرق إليها في البحث دون وجود دراسة تحتوي على غالب موضوعات البحث، وتبرز العلاقة بين العمران المعنوي والعمارة، بالإضافة إلى عدم التطرق إلى منهجية القرآن الكريم في العمران والعمارة ودعمها بالأمثلة والنماذج، واستنباط المميزات، ومن غير ذكر أساليب المنهج القرآني في العمران، بالإضافة إلى ذلك فإن هذا البحث يتفرد بإضافته للطرق والمفاتيح الجوهرية للمحافظة على العمران والعمارة، ومن الكتب والرسائل العلمية التي تطرقت إلى موضوع العمران والعمارة في القرآن الكريم:

- ١- العمران الإسلامي، دراسة تأصيلية في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية: أبو اليسر رشيد كهوس-د.م-الحكمة للنشر والتوزيع-ط ١-١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.

(١) منشورات ندوة المعهد الوطني للتهيئة والتعمير، العمران في الوطن العربي بين التخطيط والتشريع والإدارة، ص ٧٣.

(٢) الخطاب، أحمد، القرآن الكريم وأزمة البيئة والتنمية، ص ١٨.

ويتكون هذا الكتاب من ثمانية مباحث، المبحث الأول: حقيقة العمران الإسلامي، والمبحث الثاني: أسس العمران الإسلامي الأول، والمبحث الثالث: أصول العمران الإسلامي، والمبحث الرابع: خصائص العمران الإسلامي، والمبحث الخامس: دعائم العمران الإسلامي، والمبحث السادس: الطريق إلى العمران الإسلامي، والمبحث السابع: قوام العمران الإسلامي، والمبحث الثامن: المرأة المسلمة وإسهامها في تشييد صرح العمران.

تُعنى هذه الدراسة القيمة بالعمران المعنوي، خلاف هذا البحث الذي يتطرق إلى العمارة، ويبرز ارتباط عمارة البنيان بعمران الوجدان، والذي يختلف أيضاً بإضافته لعوائق العمران والعمارة في القرآن الكريم.

٢- أسس الحضارة والعمران في القرآن الكريم مع تصحيح لمفاهيم خاطئة في فضائنا الإسلامي: أحمد التلاوي - دار مسار للنشر والتوزيع - الزقازيق - ط ١ - ١٤٤١هـ / ٢٠٢٠م.

ويحتوي هذا الكتاب على مقدمة وثلاثة فصول: الفصل الأول: معالم الحضارة والمدنية والعمران في القرآن الكريم، والفصل الثاني: في تصحيح مفاهيم خاطئة في فضائنا الإسلامي، والفصل الثالث: في الرد على العلمانيين ودعاة الإلحاد.

من خلال النظر في محتويات الكتاب يظهر الاختلاف بين غالب موضوعات الكتاب وبين موضوعات هذا البحث؛ حيث يبين البحث خصائص العمران في القرآن الكريم، وضوابط العمارة ومميزاتها في القرآن الكريم، ومقومات العمران والعمارة.

٣- إعجاز القرآن الكريم في العمارة والعمران: يحيى حسن وزيري - عالم الكتاب - القاهرة - ط ١ - ٢٠٠٨م.

ويحتوي هذا الكتاب على مقدمة وتسعة فصول: الفصل الأول: الإعجاز في شمولية الحصر ودقة المصطلحات العمرانية والمعمارية، والفصل الثاني: من أوجه الإعجاز فيما ورد عن الحضارات المعمارية السابقة، والفصل الثالث: دلائل الإعجاز في موقع مكة المكرمة وتوجيه الكعبة المشرفة، والفصل الرابع: الإعجاز فيما ورد ذكره عن تأسيس وهدم وتنكيس المباني، والفصل الخامس: إعجاز القرآن في الحديث عن بعض مواد الإنشاء والتعمير، والفصل السادس: الإعجاز في ذكر مساكن وبيوت بعض الحشرات، والفصل السابع: من أوجه الإعجاز في تصميم وتنسيق الجنات

الأرضية، والفصل الثامن: من أوجه الإعجاز في إشارات التصميم البيئي، والفصل التاسع: دراسة ميدانية وشمسية لكهف الفتية بالأردن.

على الرغم من مدى الاستفادة من هذا الكتاب في تحديد مصطلحات العمران والعمارة في القرآن الكريم، إلا أن هناك اختلافاً بين محتويات الكتاب ومحتويات هذا البحث؛ حيث يركز الكتاب على الإعجاز القرآني ودلالته في مجال العمران والعمارة، ويختلف عن هذا البحث الذي يضيف العديد من الأمور التي من أهمها: ضوابط العمارة وعناصرها ومميزاتها في القرآن الكريم، وكيفية المحافظة على العمران والعمارة من خلال منهجية القرآن الكريم، ويبرز العلاقة التي تربط العمران المعنوي بالعمارة.

٤- العمارة والعمران في ظلال القرآن: تومي إسماعيل - بيت المعماريين العرب - الجزائر - د. ط - د. ت.

ويتكون هذا الكتاب من مقدمة وأربعة فصول: الفصل الأول: العمران، والفصل الثاني: العمارة، والفصل الثالث: زوال العمران، والفصل الرابع: مظاهر الاجتماع الحضري لمجتمعات ورد ذكرها في القرآن الكريم.

يتبين من الكتاب تركيز الكاتب على موضوعات عديدة تتعلق بالعمران تم التطرق إليها بشكل مختصر، كما جمع الكاتب الآيات القرآنية الكريمة المتعلقة بالعمارة والعمران، ولكن موضوعات الكتاب تختلف عن موضوعات البحث ومحتواه؛ حيث يضيف البحث منهج القرآن الكريم في المحافظة على العمران والعمارة.

٥- الإنسان والعمران من خلال قصص القرآن، دراسة في فقه القصص القرآني: عبدالله طاهيري - دار الكلمة للنشر والتوزيع - مصر - ط ١ - ٢٠١٨ م.

ويحتوي هذا الكتاب على مقدمة، وسبعة فصول: الفصل الأول: مفهوم القصص وتميز وروده في القرآن الكريم، والفصل الثاني: الإنسان وعمارة الأرض من خلال القرآن الكريم، والفصل الثالث: العمران والبناء المعرفي من خلال القصص القرآني، والفصل الرابع: العمران والغذاء الروحي حسب القصص القرآني، والفصل الخامس: العمران والتماسك الاجتماعي من خلال القصص القرآني، والفصل السادس: العمران والرشد الاقتصادي حسب ورود ذلك في القصص القرآني، والفصل السابع: العمران والنضج الحضاري كما تضمنه القصص القرآني.

يهتم هذا الكتاب بالعمران المعنوي والذي تمت الاستفادة منه في هذا البحث، ولكن يضيف البحث العديد من الأمور الأخرى، أهمها بيان العلاقة بين عمران الوجدان وعمارة البنيان، وتوضيح العديد من الأمور المتعلقة بالعمارة.

٦- العمارة والقرآن، إحياء للنفس والعمران: محيي الدين خطيب سلقيني - دار شعاع - حلب - ٢٠٠٦م.

ويتكون هذا الكتاب من أربعة فصول، الفصل الأول: آيات قوى الخلق، والفصل الثاني: آيات الوجود، والفصل الثالث: الحيز المعماري والعمراني في الآيات القرآنية، والفصل الرابع: معالجة موضوع بناء النص القرآني من الداخل على اعتباره وحياً لتكوين الإنسان والعمران بكل أبعاده. من خلال النظر في صفحات الكتاب ومحتوياته يتضح عدم وجود العديد من الموضوعات التي جاء ذكرها في هذا البحث، منها: ركائز العمران في القرآن الكريم، ومميزات العمارة في القرآن الكريم، وعوائق العمران والعمارة في القرآن الكريم.

٧- العمران في القرآن الكريم، دراسة تحليلية (ماجستير): ماهر محمد العوفي - إشراف: د/ محمد الزغلول - جامعة مؤتة - الأردن - ٢٠١٥م.

وتحتوي هذه الرسالة على مقدمة وثلاثة فصول، الفصل الأول: مفهوم العمران في ضوء القرآن الكريم، والفصل الثاني: مجالات العمران في القرآن الكريم، والفصل الثالث: الآثار المترتبة على عمران الأرض.

تركز هذه الرسالة على العمران المعنوي، وتوضح ماهيته؛ حيث خصص الباحث فصلاً تناول فيه تعريف العمران في القرآن الكريم، وتختلف هذه الرسالة عن هذا البحث الذي يضيف العديد من الأمور، أهمها العمارة وضوابطها وعناصرها ومميزاتها في القرآن الكريم، بالإضافة إلى بيان منهجية القرآن الكريم في حماية العمران والعمارة، وإبراز ارتباط العمارة بالعمران المعنوي.

ومن الكتب والرسائل العلمية التي تطرقت إلى بعض من مواضيع البحث، والمتعلقة بالجانب المادي المتمثل في العمارة الإسلامية:

١- العمارة الإسلامية، أصولها الفكرية ودلالاتها الثقافية والبيئية من خلال بعض النماذج (دكتوراه): بلحاج طرشاوي، إشراف: د/ معروف بلحاج - جامعة أبي بكر بلقايد - الجزائر - ١٤٢٨هـ / ١٤٢٩هـ.

وتحتوي هذه الرسالة على مقدمة وثلاثة أبواب، الباب الأول: العمارة الإسلامية ومظاهرها، والباب الثاني: نشأة المدن الإسلامية الأولى وتطورها، والباب الثالث: مصادر العمارة الإسلامية. تختلف هذه الرسالة عن هذا البحث؛ لأن الباحث ركز على العمارة وبين مظاهرها ومصادرها، والاستشهاد بالعديد من النماذج المعمارية في مختلف الدول العربية، ولم يتطرق إلى ركائز العمران المعنوي ونماذجه وأساليبه وخصائصه في القرآن الكريم، بالإضافة إلى منهجية القرآن الكريم في المحافظة على العمران والعمارة.

٢- المنهج الإسلامي في الاستدامة وأثره في بناء البيئة العمرانية المعاصرة (ماجستير): طارق محمد أحمد فرج الله - إشراف: د/ عبدالكريم حسن محسن - الجامعة الإسلامية - غزة - ٢٠١١م / ١٤٣٢هـ.

وتحتوي هذه الرسالة على مقدمة وستة فصول: الفصل الأول: استراتيجية العمران في المنهج الإسلامي، والفصل الثاني: التنمية المستدامة وتخطيط البيئة العمرانية، والفصل الثالث: البيئة العمرانية في المدن الإسلامية، والفصل الرابع: نماذج البيئات العمرانية الإسلامية المستدامة، والفصل الخامس: استراتيجية بناء وتنظيم البيئة العمرانية المستدامة في المنظور الإسلامي، والفصل السادس: تطبيق المنهج الإسلامي في التخطيط العمراني المستدام كنموذج عالمي لبناء البيئة العمرانية المعاصرة. يتبين من الرسالة السابقة تركيز الباحث على التنمية المستدامة وأثرها على العمران المادي، دون تطرقه إلى غالب موضوعات هذا البحث.

٣- القيم الإنسانية في العمارة الإسلامية (ماجستير): مصطفى عبدالحميد محمد - إشراف: د/ محمد عزمي أحمد، ود/ عزت عبدالمنعم مرغني - جامعة أسيوط - مصر - ٢٠٠٨م.

وتتكون هذه الرسالة من مقدمة وثلاثة أبواب: الباب الأول: القيم الإنسانية والعمارة، والباب الثاني: مفهوم العمارة الإسلامية، والباب الثالث: القيم الإنسانية في العمارة الإسلامية.

تركز هذه الرسالة على العلاقة التي تربط القيم الإنسانية بالعمارة، وتختلف عن هذا البحث الذي يضيف العديد من الأمور، والتي من أهمها: بيان عناصر العمارة، ومميزاتها في القرآن الكريم، بالإضافة إلى إبراز منهجية القرآن الكريم في المحافظة على العمران والعمارة، وتوضيح مفهومي الاستخلاف والتسخير وعلاقتها بالعمران والعمارة.

٤- أحكام العمران في الفقه الإسلامي: أحمد محمد سعيد السعدي - دار الرواد للنشر، دمشق - ط ١ - ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م.

ويحتوي هذا الكتاب على مقدمة، وتمهيد، وبابين: الباب الأول: إنشاء البناء وإصلاحه، والباب الثاني: أحكام الجوار والاشتراك.

يركز هذا الكتاب على العمارة والبناء المادي، ويختلف عن هذا البحث الذي يعرض منهجية القرآن الكريم في البناء العمراني الوجداني.

٥- فقه العمران، العمارة والمجتمع والدولة في الحضارة الإسلامية: خالد عزب - الدار المصرية اللبنانية - القاهرة - ط ١ - ٢٠١٣م.

ويتكون هذا الكتاب من ثمانية فصول: الفصل الأول: فقه العمران، والفصل الثاني: دور الفقه في التنظيم والتخطيط العمراني للمدن، والفصل الثالث: فقه عمارة المساجد، والفصل الرابع: فقه الأسواق والمنشآت التجارية في الحضارة الإسلامية، والفصل الخامس: فقه عمارة المساكن، والفصل السادس: فقه المياه والمنشآت المائية في الحضارة الإسلامية، والفصل السابع: المجتمع والأوقاف والعمارة، والفصل الثامن: الإبداع المعماري في الحضارة الإسلامية.

يبين هذا الكتاب فقه العمران والتخطيط العمراني، دون التطرق إلى غالب موضوعات هذا البحث.

٦- الوعي الحضاري، مقاربات مقاصدية لفقه العمران الإسلامي: مسفر علي القحطاني - الشبكة العربية للأبحاث والنشر - ط ١ - ٢٠١٢م.

ويتكون هذا الكتاب من أربعة فصول، الفصل الأول: مقاربات حول مفاهيم الوعي الحضاري، والفصل الثاني: لبنات في صناعة التحضر، والفصل الثالث: مقامات الرعاية الشرعية للتحضر، والفصل الرابع: منطلقات في الوعي الحضاري.

يركز الكتاب على قيم العمل الدنيوي والترغيب في العمل العمراني مشددا على الوعي بالعمران والفكر، دون التطرق إلى غالب موضوعات هذا البحث.

٧- فقه العمارة الإسلامية: خالد عزب - دار النشر للجامعات - مصر - ط ١ - ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.

ويحتوي هذا الكتاب على ثلاثة فصول، الفصل الأول: دور الفقه الإسلامي في التنظيم العمراني، والفصل الثاني: دور الفقه الإسلامي في العمارة التجارية، والفصل الثالث: دور الفقه الإسلامي في العمارة السكنية.

يعرض الكتاب دور الفقه الإسلامي في التنظيم العمراني والمعماري، ويختلف عن هذا البحث الذي يبرز علاقة العمران الوجداني بالعمارة من خلال منهجية القرآن الكريم.

٨- أثر التشريع في تكوين البيئة العمرانية: صالح بن علي الهذلول - الجمعية السعودية لعلوم العمران - الرياض - ط ١ - ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.

ويتكون هذا الكتاب من ثمانية فصول، الفصل الأول: مقدمة، والفصل الثاني: أصل وتطور البيئة العمرانية التقليدية، والفصل الثالث: قواعد تنظيم البيئة العمرانية التقليدية، والفصل الرابع: قواعد تنظيم البيئة العمرانية التقليدية، والفصل الخامس: المؤسسات والمبادئ والأعمال المنظمة للبيئة العمرانية التقليدية، والفصل السادس: نمو وتطور البيئة العمرانية المعاصرة، والفصل السابع: نشأة وتطور الأنظمة العمرانية، والفصل الثامن: التنازع الحضاري وانعكاسه في الأنماط العمرانية.

يركز هذا الكتاب على الجانب المادي للعمارة الإسلامية، بخلاف هذا البحث الذي يركز على العمران الوجداني ويبين أثره في العمارة من خلال المنهجية القرآنية.

خامساً: إشكالية البحث، وأسئلته

- تكمن إشكالية البحث في بيان العلاقة بين القرآن والعمران والعمارة، وأثر القرآن الكريم ومنهجيته في هذا العمران، وكيفية ربط القرآن الكريم بين العمران المعنوي وعمارة الحضارة. وبالرغم من أهمية العمران في تقدم الأفراد وازدهار الحضارات، وكونه من أهم مقاصد الشريعة الإسلامية إلا أن هذا الموضوع لم يحظ بالدراسة بشكل تفصيلي، وفق دراسة تفسيرية موضوعية يتم من خلالها تتبع الآيات القرآنية الكريمة التي تخدم الموضوع.

ولما كانت التنمية الحضارية مكونة من شقين وتستظل تحت مظلتين هما العمران والعمارة جاء هذا البحث ليسلط الضوء على العمران المعنوي، والعمارة على النحو الذي يبرز ارتباط العمارة بالعمران المعنوي، أي: عمران الروح والوجدان بالتقوى والإيمان، وما يؤدي به إلى عمارة البنيان؛ لتكون هذه المصفوفة متناسقة متناغمة ليكون الإنسان؛ إنسان العمران لا إنسان البنيان، وإنسان الشهود لا إنسان الجحود، وإنسان العرفان لا إنسان النكران.

- تدور مشكلة البحث حول الإجابة عن التساؤلات الآتية:

التساؤل الرئيس في هذه الدراسة: ما مدى أثر منهج القرآن الكريم في العمران والعمارة، كما يتفرع من هذا السؤال أسئلة فرعية أخرى، منها:

١- ما هو العمران المعنوي الذي سعى منهج القرآن الكريم لإيجاده؟

٢- ما هي أساليب العمران في القرآن الكريم؟

٣- ما هي مميزات العمارة في القرآن الكريم؟

٤- كيف عالج القرآن الكريم عوائق العمران والعمارة؟

سادساً: فرضيات البحث

في ضوء المشكلة البحثية السابقة يفترض البحث أن عدم الاهتمام بالعمران الوجداني والمعنوي الذي يرسمه المنهج القرآني؛ يؤدي إلى عمارة ضعيفة ذات فترة مؤقتة، لأنها شيدت على ضعف ووهن، ولم تراعي الضوابط والأسس التي تضمن استمرارية العمارة، وهناك العديد من الفرضيات الذي يفترضها البحث، منها:



- ١- للمنهج القرآني خصائص في العمران.
- ٢- للعمارة في القرآن الكريم مميزات، وضوابط.
- ٣- للعمران آليات تضمن استمراريته في المجتمع.
- ٤- وجود ارتباط بين العلوم الإنسانية والعلوم الهندسية.

سابعاً: أهداف البحث

- سيساعد البحث على تحقيق جملة من الأهداف، التي تسعى إلى سد العديد من الحاجات الاجتماعية، والعلمية، والحضارية، والتربوية، منها:
- ١- الوقوف على العبر والعظات المستخلصة من النماذج والصور العمرانية التي جاء ذكرها في القرآن الكريم، وإبراز علاقتها في إحياء الأرض وعمارتها.
 - ٢- إبراز العلاقة بين العمران القرآني والمجتمع الإنساني.
 - ٣- توظيف آليات العمران القرآني، وتوضيح مداركه.
 - ٤- التركيز على شروط صلاحية العمارة والعمران، وكيفية المحافظة عليها.
 - ٥- القدرة على استيعاب القيمة الحضارية للأعمال المعمارية بالنظر في مدى مراعاتها للضوابط المعمارية، واستغلال عناصر العمارة التي جاء ذكرها في القرآن الكريم.
 - ٦- المساهمة في الوعي المعماري المبني على العمران الوجداني، والجمع بين الجوهر المتمثل بالقيم الوجدانية وبين المظهر المتمثل في الشكل المادي الذي جاء في منهجية القرآن الكريم، والذي يتوافق مع التقدم التكنولوجي والتقني الذي يتطور جيلاً بعد جيل.
 - ٧- توفير بيئة عمرانية متحصنة بالأخلاق القرآنية وما تدعو به من أمن واستقرار، وتوازن حضاري، وسياسي، واجتماعي، واقتصادي، وبيئي.

ثامناً: حدود البحث

- حدود موضوعية: تتضمن دراسة منهج القرآن الكريم في العمران وركائزه وأساليبه وخصائصه ونماذجه، بالإضافة إلى دراسة ضوابط العمارة وعناصرها ومميزات في القرآن الكريم، ودراسة منهج القرآن الكريم في المحافظة على العمران والعمارة، وعلاقة الاستخلاف والتسخير بالعمران والعمارة.

- حدود مكانية: يقتصر البحث على أربعة نماذج معمارية إسلامية مبكرة، ومعاصرة، كالآتي: مسجد القرويين في مملكة المغرب، ومسجد ابن طولون في جمهورية مصر؛ حيث يصنفان ضمن أقدم المساجد وأعرقها تاريخياً، وبالنسبة للنماذج المعمارية المعاصرة: مسجد السلطان أحمد في جمهورية تركيا، ومسجد المدينة التعليمية في دولة قطر؛ وتم اختيار هذه المساجد بناء على اختلاف المواقع الجغرافية، وكونها ضمن المساجد التي تستقطب عدد هائل من المصلين والسياح من مختلف الأقطار الإسلامية؛ نظراً لضخامتها، واستغلال عناصر العمارة الإسلامية في بنائها وتشبيدها، أما مسجد المدينة التعليمية فكونه من المساجد التي تظهر العمارة الإسلامية الحديثة والمعاصرة، والتي يظهر جلياً في شكله الحديث والمعاصر. بالإضافة إلى زيارة العديد من النماذج المعمارية الإسلامية في مملكة المغرب، وجمهورية تركيا، والأندلس.

- حدود زمانية: تتمثل في الفترة التي تم خلالها إعداد المادة النظرية، ومحتوى البحث، وإجراء الزيارات الميدانية للمعالم الإسلامية الأثرية المبكرة والمعاصرة، وجمع المعلومات من المتخصصين في الهندسة المعمارية، وإجراء التحليلات التي تم من خلالها الوصول إلى نتائج البحث وآفاقه، والتي تمثلت في الفترة الواقعة بين شهر يناير ٢٠٢٠م، وحتى شهر ديسمبر ٢٠٢٢م.

تاسعاً: منهج البحث

- يعتمد البحث على المنهج الوصفي (Method Descriptive) كونه المنهج الأكثر تناسباً مع الدراسات الإنسانية، نظراً لما يقوم به من جمع معلومات حول نظرية أو جدوى معينة، ثم تصنيفها، وتحليل ما فيها، ونقدها؛ حيث يعرف المنهج الوصفي بأنه: "أسلوب من أساليب التحليل المركزي على معلومات عن ظاهرة أو موضوع محدد، أو فترة زمنية معلومة، وذلك من أجل الحصول على نتائج علمية، ثم تفسيرها بطريقة موضوعية، بما ينسجم مع المعطيات الفعلية للظاهرة"^(١)، وهذا ما تم استخدامه في هذا البحث الذي سيتم من خلاله وصف منهج القرآن الكريم في العمران والعمارة، وتعريفه بشكل تفصيلي: (لغة- اصطلاحاً- اصطلاحاً قرآنياً)، والبحث في كتب التفسير حول مدلولات ومعاني العمران والعمارة في القرآن الكريم، وتتبع أساليب العمران في القرآن الكريم،

(١) دويدري، رجاء وحيد، البحث العلمي أساسياته النظرية وممارسته العملية، ص ١٨٣.

واستنباط خصائص المنهج القرآني في العمران، ووصف ضوابط وعناصر ومميزات العمارة في القرآن الكريم، والبحث في الآيات القرآنية الكريمة حول كيفية المحافظة على العمران والعمارة.

ومن صور المنهج الوصفي: المنهج الكيفي (النوعي)، والمنهج الكمي، "والبحث النوعي يركز عادة على وصف الظواهر والأحداث، وعلى الفهم الأعمق لها، بينما البحث الكمي يركز على التجريب، وعلى الكشف عن السبب أو النتيجة بالاعتماد على المعطيات الرقمية والعديدية"^(١)؛ وبناء على ما تقدم ذكره فإن هذا البحث يندرج تحت صورة المنهج النوعي الذي يقوم على وصف الظاهرة، وليس تحديد حجمها واستخدام الأرقام والإحصائيات.

هذا وتم استخدام المنهج التاريخي (Historical Method) والذي يعبر عن "المراحل التي يسير خلالها الباحث حتى يبلغ الحقيقة التاريخية بقدر المستطاع، ويقدمها إلى المختصين بخاصة والقراء بعامة"^(٢)؛ فيستمد الباحث من دراسته للماضي ما يعينه على فهم الحاضر؛ وتم استخدام المنهج التاريخي في هذا البحث من خلال دراسة النماذج المعمارية الإسلامية في العصور الماضية، ودراسة النماذج المعمارية الإسلامية في العصر الراهن، في محاولة للكشف عن القيم المادية والمعنوية، واستنباط الحقائق الفنية والحضارية والاجتماعية التي تندرج تحت مميزات العمارة الإسلامية منذ العصور الماضية والمبكرة وحتى العصر الراهن.

- بعد اختيار موضوع البحث تم إجراء تحريات ميدانية أولية، وإجراء مقابلات مع متخصصين في العلوم الإنسانية، والعلوم الهندسية، للتأكد من ناحية جودة الموضوع، وأصالته، وقيمه، ودراسة أسئلة البحث، والتحقق منها، وقياس مدى ملائمتها لمحتوى الموضوع.
- جمع الآيات القرآنية الكريمة التي تتحدث عن موضوع العمران والعمارة، وتصنيفها حسب موضوعاتها في مباحث الدراسة.
- عزو الآيات القرآنية الكريمة الواردة في البحث بذكر اسم السورة، ورقم الآية في كل موضع ترد فيه الآية الكريمة.

(١) قنديلجي، عامر، والسامرائي، إيمان، البحث العلمي الكمي والنوعي، ص ٥٨.

(٢) عثمان، حسن، منهج البحث التاريخي، ص ٢٠.

- الاستدلال بالأحاديث النبوية الشريفة التي لها علاقة بمباحث الدراسة، والاقتصار على كتب الصحيحين.

- تخريج الآثار من الكتب الموثوقة.

- استنباط بعض الفوائد والنكت التي تدور حول الآيات الكريمة من خلال الرجوع إلى كتب التفسير، والاعتماد في النقل على الأقرب والأوضح لمعنى الآية ومقصدتها، مع الاقتصار على موضع الاستدلال من الآية غالباً، والربط بين الآيات حسب طرائق التفسير الموضوعي. واستحضار بعض المعلومات التي تخدم موضوع البحث من كتب تتعلق بالتاريخ، والهندسة، والفنون، والعلوم الاجتماعية، والاقتصادية، والأخلاقية، والإنسانية، بالإضافة إلى الرجوع إلى بعض المراجع الحديثة التي تخدم هذا البحث.

- تم الحصول على بعض المعلومات من مصادر مختلفة، وبأدوات متنوعة، منها: البحث والقراءة في المصادر والمراجع، التي تم الحصول عليها من خلال زيارة العديد من المكتبات الحكومية، بالإضافة إلى المكتبات الرقمية، والمواقع الرسمية في الإنترنت، والتواصل مع العديد من الأشخاص من أجل الحصول على بعض المصادر أو المراجع النادرة. بالإضافة إلى زيارة العديد من المؤسسات والجهات الحكومية التي تخدم موضوع العمارة الإسلامية، والرجوع إلى مختصين في الهندسة المعمارية وعلم الآثار الإسلامية، ومقابلة العديد من المهندسين المعماريين من جامعة قطر، وجامعة حمد بن خليفة- المدينة التعليمية/ دولة قطر، ووزارة البلدية/ دولة قطر، ووزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية، في القصر الملكي/ الرباط، والعديد من المختصين في علم الآثار المعمارية في جمهورية تركيا، ومملكة المغرب، وإسبانيا. بالإضافة إلى الزيارات الميدانية لمختلف الآثار الإسلامية والتي شملت قارة آسيا وأفريقيا وأوروبا؛ حيث تم زيارة النماذج المعمارية الإسلامية التي تم التطرق إليها في هذا البحث، وإجراء مقابلات مع الجهة المسؤولة عن النموذج المعماري، على النحو الآتي: جامع القرويين بفاس، وجامع السلطان أحمد بتركيا، وجامع المدينة التعليمية بقطر، بالإضافة إلى زيارات استرشادية تخدم موضوع العمارة الإسلامية وآثارها المنتشرة في أنحاء العالم، ومن تلك الزيارات: العديد من الجوامع والمساجد في مملكة المغرب، وجمهورية تركيا، ودولة قطر، ومدريد وغرناطة في الأندلس^(١).

(١) للتعرف على تلك النماذج والآثار المعمارية الإسلامية، انظر: ص ٣٦٧ فما بعدها من هذا البحث.

- تقسيم أساليب العمران في القرآن الكريم إلى أساليب تتعلق بتنمية المجال، وأخرى تتعلق بتنمية الإنسان، وذلك لأن قوام العمران يركز على الإنسان والبيئة التي تحتضنه، فكان من الجدير التركيز على هذه الجوانب التي سعى القرآن الكريم إلى تنميتها وفق أساليب متنوعة، سيتم توضيحها في المبحث المتعلق بهذا الموضوع، كما يحظى موضوع الإنسان والمجال اهتمام المؤسسات والجهات المختلفة في دول العالم، لا سيما في الجامعات والتي أفردت تخصصاً يحمل عنوان الإنسان والمجال^(١).

- اختيار المساجد كنماذج للعمائر الإسلامية المبكرة والمعاصرة كونها نواة التراث المعماري الإسلامي؛ فبناء المسجد قبل كل شيء يعتبر توجيهاً قرآنياً، وأساس التجمع العمراني، الذي تتم فيه العديد من الوظائف الدينية، والاجتماعية، والإنسانية، والسياسية. والغرض من ذكر هذه النماذج المعمارية ليس حصر أكبر عدد ممكن من المساجد؛ فهناك العديد من الكتب التي خصصت لوصف معظم المساجد وتناولت الموضوع بشكل تفصيلي، إنما الغرض من ذكر هذه النماذج التمثيل التطبيقي، والمقارنة بين النماذج القديمة والمعاصرة، ولفت النظر حول النماذج المعمارية القديمة وبراعة الفن المعماري الإسلامي منذ قدم التاريخ. كما وقع الاختيار حول هذه المساجد نظراً لمرعاة اختلاف الجانب الجغرافي، والتنوع بين مختلف الأقاليم والقارات لتشمل قارة آسيا، وأفريقيا، والجانب الأوروبي؛ فمثلاً نرى التصميم الشكلي، وما يندرج تحته من تزيين، بالإضافة إلى أشكال بعض العناصر المعمارية للمساجد في بلاد المغرب العربي والقارة الأفريقية، ليس كما هو عليه في جمهورية تركيا الموجودة في الجانب الأوروبي، وإن كانت جميعها تعتنى بالجواهر والمضمون، ولكن نظراً لاختلاف المواقع الجغرافية واختلاف البيئة، والتأثر بالفن المعماري السائد في كل إقليم أو قارة. بالإضافة إلى ذلك هناك تصنيف يعتمد على البعض في تحديد طرز المساجد في العالم الإسلامي، بناء على الشكل، من خلال نوعين، الطراز أحادي المحور الأفقي، والطراز أحادي المحور العمودي^(٢).

(١) من الأمثلة على ذلك: مركز دراسات الدكتوراه (الإنسان والمجال في العالم المتوسطي)، التابع لوحدة تكوين الدراسات الإسلامية وقضايا المجتمع المعاصر في كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة محمد الخامس / الرباط.

(٢) انظر: ص ١٩٣ من هذا البحث.

عاشراً: خطة البحث

يحتوي البحث على تمهيد يبين مفهوم العمران والعمارة، وتاريخه الإسلامي:

أولاً: مفهوم العمران والعمارة:

- ١- العمران والعمارة في اللغة.
 - ٢- العمران والعمارة في الاصطلاح.
 - ٣- العمران والعمارة في الاصطلاح القرآني.
 - ٤- ألفاظ العمران والعمارة في القرآن الكريم، والفرق بينهما.
- ثانياً: لمحة تاريخية حول العمارة الإسلامية.

كما يشتمل البحث على ثلاثة أبواب على النحو الآتي:

الباب الأول: ركائز العمران وإبداعه وأساليبه وخصائصه في القرآن الكريم.

الفصل الأول: ركائز العمران ونماذجه في القرآن الكريم.

المبحث الأول: ركائز العمران في القرآن الكريم.

- المطلب الأول: علاقة الإنسان بالخالق والمخلوق.

- المطلب الثاني: علاقة العمران بالتقوى.

المبحث الثاني: صور الإبداع العمراني، ونماذج لم تلتزم بالعمران في القرآن الكريم.

- المطلب الأول: صور الإبداع العمراني في القرآن الكريم.

- المطلب الثاني: نماذج لم تلتزم بالعمران في القرآن الكريم.

الفصل الثاني: أساليب العمران وخصائصه في القرآن الكريم.

المبحث الأول: أساليب العمران في القرآن الكريم.

- المطلب الأول: تنمية المجال.

- المطلب الثاني: تنمية الإنسان.



المبحث الثاني: خصائص العمران والعمارة في القرآن الكريم.

- المطلب الأول: خصائص العمران في القرآن الكريم.
- المطلب الثاني: خصائص العمارة في القرآن الكريم.

الباب الثاني: ضوابط العمارة وعناصرها ومميزاتها في القرآن الكريم.

الفصل الأول: ضوابط العمارة وعناصرها في القرآن الكريم.

المبحث الأول: ضوابط العمارة في القرآن الكريم.

- المطلب الأول: ضوابط بيئية وجغرافية.
- المطلب الثاني: ضوابط الإنشاء والتصميم.

المبحث الثاني: عناصر العمارة في القرآن الكريم.

- المطلب الأول: عناصر عمارة المدن.
- المطلب الثاني: عناصر عمارة المباني.

الفصل الثاني: مميزات العمارة في القرآن الكريم، ونماذج للعمارة الإسلامية.

المبحث الأول: مميزات العمارة في القرآن الكريم.

- المطلب الأول: القيمة المادية والجمالية.
- المطلب الثاني: القيمة المعنوية والروحية.

المبحث الثاني: نماذج للعمارة الإسلامية.

- المطلب الأول: نماذج مبكرة للعمارة الإسلامية.
- المطلب الثاني: نماذج معاصرة للعمارة الإسلامية.

الباب الثالث: منهج القرآن الكريم في حماية العمران والعمارة.

الفصل الأول: الاستخلاف والتسخير وعلاقتها بالعمران والعمارة.

المبحث الأول: الاستخلاف وعلاقته بالعمران والعمارة.

- المطلب الأول: مفهوم الاستخلاف.
- المطلب الثاني: ارتباط الاستخلاف بالعمران والعمارة.
- المبحث الثاني: التسخير وعلاقته بالعمران والعمارة.
- المطلب الأول: مفهوم التسخير.
- المطلب الثاني: ارتباط التسخير بالعمران والعمارة.
- الفصل الثاني: مقومات العمران والعمارة وعوائقهما في القرآن الكريم.
- المبحث الأول: مقومات العمران والعمارة في القرآن الكريم.
- المطلب الأول: المقومات الأخلاقية، والاجتماعية.
- المطلب الثاني: المقومات الفكرية، والاقتصادية.
- المبحث الثاني: عوائق العمران والعمارة في القرآن الكريم.
- المطلب الأول: عوائق معنوية.
- المطلب الثاني: عوائق مادية.
- وفي نهاية البحث تأتي الخاتمة متضمنة أهم النتائج والتوصيات.

تمهيد

مفهوم العمران والعمارة، وتاريخه الإسلامي.

ويشتمل على:

١- مفهوم العمران والعمارة

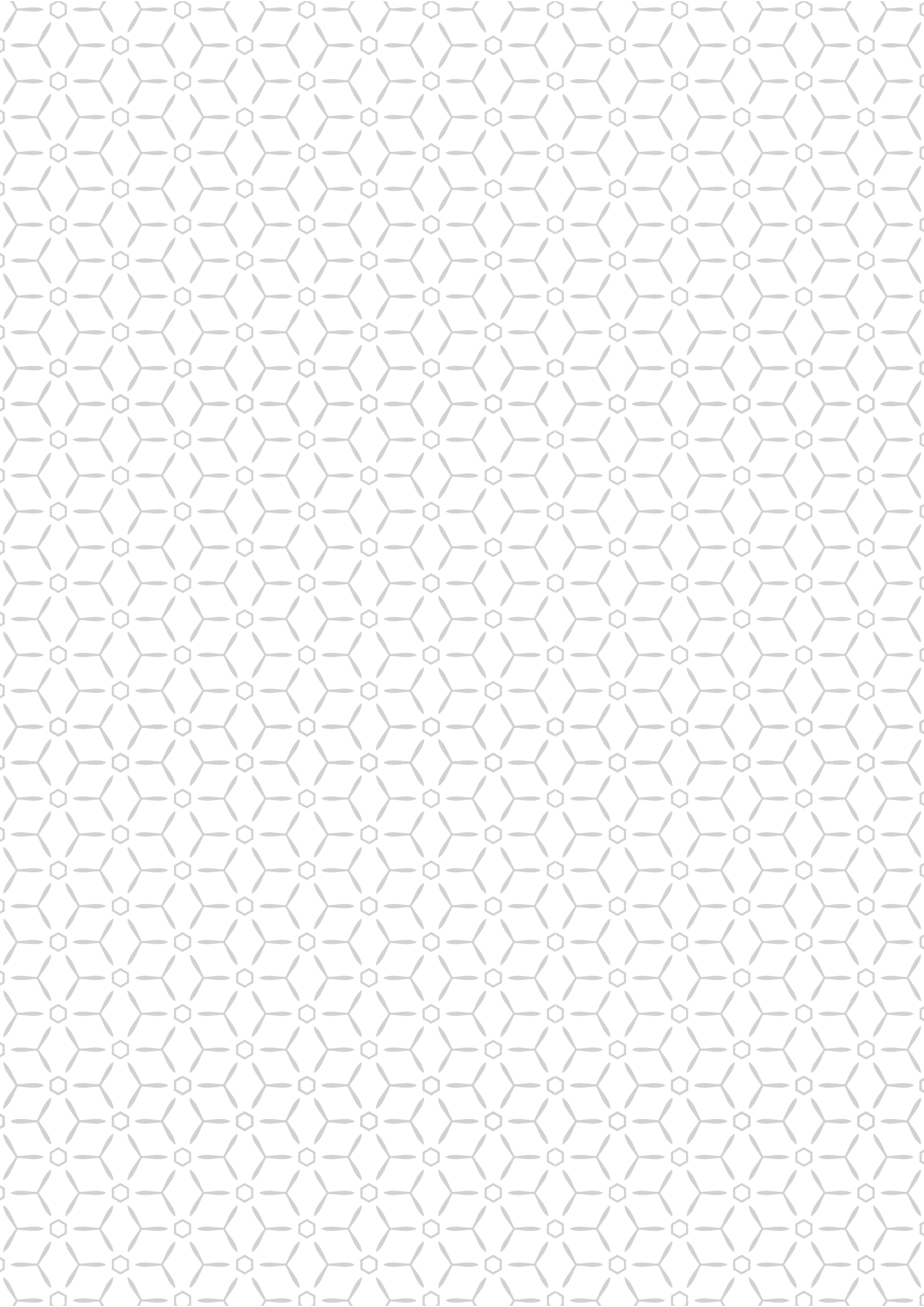
العمران والعمارة في اللغة.

العمران والعمارة في الاصطلاح.

العمران والعمارة في الاصطلاح القرآني.

ألفاظ العمران والعمارة في القرآن الكريم، والفرق بينهما.

٢- لمحة تاريخية حول العمارة الإسلامية.





أولاً: مفهوم العمران والعمارة

١- في اللغة:

من خلال البحث في كتب اللغة والمعاجم يتضح أن أصل العمران والعمارة قائم على الحروف الثلاثة: العين، والميم، والراء، ومن دلالات هذا الجذر: النخل، وما بدا من اللثة، والحياة، والإصلاح، والقبيلة والعشيرة، وكل ما يعلو من المقام، والتحية، والحي العظيم، البنيان والمباني الواسعة، وقصد الشيء، والآس، والطيب، والقوة، والشذرة من الخرز، والشنف، والحيات، والاختلاط، وعظمان في اللسان، والجدي، والتمر، واللزوم، والدَّيْنُ، والرقعة المزينة، والماء، وجودة النسخ؛ حيث جاء في كتب اللغة: "عمر الناس الأرض يعمرونها عمارة، وهي عامرة معمورة، ومنها العمران، والعمر: ضربٌ من النَّخْلِ وهو السَّحُوقُ الطويلُ، وهو ما بدا من اللثة، والعمر: عُمرُ الحياة^(١)"، "وعِمارة الشيء: إصلاحه^(٢)"، والعمارة: "القبيلة والعشيرة^(٣)" كما جاء في معجم مقاييس اللغة: "العين والميم والراء أصلان صحيحان، أحدهما يدل على بقاء وامتداد زمان، والآخر على شيء يعلو، والعمار: كل شيء جعلته على رأسك، وهو أيضاً التحية، والعمارة: الحي العظيم^(٤)".

والمعمر: المنزل الواسع، والعمرة: الزيارة والقصد، والعمار: الآس، وطيب الثناء وطيب الروائح، ورجل عمار: رجل قوي، والعمرة: الشذرة من الخرز، والعمر: الشنف، والعوامر: الحيات التي تكون في البيوت، والعمورة: الاختلاط. والعميران والعميمران والعمرتان والعميمرتان: عظمان صغيران في أصل اللسان. واليعمور: الجدي، والعمرى: ضرب من التمر، وعمر الرجل ماله وبيته يعمره عمارة وعمورا وعمراناً: لزمه، ويقال لسكان الدار: عامر، والعمارة ما يعمر به المكان^(٥).

(١) الفراهيدي، العين، ج ٢، ص ١٣٧.

(٢) ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي، الاشتقاق، ج ١، ص ١٤.

(٣) الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج ٢، ص ٧٥٧.

(٤) ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء، معجم مقاييس اللغة، ج ٤، ص ١٤٠-١٤٢.

(٥) ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي، لسان العرب، ج ٤، ص ٦٠١-٦١٠، بتصرف يسير.

"وعمرت الدار عمرا أيضا بنيتها والاسم العمارة بالكسر، والعمران اسم للبناء^(١)". "وأعمارُ، بالضم: المسجد، والبيعة، والكنيسة، وبالفتح: الدينُ. والعمارة: رقعة مزينة، واليَعْمَرِيَّةُ: ماء، والتَّعْمِيرُ: جودة النسج وغزله^(٢)". والعمْران: "اللحمتان المتدليتان على اللِّهْمَةِ^(٣)".

٢- في الاصطلاح:

من خلال النظر في المعنى اللغوي يتضح أن العمران والعمارة في اللغة معناهما واحد يتمثل في البناء، وكل ما يناقض الخراب، كما يلتقي معناهما في اللغة مع المعنى الاصطلاحي؛ حيث جاء تعريفهما إصطلاحاً، أنهما: نقيض الخراب، وما يحفظ البناء^(٤)، "وما يعمر به المكان^(٥)". كما جاء في المعجم الوسيط أنهما: "البنيان وما يعمر به البلد، ويحسن حاله بوساطة الفلاحة، والصناعة، والتجارة، وكثرة الأهالي، ونجاح الأعمال، والتمدن، والعدل أساس العمران، وعلم العمران عند ابن خلدون علم الاجتماع^(٦)".

فالأصل المعنوي للفظ العمران يدل على ما يناقض الخراب، وهو ما يبين أن العمران هو البنيان الذي مهما قوي واستقام لا بد له مع مرور الزمان من الصيانة والحفظ، ويتمثل مصدر وجود العمران في الاجتماع الإنساني كما يقول ابن خلدون وما يندرج تحته من أحوال وملك ودول وعلوم وصنائع^(٧)، والعمران: "حدث اجتماعي حضاري تلبية للإحتياج الإنساني بمعنى أن يرتبط هذا الحدث بالإيقاع الزمني لحياة المجتمع وأفراده^(٨)". ومن خلال التعريفات السابقة يتضح اشتغال

(١) أبو العباس، أحمد بن محمد بن علي الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ج ٢، ص ٤٢٩.

(٢) الفيروزآبادي، أبو طاهر محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، ج ١، ص ٤٤٤-٤٤٥.

(٣) المرتضى، أبو الفيض محمد بن محمد بن عبد الرزاق، تاج العروس من جواهر القاموس، ج ١٣، ص ١٣٥.

(٤) الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف، المفردات في غريب القرآن، ص ٥٨٦، بتصرف يسير.

(٥) الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، ص ٦٤٣.

(٦) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ج ٢، ص ٦٢٧.

(٧) طاهيري، عبدالله، الإنسان والعمران من خلال قصص القرآن دراسة في فقه القصص القرآني، ص ١٠٨، بتصرف.

(٨) والي، طارق، البيان والتبيان في العمارة والعمران، ص ١٢.

مفهوم العمران في الاصطلاح على العديد من العلوم كالعلوم الاجتماعية، والعلوم السياسية، والعلوم الاقتصادية، والعلوم البيئية، وغيرها، كما يركز على الأخلاق.

٣- في الاصطلاح القرآني:

وردت مادة "عمر^(١)" في القرآن الكريم في سبعة وعشرين موضعاً موزعة على العهدين: المكي والمدني، ووردت في العهد المكي خمس عشرة مرة، وفي العهد المدني اثنتي عشرة مرة، وجاءت الألفاظ كالآتي: (عَمَرُوها، يَعْمرُّ، يَعْمرُّوا، نُعَمِّرْكُمْ، نُعَمِّرُهُ، يُعَمِّرُ، اعْتَمَرَ، اسْتَعَمَرَ، الْمُعْمَرُ، مُعَمَّرٌ، لَعَمْرُكَ، الْعُمَرُ، عُمَرًا، عُمَرِكَ، عُمَرِهِ، الْعُمَرَةُ، عِمَارَةٌ، عِمْرَانٌ)، ومن خلال هذا الرصد يمكن التماس بعض الملامح والملاحظات حول الاصطلاح القرآني لمادة عمر، على النحو الآتي: ورود مادة عمر في العهدين المكي والمدني، ووردت بصيغة الماضي والمضارع، وجاءت لازمة ومتعدية، كما وردت مفردة ومجموعة؛ بصيغة الاسم المفرد، وبصيغة الجمع للمخاطب والغائب؛ لما في ذلك دلالة أن عمران الوجدان وما يؤدي به إلى عمارة البنيان من أهم ما ينبغي أن يتحلى به الفرد والجماعة سعياً لتنمية الحضارة. كما وردت مادة عمر بصيغة المصدر (عمارة).

ومعنى العمران والعمارة في الاصطلاح القرآني جاء موافقاً للمعنيين اللغوي والاصطلاحي؛ حيث جاء في القرآن الكريم بأنه ما يحفظ البناء، وأنه نقيض الخراب، ونقيض كل ما يندرج تحت ذلك من فساد وهلاك، يقول صاحب البصائر العمارة: "ضد الخراب، وقد يُقصد بها الزيارة، والعمر اسم لمدة عمارة البدن بالحياة، فهو دون البقاء^(٢)"، "والعمارة: إحياء المكان وإشغاله بما وضع له^(٣)". كما يربط القرآن الكريم معنى العمارة ببناء وإصلاح المباني الدينية والتعبدية، والمتمثلة في المساجد.

هذا ويزيد معنى العمران والعمارة في الاصطلاح القرآني على المعنى اللغوي والاصطلاحي بأنه ما يدل على البناء المعنوي والوجداني من إيمان، وتقوى، وقيم أخلاقية سامية، تؤدي إلى قوة البناء، وحفظ

(١) من أجل تتبع ورود مادة "عمر" في القرآن الكريم، انظر: عبد الباقي، محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، مادة (ع م ر).

(٢) الفيروز آبادي، أبو طاهر محمد بن يعقوب، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، ج ٤، ص ١٠٠.

(٣) البقاعي، أبو بكر إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج ٢، ص ١١٩.

النظام العام، وفلاح الإنسان، وصالح مجتمعه، يعرف ابن عاشور العمران بأنه: "حفظ نظام العالم الإسلامي، وضبط تصرف الجماعات والأقاليم بعضهم مع بعض على وجه يحفظ مصالح الجميع، ورعاية المصالح الكلية الإسلامية، وحفظ المصلحة الجامعة عند معارضة المصلحة القاصرة لها^(١)".

من خلال ما سبق يتبين ورود العمران والعمارة بما يفيد إعمار الأرض وتعميرها، وقد يطلق فعل العمران والعمارة في القرآن الكريم على إحدى المعاني الآتية: العمران المعنوي القائم على الإيمان بالله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، والعمارة المحضة الغير مقترنة بالإيمان بالله سبحانه.

والمراد بالعمران في هذا البحث: البناء الوجداني الممزوج بالإيمان، والتوحيد، والتقوى، والأخلاق الفاضلة، ذلك البناء الذي رسمه المنهج القرآني، وحدد ركائزه، ووضح أساليبه، وأبرز خصائصه، وأكد على أهميته للإنسان؛ كمقصد رئيس من مقاصد الشريعة؛ يؤدي إلى عمارة الأرض بالخير والعمل الصالح، وفق عمارة -مادية معنوية- تحصن الوجدان، وتقوي البنيان، وتدعو إلى توظيف القدرات والإمكانات، واستغلال النعم المسخرة في بناء المجتمع، والنهوض بالحضارة، وتحقيق مجتمع إنساني قوي ومتماسك، يسوده الأمن والأمان.

وأما العمارة فالمراد منها في هذا البحث: البناء المادي، أو بناء الحضارة بكل ما تحمله من معان مادية، تشمل تشييد وبناء مختلف المباني الدينية، والسكنية، والاجتماعية، والسياسية، والدفاعية، والذي يقوم بها الإنسان العمراني، وفق ما يدفعه عمرانه الروحي والوجداني، والذي يؤدي إلى بناء قوي رصين غير قابل للخراب والدمار؛ لأنه نابع من منهجية ربانية تضبط للإنسان تحركاته، وتراعي جميع احتياجاته النفسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والحضارية والمتمثلة في منهجية القرآن الكريم في العمارة، وما فيها من ضوابط معمارية جغرافية، وبيئية، وإنشائية، وتصميمية، وما تحتويه من عناصر معمارية.

ومن المهم الوقوف على بعض المفاهيم الأخرى التي تندرج تحت نطاق العمران والتي يمكن أن نلتمسها من خلال تتبعنا لآيات القرآن الكريم سواء كانت تلك المفاهيم مرادفة، أم عكسية؛ وذلك

(١) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير - تحرير المعنى السديد وتنوير

العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، ج ١، ص ٣٨.

من أجل فهم المعنى العام والخاص للعمران، وتناول مفهومه بشكل أدق وبشكل أكثر تفصيلاً، خصوصاً أن العمران القرآني يرتبط ارتباطاً وثيقاً مع بعض المفاهيم التي تؤكد معنى العمران وتوضحه، على سبيل المثال علاقة العمران بالاستخلاف والتسخير في القرآن الكريم، واللذان يشكلان المفهوم الواسع للعمران؛ فلا يمكن أن نغفل عن دراسة هذين المفهومين، واللذين سيتم توضيحهما بشكل تفصيلي في المباحث القادمة.

ومن المفاهيم التي تدرج تحت مفهوم العمران التنمية؛ حيث تعرف التنمية بأنها: "حصيلة التفاعل بين ما تحويه الطبيعة من موارد وبين الإنسان وفق قدراته الفكرية والبدنية التي يوظفها لاستغلال تلك الموارد، وتحويلها إلى أشياء تسد احتياجاته^(١)". وهي: "سياق حركي يؤدي إلى الانتقال من وضع سابق يعتبر غير مرض إلى وضع لاحق يستجيب بكيفية مرضية إلى حاجيات وطموحات الشخص والجماعة^(٢)". وجاء معنى التنمية في القرآن الكريم بما يندرج تحت معاني العمران والعمارة، كما يعتبر الاقتصاد أداة هذه العمارة التي هي من أهم مقاصد وجود الإنسان، والتي تشمل تطوير الموارد الطبيعية والبشرية، قال تعالى: ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾ [هود: ٦١]؛ يقول السعدي في تفسير الآية الكريمة: أي خلقكم واستخلفكم فيها وأنعم عليكم من النعم التي لا تحصى؛ لتوظفوها بما يخدم أنفسكم ومجتمعكم الذي تعيشونه، ولتبنوا وتغرسوا، وتتفعوا بمنافعها، وتستغلوا مصالحها^(٣)، وهذه دعوة إلى الإنسان أن يحقق ذاته من خلال توظيف الموارد المسخرة له، وأن يعمل ويكد لخدمة دينه وموطنه الذي له الفضل عليه؛ مما قد يساعد على تحقيق المزيد من الدخل وبالتالي انعكس ذلك إيجاباً على اقتصاد الدولة، وازدهار عمرانها، يقول ابن خلدون: "إن روعة العمارة تعبر عن روعة الحضارة التي أنشأتها وذلك قانون تاريخي^(٤)".

(١) منشورات ندوة المعهد الوطني للتهيئة والتعمير، العمران في الوطن العربي، ص ٧٢.

(٢) الخطاب، القرآن الكريم وأزمة البيئة والتنمية، ص ٢٠.

(٣) السعدي، أبو عبدالله عبدالرحمن بن ناصر بن عبدالله، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج ١، ص ٣٨٤، بتصرف.

(٤) ابن خلدون، عبدالرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ص ٣٧٦.

٤- ألفاظ العمران والعمارة في القرآن الكريم، والفرق بينهما.

المتأمل في آيات الذكر الحكيم يدرك بجلاء عناية القرآن الكريم بالعمران والعمارة وذلك من خلال العديد من الآيات الكريمة التي تدعو إلى التأمل والتفكير بأهمية العمران تارة، وتوضح دور الإنسان اتجاه عمارة الأرض وأثر ذلك على الفرد والمجتمع تارة، وتؤكد السنن الإلهية في إعمار وإهلاك الأمم السابقة تارة أخرى؛ كل ذلك من خلال أساليب مختلفة تجذب القارئ وتجعله أكثر اهتماماً وتشوقاً لمعرفة المزيد حول عمارة الأرض.

ومن خلال النظر في الآيات القرآنية الكريمة يتبين الاهتمام بذكر كل ما يتعلق بالعمران والعمارة من ألفاظ، سواء من ناحية تحديد نوعية المباني، أو الإشارة إلى العناصر والأشكال المعمارية، أو من خلال بيان أهميتها وتوضيح وظائفها، وذلك يساعد في حل إشكالية قد يقع فيها الباحث في المفردات العمرانية والمعمارية وهي إشكالية عدم وجود فرق بين لفظ العمران ولفظ العمارة؛ حيث تتضح "شمولية حصر الآيات القرآنية الكريمة للعديد من أنواع المباني المعمارية على اختلافها وتعددتها، بالإضافة إلى دقة التفرقة بين المفاهيم والمصطلحات العمرانية والمعمارية"^(١)، ومن خلال تتبعنا للصور والآيات الكريمة يتضح وجود فرق بين ألفاظ العمران والعمارة والتي سيتم ذكرها خلال السطور القليلة القادمة بعد التطرق إلى ألفاظ العمران والعمارة في القرآن الكريم.

ألفاظ العمران في القرآن الكريم.

من خلال تتبع الآيات القرآنية الكريمة تم استخراج ألفاظ تدل على العمران وتركن إليه، وهي على النحو الآتي^(٢):

- مستقر: ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [البقرة: ٣٦].
- قرية: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ [البقرة: ٢٥٩].
- أم القرى: ﴿وَلِنُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الأنعام: ٩٢].

(١) الوزيري، يحيى حسن، العمران والبنيان في منظور الإسلام، ص ٤٤.

(٢) تم الاستفادة من الوزيري، يحيى حسن، في تصنيف بعض مفردات العمران والعمارة، انظر: العمران والبنيان في منظور الإسلام، ص ٤٤ - ٦٨، وإعجاز القرآن الكريم في العمارة والعمران، ص ٢٧ - ٤٨.

○ سُهُولٌ: ﴿وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَنْخِذُوكَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَنَجْحُونَ الْجِبَالَ يَبُوتًا﴾ [الأعراف: ٧٤].

○ مدائن: ﴿وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ [الأعراف: ١١١].

○ المدينة: ﴿إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرَتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ﴾ [الأعراف: ١٢٣].

○ مِيقَاتُ: ﴿فَتَمَّ مِيقَتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ [الأعراف: ١٤٢].

○ جرف هار: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَنَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَنَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَأَتَاهَا بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾ [التوبة: ١٠٩].

○ الحب: ﴿وَالْقُوَّةُ فِي غَيْبَتِ الْجَبِّ﴾ [يوسف: ١٠].

○ بدو: ﴿وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ﴾ [يوسف: ١٠٠].

○ واد: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

○ الشجر: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ [النحل: ٦٨].

○ فج: ﴿يَأْنِيكَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الحج: ٢٧].

○ بئر: ﴿وَيَبْرِئُ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ﴾ [الحج: ٤٥].

○ ريع: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ﴾ [الشعراء: ١٢٨].

○ حدائق: ﴿فَأَنْتَبْتَنَاهُ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾ [النمل: ٦٠].

○ البلدة، وبلدة: ﴿إِنَّمَا أَمِرتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٩١].

○ ساحة: ﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذِرِينَ﴾ [الصافات: ١٧٧].

○ سُبُلًا: ﴿لَتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾ [نوح: ٢٠].

○ البلد: ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ [البلد: ١].

○ دار: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ﴾ [القصص: ٨١].

• أسماء قرى ومدن ومواقع:

- بابل: ﴿بَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾ [البقرة: ١٠٢].
- عرفات: ﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ﴾ [البقرة: ١٩٨].
- بكة: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾ [آل عمران: ٩٦].
- بدر: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ [آل عمران: ١٢٣].
- مدين: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ [الأعراف: ٨٥].
- حنين: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾ [التوبة: ٢٥].
- مصر: ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ﴾ [يوسف: ٢١].
- طور سيناء: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ﴾ [المؤمنون: ٢٠].
- سبأ: ﴿وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَاءٍ يَقِينٍ﴾ [النمل: ٢٢].
- مكة: ﴿بِطَّنِ مَكَّةَ﴾ [الفتح: ٢٤].
- إرم: ﴿إِرمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ [الفجر: ٧].

ألفاظ العمارة في القرآن الكريم.

بعد التتبع السابق لألفاظ العمران في القرآن الكريم، ننتقل إلى ألفاظ العمارة الوارد ذكرها في القرآن الكريم، لنقوم بعد ذلك بالبحث حول الفرق بين العمران والعمارة، ومن أهم الألفاظ المعمارية في القرآن الكريم:

- الباب: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾ [البقرة: ٥٨].

- البيت، ومصلًى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥]، يذكر بعض المفسرين أن بيت جاء في القرآن على تسعة أوجه: "المنزل المبنى، والمسجد، والسفينة، والكعبة، والخيمة، والسجن، والعش، والكهف، والخانات^(١)".
- كرسي: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥].
- المحراب: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ﴾ [آل عمران: ٣٧].
- المضاجع: ﴿قُلْ لَّوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤].
- بروج مشيدة: ﴿أَيُّنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨].
- مائدة: ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ﴾ [المائدة: ١١٢].
- نفقا، وسلما: ﴿فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ﴾ [الأنعام: ٣٥].
- العريش: ﴿وَدَمَرْنَا مَا كَانَتْ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٧].
- مرصد: ﴿وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ [التوبة: ٥].
- عمارة: ﴿وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [التوبة: ١٩].
- غار: ﴿إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾ [التوبة: ٤٠].
- ملجأ، ومغارة، ومدخلا: ﴿لَوْ يَحْذَرُونَ مَلْجَأًا أَوْ مَغْرَبًا أَوْ مُدْخَلًا لَّوَلُّوا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾ [التوبة: ٥٧].
- قبر: ﴿وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ﴾ [التوبة: ٨٤].

(١) ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر،

- مسجد: ﴿لَمَسْجِدَ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ﴾ [التوبة: ١٠٨].
- منازل: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السَّيِّنِ وَالْحِسَابِ﴾ [يونس: ٥].
- مُتَكِنًا: ﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَكِنًا﴾ [يوسف: ٣١].
- السجن: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ﴾ [يوسف: ٣٣].
- أثاثًا، ومتاعًا: ﴿أَتَيْنَا وَمَتْنًا إِلَى حِينٍ﴾ [النحل: ٨٠].
- مِرْفَقًا: ﴿وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا﴾ [الكهف: ١٦].
- كهف: ﴿تَزَوَّرُ عَنْ كَهْفِهِمْ﴾ [الكهف: ١٧].
- مَوْتَلًا: ﴿لَنْ يَحْدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْتَلًا﴾ [الكهف: ٥٨].
- سِتْرًا: ﴿لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا﴾ [الكهف: ٩٠].
- سداً: ﴿عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًا﴾ [الكهف: ٩٤].
- ردم: ﴿أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ [الكهف: ٩٥].
- صوامع، وبيع، وصلوات: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفُتَّتْ صَوَامِعُ وَبِعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ [الحج: ٤٠].
- قصر: ﴿وَقَصْرِ مَشِيدٍ﴾ [الحج: ٤٥].
- مشكاة، ومصباح: ﴿مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ [النور: ٣٥].
- الأسواق: ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ٧].
- آية: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ﴾ [الشعراء: ١٢٨].
- مصانع: ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ [الشعراء: ١٢٩].
- مسكن: ﴿ادْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ﴾ [النمل: ١٨].
- عرش: ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ [النمل: ٢٣].



- مقام: ﴿قَالَ عَفَرْتُ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا ءَاتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾ [النمل: ٣٩].
- صرح: ﴿قَالَ إِنَّهُ صَرَخَ مُمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ﴾ [النمل: ٤٤].
- نادي: ﴿وَتَأْتُونَكَ فِي نَادِيكُمْ الْمُنْكَرَ﴾ [العنكبوت: ٢٩].
- غرماً: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ [العنكبوت: ٥٨].
- صياصي: ﴿وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ﴾ [الأحزاب: ٢٦].
- تماثيل: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَّحْرِبٍ وَتَمَثِيلٍ وَّحِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَتٍ﴾ [سبأ: ١٣].
- أجداث: ﴿فَإِذَا هُمْ مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ [يس: ٥١].
- مرقد: ﴿قَالُوا يَتَوَلَّوْنَا مِّنْ بَعَثْنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾ [يس: ٥٢].
- مَغْتَسِلٌ: ﴿أَرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسِلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ [ص: ٤٢].
- معارج: ﴿وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ [الزخرف: ٣٣].
- زخرف: ﴿وَزُخْرُفًا﴾ [الزخرف: ٣٥].
- حجرات: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُتَادُونَكَ مِّنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ﴾ [الحجرات: ٤].
- مقعد: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكِ مُقْنَدِيرٍ﴾ [القمر: ٥٥].
- فرش: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَآئِنُهَا مِّنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ [الرحمن: ٥٤].
- الخيام: ﴿حُرُومًا مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ [الرحمن: ٧٢].
- سُورٍ: ﴿فَضْرِبَ بَيْنَهُمُ بُسُورًا لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهَرُهُ مِّن قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ [الحديد: ١٣].
- حصون: ﴿وَوُضِعُوا فِي حُصُونٍ مِّنْ لَّهِ﴾ [الحشر: ٢].
- جُدُرٍ: ﴿لَا يُقْدِرُونَكَ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ﴾ [الحشر: ١٤].
- مأوى: ﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٣٩].
- نمارق: ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ﴾ [الغاشية: ١٥].

الفرق بين ألفاظ العمران وألفاظ العمارة في القرآن الكريم.

من خلال الرصد السابق للألفاظ العمرانية والمعمارية الوارد ذكرها في القرآن الكريم يمكننا التماس بعض الملامح التي قد تظهر بعض الفروقات بين المفردتين، منها: أن العمارة جزء من الكل؛ حيث تعتبر العمارة جزءاً من العمران، وهي تشمل عادة المحيط الضيق كالبيت أو المبنى الذي يخص فرداً أو عددًا معيناً من الأفراد، بخلاف العمران الذي قد يشمل المحيط بأكمله كالقرية أو المدينة التي يندرج ضمنها البيت أو المبنى وغيرها من الوحدات السكنية، والذي يحتوي على أكثر عدد من الأشخاص، أو بشكل أدق ألفاظ العمارة في القرآن الكريم جاءت بشكل مفرد أو محدود، بخلاف ألفاظ العمران التي جاءت على نطاق أوسع وبصيغة الجمع أو العدد اللامحدود. كما يشير لفظ العمران في القرآن الكريم إلى كل ما يعمّر به الإنسان مادياً ومعنوياً، أما لفظ العمارة فعادة ما تأتي بشكل مادي أخص وأدق لتشمل النطاق الضيق للبناء المادي كالبيت، أو المبنى، وما يدل على نطاق خاص غير عام.

كما نرى غالباً لفظ العمارة في القرآن الكريم عادة ما يأت لكل ما يستطيع الإنسان بناءه من بيوت ومنشآت وغيرها، أو ما قد يندرج تحت صنيع الإنسان. والعمارة غالباً ما تكون مادية أي محسوسة، لكن العمران فيأتي لما هو معنوي وقد يكون غير محسوس؛ وهذا أكثر جانب يهمننا في هذا البحث والمتمثل في دلالة العمران على المعنويات، ودلالة العمارة على الماديات.

ثانياً: لمحة تاريخية حول العمارة الإسلامية.

من أهم الطرق التي تؤدي إلى استشراف قوانين النهضة العمرانية الحضارية أو سقوطها النظر والتفكير في تاريخ الأمم السابقة وشعوبها مروراً بتجاربها واكتشافاتها إلى أخذ العبرة منها، وامتلاك القدرة على تصحيح الأخطاء وتجنب الوقوع فيها، "ومنذ فجر التاريخ والعمارة تؤكد على أنها الشاهد الصادق والدال على ثقافة المجتمعات وأوضاعها السياسية، والاجتماعية، والمستوى العلمي والتقني الذي توصلت إليه، وهي مرآة عصرها ماضياً وحاضراً ومستقبلاً^(١)؛ حيث تقاس الدول بقياس مستوى حضارتها ومستوى العمارة فيها.

(١) الموسوي، صبا هاشم، تأملات في العمارة، ص ٥.

وبدأ الاهتمام بالعمارة منذ زمن بعيد؛ حيث نشأ ذلك الاهتمام مع نشأة الإنسان الباحث عن مكان يسكنه أو يعيش فيه، مكان خاص له ولعائلته يضمن فيه راحته وخصوصيته؛ ومما لا شك فيه أن رغبة الإنسان من توفير مكان يؤويه من الأمور الفطرية لدى الإنسان، والتي دفعته إلى الاهتمام بالعمارة والبناء. ومن المؤكد تطور العمارة مع تقدم الزمن شيئاً فشيئاً، وهذا ما لمسناه أثناء تتبعنا لتاريخ العمارة الإسلامية والذي هو عبارة عن: "عدة طرز مختلفة اتسم كل طراز منها بطابع معين تميز به على النحو الآتي: الطراز الأموي، والطراز العباسي، والطراز الفاطمي، والطراز الأيوبي، والطراز المملوكي، والطراز الأندلسي، والطراز السلجوقي، والطراز الإيراني المغولي، والطراز الصفوي، والطراز الهندي المغولي، والطراز العثماني؛ فجميع هذه الطرز تكون في مجموعها العمارة الإسلامية^(١)"، وكل طراز قد يضيف بعض الشيء على الطراز الذي يسبقه، مع الاحتفاظ بالضوابط المعمارية الإسلامية.

ومن خلال النظر في تاريخ العمارة الإسلامية يتضح بجلاء تميز هذا الفن بارتكازه على عناصر معمارية وزخرفية، وأنه على الرغم من الاختلاف بين المناطق الإسلامية بطبيعة المواقع الجغرافية وبطبيعة اختلاف البيئة سواء كانت صحراوية أو ريفية، بالإضافة إلى اختلاف الثقافة السائدة، والاختلاف بين الشعوب يظل هناك وجه تشابه بين بعضها البعض ممزوجة حول الاهتمام بالجواهر وعدم الإغفال عن المنظر؛ وذلك لا شك يرجع إلى الدين الإسلامي الحنيف الذي اهتم بجوانب البناء والعمران الوجداني والمادي، ووضح دور ذلك في تقدم الحضارات وازدهارها، وأخذ بعين الاعتبار طبيعة المجتمعات وطبيعة أفرادها؛ فتأتي عناية الإسلام بالجواهر والذي ينعكس على المظهر، وهذا ما يؤكد وحدة الطابع الإسلامي الأصيل. كما "حمل فن العمارة في ظل الإسلام تعبيراً معمارياً جديداً إذ ربط هذا الفن المعماري بين المسجد والكعبة في مكة المكرمة، وتزاوج التعبير المعماري الأول الذي أحسه ساكن البادية من صلته بالسماء من خلال الصحن المكشوف مع التعبير المعماري الجديد المستوحى من صلة العابد بالأرض^(٢)"؛ فالإسلام أظهر العناية بفنون العمارة والعمران منذ بداية الدعوة الإسلامية ولم يغفل عن الجانب الروحاني للمسلمين والذي يستشعره كل مسلم عند رؤيته للكعبة المشرفة ذاك الشعور المختلف؛ الممزوج بالرهبة والراحة والاطمئنان.

(١) نظيف، عبدالسلام أحمد، دراسات في العمارة الإسلامية، ص ١١.

(٢) عكاشة، ثروت، القيم الجمالية في العمارة الإسلامية، ص ٢٠.

ويعتبر العصر النبوي بمثابة عصر وضع الحجر الأساس لفن العمارة، ثم تليها العصور الأخرى والتي تبدأ من العصر الراشدي إلى العصر الأموي مروراً بالعصر العباسي، ثم عصر المماليك والدولة العثمانية، كما مر بنا خلال السطور القليلة السابقة.

وجاء الفن العربي الإسلامي في عهد الدولة الأموية بدمشق؛ ثم انتقل الطراز الأموي من الشام إلى المغرب العربي واستمر حتى القرن الحادي عشر الميلادي، وفي عام ١١٥٠م توحدت الأندلس مع شمال أفريقيا على يد المرابطين فكان لهم طرازهم الفني الخاص، ثم تلاهم الموحدون بطرازهم الفني عام ١٢٣٥م الذي أكملوا به توحيد الطراز الأندلسي المغربي. وأما على مستوى تخطيط المدن ظهر لأول مرة التصميم الدائري في العصر الإسلامي، والذي كان على يد الخليفة أبو جعفر المنصور. وفي عصر صلاح الدين الأيوبي كان الاهتمام بالظواهر المعمارية متمركزاً حول التحصينات، وما اشتملت عليه من أبراج، وأبواب زودت بها أسوار مصر وقلعتها. وأما العصر المملوكي فتميز بتنوع العماثر، والعناية بواجهات المساجد المرتفعة والزخرفة، ويمكن إرجاع هذا التقدم المعماري إلى نضج الأساليب المعمارية الإسلامية خلال ما يقارب الستة عشر عاماً، إلى جانب العامل الاقتصادي. وأما الفن الإيراني الصفوي فاشتهر بتغطية جدران المباني أو القباب بالبلاطات الخزفية والفسيفساء بألوان زاهية. هذا ونرى الفن الإسلامي في الهند يميل إلى الاحتفاظ بالكثير من الأساليب المعمارية والزخرفية المحلية التي كانت مستمدة من تقاليد فنية هندية معروفة في الهند قبل الإسلام. وتأتي الفترة العثمانية بشيء من التراجع؛ لأنها فرضت النظام البيزنطي في تخطيط العمارة الدينية، وفرضت زخارف استمدت عناصرها من طراز (الروكوكو)، الذي ساد أوروبا في نهاية عصر النهضة^(١).

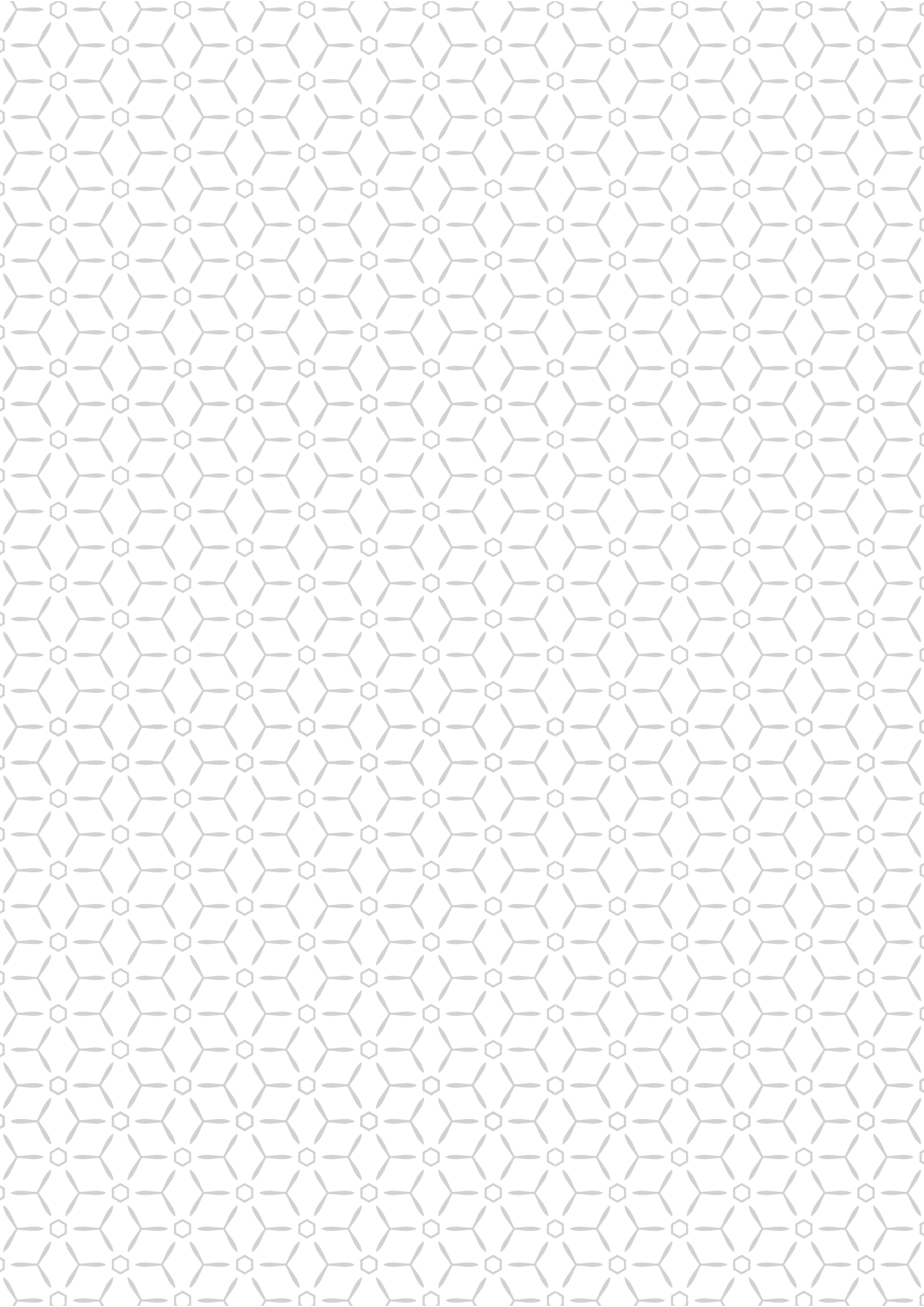
كما شغلت الزخرفة مساحات ضخمة وواسعة في العمارة الإسلامية عبر العصور التاريخية، إذ ظهر ميل واضح نحو الفنون الزخرفية منذ العصر الأموي (٤١ - ١٣٢هـ / ٦٦١ - ٧٤٩م) حينما برز الاهتمام بتزيين العماثر الدينية والمدنية، وظل ذلك الاهتمام قائماً حتى بعد سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية (١٣٢ - ٥٤٤هـ / ٧٥٠ - ١٠٥٥م)، كما شاع استخدام الزخارف على العماثر الإسلامية في العصور اللاحقة حتى صار الفن الزخرفي الإسلامي عالماً واسعاً تميزت به الفنون الإسلامية^(٢).

(١) وزيري، يحيى، العمارة الإسلامية والبيئة، ص ٦٢-٦٣، و٦٨-٦٩، و٧٤، و٧٦، و٧٩، و٨١-٨٢، بتصرف.

(٢) غولي، أنوار علي علوان عباس القره، الأنظمة التصميمية لزخارف المساجد الإسلامية، ص ١٠٦-١٠٨، بتصرف.

نلاحظ من خلال التتبع التاريخي لفنون العمارة الإسلامية اهتمام المسلمين وعنايتهم بفن العمارة؛ حيث كانوا يتوارثون هذا الفن جيلاً بعد جيل، ويحافظون على المباني القديمة ويرممونها مع احتفاظهم بالشكل الأصلي الذي بناه السلف؛ حتى أصبح بعد ذلك للعمارة الإسلامية طابعاً موحداً يجمع بين جميع المناطق الإسلامية الموزعة في مختلف القرى من مشارقها إلى مغاربها، بغض النظر عن التباين البسيط بينهم والذي يرجع للاختلافات البيئية والسياسية والاقتصادية والتي لا تخرج عن العمارة الإسلامية العريقة، ولا تغفل في هذا السياق أن "إدراك انطلاق العمران الإسلامي بأحكامه من الشريعة، لا يساهم فقط في معرفة حكم ما يستجد من نوازل عمرانية، بل يساعد أيضاً في تأصيل نظرية للعمران الإسلامي، فعلى الرغم من تنوع الأساليب العمرانية باختلاف المدن الإسلامية من حيث الزمان والمكان، غير أنها استجابتها للكلية الخمس بدرجاتها الثلاث وهذا هو أساس الارتباط بين الإسلام والعمران في بلاد المسلمين^(١)؛ حيث يرجع ذلك الطابع الموحد إلى ديننا الإسلامي الحنيف الذي لم يقتصر على جانب البناء المادي بل يتغلغل إلى جانب البناء المعنوي من خلال اهتمامه بالقيم الإسلامية المتمثلة في علاقة الإنسان بالعمارة والعمران، فاهتمام الإسلام بدأ ببناء الإنسان ثم انتقل إلى البنيان.

(١) السعدي، أحمد محمد سعيد، أحكام العمران في الفقه الإسلامي، ص ٣٨.



الباب الأول

ركائز العمران وإبداعه وأساليبه وخصائصه
في القرآن الكريم

وفيه فصولان:

الفصل الأول: ركائز العمران وإبداعه في القرآن الكريم.

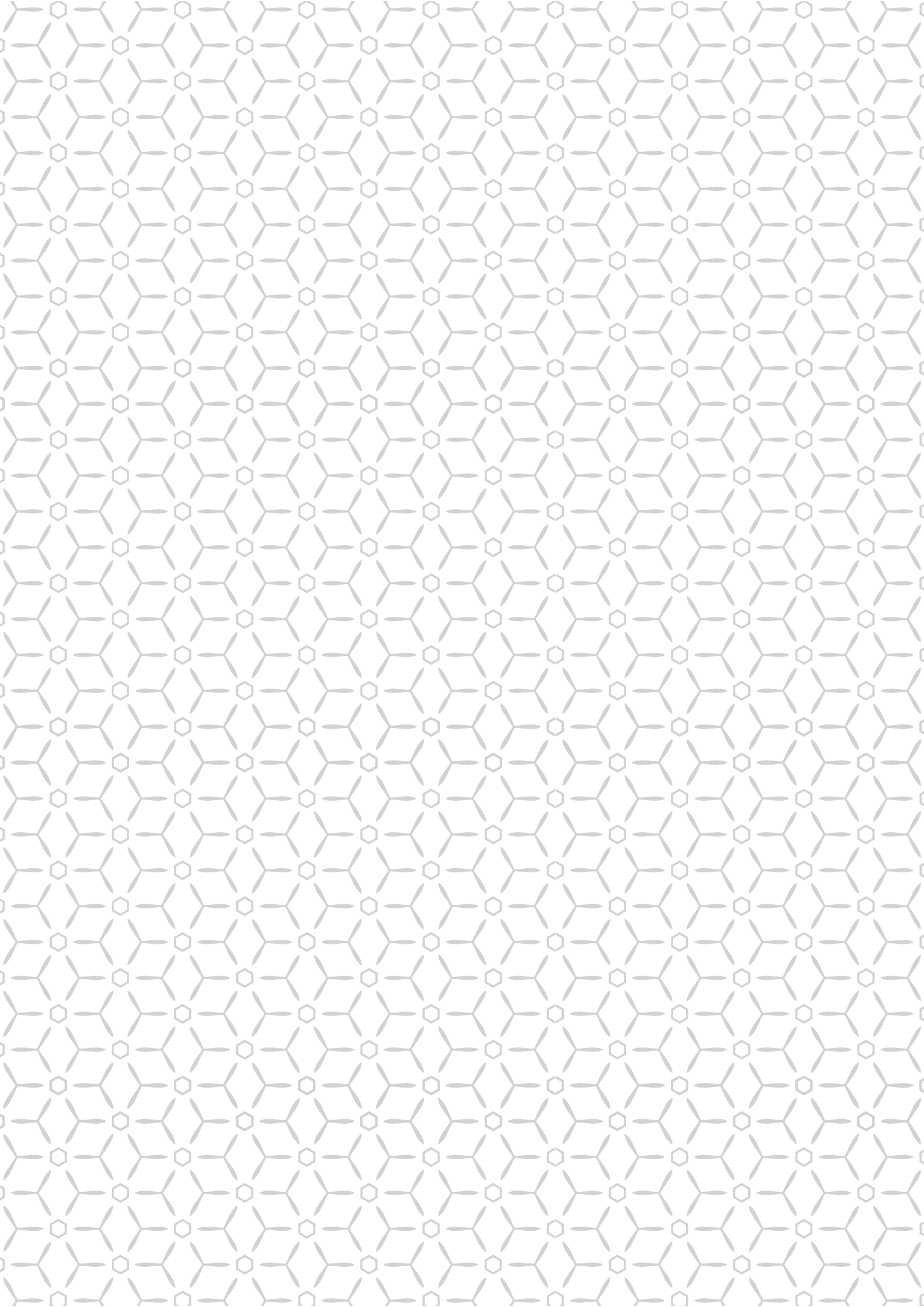
المبحث الأول: ركائز العمران في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: صور الإبداع العمراني، ونماذج لم تلتزم بالعمران في القرآن الكريم.

الفصل الثاني: أساليب العمران وخصائصه في القرآن الكريم.

المبحث الأول: أساليب العمران في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: خصائص العمران والعمارة في القرآن الكريم.

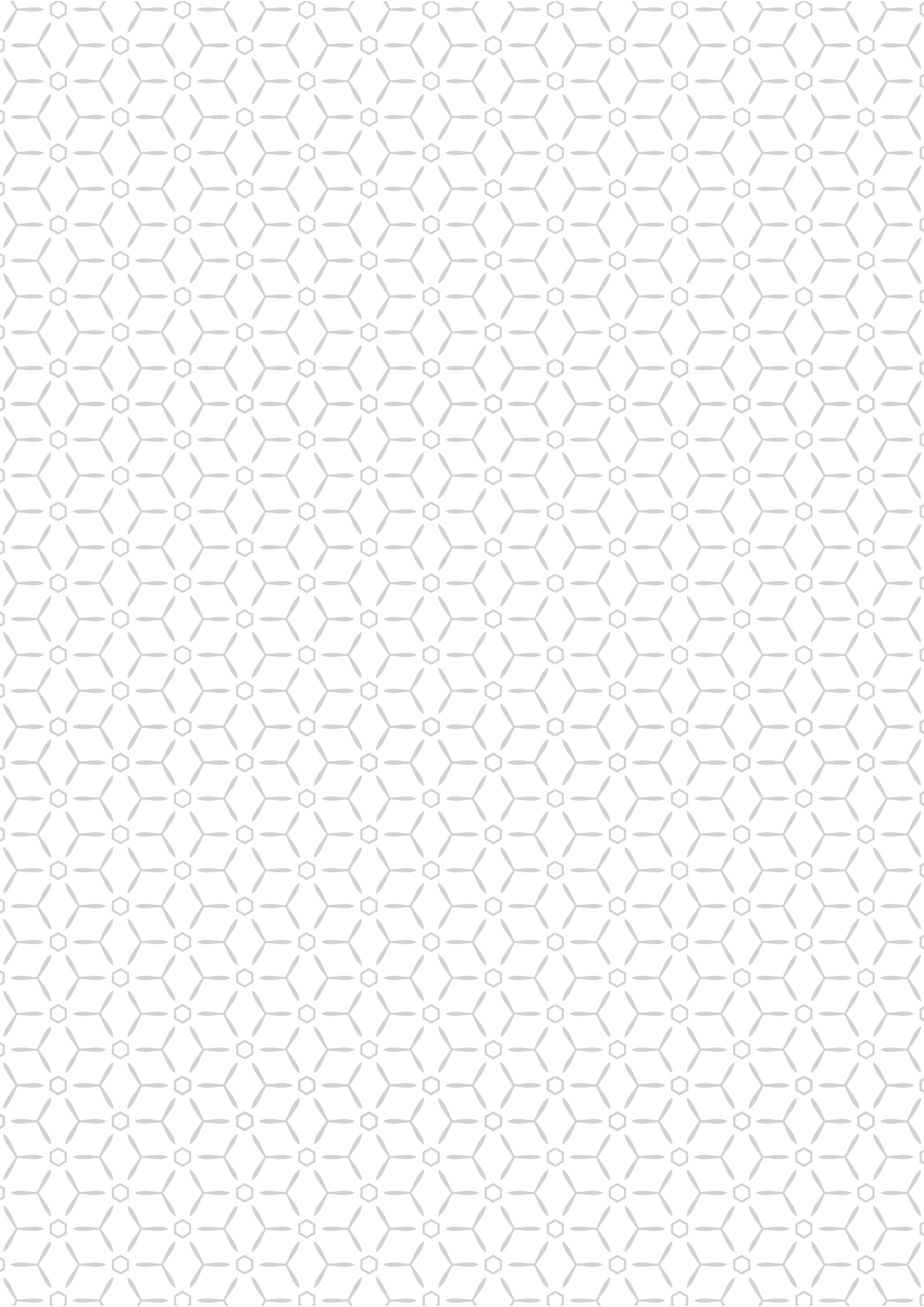


تمهيد

نشأت الحضارة الإسلامية بنشأة الإنسان الصالح الذي شكلته الشريعة الإسلامية؛ فالعناية جاءت بالإنسان قبل البنيان؛ ومتى صلح ذلك الإنسان وتحلى بمكارم الأخلاق، وعمر وجدانه بالتقوى وتمسك بمنهجية القرآن الكريم، أصبح البنيان الذي بناه ذلك الإنسان المتمتع بأسمى معاني العمران الوجداني بنياناً قوياً تستمد قواعده من جذور الإيمان والتقوى؛ مما يؤدي إلى عمران حضاري مزدهر ومتقدم، وهذا ما سعى القرآن الكريم لإيجاده.

وإنه لمن واجب المؤمن أن ينهض بمجتمعه ويفجر طاقته في سبيل ممارسة الخلافة في الأرض والعمارة فيها بالخير والعمل الصالح على النحو الذي يحدده المنهج القرآني الذي يبني الجسور التي تؤدي إلى عمران حضاري لا مثيل له؛ يتم من خلاله مراعاة الحقوق والواجبات، والتحلي بمكارم الأخلاق وجميل الصفات، والرحمة بين جميع الكائنات، والوحدة والألفة بين المجتمعات، وكل ما يؤدي إلى الأجر ويضاعف من الحسنات، ويضبط للإنسان الحركات والسكنات، ويتفرد بالأساليب والمميزات، التي تحمل الكثير من الرموز والإشارات، وإنجذاباً إلى روعة الآيات، وانتقاء الألفاظ والكلمات، التي تمتع العاطفة وتنمي العقل والقدرات؛ لما تحتويه من قصص ونماذج تحمل العديد من العبر والعظات، والدروس والهدايات.

وعليه فإن هذا الباب جاء ليسلط الضوء على الركائز التي يتمحور حولها العمران والمتمثلة في علاقة الإنسان بخالقه، وعلاقة الإنسان بنفسه، وعلاقته بجميع المخلوقات، بالإضافة إلى علاقة الإنسان بالأرض والفضاء الذي يعيش فيه، وبيان ارتباط العمران بالتقوى، وتوضيح صور الإبداع العمراني في القرآن الكريم، والإشارة إلى نماذج لحضارات لم تلتزم بالعمران، والتطرق إلى الأساليب العمرانية في تنمية الإنسان والمجال التي تفرد بها القرآن الكريم، والتي يمكنني استنباط الخصائص العمرانية والمعمارية من خلالها.



الفصل الأول: ركائز العمران وإبداعه في القرآن الكريم.

الإنسان محور عملية البناء والتعمير؛ فهو الوسيلة التي تستمر من خلالها مرحلة العمران، والتي يجب أن تكون تحت نطاق منهجية القرآن الكريم، حتى يتحصن الإنسان بها ولا يخضع لأي تيارات أو تأثيرات تبعده عن طريق الصواب، وتؤدي إلى ضعف الحضارة وتفككها وانقسامها؛ حيث لا حضارة من غير إنسان، ولا عمران من غير إنسان، يقول مالك بن نبي: "لا حضارة إنسانية إلا بهذه المنظومة الثلاثية: إنسان (كينونة وزمان)، فكر (عقيدة وثقافة)، أشياء (التراب ورأس المال وشتى العوامل المادية) (١)؛ ولذلك اعتنى المنهج القرآني بالإنسان وحدد له ركائز العمران، وضرب النماذج والأمثلة التي تؤكد على أهمية تلك الركائز في التقدم العمراني، والمباحث المقبلة من هذا الفصل ستتناول تلك الركائز التي لا غنى للعمران عنها، والتي تؤدي إلى عمران قوي رصين، لا يتأثر ولا يتضرر عبر مر السنين.

المبحث الأول: ركائز العمران في القرآن الكريم.

جاء القرآن الكريم ليحافظ على جميع مقومات الحياة وأسسها العمرانية من خلال المحافظة على الضروريات التي تحفظ المصالح، وهي: المحافظة على الدين، والمحافظة على النفس وصيانة كرامتها، والمحافظة على سلامة الفكر والعقل وتنميته بالعلم، والمحافظة على النسل، والمحافظة على المال وكيفية استثماره بكل ما هو خير؛ يقول صاحب الموافقات: "الضروريات الخمس: الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال، التي هي أسس العمران المرعية في كل ملة، والتي لولاها لم تجر مصالح الدنيا على استقامة، ولفاتت النجاة في الآخرة (٢)".

وجاء المنهج القرآني ليحافظ على الأرض التي تعتبر من الأسس العمرانية، ويضمن حياة ما فيها من مخلوقات وكائنات، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠]؛ هنا تأتي الوظيفة الحضارية للإنسان وهي الخلافة في الأرض،

(١) بن نبي، مالك، ميلاد مجتمع، ص ٢٩.

(٢) الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد الغرناطي، الموافقات، ج ١، ص ٥.

وهذه العملية تستلزم وجود إنسان يتجه نحو العمران ببصره وبصيرته التي يجد منهجيتها في القرآن الكريم الذي ينظم حركة سير الإنسان، ويوضح ما له وما عليه في جميع أمور الحياة، ويلفت النظر حول كل ما فيها من مكونات، وذلك وفق جملة من المعايير التي تنهض بالإنسان وتلملم شتاته؛ فيستطيع من خلالها أن يميز بين الخير والشر، وبين الحق والباطل؛ حيث يتألف "بنيان هذا الوجود الكوني من أركانه الثلاثة الكبرى: الإنسان، والحياة التي يتمتع بها، والمكونات التي تموج من حوله، فما ثمة من الفنون المختلفة أو علم من العلوم المتنوعة، إلا وهو دائر في فلك من هذه العناصر الثلاثة الكبرى^(١)"، وبناء على ما سبق ذكره فقد تم تقسيم هذا المبحث إلى الركائز التي يقوم عليها العمران والتي تنطلق من الإنسان؛ فتوضح علاقاته المختلفة التي تدفعه نحو عمارة الأرض وعمرانها، والمتمثلة في بيان: علاقة الإنسان بخالقه، وعلاقة الإنسان بنفسه، وعلاقة الإنسان مع غيره، وعلاقة الإنسان بالأرض، بالإضافة إلى توضيح علاقة العمران بالتقوى كونه أهم الركائز التي يبنى عليها العمران؛ فالعمران ينبغي أن يكون المرآة الصادقة للعلاقات التي تربط الإنسان بربه ونفسه وغيره وأرضه؛ فهي التي تلخص وجود هذا الإنسان على الأرض^(٢).

المطلب الأول: علاقة الإنسان بالخالق والمخلوق.

أولاً: علاقة الإنسان بخالقه: يعتبر الإيمان هو المحرك الرئيس الذي يدعو الإنسان نحو سلم التقدم والعمران، لما يرمي إليه من قوة ودافعية تدفع الإنسان نحو تحقيق مقاصد خلافته على أكمل وجه؛ فالإنسان بتكريم الله جل في علاه له منذ بداية نشأته وحتى نهاية مصيره يعتبر محور العمارة، وأساس العمران، "وأولى خطوات العمران الراشد الإيمان الجازم بالله واليوم الآخر، ويترتب عليه إعمار بيوت الله، وعمارتها تستلزم إيجادها والحفاظ عليها، لذلك كان الإيمان بشئى تجلياته اعتقاداً قلبياً، وفعلاً عمرانياً، يبنى الأفكار، ويؤسس البنيان^(٣)".

هذا ويربط القرآن الكريم العمران بالإيمان بالله سبحانه ورباط وثيق؛ ويظهر ذلك جلياً في دعوة الرسل عليهم السلام بترك عبادة الأصنام والأوثان وتوحيد الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، والدعوة إلى إصلاح

(١) البوطي، محمد سعيد رمضان، منهج الحضارة الإنسانية في القرآن، ص ١٢٣-١٢٤.

(٢) إسماعيل، تومي، العمارة والعمران في ظلال القرآن، ص ١٢، بتصرف يسير.

(٣) تلوت، جميلة، مقاصد الأسرة في القرآن من الإنسان إلى العمران، ص ٣٢.

الأرض وعمارته بالطاعات والخيرات، والنهي عن إهلاكها والفساد فيها، مؤكداً بذلك أن عمارة
البنيان لا قيمة لها إن لم يكن هناك عمران وجداني نابع من نور إيماني يستمد من منهج رباني، قال
تعالى: ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثُمُودَ ۚ إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ
أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ۚ ﴾
[فصلت: ١٣ - ١٤].

ومن أهم متطلبات الإيمان التدبر بالآيات القرآنية والتفكر في معانيها، والامتنال بما جاء فيها من
أوامر واجتناب النواهي، وطاعة الله عز وجل، والتقرب إليه بالنوافل، واستشعار نعمه وآلائه؛ فالله
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى صاحب الفضل، الذي له الأسماء الحسنى والصفات العُلا، الذي أوجد الإنسان من
العدم وأسبغ عليه من النعم، وجمل جميع ما حوله وجميع ما في الوجود، الذي مع الإنسان دائماً أين ما
كان وحيث ما وجد، العالم بالسرائر والخبير بالظواهر، وهو سبحانه المتفرد بالملك وحده لا شريك
له، له الطاعة والخضوع والذل، يقول تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي
الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ
الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ۖ ﴾ [الحج: ١٨]، ويعتبر السؤال الوارد
في هذه الآية الكريمة استفهاماً تقريرياً يفيد العلم بأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يسجد جميع من في السماوات
والأرض، بمعنى ألم تعلم أيها الإنسان أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الذي نظم حياتك، ورتب علاقاتك مع
نفسك ومع غيرك من الناس، بل وحتى نظم علاقاتك مع الكون، ووضح ماهيتها وكيفيةها، ووضع
الأدلة الصريحة التي تؤكد على ربوبيته ووحدانيته، ومظاهر قدرته، أنه تسجد له جميع الكائنات
المنتشرة والمستخفية في الأرض والسماء؛ فوجب عليك أيها الإنسان الخضوع والانكسار بين يديه،
ودعائه ومناجاته، وأن تؤثر حبه على حب نفسك، أو حب أي شيء آخر.

ولا شك أن أساس علاقة الإنسان بخالقه تتمثل في حسن عبادة الخالق وطاعته، وتحقيق أهم
مقصد من مقاصد وجوده واستخلافه في الأرض، والمهمة التي من أجلها خلق والمتمثلة في عمارة
الأرض بالخير والإصلاح، والتي تعد بمثابة تجسيد العلاقة التي تربط بين الخالق والإنسان؛ وذلك
بأن يكون ذلك الإنسان المستخلف على قدر مسؤولية الاستخلاف، وأن يحمل أسمى معاني

الإنسانية التي تتطلبها مرحلة الاستخلاف؛ فالله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** استخلف الإنسان لعمارة هذه الأرض بتطبيق منهج الله جل في علاه فيها.

ومن خلال التبع في الآيات الكريمة والأحكام الشرعية يتضح أن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** راعى حقوق الناس أكثر من حقوقه عز وجل، وذلك من خلال العديد من الأمور التي تبين ذلك وتؤكد، منها الحج: فقد فرض الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** الحج مرة واحدة فقط مراعاة لظروف العباد، وأن يكون الحج لمن يستطيع أدائه.

وكذلك الزكاة التي تعتبر من أهم الأدوات التي تعزز ترابط المجتمع وتكفها، وبها قد يحقق الإنسان أسمى صور التعاون والعطاء والمودة، وهذه العبادة الفائدة للناس وللنفس كذلك؛ فتظهر من خلالها الذات البشرية من البخل والشح والأنانية، وقد يحصل على ثمرتها في الدنيا والآخرة، وينال الأجر العظيم والثواب الكريم.

وأما عبادة الصيام التي قد يضبط بها الإنسان نفسه ويقوي بها عزمته، ويتحدى من خلالها شهواته، ويتدرب بها على التحمل، والشعور بما يشعر به الفقراء الذين لا يجدون ما يسد جوعهم ويروي عطشهم؛ فهذه العبادة قد يشعر الإنسان بالوحدة الإسلامية التي تربط جميع المسلمين أثناء صيامهم وقيامهم جميعاً في آن واحد، ومن الناحية الصحية فقد أثبتت الدراسات العلمية حول أهمية الصيام، وما فيه من فوائد عديدة للأجهزة الهضمية والأبدان، واهتمامات الأطباء في وقتنا الحاضر في بيان الفوائد الصحية والمنافع الطبية المحقق حصولها من التعبد بهذه العبادة الفضيلة عديدة وكثيرة؛ وذلك من خلال ما تيسر لهم من معامل وتحاليل واستكشافات بواسطة التقنية الحديثة الدقيقة^(١)؛ فسبحان من يفرض عبادته لما يفيد الإنسان في دنياه وآخرته.

ثانياً: علاقة الإنسان بنفسه: تصون الشريعة الإسلامية حق النفس، وتؤكد أن للنفس على الإنسان الحق؛ فينهى القرآن الكريم عن الاقتراب من أي شيء يضر الإنسان ويهتك بصحته، ويدعو الإنسان أن يحافظ على نفسه ويصونها، ويعمل الخيرات ويتعدى عن المنكرات التي تضر نفسه قبل أن تضر غيره، وأن يحرص على النظافة الشخصية فيطهر الجوهر بالأخلاق الفاضلة، ويعتني بنظافة المظهر. وأن يتمتع بما

(١) السلمي، عز الدين عبدالعزيز بن عبد السلام، فوائد الصوم، ص ٦، بتصرف يسير.

أنعم الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** عليه من طيبات الرزق الحلال، قال تعالى: ﴿ **فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا**

طَيِّبًا ﴾ [النحل: ١١٤]، وأن يوظف قدراته وإمكانياته بما ينفع نفسه وينفع غيره، ويكسب الكسب الحلال، ويسعى في الأرض بكل ما شرع الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** له من العمل؛ فيساهم بذلك في تعمير الأرض؛ حيث "من أقوى دوافع الإنشاء والتعمير هو شعور الإنسان بقيمته وعلو شأنه"^(١).

كما على الإنسان أن يدرك في قرارة نفسه أن نعيم الدنيا زائل، وهذا كفيلاً باعتبار هذه الدنيا مجرد وسيلة يحقق من خلالها الإنسان الغاية الرئيسة من وجوده في الدنيا، وهي العمل من أجل النعيم الآخروي الدائم؛ من خلال توظيف النعم لخدمة هذا الغرض.

ولا نغفل عن أهمية تطوير الذات وتزويد النفس البشرية بالعلم والمعرفة، وما له من أثر في العمران، قال تعالى: ﴿ **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ** ﴾ [العلق: ١ - ٥]؛ نلتمس من الآية الكريمة الحث على العلم والتعليم وما له من فضل، هذا وجاءت العديد من الآيات القرآنية الكريمة التي تدعو إلى التفكير والتعقل في خلق الله جل في علاه، والتفكير في الأنفس والآفاق.

ثالثاً: علاقة الإنسان مع غيره من الناس: يهدف الفكر الإسلامي إلى بناء مجتمع قوي رصين يتحلّى أفرادُه بالأخلاق الفاضلة، وينظر إلى الإصلاح الديني دون الإغفال عن الإصلاح الآخروي، مراعيّاً مختلف جوانب الحياة، وداعياً إلى حرية الرأي والتعبير دون إجحاف حق أحد، صائناً الكرامة الإنسانية. وتعتبر علاقة الإنسان بأخيه الإنسان من أهم ركائز العمران؛ فبالمحافظة على تلك العلاقة القائمة على الأخلاق الفاضلة من عدل ومساواة وإحسان بين بني الإنسان التي تضمنها منهجية القرآن الكريم يصبح المجتمع كالجسد الواحد، ويكون أكثر قوة وتماسكاً؛ فبالتالي يكون أكثر تهيؤاً إلى عمران قوي ومتضامن يتشارك في بنائه أفراد المجتمع بجهودهم المشتركة.

وجاءت في القرآن الكريم العديد من القيم الأخلاقية التي يغلب عليها الطابع الجماعي هادفاً بذلك إلى تفعيل الحركة الجماعية بكل ما يخدم الذات الفردية والإنسانية من أجل تحقيق الخلافة في الأرض بأسمى صورها. وللعبادات التي يقوم بها الإنسان بشكل جماعي الدور الرئيس فيما يحقق

(١) النجار، عبدالمجيد عمر، قيمة الإنسان "الإنسان في العقيدة الإسلامية" ٢، ص ٥٣-٥٤.

التضامن والوحدة الإسلامية كالصلاة في المسجد جماعةً، وصيام جميع المسلمين في شهر رمضان المبارك، والحج الذي يجتمع فيه المسلمين من مختلف البلدان والقارات، ومختلف الأعراق والأجناس متجهين بعقولهم وقلوبهم وجوارحهم نحو تحقيق هدف واحد يشترك فيه جميعهم وهو إرضاء الخالق وحسن عبادته.

والإنسان لا يستطيع النهوض بمجتمعه إلا إذا كان هناك من يعاونه ويتعاون معه من أجل تحقيق النهضة العمرانية، التي يتمتع أفرادها بالوحدة، ويساهم جميعهم نحو البناء والتقدم متضامنين يداً بيد، ويرحم بعضهم البعض رجاء رحمة خالقهم، ولا يظلم بعضهم البعض، وأن يكونوا كما أرادهم خالقهم متراحين ومتعاونين على كل خير، يجب كل أحد منهم ما يحبه لنفسه وذاته، ولا يتعالى أحدهم على الآخر، ولا يتكبر ولا يتجبر. كما على الإنسان أن ينصح لغيره ويمده بالعون والمساعدة والتعليم والمساندة؛ من أجل انتاج نسيج عمراني اجتماعي لا يتفكك ويشد بعضه بعضاً، قال **صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «المؤمن للمؤمن كالبنian يشد بعضه بعضاً»^(١).

ولعل من أهم ما يجب أن يكون عليه الإنسان أن يضع دائماً نفسه موضع غيره من الناس أثناء تعامله معهم فلا يسيء لهم، ويتمنى لهم الخير كما يتمناه لنفسه، وأن يتواضع ولا يتكبر عليهم ولا يظلمهم؛ فالإنسان مدني بطبعه لا يستطيع العيش بمفرده بل لا بد من انخراطه مع غيره؛ فبتالي يجب عليه توطيد علاقاته من أجل تحقيق النتائج المرجوة والتي تعود إليه وإلى غيره بالفائدة.

قال تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦]، تحت الآية الكريمة على الإحسان إلى الناس الأقرب فالأقرب ابتداءً بالوالدين ثم محيط الأسرة من إخوة وأخوات وأبناء، ثم ذوي الأرحام، والأصحاب والجيران والزملاء والجميع.

ونبدأ بحقوق أولى الناس وأقربهم للإنسان بعد النبي **صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وهما الوالدان اللذان قرن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** الإحسان إليهما وبرهما بعبادته سبحانه، وأمر بالرفق بهما، وعدم نهرهما بل القول لهما

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب استقبال القبلة، ج ١، ص ١١٤، رقم (٤٨١)، ومسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، ج ١٦، ص ١٤٠، رقم (٢٥٨٧).

قولاً كريماً؛ يقول تعالى في قصة يوسف عليه السلام: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [يوسف: ١٠٠]؛ فإنه لمن أهم الركائز العمرانية بر الوالدين وطاعتها.

ومن خلال التأمل في آيات الذكر الحكيم يُدرك بجلاء عناية المنهج القرآني بالأسرة من خلال بيان تشريعاتها وأحكامها تارة، وبيان أهميتها تارة، وتوضيح ما يحافظ على وجودها ويدعم كيانه تارة أخرى؛ حيث وضح المنهج القرآني علاقة الوالدين مع أبنائهما، وعلاقة الأبناء مع والديهم، وعلاقة الإخوة فيما بينهم، والعلاقة بين الأزواج، ووضح الحقوق والواجبات بين الأزواج وابرز دور كل منهم، هذا ولم يغفل المنهج القرآني عن الحقوق والواجبات التي تكون بعد الانفصال والطلاق في حال الخلاف بين الزوجين.

كما أن للإخوة والأخوات الحقوق والواجبات؛ فيجب أن تكون العلاقة معهم مبنية على الاحترام والتقدير والتعاون، وكنم الغيظ عند الغضب، والصفح عن الإساءة والتجاوز عن الزلة، وحسن الظن بهم، والدعاء لهم، وتقوية أواصر المحبة والألفة والتعاطف بين جميعهم، قال تعالى: ﴿هَؤُلَاءِ أَخِي ۖ أَشَدُّ بِهِ أَزْرَى ۚ وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي﴾ [طه: ٣٠ - ٣٢]، نلتمس من الآية الكريمة أهمية الأخوة القائمة على المودة والعطاء والتعاون والمشورة، وبيان الحاجة الماسة إلى تلك العلاقة.

وللأقارب والأرحام الحقوق والواجبات أيضاً؛ حيث أثنى القرآن الكريم على الذين يصلون الأقارب والأرحام ويحسنون إليهم بالأقوال والأفعال، وأوصى بالإحسان إلى ذوي القربى في العديد من الآيات القرآنية الكريمة، ومنها ما جاء بصيغة الأمر، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى﴾ [النحل: ٩٠]، ومنها ما جاء بصيغة التوبيخ والتحذير من العداوة والمقاطعة في قوله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ [محمد: ٢٢].

كما حرم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كُلُّ مَا يُوْدِي إِلَى سلب الحقوق بين الناس، فنهى عن السرقة، قال تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ﴾ [المائدة: ٣٨]، ونهى عن الخيانة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَتَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٢٧]، ونهى عن أكل أموال الناس بالباطل، قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ

يَنْتَكُم بِالْبَطْلِ ﴿ [البقرة: ١٨٨]، ونهى عن الكذب والخداع، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِنُفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾ [النحل: ١١٦]، ونهى عن التجسس والغيبة والنميمة، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾ [الحجرات: ١٢]، وحرّم الاعتداء والقتل، والزنا، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ [الإسراء: ٣٣]، وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء: ٣٢]، ونهى عن الفساد في الأرض والذي هو يقابل العمران، قال تعالى: ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ﴾ [الأعراف: ٥٦]؛ وهذه القيود إنما جاءت لتحافظ على الحقوق ابتداءً من الفرد إلى المجتمع.

ومن حقوق الإنسان على غيره أيضاً عدم التخويف سواء كان من باب المداعبة والتسلية والممازحة، أو من باب الغضب؛ لما قد يتسبب في إلحاق الضرر بالإنسان نفسياً وصحياً ومعنوياً؛ قال صلى الله عليه وسلم: «من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه حتى يدعه، وإن كان أخاه لأبيه أو أمه»^(١).

هذا ويؤكد المنهج القرآني أن الناس جميعهم باختلاف أعراقهم وأجناسهم بل وحتى دياناتهم يشترك بعضهم البعض في الحقوق والواجبات التي أقرها الإسلام من أمن وطمأنينة وسلام؛ فعلاقة المسلمين مع غيرهم من أصحاب الديانات الأخرى ينبغي أن تكون قائمة على العدل دون البغي والاعتداء والفساد، بل بتطبيق الأساليب الشرعية والقيم الحضارية المنبثقة من القرآن الكريم والتي تؤكد على أهمية السلم والسلام، وتنهى عن الاعتداء والعدوان، وتمنع التعذيب بكافة صوره وأشكاله^(٢)، وتلفت النظر إلى الأسلوب الحوارى الحضارى المدروس في حال النزاع والاختلاف، وأن يكون ذلك الحوار مدعوماً بالحجج والبراهين الواضحة والحكمة البالغة، والاتجاه دائماً إلى الحلول السلمية التي تبعد عن الصراع والنزاع.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن الإشارة بالسلاح لأخيه المسلم، ج ١٦، ص ١٦٩، رقم (٤٧٤٧).

(٢) للتوسع في موضوع منع التعذيب ومكافحته من الناحية القانونية والحقوقية المقتبسة من الشريعة الإسلامية، انظر: الكواري، فاطمة عبدالله علي عمران، منع ومكافحة التعذيب في المواثيق الدولية لحقوق الإنسان.

رابعاً: علاقة الإنسان بالأرض: تنتج البيئة العمرانية من خلال العلاقة التبادلية والتفاعلية التي تربط بين طبيعة المكان وفكر الإنسان؛ من خلال توظيف فكر الإنسان وإمعان نظره في الطبيعة وكيفية استغلال مواردها ومكوناتها في سبيل تحقيق النفع والانتفاع، والتي من شأنها النهوض بالمجتمع وتقديم حضارته.

وبتفاعل الإنسان مع بيئته ومكانه الذي يعيش فيه الدور الفعال في تحقيق الهدف المنشود، وهو إقامة حضارة إسلامية عمرانية لا نظير لها؛ فالعلاقة بين الإنسان والأرض التي يعيش عليها إنما هي علاقة تسخير وفق الإمكانيات، والموارد، والمواد المتنوعة والمتوفرة فيها.

ولم يغفل المنهج القرآني عن العلاقة بين الإنسان والمكان الذي يعيش فيه والمتمثل في كوكب الأرض؛ فجعل قاعدة لا يمكن غض الطرف عنها وهي: أن كل ما في الكون مسخر لخدمة الإنسان الذي يعتبر خليفة في هذه الأرض، فرى الشمس التي تمد الأرض بالأشعة وتحيا من خلالها النباتات التي يستفيد منها الإنسان ومن ثمارها في الوقت نفسه، ورى السحاب المحمل بالأمطار التي تسقي جميع الكائنات، وغيرها من المسخرات الأخرى.

من خلال ما سبق ذكره في هذا المطلب يتضح أن الفرد جزء لا يتجزأ من المجتمع الذي يعيش فيه؛ فمتى صلحت عقيدته صلحت أحواله؛ حيث تؤدي العقيدة الصحيحة بصاحبها إلى إدراك ما يقوم به من أعمال؛ مما يجعله متمسكاً بالأوامر الإلهية، ومتجنباً نواهيها؛ رغبة بالثواب، ورهبة من العقاب.

وبمثل هذه التوجيهات الربانية يستطيع الإنسان التحلي بأجمل الأخلاق وأقومها على الإطلاق، وأن يعمر قلبه بالصلاح ونور الهداية، وتربية النفس حول كيفية إعطاء كل ذي حق حقه، والمحافظة على حق نفسه؛ فعلى المسلم أن يجعل المنهج القرآني الأساس الذي يحدد علاقته مع غيره، هذا الأساس الذي يؤدي إلى توطيد العلاقات واجتماع كلمة المسلمين ليكونوا بذلك كالبنيان الذي يشد بعضه بعضاً، وبهذا المنهج يصل الإنسان إلى أعلى مراتب الإنسانية التي تصون علاقته مع الآخرين؛ فالإنسان بطبعه لا يميل إلى الانفراد بل يفضل الانخراط والاجتماع بغيره وتبادل الأفكار والخبرات.

المطلب الثاني: علاقة العمران بالتقوى.

للتقوى الدور الفعال في بناء الحضارة الإسلامية وعمران الجانب الروحي والإيماني لدى الإنسان، والذي يتم من خلاله تحقيق التوازن المادي والمعنوي بين أفراد تلك الحضارة، وما يؤدي به من تقدم اجتماعي، وسياسي، واقتصادي، وحضاري، كون التقوى المحرك الفعال لعجلة التنمية، والذي يدفع إلى القيام بالأعمال الصالحة التي يعود نفعها على الإنسان، وعلى غيره، ومن ثم على مجتمعه الذي يعيش فيه، وحضارته التي ينتمي إليها.

حيث ترتبط التقوى بالعمران برابط وثيق؛ وذلك من خلال اعتبار التقوى الجوهر الأساس الذي يوضح القيم الأخلاقية والعمرانية التي تؤثر على الحضارات. وبتطبيق منهجية التقوى التي وضحتها منهجية القرآن الكريم، وبالتحلي بصفات المتقين التي جاء ذكرها في القرآن الكريم؛ قد تتقوى الحضارة ويزدهر عمرانها، وقد تتمكن من مواجهة العوامل التي قد تؤدي إلى سقوطها وانهيارها كالفساد في الأرض والظلم والعدوان، وهذا ما أدركه السلف الصالح، وأصحاب رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** والتابعون، حول أهمية التقوى، ومن الآثار التي تؤكد على ذلك ما قام به الصحابي الجليل علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «حيث إِذَا بَعَثَ سَرِيَّةً وَلَّى أَمْرَهَا رَجُلًا فَأَوْصَاهُ فَقَالَ: «أَوْصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ، لَا بُدَّ لَكَ مِنْ لِقَائِهِ، وَلَا مُنْتَهَى لَكَ دُونَهُ وَهُوَ يَمْلِكُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ، وَعَلَيْكَ بِالَّذِي يُقَرِّبُكَ إِلَى اللَّهِ، فَإِنَّ فِيهَا عِنْدَ اللَّهِ خَلْفًا مِنَ الدُّنْيَا»^(١).

هذا وتعتبر التقوى عن الإيمان الروحي والقلبي بالخالق **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، والعلم بقدرته ونعمه وآلائه التي تدفع الإنسان إلى عبادة الله جل في علاه وخشيته والخوف منه والتضرع إليه، والعمل على تطبيق شرع الله جل في علاه، والامتثال بالمأمور وبمكارم الأخلاق وفضائلها، وتجنب المنهي عنها، والتورع والحذر من الوقوع فيها، ويعرف صاحب المفردات التقوى بأنها: "جعل النفس في وقاية مما يخاف، والتقوى خوف حسب تسمية مقتضى الشيء بمقتضيه والمقتضى بمقتضاه، وصارت التقوى في تعاريف الشرع حفظ النفس عما يؤثم، وذلك بترك المحظور، ويتم ذلك بترك بعض

(١) ابن شيبه، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العسبي، المصنف في الأحاديث والآثار، كتاب الزهد، كلام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ج ٧، ص ١٠٠، رقم (٣٤٤٩٩).

المباحات^(١)؛ فمعنى التقوى بشكل مختصر حفظ النفس وصيانتها وذلك من خلال الالتزام بالمأمور في شرع الله سبحانه، وترك المحظور، ولما كانت التقوى تعنى بحفظ النفس وصيانتها وتطهيرها؛ فلا شك أن مجالاتها ستكون عديدة يصعب حصرها؛ لتشمل بذلك العبادات وجميع المعاملات، بالإضافة إلى المباحات والمحظورات.

ولما كانت التقوى من أهم مرتكزات البناء الحضاري عنيت باهتمام بالغ في القرآن الكريم وذلك من خلال العديد من الآيات الكريمة التي تبين صفات المتقين وترسم سماتهم تارة، وتوضح الطرق التي تعين على تحقيق التقوى والتحلي بها تارة، وتربط علاقة التقوى بالأخلاق الفاضلة تارة، وتؤكد جزاء المتقين وثوابهم في الدنيا والآخرة تارة أخرى.

قال تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ

۝ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝﴾ [البقرة: ٢-٤]؛ فللمتقين صفات عديدة، ولعل من أبرز صفاتهم اهتداؤهم بالقرآن الكريم، وتبعية لمنهجيته، ومن ثم تطبيق تلك المنهجية بدقة متناهية، وعدم الإغفال عن أي جانب من الجوانب، أو الارتكاز على جانب معين دون غيره، بالإضافة إلى إيمانهم بالغيب وإقامتهم الصلاة، وإنفاق أموالهم ابتغاء مرضاة الله جل في علاه، وإيمانهم بجميع ما أنزله الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** على أنبيائه الكرام، وإيمانهم باليوم الآخر الذي يعملون في الدنيا من أجله، ويتبعون جميع ما جاء في القرآن الكريم فهو منهجهم وبه يهتدون، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ أَهْدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَءَانَّهُمْ يَقُونَهُمْ ۝﴾ [محمد: ١٧].

وقال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِّلْمُتَّقِينَ ۝ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ۝﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤]، ومن صفات المتقين أيضاً أنهم ينفقون في سبيل الله عز وجل في وقت الضيق والرخاء، وفي وقت العسر واليسر، ويكظمون غيظهم عند المضايقة أو الاعتداء؛ فلا يقابلون الإساءة بالإساءة بل يتغاضون عنها ويعفون عن أصحابها؛ حيث يتمتع المتقون بأعلى معايير السلام الداخلي والقلبي والنفسي الذي يدفعهم إلى السلام الخارجي

(١) الراغب الأصفهاني، المفردات، ص ٨٨١.

والاجتماعي؛ "فهم ثابتون على البذل، ماضون على النهج، لا تغيرهم السراء ولا الضراء، دافعهم التقوى؛ ذلك الشعور اللطيف العميق، الذي تشف به الروح وتخلص، وتنطلق من القيود والأغلال بتلك القوة الروحية المنبثقة من التطلع إلى أفق أعلى وأوسع من آفاق الذات والضرورات^(١)".

كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْتُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧]، توضح الآية الكريمة أهم صفات المتقين والتي يقوم أساسها على الإيمان بالله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين، والإنفاق في سبيل الله سواء كان ذلك الإنفاق للأقارب أو لمن يحتاج إلى المال من اليتامى والمساكين وغيرهم.

هذا وأمر الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** في محكم كتابه بالتقوى من خلال العديد من الآيات القرآنية الكريمة بمختلف المواضع، ومختلف الصيغ؛ فمنها ما جاء بصيغة المفرد ومنها ما جاء بصيغة الجمع، ومنها إتيان الأمر موجهاً لشخص معين أو فئة معينة - وإن كانت العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب-؛ فتارة نرى الأمر بالتقوى موجهاً للنبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، كقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ [الأحزاب: ١]، وتارة نرى الأمر موجهاً إلى المؤمنين خصوصاً، كقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢] ، وتارة نرى الأمر بالتقوى موجهاً إلى الناس عموماً، كقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، وتارة أخرى يأتي الأمر بالتقوى على لسان الأنبياء عليهم السلام،

(١) سيد قطب، إبراهيم حسين الشاربي، في ظلال القرآن، ج ١، ص ٤٧٥.

كقول نوح مخاطباً قومه وأمرأ إياهم بالتقوى في قوله تعالى: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ (١٠٧) فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا [الشعراء: ١٠٧ - ١٠٨] (١).

كما جاء الأمر بالتقوى مقروناً بأسلوب الترغيب والإيجاب، كقوله تعالى: ﴿وَأَتَقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّهُ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٩٤]، وكذلك جاء الأمر بالتقوى مقروناً بأسلوب الترهيب والتخويف، قال تعالى: ﴿وَأَتَقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [البقرة: ١٩٦]، ونظائر هذا الأسلوب يكثر في القرآن الكريم.

كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَقُوا لَفَنَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَبُوا فَآَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦]، يا له من ربط عجيب يربط بين الإيمان والتقوى وبين عمران القرى وخيراتها وإنزال بركات الله عليها؛ حيث تؤكد الآية الكريمة ارتباط سلامة القرى وأمنها وأمانها وعمرانها بسلامة أهلها وأفرادها؛ فمتى تمتعوا بالاستقرار النفسي، والإيمان، والتقوى، والعمل الصالح متى ما صلحت تلك القرى وازدهرت، وازدادت من الخير والبركة وأصبحت أكثر تطوراً وتقدماً، والعكس الصحيح متى ما كذبت بأنعم الله سبحانه وجحدت، وفي الأرض فسدت؛ أصبح مصيرها الهلاك والدمار الذي يقع بسبب كفر أهلها وظلمهم وفسادهم.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ٧٠]، نلاحظ في الآية الكريمة تغلغل مفعول التقوى في القول السديد؛ ليشمل تقوى القلوب والأفعال وتقوى الألسن والأقوال؛ فالتقوى لا تقتصر على فعل معين أو قول معين بل تندرج ضمن مجموعة أفعال الإنسان وأقواله التي تنم عن رقي أخلاقه؛ فجاء الأمر بالقول السديد مقروناً بتقوى المؤمنين. كما قال تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الفتح:

(١) تكرر ورود هذه الآية الكريمة في مواضع أخرى من نفس السورة، وعلى لسان أنبياء آخر وهم: هود عليه السلام، وصالح عليه السلام، ولوط عليه السلام، وشعيب عليه السلام، على النحو الآتي من الآيات: [الشعراء: ١٢٥ - ١٢٦]، [الشعراء: ١٤٣ - ١٤٤]، [الشعراء: ١٦٢ - ١٦٣]، [الشعراء: ١٧٨ - ١٧٩].

[٢٦]، يقول البيضاوي في تفسير الآية الكريمة: "وألزمهم كلمة التقوى كلمة الشهادة أو بسم الله الرحمن الرحيم محمد رسول الله اختارها لهم، أو الثبات والوفاء بالعهد، وإضافة الـ (كلمة) إلى التقوى لأنها سببها أو كلمة أهلها، وكانوا أحق بها من غيرهم، وأهلها والمستأهلين لها، وكان الله بكل شيء عليماً فيعلم أهل كل شيء وييسره له^(١)".

وقال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ١٩٧]، يقول صاحب الظلال في تفسير الآية الكريمة: "والتقوى زاد القلوب والأرواح، منه تقنات، وبه تقوى وترف وتشرق، وعليه تستند في الوصول والنجاة، وأولو الألباب هم أول من يدرك التوجيه إلى التقوى، وخير من ينتفع بهذا الزاد^(٢)"؛ فالله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** يمدح المتقين من خلال بيان فضل التقوى والخير الذي يؤدي بصاحبه نحو كل ما يعينه ويقويه ويفيده في دنياه وآخرته، أمراً أهل العقول الواعية المدركة المتأملّة أن يتحلوا بهذا الأمر الذي يرفع من شأنهم ويحقق مآلهم وهو تقوى الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** حق تقاته بامتثال أوامره واجتناب نواهيه. ويؤكد القرآن الكريم أن خير ما قد يتزود به الإنسان ويسعى إلى تحقيقه هو تقوى القلوب وعمرانها بالإيمان والأخلاق الفاضلة، وتقوى الأفعال وعمارتها بالخير والعمل الصالح. ونلاحظ أن الآية الكريمة ختمت بأمر أصحاب العقول الواعية التي تدرك الخير من الشر، وتميز الحق من الباطل بالتقوى؛ وذلك لما تؤدي به من خير وفير يعود إلى الفرد نفسه، وإلى المجتمع الذي يعيش فيه، والحضارة التي ينتمي لها.

وفي آية كريمة أخرى تأتي خيرية التقوى من خلال التشبيه الذي يلفت الأنظار ويجذب القلوب، قال تعالى: ﴿يَبْنِيْ عَادَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَرِّى سَوَءَ تِكْمٍ وَرِدْشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ﴾ [الأعراف: ٣٦]، تجسد الآية الكريمة التقوى بأنه ذلك اللباس الذي ينبغي أن يتحلّى به المؤمن في جميع أوقاته؛ فهو اللباس الذي يقوي الإنسان ويحصنه من جميع معطلات الحياة وعوائقها، ذلك اللباس الذي خير من لباس الحرير والريش، ويستتر عيوب صاحبه في جميع الأوقات؛ ففي الآية الكريمة جاء ذكر اللباس الظاهري الملموس، واللباس الباطني

(١) البيضاوي، أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج ٥، ص ١٣١.

(٢) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج ١، ص ١٩٧.

المحسوس؛ لبيان لنا أهمية الجمال المعنوي المتمثل بتقوى القلوب وما يؤدي به من جمال خارجي يعكس الجمال الداخلي، وهذا الجمال الذي لا يضاهيه أي جمال.

وقال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ

الْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢]، يشير الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ** في الآية الكريمة إلى وجوب تعاون المؤمنين فيما بينهم تعاوناً قائماً على الرحمة والمودة والإحسان وكل ما يحمله الخير من معنى، وبتقوى الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ** حق تقاته يستطيع الإنسان أن يساهم في بناء مجتمع قوي رصين يتحلى به أفراداه بالتعاون ويتمتعون بروح الجماعة التي لا شك تؤثر إيجاباً في نهوض المجتمع وتقدمه وازدهاره نتيجة ما يقدمه الإنسان العمراني.

كما قال تعالى: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ

فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٨]؛ نلتمس من الآية الكريمة أنه من أهم مميزات المسجد أن يقوم بناؤه على تقوى الله وتحقيق مرضاته، وكل ما تحمله التقوى من معنى من أخلاق فاضلة، وصفات كريمة نابعة من إيمان قلبي وعقلي يدفع صاحبه إلى فعل الخير، والعمل الصالح، والمساهمة في ارتقاء الحضارة التي يعيش فيها، وتحقيق مبدأ الخلافة في الأرض وعمارتها وعمرانها، كما نلتمس أيضاً أن من أولى غاية العبادات تحقيق التقوى، يقول رشيد رضا في تفسير الآية الكريمة: "والتأسيس: وضع الأساس الأول للبناء الذي يقوم عليه ويرفع، والمراد منه هنا القصد والغرض من البناء، والتقوى: الاسم الجامع لما يرضي الله ويقي من سخطه، أي: إن مسجداً قصد ببناؤه - منذ وضع أساسه في أول يوم - تقوى الله تعالى بإخلاص العبادة له وجمع المؤمنين فيه على ما يرضيه من التعارف والتعاون على البر والتقوى - هو أحق أن تقوم فيه^(١)".

وللتقوى الأثر البالغ الذي يعود على علاقة الإنسان بنفسه وغيره ومجتمعه، وذلك من خلال الدور الرئيس الأول الذي يمارسه الإنسان في بيئته الصغيرة وهي الأسرة التي أمر الخالق في محكم كتابه أن تكون مبنية على الاحترام والمودة والرحمة، والتي تبدأ بعلاقة الآباء مع أبنائهم، وعلاقة الأبناء مع آباءهم، وعلاقة الأزواج فيما بينهم، وذوي أرحامهم وأقاربهم، ثم الانتقال إلى الدائرة الأوسع والتي تربط بين الأمم والمجتمعات الإسلامية وشعوبها. وفي الالتزام بمنهجية المتقين

(١) رشيد رضا، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين، تفسير القرآن الحكيم - تفسير المنار، ج ١١، ص ٣٤.

المذكورة في القرآن الكريم سيقاوم الإنسان الانحرافات التي قد تعترضه نحو عملية الخلافة ونحو سلم التقدم والتطور الذي يتجه إليه الإنسان نحوه بهدف عمران الحضارة وازدهارها، وبالتالي يحافظ على تلك الحضارة، ويقاوم سبل ضعفها وهوانها وسقوطها، كما يأتي دور التقوى الفعال في ترويض العقل وتربيته تربية تقيه من فتن الحياة وانحراف مساراتها.

ولعل أهم ما يوضح أهمية التقوى ودورها الفعال أن القرآن الكريم جعل ميزان التفاضل بين الناس إنما يكون بالتقوى، لا الشكل، ولا المال، ولا الجاه، ولا النسب، ولا السلطة، ولا أي أمر آخر؛ إنما التكریم يأتي للمتقين فهم المقربون إلى الله جل في علاه وهم أفضل من يعيش على الأرض، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣]؛ وهذا يؤكد على أفضلية التقوى وفوائده التي تعم على الفرد ومجتمعه، وترتقي من خلاله الحضارات؛ وذلك لشموله على جميع معاني الخير والفلاح والصلاح والإصلاح والتوفيق والنجاح. وهذا كفيل بتحقيق مهمة وجود الإنسان الأولى وهي الخلافة في الأرض وعمرانها وتعميرها من خلال عبادة الخالق جل في علاه، والعمل على ما يتناسب مع تلك الغاية من وسائل وأسباب تعين الإنسان على ممارسة المهمة على أكمل وجه، وفق منهجية ربانية حددتها الآيات القرآنية الكريمة، وبرهنتها سنة الرسول ﷺ.

هذا ووعد الله ﷻ الذين اتقوا أن يكون لهم التمكين في الأرض والاستخلاف في الدنيا وسعة الرزق، والتيسير في العمل، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٤]، والتفريع من الضيق والكرب، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: ٢]، والجزاء الحسن في الآخرة، والفوز بالجنات والعيون آمنين فيها مطمأنين غير خائفين، قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمُوتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، وتأييد الخالق ﷻ لهم ونصرهم، وحفظهم من أعدائهم، قال تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ١٢٣]، والحصول على قبول الأعمال، قال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧]، والحصول على الثواب العظيم والأجر الكريم، وتكفير الذنوب والسيئات، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾ [الطلاق: ٥]، والتكریم الإلهي، قال

تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَيْرٌ﴾ [الحجرات: ١٣] ، والفوز بمحبة الخالق جل في علاه، ومن نال محبة الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** نال كل شيء، قال تعالى: ﴿بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ٧٦].

وفي نهاية هذا المبحث يتضح أن العمران تكليف ديني غرضه بناء الإنسان وعمارته الأرض، وتعتبر علاقة الإنسان مع الخالق، وعلاقة الإنسان مع النفس وعلاقة الإنسان مع الناس، وعلاقة الإنسان بالأرض من أهم الركائز العمرانية في القرآن الكريم، كما يتضح مما سبق أن للتقوى دوراً رئيساً في العمران، وأن المتقين من أكثر الناس الذين لقوا في القرآن الكريم اهتماماً بالغاً وعناية خاصة، والذين من أهم مزاياهم كما ذكرناها سابقاً قوة إيمانهم، وإخلاص عملهم لله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، واكتسابهم معالي الأخلاق وأفضلها، والسير على منهجية القرآن الكريم والاهتداء بهديه وهدى السنة النبوية. والمتقون هم من يترجمون صدق إيمانهم وتوكلهم على خالقهم بأعمالهم الصالحة وتمسكهم بالعبادات والطاعات، واتزان الشخصية، والقوة أمام أعداء الدين والطغاة، والنظرة الثاقبة والقول السديد، والذين يتعظون بالمواعظ والنماذج التي تقصها منهجية القرآن الكريم، ويتفكرون في خلق الله سبحانه تعالى ولا يجحدون نعمه، ويراعون الحقوق والواجبات ولا يخشون لومة لائم فيها، ولا يتبعون خطوات الشيطان؛ فهذه جملة من صفات المتقين التي جاء ذكرها في القرآن الكريم.

وبعد التطرق في هذا المبحث إلى ركائز العمران في القرآن الكريم ننقل إلى المبحث الذي يليه، والذي سيتناول عدداً من الصور العمرانية التي جاءت في القرآن الكريم، وإدراك معاني الإبداع العمراني من خلالها.

المبحث الثاني: صور الإبداع العمراني، ونماذج لم تلتزم بالعمران في القرآن الكريم.

يقص القرآن الكريم أفضل القصص وأقومها على الإطلاق، والتي تحمل العديد من العبر والعظات التي تخدم مختلف الجوانب وتفيد كافة المجالات، وعنيت في هذا المبحث باستخلاص صور الابداع العمراني في القرآن الكريم، وبيان بعض النماذج لحضارات لم تلتزم بالعمران مقتبسة من قصص الأقوام السابقة، التي تحمل في طياتها العديد من الدروس والعبر التي تخدم الجانب

العمراني، وذلك من خلال العديد من الأمور التي من أهمها التأكيد على أهمية تطبيق ركائز العمران وتوظيفها، والتركيز على الجانب الوجداني والإيماني، وكيف يؤدي الالتزام بهذا الجانب إلى تقدم الحضارة وازدهار العمران، على الوجه الذي يؤكد في ذات الوقت نفسه أنه لا عمران يبقى ويستمر مهما بلغ من القوة والإعمار إن كان يعتمد على الجانب المادي للعمارة ويغفل الجانب المعنوي للعمران، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُظِلِّمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [الروم: ٩]، وذلك كفيل ببناء حضارة عمرانية مثالية تهتم بالجواهر ولا تغفل المنظر، وتستنبط مناحي الإبداع العمراني والمعماري من خلال منهجية القرآن الكريم في العمران والعمارة، وما تحمله من نماذج لحضارات يتم من خلالها دراسة أسباب نهوض الحضارات، وأسباب سقوطها.

المطلب الأول: صور الإبداع العمراني في القرآن الكريم.

اعتنى القرآن الكريم بالبناء الإنساني، وأكد أهمية عمران الوجدان بالتقوى ونور الإيمان الذي يدفع الإنسان إلى عمارة البنيان، والذي يعتبر ثمرة العمران الوجداني؛ "فالعمران امتلاء روحي وحجري، ولا يتحقق الثاني حقيقة-أي العمران الحجري-دون الأول، لذلك فيمكن القول إن تحقق الجانب الثاني وحده دون الأول يعطينا عمارة حجرية وليس عمراناً استخلافياً جامعاً، لأن العمران يدل على الملء والامتلاء، وهذا الامتلاء يستلزم وجود مكونات الفعل العمراني، وأولى هذه المكونات رسوخ الجانب المعنوي الروحي الإيماني^(١)".

ولعل من أهم ما يميز العمارة الإسلامية اعتمادها على العقيدة الإسلامية المستمدة من منهج قرآني حكيم وسنة نبوية شريفة؛ فأصل الإبداع في الحضارة الإسلامية وأساسه إنما هو مقتبس من المنهج القرآني الذي ينظم سير حركة الإنسان، ويرسم منهجيته تاركاً له التطبيق. ذلك المنهج الرباني الحكيم الذي يهدف إلى تحقيق التوازن النفسي والاستقرار الوجداني والتجمع البشري المتضامن الذي ينهض بالعمران، ويحقق التقدم والازدهار الاجتماعي، والاقتصادي، والسياسي، وسائر الجوانب

(١) تلوت، مقاصد الأسرة في القرآن من الإنسان إلى العمران، ص ٣٢.

والمجالات الأخرى التي لم يغفل عنها القرآن الكريم وتطرق إليها بأسلوب يحرك العقل ويمتع العاطفة، دون الإخلال بجانب مقابل جانب آخر.

وصور القرآن الكريم في العمران والعمارة قد تكثر، سواء كانت تلك الصور تتعلق بمفهوم العمران العام الذي يشمل عمارة الأرض كما حددت معالمها في القرآن الكريم بشكل عام، وفي القصص القرآني بشكل خاص، أم كانت تتعلق بالعمارة بمفهومها الخاص كالعمارة المرتبطة بالبناء والتشييد، والزراعة والرعي، والاختراع والصناعة^(١)؛ فالقرآن الكريم المرجع الذي يستوحي منه المعماري المسلم أهم اللمسات والأدوات العمرانية؛ وذلك من خلال مروره بالآيات القرآنية الكريمة المتعلقة بموضوع العمران والعمارة والبناء؛ فتفضي عليه المزيد من الإبداع والابتكار وتفتح له سلم الآفاق نحوها.

ومن صور القرآن الكريم في العمران والعمارة، اكتشاف مادة من مواد البناء والتي يعتبر سليمان عليه السلام -صاحب التفوق والتقدم في المجال المعماري- أول من اكتشفها، وهي مادة الزجاج التي تم توظيفها في خدمة الإنشاء والعمارة، قال تعالى: ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ ۚ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤]، وهناك العديد من الصور والنماذج الأخرى التي تؤخذ من خلالها الكثير من الفوائد والدروس والعبر التي تخدم العمارة، والتي سيتم ذكرها خلال السطور القليلة القادمة من هذا المطلب.

كما للسنة النبوية أثراً بالغاً في ترك بصمة جمالية يمتلكها المعماري المسلم، يقول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً يأكل منه طير، أو إنسان، أو بهيمة إلا كان له بعد صدقة^(٢)»؛ نلتمس من هذا الحديث الشريف الحث على الإصلاح في الأرض والمساهمة في إعمارها، وما يساهم في خدمة الإنسان خصوصاً، وسائر الكائنات عموماً، وفق مختلف الطرق والأساليب،

(١) طاهيري، الإنسان والعمران من خلال قصص القرآن، ص ٤٨٣-٤٩٦، بتصرف يسير.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المزارعة، باب فضل الزرع والغرس، ج ٤، ص ٥، رقم (٢١٩٥). ومسلم في صحيحه، كتاب المساقاة، باب فضل الغرس والزرع، ج ١٠، ص ١٦٦، رقم (٣٠٠٣).

سواء كانت من خلال الزراعة، أو الصناعة، أو التجارة أو غيرها، كما نلتبس من هذا الحديث الترغيب في الإنتاج الطيب العائد بالخير على الغير، وبيان الأجر والثواب الحاصل من هذا الإنتاج الذي يعتبر جزء لا يتجزأ من العبادة.

ولما كانت العين البشرية تميل إلى الجمال بكافة صوره وأشكاله سواء كان جمالاً مادياً ملموساً أو جمالاً معنوياً محسوساً، وسواء كان جمالاً في العمارة والبنيان، أو كان جمالاً في أخلاق الإنسان، اتجه المعماري المسلم إلى تحسس ذلك الجمال وتتبع اللمسات الإبداعية في المجال العمراني والمعماري من خلال النقوش والزخارف الإسلامية والتي يظهر أثرها جلياً في المباني والمنشآت الإسلامية المختلفة من قصور وقلاع ومساجد منذ قدم الزمان وحتى عصرنا الراهن^(١)؛ فالحضارة الإسلامية تولي العمارة أولى اهتمام حتى بات ذلك الاهتمام بتمازج عناصر الجمال والإبداع العمراني، والتي من أهمها تلك الزخارف والعبارات المنقوشة باللغة العربية التي تستشعرها العين المجردة أثناء رؤيتها لأي معلم إسلامي، "وكان للعروبة دورها الرئيس في تحقيق الوحدة الفنية، وكان من أهم مظاهرها الكتابة العربية التي اتخذ الفنانون منها مادة لزخرفة تحف مبانيهم على اختلاف أنواعها بحيث صارت الكتابة العربية عنصراً زخرفياً أساسياً في الإنتاج الفني عند مختلف الشعوب الإسلامية^(٢)"، وهناك أيضاً العديد من صور الإبداع العمراني في القرآن الكريم، أهمها:

١ - توظيف الجانب الإبداعي والابتكاري في العمران من خلال الاستفادة من تجارب الحضارات العمرانية المذكورة في القرآن الكريم.

يقتضي العمران في القرآن الكريم النظر إلى تجارب الأمم السابقة، وحضاراتها، ومحاولة الاقتداء بالنماذج الصالحة التي تدعو إلى الإصلاح وتبين أثره وعظيم أجره، والنظر إلى النماذج المفسدة في الأرض وما ينتج عن ذلك الإفساد من عذاب وهلاك، في محاولة لأخذ العديد من الدروس والعبر؛ ففي النظر بتلك النماذج قد يصحح الإنسان مساره نحو العمارة في الأرض، وينمي طريقة تفكيره، وقد تكشف أمام عينيه مواطن القوة والضعف.

(١) للتوسع في موضوع النقوش الإسلامية والخط العربي، انظر: الطحان، عبدالله عبدالسلام، النقوش الكتابية على العماير الدينية، ص ١٣ وما بعدها.

(٢) الباشا، حسن، موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية، ج ١، ص ١٠٢.

قال تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْفُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ۝١٠٠ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْنِيبٍ ۝١٠١ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْفُرَى وَهِيَ ظَلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ۝١٠٢ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ ۝١٠٣ وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ﴾ [هود: ١٠٠ - ١٠٤]، يجبرنا القرآن الكريم أن هناك حضارات بلغت من التطور المادي والتمدن المعماري المكانة العالية والمرموقة، ولكن لم يكن لذلك التقدم ما يضمن لهم استمراريته؛ بل تدهورت من صنيع أيديهم وما عملوه من فساد في الأرض، وطغيان وجحود واستكبار وانحراف عن مسار الحق؛ حتى أصبح مصير تلك الحضارات التدهور والاندثار والهلاك والدمار.

فكما سنرى في المطلب القادم قصة فرعون وقومه وتحول النعم إلى نقم؛ حيث كانوا يتمتعون بالعديد من النعم والتي من أهمها الأمن والاستقرار، ولكن قابلوا تلك النعم بالجحود والنكران؛ فبدلها العزيز القدير من حالٍ إلى حال.

أما حضارة قوم عاد وثمود التي تميزت بالتقدم والتطور في فنون العمارة؛ حيث أكد القرآن الكريم على براعة وذكاء ما قاموا به من مبان ومنشآت حتى أصبح جمال عمارتهم لا يضاهيه أي جمال، فمثلاً نرى في ملازمة واقتران الأعمدة مع مدينة إرم في قوله تعالى: ﴿إِرمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ [الفجر: ٧] تدل على خصوصية قوم عاد في استخدام أسلوب البناء الهيكلي (بالأعمدة) وهذه دلالة على أن قوم عاد هم أول من جاء بفكرة البناء الهيكلي؛ حيث أن الأعمدة أهم ما كانت تتصف به مدينة إرم، وهذه الصفة ليس لها مثيل في بلدان أخرى. وأما بالنسبة لقوم ثمود فهم أول من جاء بفن النحت، الذي يمثل أحد عناصر العمارة الراقية؛ حيث عملية قطع الصخور من الجبال لصنع بيت في جوفها هو أمر ليس بالسهل في ذاك الزمان، بل وحتى في وقتنا الراهن رغم التطور التكنولوجي، فكيف والأمر كان مع قوم ثمود والأساليب البدائية التي كانت تتوافر لديهم آنذاك؛ ولذلك أراد الله تأكيد عظم ما قام به قوم ثمود وفي الوقت نفسه تأكيد عظم قدرته جل وعلا بأن لا عاصم لأمره، ونرى عظمة الإبداع وفن العمارة التي تصورها الآيات القرآنية الكريمة كانت تدور ضمن المحيط العربي^(١).

(١) الشماخ، عبد الكريم محمد باقر، التنمية المستدامة وإبداع تخطيط المعمار في القرآن، ص ١٢٢، بتصرف يسير.

ومن النماذج الحضارية أيضاً ذو القرنين الذي بنى حضارة ربانية تعتمد على ركائز الإيمان والعلم والعدل والإصلاح والخير والفلاح وعمل على تخليص الدنيا من أسر المادة الطاغية وحرص على تربية جنوده وأتباعه على الخير والحق ومحاربة الشر وأهم هذه الشرور الظلم والعدوان والتسلط على الناس ومحاوله استعبادهم واستغلالهم لتحقيق مصالح شخصية فالانحطاط الأخلاقي أضر شيء بالحياة الإنسانية؛ إن سيرة ذي القرنين في قيادته الحضارية للبشرية في زمانه تعطينا صورة مشرقة للإنسان القوي المؤمن العالم الذي يسخر كل إمكانات دولته وجنوده؛ فهكذا ينتشر العمران بالعمل الصالح والتعاون على البر والتقوى^(١).

٢- توظيف النعم في خدمة الإبداع العمراني.

أنعم الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** على الإنسان وهياً له السبل التي تعينه على عمارة الأرض، ووفر له الموارد الطبيعية التي تساعد على العمارة، وألقى في الأرض رواسي تثبت الأرض وتجعلها ميسرة لخدمته؛ ليستكمل خلافته في الأرض التي تعتبر مناط العمران؛ فالأمثلة العمرانية في القرآن الكريم يعود أغلبها إلى الأرض، وكيف يستغل الإنسان وجوده فيها.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتُمْ أُشْدُّ خَلْقًا أَوْ السَّمَاءُ بَنَاهَا ۖ رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّيْنَاهَا ۖ وَأَعْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ۖ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ۖ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ۖ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ۖ مَتَّعَا لَكُمْ وَلَآتِعْكُمْ ۖ﴾ [النازعات: ٢٧ - ٣٣]، تظهر الآية الكريمة قدرة الخالق جل وعلا وقوته التي لا تضاهيها أي قوة في الأرض ولا في السماء؛ فهو المتفرد سبحانه بالخلق وهو صاحب القوة المطلقة التي يستمد الإنسان منها قوته، فالله جل في علاه بنى السماء قبل أن يعرف الإنسان كيفية البناء، وأبدع في بنائه حتى بلغ إبداعه جميع الأرجاء، ورفع السماء بغير عمد نراها وأنشأها فأحسن الإنشاء، وقدر الأوقات فجعل فيها الصباح والمساء والظهر والعشاء، وجعل الأرض مسطحة ومبسطة لخدمة الإنسان وأحيائها إحياء؛ فأخرج منها الماء الذي يسقي الحرث والنسل. وهو الذي أرسى الجبال إرساء؛ يتخذ منها الإنسان مسكناً له، ومأماً من اهتزاز الأرض التي تعتبر الجبال مصدراً هاماً وسبباً

(١) الصَّلَابِي، عَلِي محمد محمد، تبصير المؤمنين بفقہ النصر والتمكين في القرآن الكريم (أنواعه - شروطه وأسبابه - مراحلها وأهدافه)، ص ١٨٠، بتصرف.

رئيساً في ثباتها وقوة صلابتها، وأنعم على الإنسان ووفر له جميع السبل التي تعينه على استكمال عمارة الأرض وعمرانها بالخير، والتي يجب عليه توظيفها بما يرضي خالقه، قال تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْ نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ۖ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَمَكُمُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النَّهْيِ﴾ [طه: ٥٣-٥٤].

٣- التفوق الأخلاقي وأثره في الإبداع العمراني.

هناك علاقة وثيقة تربط الأخلاق بالعمران؛ حيث جاء ديننا الإسلامي الحنيف ليطهر للناس مما كانوا عليه سابقاً من عبادة الأصنام والأوثان، وانتشار الأخلاق السيئة بينهم؛ وذلك من خلال إرسال النبي محمد ﷺ ليدعوهم إلى الدين الإسلامي، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢]؛ فالقرآن الكريم يدعو إلى إقامة إنسان عمراني يتحلّى بالقيم الأخلاقية، ويمتلك الأدوات العمرانية التي ترتقي به وتساعدته نحو الإبداع في عمارة الأرض.

ونضرب هنا مثلاً لأهم النماذج الأخلاقية التي تشكل الحجر الأساس في بناء الحضارة والعمران وهي قصة يوسف عليه السلام الذي تحلّى بمكارم الأخلاق، التي تعتبر من أهم العوامل التي تساعد على بناء الحضارة ورفع مستوى تقدمها اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً، قال تعالى: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عِجَافٍ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلَّكَ أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٤٦]، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَّشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٥٦]، يظهر لنا المنهج القرآني قدرة يوسف عليه السلام بأخلاقه العالية وحكمته أن ينقل مجتمعه من مرحلة الفساد والاندثار الأخلاقي إلى الإصلاح والاعتراف بالذنب وطلب المغفرة من الخالق.

٤- ارتباط العمارة بالعمران الروحي، وأثر ذلك في الإبداع.

العمران في الحضارة الإسلامية لا يعني عمران البناء فحسب، بل يعني العمران الوجداني الروحي الذي يملأ قلب المسلم فيدفعه إلى العمارة؛ فلا يحقق الإنسان عملية استخلافه العمراني في الأرض إلا بتمكن وجود العمران الروحي المتمركز حول الرسوخ الإيماني، والعقيدة السليمة،

والأخلاق الحميدة ذات الآثار المجيدة؛ لأن أصل العمران ناتج عن شعور الإنسان بالامتلاء نحو تمكينه وتحقيق خلافته وفق الأساليب والمكونات المتاحة له، والتي تكون نتيجة من إيمان الشخص بخالقه الذي أودع لديه خاصية الخلافة والتمكين، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [الروم: ٩]، يقول الطبري في تفسيره للآية الكريمة: "أولم يسر هؤلاء المكذبون بالله، الغافلون عن الآخرة، فينظروا إلى آثار الله فيمن كان قبلهم من الأمم المكذبة، كيف كان عاقبة أمرها، فقد كانوا أشد منهم قوة، واستخرجوا الأرض، وحرثوها وعمروها أكثر مما عمر هؤلاء، فأهلكهم الله بكفرهم وتكذيبهم رسلكم، فلم يقدرُوا على الامتناع، مع شدة قواهم مما نزل بهم من عقاب الله، ولا نفعتهم عمارتهم ما عمروا من الأرض^(١)".

إن أهم ما يميز الحضارة الإسلامية امتزاج الجانب الروحي بالجانب العقلي؛ مما يجعلها حضارة عمرانية متكاملة لها خصائصها التي تتفرد بها عن سائر الحضارات الأخرى، وتمتلك مقومات العمارة وفنونها، وتحافظ على تقاليدها المعمارية ذات الصبغة الدينية التي تضاف على المنشآت والأبنية وتجعلها أكثر جمالاً وبهاءً، وخير مثال حول ذلك المساجد التي جمعت بين الطراز المعماري الأصيل والتخطيط المتمثل بالفكر الديني الذي يناسب أن تقام فيه الشعائر الدينية في جو ملائم ممزوج بالرهبة والراحة والطمأنينة؛ فتتميز المساجد بالمآذن، والمحاريب، والأقواس، والقباب، والزخارف الإسلامية التي تتوارثها الأجيال جيلاً يتلو جيلاً، مع مراعاة التقدم والتطور المعماري الفني الحديث والفنون المعمارية الإسلامية، كما سيأتي في الباب المتعلق بالعمارة الإسلامية وضوابطها، وعناصرها، ومميزاتها.

بكلمة جامعة يمكن القول أن من أهم مواصفات الإبداع في الحضارة الإسلامية أن لا يطغى الجانب المادي على الجانب المعنوي الذي يتم من خلاله التركيز على إظهار الشكل أو المبنى في أبهى صورة ابتغاء الرغبة الذاتية والاندفاع نحو الغرور والتكبر والشعور بالعزة والاستعلاء على الغير، والإغفال عن الهدف الأهم والأسمى وهو انتاج حضارة عمرانية تمتزج فيها الروح بالمادة؛ فمثلاً

(١) الطبري، محمد بن جرير بن يزيد الآملي، جامع البيان في تأويل القرآن، ج ٢٠، ص ٧٨.

عندما اغتر فرعون بقوته وتقدمه في فنون العمارة حتى بلغ من الغرور ما يغنيه عن غيره، فلم يكن ذلك يغنيه عن العذاب الذي حل عليه وأهلك ما بناه وشيده، وهذا مثال يؤكد على أهمية الأخلاق في العمران، وضرورة الابتعاد عن مساوئ الأخلاق من تكبر وغرور وغير ذلك؛ فالحضارة الإسلامية تعتني بالجواهر قبل المظهر، وبالإنسان قبل العمران، وبالوجدان قبل البنيان!

كما يربط القرآن الكريم عمارة مساجد الله عز وجل بالإيمان به وباليوم الآخر، وهذا يدل على أهمية رسوخ الجانب الروحي لدى الإنسان والمتمثل بالإيمان بالله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، ذلك الإيمان الذي يدفع صاحبه إلى العمران بما فيه إعمار الوجدان مروراً بإعمار بيوت الرحمن وحتى التأسيس والعناية بالبنيان، قال تعالى: **﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَن ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾** [التوبة: ١٨].

٥ - التنوع الإبداعي في العمران والعمارة.

تتميز الحضارة الإسلامية بشمولية اهتمامها بجميع نواحي الحياة المختلفة التي أعطت كل جانب حقه من أدق الأمور وأعقدها حتى أوضح الأمور وأبسطها، ومن تلك الأمور الاهتمام بالمباني وتصنيفها وكيفية بنائها، ابتداءً بالمباني السكنية التي تأوي الإنسان من بيوت وقصور، مروراً بالمباني الدينية من مساجد وجوامع، بالإضافة إلى المباني الدفاعية والعسكرية من قلاع وحصون، وغيرها من المباني والمنشآت العامة كالمتاحف والمستشفيات وغيرها، بل وشمل الاهتمام بالجانب العمراني ومدنيته المناطق الطبيعية.

وللبعد الفكري والنظرة الحضارية بعيدة المدى في الحضارة الإسلامية الدور البارز في التنوع العمراني وتحقيق الإبداع فيه، ويظهر ذلك جلياً من خلال تبني فكرة أو أسلوب عمراني يمتد إلى أبعد مدى، ويتميز بالأصالة والحدثة والمعاصرة على حد سواء؛ على سبيل المثال تعتمد العمارة الإسلامية على الأسلوب الرمزي بما فيها الزخارف والنقوشات الإسلامية حتى أصبح لهذا الأسلوب فن إسلامي يعني به ويتم تدارسه حتى الآن، له مميزاته، ولأدواته المسميات التي تعبر عن أشكالها.

كما تتميز الحضارة الإسلامية بتنوع طرزها المعمارية حتى أصبح لكل مكان الجو الذي يلائم الإنسان، سواء كان على الصعيد النفسي، أو الصعيد الديني، أو الصعيد الأسري، أو الصعيد الاجتماعي.

٦- الابتعاد عن نواقض العمران، وأثر ذلك في الإبداع الحضاري الإسلامي.

قال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٤١) ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ﴾ [الروم: ٤١ - ٤٢]، لا شك كلما فسدت العقيدة فسدت الأخلاق، وإذا فسدت الأخلاق فسدت الأعمال، وإذا فسدت الأعمال فسد عمران المجتمع وانهار؛ ولهذا لم يغفل المنهج القرآني في تحديد ما يناقض العمران والتعمير بهدف تجنب ما يعيق خلافة الإنسان، ولعل أهم نقيض للعمران الفساد في الأرض وما يندرج تحته من استعلاء في الأرض وغرور وتكبر وظلم وبطش وسفك دماء بغير حق وغيرها من المهددات التي تهدد النفس البشرية والحياة العمرانية بأكملها، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ [البقرة: ٣٠].

المطلب الثاني: نماذج لم تلتزم بالعمران في القرآن الكريم.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾ (٦) ﴿إِرمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ (٧) ﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾ (٨) ﴿وَتَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾ (٩) ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْنَادِ﴾ (١٠) ﴿الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ﴾ (١١) ﴿فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفُسَادَ﴾ (١٢) ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ (١٣) ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبَازِلٌ مُرْصِدٍ﴾ [الفجر: ٦-١٤]، يعرض المنهج القرآني في الآيات الكريمة السابقة نماذج لحضارات معمارية وهي: عاد، وتمود، وسبأ، وفرعون، ويبين ما كانت عليه تلك الأقوام من نعم كانوا لا يدركون قيمتها، لافتاً النظر حول ما حل بهم من عذاب بعد أن عتوا عن أمر ربهم، وطغوا في الأرض، وعاثوا فيها فساداً؛ فلم تنفعهم قوتهم، ولم ينفعهم عملهم وما عمروه من مبان وقصور، وحصون، بل كانوا النموذج السيء الذي يحمل في جعبته العديد من العبر والعظات للجيل الذي يليه محذراً إياهم أن يحذو حذوهم من تكبر وتجبر وإعراض عن الحق، فيحل بهم ما حل بمن قبلهم من الأمم السابقة، ويمكنني التركيز على هذه النماذج بشكل أكثر تفصيلاً على النحو الآتي:

١ - النموذج الأول: حضارة عاد.

كان قوم عاد يسكنون الأحقاف وهي عبارة عن جبال رملية تقع في اليمن بين عمان وحضرموت تطل على البحر يقال لها الشَّحْر، واسم واديهم مُغِيث^(١)، وكانوا نموذجاً للظلم والبطش والطغيان والغرور والتكبر بالقوة، حتى وصلوا اغتراراً بأنفسهم إلى مرحلة النرجسية سائلين بعضهم البعض من أشد منهم قوة، غافلين بذلك قوة خالقهم الذي أوجدهم من العدم وأنعم عليهم بالنعم التي قابلوها بالتكبر والبطش والغرور؛ فعادت عليهم تلك النعم نقماً، وأودت بهم إلى الهلاك والدمار جزاء بما قدمت أيديهم، وأهلكهم الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** بذنوبهم، وجعلهم عبرة للأقوام التي تليهم، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَارْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾﴾ [فصلت: ١٥-١٦].

هذا ويضرب القرآن الكريم المثل بحضارة عاد وما كانت عليه من قوة في البناء والعمارة، وأنها لم يخلق لها مثيل؛ وذلك لما كانوا عليه من قوة وشدة، لافتاً النظر إلى ما حل بهم من عذاب وعقاب جزاء بما كانوا يعملون وفي الأرض يفسدون، يقول تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبَلَدِ ﴿٨﴾﴾ [الفجر: ٦-٨].

وأرسل الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** إلى قوم عاد هوداً عليه السلام الذي أمرهم أن يعبدوا خالقهم وأن يخلصوا له الدين، والذي قدم لهم العديد من النصائح والمواظ التي تذكهم بأنعم الله عليهم وما رزقهم به من بسطة في الرزق وقوة في الخلق، قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنِّ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [هود: ٥٠].

كما لفت هود عليه السلام نظر قومه موجهاً لهم السؤال بأسلوب استفهامي حول ما كانوا عليه من تقدم علمي وعملي في مجال العمارة والبناء والصناعة وأن هذا من فضل خالقهم الذي مدهم بالخيرات والنعم، والقادر وحده لا شريك له على سلبها منهم إذا استمروا في توظيف تلك النعم

(١) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، قصص الأنبياء، ج ١، ص ١٢١، بتصرف يسير.

لأغراضهم الفاسدة، والعبث بالنعم وما كانوا يبنونه من قصور وصروح تعالماً وبطشاً بغير الحق، مستكبرين بتلك الصروح والمباني التي كانوا يزعمون بظنهم أنها ستحميهم وستظل خالدة لهم مدى الدهر، قال تعالى: ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً نَّعْبُثُونَ ۖ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ۖ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۖ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ۖ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَمِ وَبَيْنَ ۖ وَجَنَّتْ وَعُيُونِ ۖ ﴾ [الشعراء: ١٢٨-١٣٤]؛ فتظهر الآية الكريمة نماذج الممارسات الإعمارية الفاسدة؛ حيث أنهم أقاموا مباني للعبث والفجور، وكانوا يبنون أماكن مرتفعة بناءً ظاهراً لقصد العبث بمن يمر في الطريق من الناس، وليعرفوا بذلك غناهم تكبراً وتفاخراً، وفي ذلك استخدام للأبنية في غير ما شرع الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** بناءها^(١). وما كان ردهم على رسولهم هوداً عليه السلام إلا أن كذبوه وأصروا على شركهم واستكبارهم وطغيانهم، واتبعوا ما كان عليه آبائهم: ﴿ قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِ هَارُونَ عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ۖ ﴾ [هود: ٥٣]. وعاثوا في الأرض فساداً على الرغم مما أنعم الله عليهم من الجنات والعيون، فبدل العزيز القدير حالهم من حال إلى حال، وحل عليهم العذاب الشديد، وأهلكهم بالرياح العاتية التي من شدتها دمرت مساكنهم وما بنوه سابقاً ظانين أنه لن يخرب أبداً، قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا عَادُ فَاهْلَكُوهَا ۖ رِيحٌ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۖ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعِجَازُ ۖ نَحْلٍ خَاوِيَةٍ ۖ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ۖ ﴾ [الحاقة: ٦-٨].

يتضح من خلال النموذج القرآني لحضارة عاد السنن الإلهية التي حلت على الأقوام السابقة وما فيها من عبر وعظات للأقوام التي تليها، كما "تثبت الكشوف الأثرية ما جاء في القرآن الكريم عن قوم عاد ومدينتهم إرم وما أصابها من دمار بعاصفة رملية غير عادية يعتبر إحدى صور الإعجاز التاريخي في مجال تاريخ الحضارات السابقة وفي مجال تاريخ العمارة أيضاً في كتاب الله تشهد له بأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه^(٢)".

(١) الوزيري، يحيى حسن، إعجاز القرآن الكريم في العمارة والعمران، ص ٥٢-٥٣، بتصرف يسير.

(٢) المرجع السابق، ص ٥٩.

٢- النموذج الثاني: حضارة ثمود.

وأما قوم ثمود "وهم قبيلة مشهورة، يقال لهم ثمود باسم جدّهم ثمود، وكانوا من العرب العاربة يسكنون الحجر الذي بين الحجاز وتبوك، وكانوا بعد قوم عاد، ويعبدون الأصنام^(١)"، وقد أنعم الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** عليهم من النعم العظيمة، ومكنهم في الأرض واستعمرهم فيها، وأنعم عليهم من خيراتهما ما يستطيعون به نحت الجبال والصخور وتحويلها بيوتاً يسكنون فيها آمنين مطمئنين، بالإضافة إلى ما كانوا يتمتعون به من طيبات الثمار والأشجار، والطبيعة الخلابة.

وأرسل الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** إلى قوم ثمود رسولهم صالحاً عليه السلام يدعوهم أن يعبدوا الله ويتقوه، وأمرهم بإصلاح الأرض وحذرهم ونهاهم من الإفساد فيها ومن العذاب الذي سيحل عليهم من الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** إن لم يستجيبوا له، ناهياً إياهم أن يقربوا الناقة بأي سوء، وهي الحجة التي جعلها الله عليهم، قال تعالى: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَتَقَوَّمِرْ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ﴾ [الأعراف: ٧٣]، ويعيد نظرهم حول نشأتهم من الأرض واستخلافهم فيها غاية الإعمار والتعمير، لا الهدم والتدمير، قال تعالى: ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: ٦١]، ومذكرهم بفضل الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، وما أنعمه عليهم من تقدم معماري، وموقع جغرافي، إذ جعلهم خلفاء من بعد عاد، قال تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آيَاتِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ٧٤]، يتضح من الآية الكريمة أنه كانت لثمود حضارة معمارية تتميز بالبناء الفخم، والقصور العالية التي تقع في السهول ذات المناظر الطبيعية الخلابة، والأشجار، والثمار، والحدائق المتنوعة المليئة بعيون المياه، بالإضافة إلى البيوت التي كانوا ينحتونها في الجبال الشاهقة، وكانوا يعيشون فيها آمنين مطمئنين مراعين بذلك الاختلاف المناخي بين فصلي الشتاء والصيف، كما "توضح الآيات الكريمة أن اتخاذ القصور في السهول والبيوت في الجبال لا يعبر فقط عن الرفاهية المعمارية التي كانت تميز الحضارة الثمودية، وإنما كانت تعني أنهم استطاعوا أن

(١) ابن كثير، قصص الأنبياء، ج ١، ص ١٤٥.

يتغلبوا على الظروف المناخية الصحراوية الصعبة في فصلي الصيف والشتاء، فأقاموا بيوتاً تصلح للإقامة صيفاً وأخرى تصلح للإقامة شتاء، وهو ما يتفق مع أسس علم التصميم البيئي ومراعاة الظروف المناخية المحلية لكل بيئة ومنطقة، وهو سبق قرآني في هذا المجال يعطي لفحة اعجازية تدخل ضمن إعجاز القرآن في مجال علوم العمران والبناء^(١)، وسيتم ذكر هذه النقطة في شيء من التفصيل في البحث المتعلق بضوابط العمارة في القرآن الكريم في الباب الثاني من هذا البحث.

وفي قوله تعالى: ﴿وَتَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾ [الفجر: ٩] يأتي التأكيد على التقدم الحضاري والمعماري لقوم ثمود، ووصولهم إلى أعلى مستويات التقدم في البناء والإنشاء؛ حيث كانوا يقطعون الصخور التي في الأودية ويستخدمونها في بناء مساكنهم، وما كان ذلك الذي كانوا عليه إلا من نعم الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** وفضله عليهم، ولكنهم لم يقابلوا تلك النعم بالشكر بل قابلوها بالكفر والتكذيب، قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٤١]. كما اغتروا بأنفسهم وقوتهم وعاثوا في الأرض فساداً بغير الحق واتبعوا سبيل المسرفين، وقتلوا الناقة التي حذرهم نبيهم بأن لا يقربوها بسوء، وتحذوا صالحاً عليه السلام بأن ينزل عليهم ما يعدهم به من عذاب وهلاك، قال تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ أَسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ [٧٦] **فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يُصْلِحُ آثُنَا بِمَا نَعُدُّنَا إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الْمُرْسَلِينَ** [الأعراف: ٧٦ - ٧٧]، فأتاهم عذاب الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، وأصابتهم الصاعقة التي أهلكتهم، ودمرت مساكنهم، قال تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثْمِينَ﴾ [٧٨] **فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَنْقَوِرْ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّصِيحَاتِ** [الأعراف: ٧٨ - ٧٩].

إن في نموذج حضارة ثمود لعبرة للذين لا يسعون إلى إصلاح الأرض وعمارته، بل يسعون إلى إفسادها وخرابها، غافلين نعم الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** عليهم القادر على تحويل النعمة إلى نقمة؛ حيث من الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** على قوم ثمود بنعمة الناقة التي كانوا قد يستفيدون منها ومن حليبها وخيراتها، ولكنهم غفلوا عن ذلك، وأعرضوا عن ما جاء به رسولهم صالح عليه السلام، وفعلوا خلاف ما أمرهم به وعقروا الناقة؛ فحل عليهم العذاب وأهلكهم الله عز وجل بذنوبهم، وبدل عمارة حضارتهم إلى خراب ودمار وهلاك.

(١) الوزيري، إعجاز القرآن الكريم في العمارة والعمران، ص ٦٤ - ٦٥.

٣- النموذج الثالث: حضارة سبأ.

يقص القرآن الكريم أجمل القصص التي تحمل في فحواها العديد من العبر والعظات المتعلقة بالعمران والعمارة؛ وفي نموذج سبأ بعد أن أنعم الله سبحانه عليهم بجنتين عن يمين وعن شمال، إلا أنهم عتوا عن أمر ربهم فأهلكهم بذنوبهم، يقول صاحب الظلال في وصف قوم سبأ: "أنهم كانوا يسكنون جنوبي اليمن وكانوا في أرض مخصبة ما يزال منها بقية إلى اليوم، وقد ارتقوا في سلم الحضارة حتى تحكموا في مياه الأمطار الغزيرة التي تأتيهم من البحر في الجنوب والشرق، فأقاموا خزاناً طبيعياً يتألف جانباه من جبلين، وجعلوا على فم الوادي بينهما سداً به عيوناً تفتح وتغلق، وخزنوا الماء بكميات عظيمة وراء السد، وتحكموا فيه وفق حاجتهم؛ فكان لهم من هذا مورد مائي عظيم وهو سد مأرب^(١)"، قال

تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ [سبأ: ١٥]، تبين الآية الكريمة حضارة سبأ وما أنعمه الله سبحانه وتعالى عليهم من ازدهار زراعي وتميز مناخي، ولكن جحدوا بتلك النعم وأعرضوا عن اتباع الحق وتمادوا بالتكبر والظلم والطغيان؛ فأبدل الله جل في علاه تلك النعم بما فيها من جنات وثمار بالهلاك والدمار جزاء بما كانوا يعملون، وعن الحق يعرضون، وبالله جل في علاه يكفرون، قال تعالى: ﴿فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ يُجْزَى إِلَّا الْكَفُورُ﴾ [سبأ: ١٦-١٧].

وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا قَرْيَ ظَهْرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾ [سبأ: ١٨]، توحى الآية الكريمة أن العمارة هنا لم تكن مقتصرة على مكان دون الآخر، أو بشكل أدق تكاد كل مدينة أو قرية لا تنفصل عن الأخرى؛ فعمارة كل قرية أو مدينة تتلوا الثانية من غير انفصال، وكان عمراناً قريباً ومنسجماً ومتناسباً يمتد بعضه مع البعض الآخر، وهذا من فضل الله عليهم وكريم عطائه؛ حيث يسر لهم السير بطريقة مقدرة ومريحة وآمنة بعيدة عن الخوف والمشقة، يقول بن باديس في تفسيره: "علوم العمران كعروق البدن يمد بعضها بعضاً، فهي مترابطة متماسكة متلاحمة، فما يكون السبئيون بلغوا في الهندسة مبلغاً أقاموا به سد

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج ٥، ص ٢٩٠.

مأرب؛ حتى يبلغوا في غيره من علوم العمران ذلك المبلغ، ولكن لما كفروا بأنعم الله ووظفوها لأغراضهم، سلط الله عليهم من الأسباب ما يدمر عمرانهم، وما يبني حضارتهم، ويهلك قلاعهم وحصونهم، وفي قوله تعالى: ﴿سِيرُوا فِيهَا لِيَالِي وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾ [سبأ: ١٨]؛ يرشدنا إلى امتداد العمارة مسافة الليالي والأيام، وأن الأمن كان ماداً رواقه على هذه العمارة، وأن العمران لا يتم إلا بالأمن، ولكن فات القوم أن يحصنوا هذه المدينة الزاهرة بسياج الإيمان، والشكر، والفضيلة، والعدل، وكل مدينة لم تحصن بهؤلاء فمصيرها إلى الخراب^(١)؛ وهنا تكمن أهمية الأمن الذي يعتبر وليد التوحيد ونتائج من نتائج الشريعة الإسلامية التي تدعو إلى ضرورة المحافظة على الأمن وتدعو إلى عدم الإغفال عنه أبداً وذلك لارتباطه الوثيق بأهم مقصد من مقاصد وجود الإنسان على كوكب الأرض وهو مقصد استخلاف الإنسان وعمارة الأرض وعمرانها بالتقوى والعمل الصالح.

وعلى الرغم من تلك النعم المذكورة في الآية السابقة التي أنعمها الله جل في علاه على قوم سبأ إلا أنهم لم يعترفوا بفضل الله عليهم ونعمه التي من أهمها توفير سبل الراحة والأمان أثناء السفر وذلك من خلال امتداد العمارة من قريتهم إلى قرى الشام واستمرار الطبيعة الخلابة بين مدائنهم. ولكنهم سأموا من الراحة والأمن والاطمئنان وأرادوا انفصال عمارة المدن والقرى عن الأخرى رغبة في البعد في السفر بينها وبين غيرها، وتمادوا واعتدوا بالدعاء وجلبوا لأنفسهم الضر والسوء؛ وما ذلك إلا بسبب استكبارهم وجحودهم لأنعم الله جل في علاه، فبدل العزيز القدير تلك النعم بالنقم وحل عليهم العذاب فأصبحوا بعد تجمعهم متفرقين و متمزقين لا يرتبط بعضهم ببعض، بل وأصبح عذابهم يضرب به المثل، وعبرة لمن بعدهم، يقول تعالى: ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا

أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [سبأ: ١٩].

وقال تعالى: ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ

﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدْتُ أَمْرًا تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ [النمل: ٢٢ - ٢٣]،

نلتمس من الآية الكريمة ما كانت تتمتع به ملكة سبأ من نعم وفيرة وقوة وتقدم وابتكار في مجال العمارة والبنيان.

(١) ابن باديس، عبد الحميد محمد الصنهاجي، في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ص ٣٩٩.

كما قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ٤٢ ﴾
 وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ ٤٣ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَتْ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ٤٤ ﴾ [النمل: ٤٢ - ٤٤]، أعطى الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** نبيه سليمان عليه السلام من الملك الكثير، وأنعم عليه من الخير الوفير، وهياً له الأسباب التي تعينه على تقدم الحضارة والعمران من حكمة وعلم غزير، ونلتمس من بناء الصرح أن غرض سليمان عليه السلام الرئيس هو أن يري ملكة سبأ ما أنعمه الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** عليه من تقدم عمراني ما يفوق عمارتهم والذي أدهش ملكة سبأ، مؤكداً أن الله جل في علاه وحده القادر على مد عباده بالنعم وهو وحده القادر على سلبها، متى شاء وكيفما يشاء، ومن ذلك التقدم العمراني الصرح الزجاجي الذي كان يجري من تحته الماء حتى حسبته ملكة سبأ أنه ماء حقاً ولا يفصله زجاج؛ فرفعت ساقها حتى لا تبتل ملابسها وهي تخوض فيه، غير أن سليمان عليه السلام أخبرها أنه صرح مبسط من قوارير يفصل الماء عنه؛ فعجبت بذلك وأعلنت إيمانها بالذي أنعم على سليمان عليه السلام ومدته بما لم يكن تحت مقدور البشر.

ومن أهم ما يظهره نموذج قوم سبأ قدرة الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** وحده على الإنعام على عباده، وهو القادر وحده على سلبها وعلى تبديل الأحوال من حال إلى حال؛ فبعد أن كانت القرى مباركة وظاهرة وامتداد العمارة فيها واضح، أصبحت بعد ذلك خاوية على عروشها لا وجود لها إلا الأثر لأخذ العبر، ولم تنفعها القصور المزخرفة التي كانت فيها ولا القلاع المحصنة، وهكذا يكون مصير ونهاية القرى الظالمة التي تعتمد على العمارة دون العمران الوجداني. كما يؤكد هذا النموذج على سنة الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** في الأمم والحضارات من خلال إهلاك الأمم الظالمة والمتكبرة، وسرعة وقوع عقوبة الخالق سبحانه على من يقابل النعم بالبطش والتكبر والإستعلاء والفساد "والظلم الذي يعتبر سبب لفساد العمران، وضعف الأمم، يقول تعالى: ﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴾ [الأنبياء: ١١]، سواء كان ظلم الأفراد لأنفسهم بالفسوق والإسراف في الشهوات المضغفة للأبدان المفسدة للأخلاق، أو ظلم الحكام الذي يفسد بأس الأمة يوهن من قوتها^(١).

(١) المراغي، أحمد بن مصطفى، تفسير المراغي، ج ١١، ص ٧٦.

٤ - النموذج الرابع: الحضارة الفرعونية.

يضرب القرآن الكريم المثل في العذاب الذي وقع على قوم فرعون بسبب كفرهم بالله جل في علاه، وفسادهم في الأرض؛ ليكون النموذج الظاهر للأجيال التي تليه والذي يؤكد وقوع سنة الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** في إهلاك وتدمير عمارة وحضارات الأمم والقرى الطاغية والظالمة حتى وإن كانت تتحلّى بأعلى معايير التقدم الحضاري والمعماري المادي لا المعنوي، وهذه السنة لا تبدل ولا تتغير على مر السنين والأعوام، فعذاب الأمم الكافرة ولو تأخر إلا أنه واقع بهم لا محالة، وقد يؤخر الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** العقاب لحكمة يقتضيها **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، وهذا لا يعني أن العذاب لن يحل عليهم بل سيكون في وقته المناسب، قال تعالى: ﴿كَذَّابٌ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۖ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٥٢].

كما يصف القرآن الكريم ما تتمتع به حضارة فرعون وقومه من مبان ومنشآت كانت تشبه الجبال في قوتها وصلابتها، قال تعالى: ﴿وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ﴾ [ص: ١٢]، وما أنعمه الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** عليهم من البساتين والأنهار التي لم يغفل عنها فرعون وأدرجها تحت سلم التكبر والبطش والغرور والتملك، مخاطباً قومه بكل غرور واستعلاء أنها تجري من تحت عرشه، وإن ملك مصر إنما له جميعاً حسب زعمه وتماديه في التكبر والجحود، والتهديد بالقوة، وعدم الخروج عن حكمه ومعاندته، قال تعالى: ﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَنْقُومِ آلِيَّ إِلَىٰ مُلْكِ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي ۖ أَفَلَا بُصِرُونَ﴾ [الزخرف: ٥١]، متجاهلاً هو وقومه نعم الله عليهم، وأن الله سبحانه هو من تكرم عليهم ومدهم بالنعم التي قابلوها بالكفر والجحود، فبدل سبحانه تلك النعم بالنقم، وأهلكهم بذنوبهم، تاركين تلك العيون والأنهار التي كانت تجري من تحتهم، والزروع والثمار، وما يتمتعون به من حضارة وعمارة، وغيرها من النعم التي لم يستشعروا من خلالها فضل الله عليهم ورحمته ونعمه التي لا تعد ولا تحصى؛ فأورث الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** تلك النعم لقوم آخرين من بعد قوم فرعون، قال تعالى: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۖ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۖ وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَكَيْهِنَ ۖ وَكَذَلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ [الدخان: ٢٥ - ٢٨].

ومن خلال التتبع في آيات الذكر الحكيم يتضح إدراج مدائن التي هي جمع كلمة مدينة تحت وصف الحضارة الفرعونية؛ حيث جاء ذكرها في ثلاثة مواضع جميعها يتعلق بالحضارة الفرعونية، على النحو الآتي من سورة الأعراف مرة واحدة، في قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ [الأعراف: ١١١]، وجاء ذكرها في سورة الشعراء مرتين، في قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ [الشعراء: ٣٦]، وقوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ [الشعراء: ٥٣]، وقد يدل ورود مدائن بصيغة الجمع في قصة فرعون على تشعب المدن وكثرتها، وما كانوا عليه من حضارة وامتداد معماري أدى إلى تنوع المدن، واتساع رقعتها.

وقال تعالى: ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (١٢٨) ﴿قَالُوا أَوْزَيْنَا مِنْ قَبْلُ أَنْ تَأْتِنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلَفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٨ - ١٢٩]، يخاطب موسى عليه السلام في الآية الكريمة قومه ويأمرهم بالاستعانة بخالقهم الذي بيده القوة وحده لا شريك له، وبالصبر على البلاء والإيذاء؛ مؤكداً لهم أن الأرض إنما هي ملك لله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** وحده لا شريك له يورثها لمن يشاء من عباده، ويعز من يشاء ويذل من يشاء، والعاقبة الحسنة في النهاية إنما تكون للمؤمنين الذين يتوكلون على الله جل في علاه، ولا يخشون غيره أبداً، وليس لفرعون وقومه الذين يظنون أنهم يملكون ما في الأرض جميعاً وأنها تحت سيطرتهم.

كما قال تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩]، يطرح القرآن الكريم قضية فرعون وهامان نموذجاً للأنظمة المستبدة التي أفسدت في الأرض، والتي تخضع فيها أجهزة الدولة ومقدراتها في خدمة الحاكم لا الشعب والأمة، فتصبح تلك الأمم المضطهدة بكل جهودها وقيمتها أسيرة ما يضيفه الحاكم عليها من تعاليم وفلسفات فاسدة تصبح فيما بعد أحكاماً وتشريعات^(١).

(١) كالم، محمد محمود، فلسفة العمران الحضاري من منظور قرآني، ص ٧، بتصرف يسير.

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدِّخُّ

أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الفصل: ٤]، بيان مدى تكبر فرعون وجبروته وطغيانه في الأرض وإفساده فيها، وتوضيح لسياسية من سياسات فرعون المستبدة والتي قسم فيها شعبه إلى أقسام متفرقة، وطوائف مختلفة منهم الضعيف، ومنهم القوي الذي يطغى على الضعيف ويضطهده ويقتل أبناءه ويبقي نساءه على النهج الذي يريده فرعون في تقليل التكاثر والنسل في البلاد؛ فبالتالي تقل نسبة من ينافسه على الحكم والملك الذي يظن بجهله أنه سيبقى له إلى يوم الدين.

هذا ولم يكتف فرعون بتلك الأعمال الدكتاتورية والاستبدادية الفاسدة بل بلغ من الكبر والغرور ما لم يبلغه أحد من العالمين، وأصدق برهان على ذلك ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمَنُنْ ابْنُ لِي صَرَحًا لَعَلِّي أَتْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾ (٣٦) ﴿أَسْبَبَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَذِبًا وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ [غافر: ٣٦-٣٧]؛ حيث أمر فرعون وزيره هامان أن يبني له بناء ضخماً وشاهقاً يصل إلى السماء ويتداخل بالسحاب من طوله وضخامته حتى يكون له من الطريق ما يصل إلى الإله المعبود فيطلع عليه بنفسه، وما أمره بذلك إلا تكديماً لموسى عليه السلام واستكباراً وغروراً وإعجاباً بنفسه مؤدياً به إلى الطغيان والجحود الذي يشقيه في دنياه وآخرته، كما نلتمس من الآية الكريمة التقدم المعماري والتطور في الإنشاء الذي كان عليه قوم فرعون؛ حيث ما أمر به فرعون وزيره هامان بأن يبني له هذا البنيان الضخم والذي يصعب بناؤه، يؤكد مقدرتهم على بناء وإنشاء مثل هذا الصرح، المصنوع من الحجر الأحمر، قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَتَأَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهِ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهْمَنُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [القصص: ٣٨].

وقال تعالى: ﴿فَأَنقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ

﴿١٣٦﴾ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا الَّتِي بَلَرْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٦-١٣٧]؛ تصف الآية الكريمة ما حل بقوم فرعون

من عذاب أليم، وإغراق في البحر دون استطاعة فرعون أن يحمي نفسه من العذاب ويحمي منشآته وقصوره ومبانيه؛ وعلى الرغم من قوة فرعون وتفوقه في فنون العمارة وما بنوه من مبان وبيوت ومنشآت ضخمة ورفيعة إلا أن مصيرها كان الخراب والدمار الذي لم يبق له أثر، فتهدمت بيوتهم وأصبحت فارغة من سكانها، وذلك بما قدمت أيديهم من ظلم وبطش وفساد، وأن الله ليس بظلام للعبيد، قال تعالى: ﴿فَإِنَّكَ بِؤُسُكِهِمْ حَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [النمل: ٥٢].

وفي نهاية هذا الفصل الذي وضح أهم الركائز والقواعد الرئيسة التي يركز عليها العمران، والمتمثلة في علاقة الإنسان بخالقه، وعلاقته بنفسه، وعلاقته بغيره، وعلاقته بالأرض، وعلاقة العمران بالتقوى، بالإضافة إلى توضيح صور الإبداع العمراني في القرآن الكريم، والتي تؤخذ من خلالها العديد من الأساليب القرآنية في تنمية العمران من خلال التركيز على تنمية الإنسان، وتنمية المجال، بالإضافة إلى الخصائص العمرانية والمعمارية، والذي سيتم توضيحها خلال السطور القادمة في الفصل الثاني من هذا الباب، كما تم التطرق في هذا الفصل إلى نماذج لحضارات لم تلتزم بالعمران جاء ذكرها في القرآن الكريم؛ للاستفادة من الدروس والعبر التي جاءت في طياتها، والتي تؤكد لا عمارة قوية ومستمرة من غير عمران.

الفصل الثاني: أساليب العمران وخصائصه في القرآن الكريم.

نستشف من خلال النماذج السابقة التي تم التطرق إليها في الفصل الأول من هذا الباب أن الثروات والموارد الطبيعية التي أودعها الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** في الأرض لخدمة الإنسان من أجل ممارسة الخلافة في الأرض أنها نعمة كرم الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** بها الإنسان ليوظفها فيما يخدم العمران والعمارة. غير أن تلك النعم قد تتحول إلى نقم في حال عدم توظيفها على الوجه الصحيح، وبما يرضي الخالق جل في علاه، على سبيل المثال: تعتبر الحجارة من الموارد الطبيعية التي قد يستغلها الإنسان في البناء ويتخذ منها فوائد عديدة، وفي الوقت ذاته جعلها الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** نقمة على من لم يستشعر نعم الله عز وجل عليه ولا يشكره؛ حيث كانت الحجارة من الوسائل التي تم تعذيب بعض الأقوام وإهلاكهم من خلالها. وكذلك من النعم التي تخدم الإنسان وسائر الكائنات الأخرى الماء الذي لا يستطيع الإنسان العيش من غيره، وكذلك يعتبر أساساً يُستخدم في البناء والإنشاء، وفي ذات الوقت نفسه كان نقمة على من كان يفسد في الأرض ولا يتبع سبيل الرشاد ويعرض عن أمر ربه كفرعون وقومه الذين عُذبوا وأُغرقوا بالماء؛ لذلك جاءت المنهجية القرآنية بأساليبها المتنوعة في العمران والعمارة تهدف إلى تنمية المجال والإنسان، وتحمل خصائص متفردة في العمران والعمارة، وهذا ما سيتم التركيز عليه في هذا الفصل؛ "فالعمران والعمارة في القرآن الكريم نبض مشرع لتشرب تدفقات من النور تتغلغل في حالات الوجود جميعاً، وتصبح شاملة للأخلاق والمعاني والتصرفات"^(١).

المبحث الأول: أساليب العمران في القرآن الكريم.

من خلال التدبر في كتاب الله جل في علاه تتضح عناية المنهج القرآني في تنمية المجال والإنسان بأساليب متنوعة؛ حيث يخاطب القرآن الكريم النفس الإنسانية بما يجول في خفاياها خطاباً يصلح حالها، وينمي قدراتها نحو تطوير المجال والفضاءات المختلفة، ويكون الخطاب بأساليب متنوعة تجذب القارئ والمتدبر في كتاب الله جل في علاه؛ حيث يتفنن بالأسلوب القصصي والأمثال، والترغيب والترهيب، والوعد والوعيد، والأمر والنهي، والتفنن بالاستفهام، وتوضيح العقوبة، والدعوة إلى المراقبة الذاتية وتحكيم الضمير، والتقرير والتلقين بأساليب الخطاب المتنوعة، والمقابلة

(١) سلقيني، محيي الدين خطيب، العمارة والقرآن، إحياء للنفس والعمران، ص ١٠٠.

والمزاوجة، والتصوير وبراعة دقته، بالإضافة إلى الغوص في عالم الأسباب والمسببات، ولفت الأنظار حول أسلوب التكرار، وهذا ما سيتم التطرق إليه في هذا المبحث الذي تم تقسيمه إلى مطلبين على النحو الآتي:

المطلب الأول: تنمية المجال.

اعتنى المنهج القرآني في تنمية المجال والبيئة العمرانية التي تحيط بالإنسان، وما يندرج تحت ذلك من إنتاجية واستثمار، وما يؤدي إلى قيام الثروات في مختلف المجالات البشرية والطبيعية، والزراعية، والاقتصادية، والصناعية، لا سيما في مجال التعمير والبناء، قال تعالى ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارُهَا أَثْنَا وَمِئَةً إِلَى حِينٍ ۝٨٠﴾ ^(٨٠) وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمُ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ [النحل: ٨٠ - ٨١]، تبين هذه الآيات الكريمة بعضاً من نعم الله وفضله على الإنسان؛ حيث جعل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِلإنسان من البيوت ما يحتمي فيها وقيم، وجعل في الأنعام ما يخدم تلك البيوت، وفي بحاجات الإنسان من جلود، وأصواف، وأوبار، وأشعار تُسهم في أثاث البيوت وزينتها، وتُسهم في تدفئة الإنسان في فصل الشتاء.

كذلك من نعم الله على الإنسان تهيئة الجبال لبناء بيوت وملاجئ للإنسان يلجأ إليها وفق الاحتياجات البيئية في مختلف الفصول. وتدعو الآيات القرآنية الكريمة إلى كيفية استثمار الموارد الطبيعية في خدمة الإنسان، وكذلك الدعوة إلى دقة اختيار أماكن الإنشاء والبناء، ومراعاة الظروف المناخية التي تختلف من مكان إلى آخر، ومن خلال التأمل في الآيات القرآنية الكريمة التي تبرز العلاقة التبادلية بين الإنسان وبيئته التي يعيش فيها؛ نرى العناية والاهتمام بالعمران في تنمية المجال؛ حيث يتفنن بالأساليب المتنوعة التي تدعو إلى تنمية المجال البيئي، والازدهار الحضاري، ومن تلك الأساليب:

● الأمر بعمارة الأرض والحفاظ عليها، والنهي عن الفساد فيها وإفسادها: ويعني الأمر طلب القيام بالفعل والحث عليه، وجاء هذا الأسلوب في القرآن الكريم بصيغ مختلفة تأمر بممارسة الخلافة في الأرض وعمارتها وعمرانها بالإيمان والعمل الصالح، وما يندرج تحت ذلك وينهض بالإنسان

ومجتمعه الذي يعيش فيه وتتكون الحضارات من خلاله، سواء كان بفعل الأمر، أم لام الأمر، أم اسم فعل الأمر، أم المصدر النائب عن فعله، ومن تلك الصيغ ما يفيد في معناه الدعاء، كقوله تعالى:

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥]؛ ففي الآية الكريمة جاء الدعاء بصيغة الأمر الدال على الطلب والترجي؛ حيث دعا إبراهيم ربه أن يجعل بلاده آمناً مطمئناً، وأن لا يعبد إلا الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** ولا يشرك بعبادته أحداً، ومما لا شك فيه أن أمن الدولة وأمانها سبيل نحو ازدهارها وتقدم عمرانها. ومن الآيات التي جاء الدعاء فيها بصيغة الأمر الدال على الطلب والترجي، قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [التحریم: ١١]، كما قال تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْنِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْعَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧]؛ تظهر الآية الكريمة رغبة إبراهيم عليه السلام إسكان أهله بأرض تكثر فيها الأشجار والزروع، كما تفيد الآية الكريمة الاهتمام بالمكان الذي يحتوي على الزروع والثمار، وكذلك الموقع الذي يكثر فيه السكان، وتسهل فيه المواصلات، كما نلتبس من دعاء إبراهيم عليه السلام الوارد في الآية الكريمة الدعوة إلى استغلال مواقع البناء، واختيارها وفق ما يتناسب مع البيئة.

ومن صيغ الأمر أيضاً ما يفيد الدعوة والإرشاد، كقوله تعالى: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾ [هود: ٦١]، وهنا أسلوب أمر واضح ومباشر بعبادة الله وحده لا شريك له، الذي أنشأ الأرض واستعمر الناس فيها من أجل عبادته سبحانه والإيمان به، وما ينتج عن ذلك من تقوى وعمل صالح، كما تؤكد الآية الكريمة ارتباط عبادة الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** بعمارة الأرض، وأثر ذلك في النهوض بكافة المجالات.

ومن أساليب الأمر المتعلقة بالعمران في القرآن الكريم ما جاء بصيغ تفيده الندب والاستحباب، كقوله تعالى: ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]؛ حيث جاء الأمر في الآية بصيغة المضارع المقترن بلام الأمر، يقول القنوجي في تفسير الآية الكريمة: "في الآية دليل على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم واجبات الشريعة، وأصل عظيم من أصولها، وركن مشيد من أركانها، وبه يكمل نظامها ويرتفع سنامها، ويتحقق ازدهارها وعمرانها^(١)". ومن الصيغ أيضاً ما يفيد التهديد، كقوله تعالى: ﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْفُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٩٧]، ومنها ما يفيد الالتماس الذي يأتي من طلب شخص إلى شخص بئانه، أو من قوم إلى قوم مثلهم، كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمَنُ ابْنُ لِي صَرَحًا لَعَلِّي أَتْلُجُ الْأَسْبَبَ﴾ [غافر: ٣٦]، وقوله تعالى: ﴿فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾ [الكهف: ٢١]، ومنها ما يفيد التعجب، كقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْسَكُمْ شَيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضُكُم بَأْسَ بَعْضٍ أَنْظَرْكُمْ نُصْرَةَ آلِائَتٍ لَّعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام: ٦٥].

كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَجَنِّبُوا الَّتِي تَبَغَىٰ حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩]، تأمر الآية الكريمة المؤمنين أن يصلحوا بين من يقتتل من المؤمنين، وإقامة الحجة على من لا يريد الصلح باغياً الفساد حتى يرجع إلى ما أمر الله سبحانه وتعالى به، والإصلاح يكون بالعدل والقسط، ومن غير جور ولا ظلم. ثم تؤكد الآية التي تليها أن أصل المؤمنين إخوة يرحم بعضهم بعضاً، فشان الإصلاح فيما بينهم أمر واجب عليهم، لما يربطهم من محبة ومودة في الله سبحانه وتعالى، يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوِيكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ١٠]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ

(١) القنوجي، أبو الطيب محمد صديق خان، فتح البيان في مقاصد القرآن، ج ٢، ص ٣٠٤-٣٠٥.

عَلَيْكُمْ [البقرة: ٢٢٤]، إن الآية واضحة الدلالة على أن الله تعالى يأمر بالإصلاح والبر والتقوى بين الناس، وما تؤدي به من بناء الحضارة وازدهارها، وتماسك أفرادها.

أما النهي الذي معناه طلب الكف عن القيام بالفعل والابتعاد عنه واجتنابه، فله صيغته التي يتفرد بها، وهي بمعنى لا تفعل والتي قد تدل على كراهية ارتكاب الفعل وتحريمه، على سبيل المثال قال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ [الأعراف: ٥٦]؛ فتفيد الآية الكريمة النهي الصريح الواضح عن الفساد في الأرض بعد ما أصلحها خالقها وجعلها مهياً للخلق، وأودع فيها من السبل ما يعين الإنسان على ممارسة الخلافة في الأرض وعمرانها وعمارتها. كما قال تعالى: ﴿لَا يَغُرُّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ﴾ [آل عمران: ١٩٦]، وهنا جاء النهي عن الاغترار بقوة الكافرين في الدنيا وتمتعهم فيها؛ فما هم عليه من نعيم دنيوي إنما هو نعيم مؤقت يعقبه عقاب وعذاب، وهلاك ودمار.

وهناك عدة صور للنهي عن ما يصاد العمران ويتناقض معه كالفساد في الأرض، وما يندرج تحته من خراب وهلاك ودمار، ومنها الدعاء بعدم القيام بالفعل أو الوقوع فيه وفي عاقبته، كقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، "وقوله ولا تحمل علينا إصرا يعني من ثقل الأمر والنهي كما حملته على الذين من قبلنا^(١)"؛ فورود النهي في الآية الكريمة يفيد الدعاء، وهذه صيغة مشتركة بين الأمر والنهي؛ حيث جاء في أسلوب الأمر ما يفيد الدعاء بالقيام بالفعل، وكذلك في أسلوب النهي.

ومن صور النهي أيضاً تعليل النهي، قال تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]؛ فبعدما بين عز وجل قدرته التي تفوق قدرة البشر، الذي أنشأ الأرض إنشاءً يتناسب مع جميع الخلق، ووفر من الثمرات والخيرات فيها ما يخدم خليفته الذي سيمارس الخلافة في الأرض، وبين

(١) الجصاص، أبو بكر أحمد بن علي الرازي، أحكام القرآن، ج ٢، ص ٢٧٩.

قدرته في بناء السماء بغير عمد نراها، ثم أتبع ذلك الإعجاز الرباني في البناء والإنشاء بالنهاي عن جعل إله آخر مع الخالق المتفرد بالخلق والمتصرف فيهم أجمعين والمتحكم في أرضهم وسمائهم وجميع ما حولهم.

كما قال تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَأَذْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ وَلَا تَنْعَتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ٧٤]؛ يبين الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** في الآية الكريمة ما أنعمه على الناس من نعم ظاهرة، وجعلهم خلفاء في الأرض، ومدّهم بالقوة والقدرة التي جعلتهم يتخذون من السهول التي تتمتع بها أرضهم قصوراً عالية وشاهقة في طبيعة رائعة وخلابة، وينحتون في الجبال القاسية الوعرة بيوتاً تجعلهم آمنين فيها مطمئنين، مذكّرينهم بتلك النعم التي يجب عليهم أن يشكروا ربهم ويعبدوه، ولا يشركوا به شيئاً وأن لا يستخدموا تلك النعم بما يهلك الأرض، ناهيهم عن الفساد فيها حتى لا تعود عليهم تلك النعم إلى نقم تحول قصورهم وبيوتهم إلى خراب ودمار وهلاك.

وقال تعالى في مطلع سورة الأنفال: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١]، وخُتمت السورة بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدِ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٥]، والمناسبة بين الآيتين ظاهرة؛ فالحديث عن الإصلاح بين المؤمنين التي تجمعهم الأصول الإنسانية، والوحدة الإسلامية، وبيان حقيقة المؤمنين وأصلهم، وعلاقاتهم ببعضهم التي من الأولى أن تقوم على كل ما فيه خير وصلاح لهم ولدينهم، بطاعة الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، ورسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، وجاء في أسباب النزول لما هزم العدو يوم بدر واتبعتهم طائفة يقتلونهم وأحدت طائفة برسول الله عليه الصلاة والسلام، واستولت طائفة على العسكر، فلما نفى الله العدو، ورجع الذين طلبوهم، تنازعت تلك الطوائف ونسبت كل طائفة النفل لها؛ فأنزل الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ﴾؛ فقسمه رسول الله عليه الصلاة والسلام بالسوية^(١).

(١) الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي، أسباب نزول القرآن، ص ٢٣٢، بتصرف.

● التحذير والتنفير وتوضيح العقوبة لمن يسعى في الأرض فساداً وخراباً ودماراً: يأتي أسلوب التحذير والتنفير من الإفساد في الأرض بصيغه المختلفة، فتارة يأتي من خلال بيان صفات المفسدين في الأرض وما يصدر عنهم من سوء، وتارة من خلال بيان الأثر الذي يخلّفونه من هلاك المجتمع وانهاره وتعثره وانحطاطه، وتارة أخرى من خلال بيان العقوبة والعذاب الذي سيحلّ عليهم نتيجة لما قدمت أيديهم من فساد وظلم وغيرها من الأمور التي تعيق الحركة العمرانية، وتجعل المجتمع ركيكاً ومنقسماً.

قال تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيِّنًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾ [الأعراف: ٤]، تخبرنا الآية الكريمة أن هناك العديد من القرى التي أهلكها الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** نتيجة فساد أهلها في الأرض، بمعنى: انظروا إلى تلك الحضارات التي غفلت عن ذكر ربها فحل بها العذاب الذي أفسد نظامها، ودمر مبانيها وأهلك ناسها، فالعذاب واقع بهم لا محالة؛ إنما يختار **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** الوقت المناسب لوقوعه والذي لا يعلمه إلا هو سبحانه؛ حيث تؤكد الآية الكريمة أن التدمير والخراب قد يقع على مثل هذه الحضارة ومن مثلهم من القرى والحضارات الغافلة عن ممارسة النظام المتوازن في الحياة، والمعرضة عن عبادة الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** وعن طاعته وشكره.

والإهلاك في الآية الكريمة يحتمل عدة صور ومعان، منها: أن الإهلاك قد يقع بسكانها وإن لم يرد في الآية الكريمة ذكر السكان ليكون معنى الإهلاك أشمل وأعم؛ فيهلكهم إهلاكاً مادياً يدمرهم جميعاً حتى لا يتبقى من تلك الحضارة إلا المساكن الخاوية من أصحابها، ومن صور الإهلاك أيضاً أن يقع على الحضارة ذاتها فيدمرها ويدمر نظامها، ويدمر جميع ما فيها، والأرجح أن العذاب والإهلاك يقع على القرية وما فيها من سكان ومباني وغيرها، يقول صاحب التحرير والتنوير: "ولأن تعليق فعل أهلكناها بالقرية دون أهلها لقصد الإحاطة والشمول، فهو مغن عن أدوات الشمول، فالسامع يعلم أن المراد من القرية أهلها لأن العبرة والموعظة إنما هي بما حصل لأهل القرية^(١)"، وفي قوله تعالى ﴿فَجَاءَهَا بَأْسُنَا﴾ [الأعراف: ٤]: يدل على التدرج في وقوع العذاب بعد التحذير منه، وبمعنى حل بهم العذاب الذي كانوا يحسبونه بغفلتهم أنه بعيد عنهم؛ فجاءهم بما قدموه من ظلم وبطش

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٨، ص ١٩.

وجرم وإجرام؛ "ففي الآية إخبار عن كيفية إهلاكهم بعد الخبر بالإهلاك، وهذا الترتيب هو في الغالب تفصيل بعد إجمال، فيكون من عطف المفصل على المجمعل^(١)".

كما تشمل الآية الكريمة سنة من سنن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** في الكون والتي تقرر إعمار القرى والحضارات أو تدميرها، وذلك من خلال ما يقدمه أفراد تلك القرى والحضارات من ممارسة النظام الكوني الذي أقره الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** للناس من عبادة وعمل صالح ينتج من عمران معنوي تبرهنه العمارة، ويحافظ على الحضارة التي ينتمي الناس إليها والمجتمع الذي يعيشون فيه؛ فيزدهر من خلاله الجانب التنموي. أو بما تعمله أيدي تلك الأفراد من فساد وظلم وبطش وإعراض عن عبادة الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، وجحد نعمه، والغفلة عن طاعته؛ فيحل بهم العذاب الذي يفسدهم ويدمر حضارتهم التي كانوا بالأمس يبنونها، ويسعون في ازدهارها، ويهلك نظامهم كما أهلك القرى والحضارات التي كانت تسبقهم.

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۖ ﴿٦﴾ إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبَلَدِ ﴿٨﴾ وَثُمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبَلَدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفُسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾ [الفجر: ٦ - ١٤]؛ تؤكد الآية الكريمة أن العمران الذي لم يكن له جذوراً إيمانية إنما هو عمران زائل مصيره الخراب والدمار والهلاك؛ كعمارة عاد وثمود وفرعون كانت حضارتهم ذات عمارة متقدمة، وتتميز بالمباني والقصور العالية والتميزة في عصرها حتى اشتهروا بذلك، وأصبحوا مثلاً يضرب به، ولكن قابلوا تلك النعم بالكفر، والظلم، والفساد؛ فأهلكهم خالقهم ودمر ما قاموا ببنائه وتشييده نتيجة بما قدمت أيديهم.

● أسلوب المقابلة والمزاوجة بين إصلاح المجال وعمرانه، وبين إفساده وإهلاكه: لأسلوب التقابل في القرآن الكريم الأثر العميق الذي يضيف للناظر في الآيات القرآنية جانب الإثارة والمتعة والمساهمة في توضيح المعنى، وبيان دقة العبارة التي قد تلفت النظر وتدعو النفس الإنسانية إلى التأمل والتفكير بتلك الأضداد وما تقتضيه من تراكم معنوية يتضمنها سياق الآية من خلال المقابلة بين المتضادات من المعاني والمفردات.

(١) ابن عاشور التحرير والتنوير، ج ٨، ص ٢١.

والتقابل منه ما هو لفظي ومنه ما هو معنوي، فأما التقابل اللفظي فهو ما يقابل لفظاً ومعنى بضده من اللفظ والمعنى، كقوله تعالى: ﴿تَوَفَّى الْمَلِكُ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكُ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعْزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٢٦]؛ حيث قابلت الآية الكريمة لفظة إيتاء الملك بنزعه، ومقابلة عزة الإنسان وذله. وأما المعنوي فهو ما يقابل معنى بضده فحسب دون لفظه، كقوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾ [البقرة: ٢٢]؛ حيث جاءت المقابلة في الآية الكريمة بين الفراش والبناء، "فالبناء لما كان رفعا للمبني قوبل به الفراش الذي هو خلاف البناء، ومن ثم وقع على ما كان فيه ارتفاع في نصبته، وإن لم يكن مصدرًا^(١)".

ومن أمثلة التقابل في القرآن الكريم مقابلة الإصلاح بالإفساد ومقابلة العمران بالإهلاك، قال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ [الأعراف: ٨٥]؛ جاء النهي بعدم الفساد في الأرض بعد إصلاحها؛ فتم مقابلة الفساد بالإصلاح من خلال أسلوب النهي الوارد في الآية الكريمة. وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١١]، وهكذا شأن كل مفسد يدعي أنه مصلح، سواء كان بظنه على بينة من إفساده وهو عارف أنه مضل ولكن يحاول تبرئة نفسه من وصمة الإفساد بالتمويه والمواربة، أم كان مسوقاً إلى الإفساد بسوء التقليد الأعمى لرؤسائه والذي يجعله لا يوازن فيه بين الإصلاح ونقيضه الذي يقابله وهو الإفساد؛ نظراً لإرادتهم من إضلال غيرهم بذلك من خلال صدهم عن سبيل الإسلام الداعي إلى الوحدة والالتئام، وأي إفساد في الأرض أعظم من التنفير عن اتباع الحق، وعن الاعتصام بدين فيه سعادة الدارين، والأرض إنما تفسد وتصلح بأهلها^(٢)!

ومن خلال المقابلة والمقارنة في الأسلوب القرآني تظهر البلاغة القرآنية في أجمل صورها؛ حيث تعطي رونقاً ومتعة، تلفت الأنظار وتبهر الأبصار، وتدفع الإنسان نحو الإصلاح والإعمار الذي جاء أسلوب التقابل بينه وبين ما يضاده من فساد لتجعل القارئ يدرك الآثار، دون شك أو إنكار، ولتوضح المعاني والأفكار، وتكشف الأسرار، وتؤكد الأخبار. فمثلاً حين يتتبع القارئ ما تدعوا

(١) أبو علي، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي، الحجة للقراء السبعة، ج ٤، ص ٢٢٠.

(٢) رشيد رضا، تفسير المنار، ج ١، ص ١٣٢، بتصرف.

إليه الآية الكريمة حول إصلاح الأرض والفضاء الذي يعيش فيه الإنسان تتشكل لديه خلفية حول أهمية تلك القيمة وأثرها عليه وعلى غيره من الأفراد، ثم يأتي أسلوب المقارنة بينها وبين ما يضادها لتؤكد الفكرة أو بمعنى آخر لتظهر الفرق الواضح الجلي بين من يتمسك بقيمة الإصلاح وبين من يتمثل بعكسها، حاثاً بذلك على مكارم الأخلاق وأجلها، وما تدعوا إليه من تنمية عمران المجال.

● التصوير الفني المرتبط بالعمران والعمارة: من أهم الأساليب القرآنية أسلوب التصوير الفني الذي يجسد الصورة بالواقع، ويمزج بين الجانب النظري والعملي، ويضيف المتعة والتشويق، ويجذب النظر حول القضية أو الفكرة التي يعرضها القرآن الكريم، ويوظف الإنسان من خلاله قدراته الحسية والتصويرية، يقول سيد قطب: "يعبر التصوير بالصورة المحسنة المتخيلة عن المعنى الذهني، والحالة النفسية، وعن الحادث المحسوس، وعن الطبيعة البشرية. ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة، أو الحركة المتجددة؛ فإذا المعنى الذهني هيئة أو حركة، وإذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد، وإذا النموذج الإنساني شاخص حي، وإذا الطبيعة البشرية مجسمة مرئية^(١)".

ومن أمثلة التصوير الفني المرتبط بالعمران والعمارة، قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [التوبة: ١٠٩]، يقول صاحب الظلال في تفسيره للآية الكريمة: "إن صورة البناء المنهار هي صورة الريبة والقلق وعدم الاستقرار، تلك صورة مادية وهذه صورة شعورية، وهما تتقابلان في اللوحة الفنية العجيبة التي يرسمها التعبير القرآني الفريد، وتتقابلان في الواقع البشري المتكرر في كل زمان؛ فما يزال صاحب الكيد الخادع مزعزع العقيدة، حائر الوجدان، لا يطمئن ولا يستقر، وهو من انكشف ستره في قلق دائم، وريبة لا طمأنينة معها ولا استقرار. وهذا هو الإعجاز الذي يرسم الواقع النفسي بريشة الجمال الفني، في مثل هذا التناسق بمثل هذا اليسر في التعبير والتصوير على السواء^(٢)؛ ففي هذا الأسلوب الذي

(١) سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص ٣٦.

(٢) المرجع السابق، ج ٣، ص ١٧١٢.

يتم من خلاله تجسيد المعنى وتحويله إلى صورة حاضرة يستشعرها الإنسان وكأنه يراها أمام أعينه؛ تستجيش من خلالها الأحاسيس والعواطف ويذوب من خلالها الفكر، وتندesh الأبصار والعقول؛ مما يؤدي إلى الإقناع العقلي والعاطفي الذي يجعل الإنسان يتفكر ويتأمل محاولاً بأن يتحلّى بصفات النموذج الإنساني الذي سعى المنهج القرآني لإيجاده؛ فالنفس البشرية في حاجة دائمة إلى الإقناع الذي لا يكاد ينفصل عن الامتاع بالوقت نفسه؛ وهذا ما يتميز به القرآن الكريم من أساليب متنوعة وشاملة ومتكاملة تراعي فطرة الإنسان وطبيعته النفسية والعلمية والاجتماعية، وتبهر النظر وتمتع الفكر؛ وهذا كفيل ببناء حضارة عمرانية مزدهرة يتميز أفرادها بالصفات العمرانية التي جاءت في القرآن الكريم، وتتوفر فيها عوامل التقدم ومقومات التطور والنهضة التي قوامها الإيمان بالله جل في علاه، والتقوى، ومكارم الأخلاق، والعمل الصالح.

وقال تعالى: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ

زَوْجٍ بَهِيَجٍ﴾ [الحج: ٥]، نلتمس من الآية الكريمة دعوة المنهج القرآني الإنسان إلى الاهتمام والعناية بالأرض والعمل على عمرانها؛ وذلك من خلال التصوير الذي يعرض لنا اهتزاز الأرض بالنباتات والزروع وربوعها وارتفاعها بالأعشاب وإنباتها من كل أنواع وأصناف النباتات المختلفة ومما يسر كل من ينظر إليها، وذلك من بعد ما كانت الأرض خالية من النباتات والزروع؛ وفي هذا توجيه رباني نحو ري الزروع بالماء والاهتمام فيها، وعلاج البيئة بالخصائص الطبيعية التي أودعها الله سبحانه فيها. وهنا نلتمس براعة التصوير ودقته الذي يشكل ويكون المعنى، ويحوّله إلى صورة ذهنية لدى الإنسان؛ فتصبح وكأنها صورة حية محسوسة يشاهدها، ويدرك معانيها، ولا يغفل عن مقاصدها، ويعي بمظاهرها المختلفة وحوادثها المتنوعة في جو منسجم ومتآلف؛ مما يؤدي إلى الإقناع العقلي والامتاع العاطفي الذي يؤثر على الإنسان وإدراكاته نحو تلك الصورة ونحو تحقيق ذلك المعنى.

● الأسلوب الدقيق واللغة العلمية الدقيقة التي تربط أسباب العمران بمسبباته: يوضح القرآن الكريم علاقة السبب بمسببه مؤكداً وجود كل شيء إنما يرجع لسببه الذي تسبب في وجوده، بغض النظر إن كان ذلك الشيء من الكائنات الحية، أو الظواهر الكونية أو غيرها؛ فجميعها ترجع إلى خالق الأسباب والمسببات وحده سبحانه الذي بيده ملكوت السماوات والأرض لا شريك له.

يقول تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَأِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ أَلْقِيمَةٍ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ [الإسراء: ٥٨]، ذكر ابن كثير في تفسيره أن الآية الكريمة فيها إخبار من الله عز وجل بأنه قد حتم وقضى بما قد كتبه عنده في اللوح المحفوظ: أنه ما من قرية إلا سيهلكها، بأن يبيد أهلها جميعهم أو يعذبهم العذاب الشديد إما بقتل أو ابتلاء بما يشاء، وإنما يرجع ذلك بسبب ذنوبهم وخطاياهم، كما قال عن الأمم الماضية: ﴿وَكُلَّيْنِ مِنْ قَرْيَةٍ عَنَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسِبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكَرًا﴾ (٨) فذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عِقَبُهُ أَمْرًا خُسْرًا﴾ [الطلاق: ٨ - ٩] (١)؛ ففي الآية الكريمة نرى السببية المرتبطة بالقرى ومجتمعاتها؛ حيث هلاك الأمم الفاسدة وعذابها وانحيار حضارتها وخراب عمرانها واقع لا محالة في الوقت الذي يقدره الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، وهذا العذاب والهلاك والدمار إنما يرجع سببه لفساد أهل تلك القرى وظلمها وكفرها وطغيانها وتجبرها وتكبرها، أي بما قدمت أيديهم، ويؤكد ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ [القصص: ٥٩].

أما قصة ذي القرنين التي أوضحت كيفية توظيف الأسباب المعينة على تمكين الإنسان في الأرض واستخلافه فيها، والتي جاء ذكر مصدرها بكل وضوح في القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ (٨٣) **إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا** (٨٤) **فَأَتْبَعَ سَبَبًا** [الكهف: ٨٣ - ٨٥]، وذلك من خلال ما اتصف به ذو القرنين من علم، وحكمة، وصبر، وحلم، وصلاح، وغيرها من مكارم الأخلاق التي أهلته لممارسة مهمة الإعمار والإصلاح في الأرض وتنميتها، ومحاربة الفساد فيها، واستغلال تلك الطاقات التي تدرج ضمن العلوم التي رزقه الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** إياها مؤكداً بكل تواضع أن ذلك التمكين إنما كان بفضل من الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** وليس مما ملكت يده، يقول تعالى: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾ [الكهف: ٩٥].

كما قال تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]، تبين الآية الكريمة العديد من الأسباب التي هيأها الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** للإنسان من أجل ممارسة الخلافة في الأرض؛ حيث خلق

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٥، ص ٨٩، بتصرف يسير.

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الأرض، وجعل فيها الجاذبية التي تثبت من خلالها الكائنات الحية، وأودع فيها كل ما يتناسب مع الإنسان، وأنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها، وأدى إلى خروج الثمار وتنوعها. لافتاً النظر في نهاية الآية الكريمة حول استحقاق عبودية الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** وحده لا شريك له، وإخلاص الدين له؛ فهو المتكرم على الإنسان بتلك النعم وغيرها، وهو القادر على سلبها؛ فوجب على الإنسان أن يقابل تلك النعم بالشكر والإحسان والتوكل على الخالق جل في علاه الذي ترجع إليه جميع الأسباب ومسبباتها، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٢٣].

والناس لطول الفهم لحياتهم على هذه الأرض، وسهولة استقرارهم عليها، وسيرهم فيها، واستغلالهم لتربتها ومائها وهوائها وكنوزها وقواها، ينسون نعمة الله عز وجل في تذليلها لهم وتسخيرها؛ فالله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** هو الذي تسبب لهم في ذلك من أجل عمارة الأرض وعمرانها، والقرآن يذكرهم بهذه النعم الهائلة، ويصبرهم بها، في هذا التعبير الذي يدرك منه كل أحد وكل جيل بقدر ما ينكشف له من علم هذه الأرض الذلول^(١)، يقول تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥].

نلتمس مما سبق ارتباط العمران بالقرآن الكريم ارتباطاً لا يكاد ينفك عن بعضه البعض؛ حيث لا يوجد عمران دائم من غير قرآن؛ ذلك العمران الذي يربط السبب بمسببه؛ فالقرآن الكريم يبين منهجية العمران والتي قوامها عبادة الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، وإخلاص الدين له وحده لا شريك له، ويبين الطرق التي تعين عليه، ويوضح أسباب النهوض والارتقاء بالأمم والحضارات، وفي الوقت ذاته يبين الأسباب التي تؤدي إلى خلاف ذلك وعكسه من فساد وظلم وما يؤدي به إلى هلاك الأمم والحضارات وخرابها ودمارها، وهذا لا شك جدير بتحقيق عمران سعى القرآن الكريم لإيجاده وجعله مناط خلافة الإنسان في الأرض.

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج ٦، ص ٣٦٣٧، بتصرف يسير.

المطلب الثاني: تنمية الإنسان.

تضافرت الآيات القرآنية الكريمة التي تُسهم في تنمية الإنسان، وكيفية بنائه بناء يساعده على عمارة الأرض، سواء كان ذلك البناء من الناحية العلمية والفكرية، أو من الناحية الأخلاقية القيمية. هذا وتكثر الآيات القرآنية الكريمة التي تعرف الإنسان بطبيعته الإنسانية، وغرائزه واحتياجاته الفسيولوجية، وتبرز خصائصه، وتقيم سلوكه وتقومه، وتعالج المشكلات الإنسانية بمختلف أبعادها، وذلك من خلال عدة أساليب من أهمها:

● الأسلوب القصصي، والدعوة إلى التفكير في حال الأمم السابقة وأسباب إهلاكهم وتدمير حضاراتهم: يعتبر الأسلوب القصصي من أهم الأساليب القرآنية؛ لما لهذا الأسلوب من تأثير بالغ على الإنسان وعلى طريقة تفكيره، ولما تحتويه من عناصر تشويق تجذب العقل، وتمتع العاطفة في ذات الوقت نفسه، ولما تحمله من تجارب سابقة يتم الكشف من خلالها عن مكامن القوة والضعف؛ فالقرآن الكريم يقص على القارئ من القصص ما يبين تاريخ الإنسان ودوره الحضاري والعمراني رابطاً التوجيهات الإلهية التي تدعو إلى النظر والتفكير واكتساب الخبرة الكافية حول تلك النماذج القصصية، وأخذ العبرة والعظة منها، والاستفادة منها، والتطبيق على أرض الواقع، قال تعالى:

﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١].

حيث يستغل المنهج القرآني الميول الفطري للإنسان نحو القصة التي يقصها؛ وذلك لما تحتويه من عناصر تشويق وخيال، تؤثر في نفوس العباد، وتحرك شعورهم وإدراكهم نحو تلك القصة وما تحمله من عبر وعظات متنوعة، وتجارب يُستفاد منها ويتم من خلالها مخاطبة كل إنسان مخاطبة عقلية وقلبية؛ فالأسلوب القصصي من أهم الأساليب التربوية التي تعالج القضايا الإنسانية والحضارية بأسلوب شيق وممتع يؤثر بالنفس تأثيراً بالغاً، ويحرك الوجدان والعاطفة ويجعل الإنسان أكثر تفاعلاً مع الأحداث والتجارب التي قد يربطها نفسياً بمواقفه الشخصية التي مر أو يمر بها؛ مما يؤدي إلى انعكاس ذلك على سلوكه وأفعاله وتعامله مع المواقف والأحداث.

وفي القصص القرآني العديد من المعايير والمعايير التي ترتبط بعمارة الإنسان وحضارته برباط وثيق؛ حيث جاءت العديد من الآيات القرآنية التي تبين قصص أقوام سابقة وكيف عمروا أرضهم وفضاءهم الذي يعيشون فيه، إلا أن ذلك لم يغن عنهم شيئاً نتيجة اعتمادهم على البنيان وليس العمران، وفي تلك القصص ما يؤثر في النفوس ويدفع الإنسان بأن يهتدي بهديها، ومن ثم يستطيع بذلك أن يعمر أرضه، وحضارته بالأسس التي تصلح حاله وحال مجتمعه، ويتعد عن كل ما يؤدي بإهلاكه ودمار مجتمعه من ظلم، وبطش، وفساد، واغترار بالأموال والأنفس، وغير ذلك، قال تعالى:

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا اللَّهُ لِيُظِلَّهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [الروم: ٩].

● أسلوب الترغيب بالثواب، والترهيب من العقاب: يعتبر أسلوب الترغيب والترهيب من أهم ما يمتاز به المنهج القرآني، ولهذا الأسلوب الأثر البالغ في تنمية الإنسان وزرع حب الخير في نفسه وحب العمل الصالح، وذلك من خلال الترغيب في عمارة الأرض وعمرانها بالإيمان والعمل الصالح، وما يؤدي به إلى الخير والصالح، والترهيب عن ما يضاد ذلك من فساد، وبطش، وظلم، وعدوان، وغيرها مما يندرج تحت ذلك من أعمال فاسدة تؤدي إلى خراب الحضارات وهلاكها، وتعرشها وانحلالها، ويكون ذلك من خلال التأكيد على أن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** يجازي خير الجزاء من يمارس الخلافة في الأرض ويصلح فيها على الوجه الذي يرضاه الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** ويحدده المنهج القرآني الحكيم، ويساعد على عمارتها وعمرانها بالتقوى والعمل الصالح، ويتمسك بالأخلاق الحسنة، وأن الله جل في علاه يثيب كل إنسان على عمله؛ فيجازي من يحسن العمل خير الجزاء، ويجاسب من يسعى في الأرض فساداً ويغشيها دماراً وخراباً حساباً عسيراً.

كما يراعي هذا الأسلوب الفروق الفردية واختلاف الميول والغرائز الفطرية لدى الإنسان ليتناسب بذلك مع جميع البشر، على سبيل المثال قد يتأثر إنسان بأسلوب الترغيب أكثر من أسلوب الترهيب، والعكس فقد يتأثر إنسان آخر بأسلوب الترهيب أكثر من أسلوب الترغيب؛ فبهذا الأسلوب القرآني قد تستثار جميع النوازع النفسية لدى الإنسان باختلافها وتفاوتها بين كل شخص وآخر، وبمثل هذا الأسلوب قد ينشأ إنسان مقبل على حب الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** وعلى طاعته وعبادته

والتزام ما يرضي خالقه من صلاح وفلاح يؤدي إلى طريق النجاح، وينزرع في قلبه الخوف من خالقه، والخوف من عذابه، والرغبة من عقابه وما ينتج عنه من تضرع لله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** ومناجاته، والرغبة في العمل الصالح الذي يقربه منه، ويقربه من الثواب طامعاً بمرضاته، والفوز بجناته، واجتناب ما يغضب خالقه خوفاً من عذابه، ورهبةً من عقابه، وإدراكاً لحسابه. فالتأمل في آيات الذكر الحكيم يرى المزاوجة بين الترغيب والترهيب، والوعد والوعيد، والثواب والعقاب؛ حيث "تعددت في البيان القرآني صورة الزجر والوعيد والوعد والترغيب، وترمي كلها إلى إشعار الإنسان بمقدار ما تقتضيه خلافة الإنسان عن الله في الأرض من تحقيق مكارم الأخلاق^(١)".

وهناك صور لأسلوب الترغيب والترهيب؛ فقد تأتي آية كريمة تشتمل على أسلوب الترغيب والترهيب معاً في نفس الآية الكريمة، كقوله تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٤]. وقد يأتي الترغيب في آية، ثم تتبعها آية أخرى تحتوي على الترهيب، كقوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [يونس: ٢٦]، ويتبعها قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ يَمْثِلُهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [يونس: ٢٧]؛ فالآية الأولى تحمل وعداً للذين أحسنوا بأن لهم الجزاء والثواب الحسن والخلود في الجنة، وفي المقابل يأتي الوعيد في الآية التي تليها للذين أساءوا بأن لهم العذاب والعقاب لما قدمت أيديهم والخلود في النار، وفي هذا الصدد يقول محمد عبدالله دراز: "يربط القرآن الكريم بين الفضيلة والسعادة، وبين الرذيلة والعقوبة، والفصل بين الأبرار والأشرار، تاركاً في ذلك الأثر العميق في نفوس العباد، موجهاً أنظارهم نحو الأخلاق الحميدة ذات الآثار المجيدة^(٢)".

وقد يأتي الترغيب في آية من جملة الآيات القرآنية، لتأتي آية أخرى من جملة الآيات القرآنية تحتوي على الترغيب، كقوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ

(١) عرجون، محمد الصادق، الموسوعة في ساحة الإسلام، ج ١، ص ١٩٩.

(٢) دراز، محمد عبدالله، دستور الأخلاق في القرآن، ص ٢٢١.

فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ [التوبة: ٦٨]، وقوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة: ٧٢]، يقول ابن جزي: "تأمل القرآن تجد الوعد مقرونا بالوعيد، قد ذكر أحدهما على إثر ذكر الآخر، ليجمع بين الترغيب والترهيب، وليتبين أحدهما بالآخر^(١)".

يتضح مما سبق أن الأسلوب القرآني جاء يرغب الإنسان في عمارة الأرض وإصلاحها، ويرهب من الفساد فيها؛ فيرغب عمارة الأرض بالتقوى والعمل الصالح والإصلاح في الأرض والامتثال بالأخلاق الحسنة، ويرغب بالملذات الأخروية، وبأهم ثمرات التمكين وهي إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويتمثل هذا المعنى بوضوح تام في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١].

كما جاء الأسلوب القرآني يرهب من الفساد، والعمل السيء، ويحذر من الأخلاق الذميمة، ويرهب من العذاب الذي ينتج عن ذلك، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكَفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ [التوبة: ١٧]، نرى في الآية الكريمة الترهب من اقتراب الكفار من المساجد والسعي في عمارتها ظاهرياً وهو في الأصل خراب ودمار؛ فهم ليسوا أهلاً في عمارتها، إنما الأهل في عمارتها المؤمنون بالله عز وجل والذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويخشون الله جل في علاه، وختمت الآية ببيان عاقبة الكافرين، ثم تأتي مباشرة بعد هذه الآية الكريمة آية كريمة أخرى ترغب المؤمنين في عمارة المساجد وتبين عاقبتهم وتوضح صفاتهم، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبة: ١٨].

(١) ابن جزي، أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، التسهيل لعلوم التنزيل، ج ١، ص ١٥.

● أسلوب الاستفهام: لأسلوب الاستفهام أدواته الخاصة التي تميزه عن بقية الأساليب، وكذلك له أغراضه ومعانيه المختلفة، والاستفهام من أكثر الأساليب التي استخدمها القرآن الكريم، ووظيفها في خدمة السياق والخطاب، وما تحتمله من معان وأغراض مختلفة، أهمها تنمية فكر الإنسان، فمنها استفهام يراد به التقرير، كقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُظْلَمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [الروم: ٩]؛ نلتمس من الآية الكريمة الأمر بالسير في الأرض والنظر والتفكير بقصص الأمم السابقة وما تحمل من دروس وعبر؛ فمنهم من عاش تحت التقدم العمراني والحضاري الذي كانوا يشهدونه إلا أن ذلك لم يغن عنهم شيئاً، حيث بعث الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** إليهم الرسل ليبينوا لهم الحقائق، ويرسموا لهم الطريق المستقيم، ويوضحوا ما لهم وما عليهم، ولكن أخذتهم العزة بأنفسهم وغرتهم قوتهم، فأتاهم العذاب بما قدمت أيديهم، وبظلمهم وفسادهم وعلوهم واستكبارهم في الأرض بغير الحق.

ومنها ما يفيد الإنكار، كقوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمُونَ﴾ [الأنعام: ٤٧]؛ تفيد الآية العذاب الذي يحل على الكافرين الظالمين، والجاحدين لأنعم الله عز وجل؛ فيهلكهم سبحانه، ويهلك جميع ما قدمت أيديهم من أعمال فاسدة، ومبان، وقصور، وقلاع، وحصون، وغيرها من المباني التي مهما كبرت وتناولت في الإنشاء والبناء إنما مصيرها الهلاك والدمار الذي قد يقع عليها، سواء وقع العذاب عليهم فجأة من غير خبر مسبق، ومن غير أي توقع، أم وقوعه أمام أعينهم وبمقدمة تشعرهم بوقوعه قبل آوانه، وفي كلتا الحالتين فإنهم لا يملكون دفع الضرر عن أنفسهم، ولا يستطيعون المحافظة على ما صنعوه وشيدوه من مبان، ولا يملكون فعل أي شيء البتة. وأيضاً من الآيات الكريمة التي تفيد الاستفهام الإنكاري قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَحْسَسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٢]؛ حيث تستنكر الآية الكريمة الذين يظنون بغيرهم من الناس ظن السوء، ويتجسسون على أحوال غيرهم، ويغتابونهم مبطله ومستنكرة أشد الاستنكار هذا الفعل الذميمة من

خلال التشبيه البليغ لذلك الفعل، يقول الماوردي: "ومن الصدق ما يقوم مقام الكذب في القبح والمعرفة ويزيد عليه في الأذى والمضرة، وهي الغيبة والنميمة والسعاية^(١)".

ومن الاستفهام ما يفيد التوبيخ نحو قوله تعالى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ٤٤]؛ حيث تلقي الآية الكريمة اللوم على عاتق الذين يأمرون الناس بالبر وفعل الخير وهم خلاف ذلك، فيكون الاستفهام هنا بمعنى الاستنكار والتعجب والتوبيخ.

ومنها ما يفيد التهديد والوعيد، كقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ﴾ [المرسلات: ١٦]؛ حيث يأتي الاستفهام في الآية الكريمة ليؤكد التهديد والتحذير من وقوع العذاب والإهلاك على الظالمين والجاحدين لأنعم الله سبحانه وتعالى، وأنه كما وقع العذاب والهلاك على من سبقهم من الأمم الظالمة التي كفرت بأنعم الله سبحانه، وكذبت برسله عليهم السلام، وأعرضت عن طريق الحق والصواب؛ فإنه واقع بهم لا محالة؛ فما وقع من هلاك بالسابقين سيقع باللاحقين في الوقت الذي يحدده الخالق وفق حكمته.

وقد يختلف بعض المفسرين حول تحديد معنى الاستفهام المراد به، فمثلاً في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٣٠]، جاء الاستفهام في الآية مقروناً بالخلافة، واختلف المفسرون في تفسير أتجعل في الآية الكريمة؛ حيث يرى الرازي أن الاستفهام هنا يفيد "التعجب"^(٢)، ويرى رشيد رضا أنه جاء "بغرض الاستغراب"^(٣). كما يقول الزجاج "وتأويل استخبارهم هذا على جهة الاستعلام وجهة الحكمة، لا على الإنكار، فكأنهم قالوا يا الله: إن كان هذا ظننا فعرّفنا وجه الحق فيه"^(٤)، أما الماوردي فيضيف أن جواب

(١) الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب، أدب الدنيا والدين، ج ١، ص ٢٦٦.

(٢) الرازي، أبو عبد الله محمد بن محمد بن الحسن بن الحسين التيمي، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، ج ٢، ص ٣٩١.

(٣) رشيد رضا، تفسير المنار، ج ١، ص ٢١٨.

(٤) الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل، معاني القرآن وإعرابه، ج ١، ص ١٠٩.

الملائكة هنا لا يخرج عن خيارين إما أنهم قالوه استفهاماً واستخباراً أو إيجاباً^(١). وأما القرطبي فيرى أن الاستفهام الوارد في أتجعل "استفهاماً حقيقياً"^(٢). "ولم يكن قول الملائكة في أتجعل على وجه الاعتراض على التقدير ولكن على جهة الاستفهام، فإن حمل الخطاب على ما يوجب تنزيه الملائكة أولى لأنهم معصومون"^(٣). والراجح - والله أعلم - أن الاستفهام الوارد في الآية يرجع إلى حقيقة التي لا تحتل معنى معين يراد به أو غرضاً يختص به خروجاً عن الخلاف الوارد بين المفسرين في تحديد نوع الاستفهام؛ خصوصاً ذكر المفسرون معنى الاستفهام مع الاستشهاد بالدليل، كما يرجع لحقيقته أيضاً لأن الاستفهام الوارد في (أتجعل) يدل على تساؤل الملائكة بغرض معرفة الجواب أي سؤالاً استعلامياً جاء جوابه في نهاية الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠]؛ فالاستفهام الحقيقي هو السؤال الذي غرضه معرفة الجواب، كما يؤكد هذا الرأي ما جاء به صاحب التحرير والتنوير أن: "الاستفهام المحكي عن كلام الملائكة محمول على حقيقته مضمن معنى التعجب والاستبعاد من أن تتعلق الحكمة بذلك فدلالة الاستفهام على ذلك هنا بطريق الكناية مع تطلب ما يزيل إنكارهم واستبعادهم فلذلك تعين بقاء الاستفهام على حقيقته خلافاً لمن توهم الاستفهام هنا لمجرد التعجب"^(٤).

● أسلوب القول، وتكرار قل: قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ كَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [٣٣] ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٢-٣٣]، نرى فيه الآية الكريمة توجيه القول باستنكار لمن يحرم ما أنعمه الله سبحانه وتعالى على عباده من الرزق الحلال الطيب تعتناً وتجبراً من عنده، وتم تكرار كلمة القول للفت النظر والوصول إلى جواب ذلك القول، مؤكداً بذلك أنها حلال

(١) الماوردي، أبو الحسن علي البصري البغدادي، النكت والعيون، ج ١، ص ٩٢-٩٣.

(٢) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، ج ١، ص ٢٧٤.

(٣) القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك، لطائف الإشارات، ج ١، ص ٧٥.

(٤) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ١، ص ٤٠٢.

للمؤمنين، ومبيناً ما حرمه الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** على عباده من فواحش ظاهرة كانت أم باطنة، وما تحمله من ذنوب وآثام تضر بالإنسان نفسه قبل أن تضر غيره، فالتحريم دائماً يكون لما يخالف فطرة الإنسان وطبيعته البشرية التي خالقها أعلم بها وبما يضرها ويهتك صحتها وسلامتها بطريقة أو بأخرى، ومن الأمور المحرمة أيضاً الاعتداء والعدوان على الغير بالوجه البعيد كل البعد عن الحق والعدل، وأن لا يشرك الإنسان بعبادة خالقه أحداً، وأن يعبدوه ويطيعوه ويلتزم جميع ما أمره به في محكم كتابه، ويتجنب ما نهى عنه، ليمارس عمارة الأرض بالوجه الذي يرضاه الخالق والذي يعينه على عمرانها بالخير والعمل الصالح؛ فهو الذي خلقه وأكرمه بالنعم الظاهرة والباطنة، وجعله مستخلفاً في الأرض ومتمكناً فيها، وجعله مهياً لممارسة الخلافة وامتعه بالسمع والبصر وبقية الحواس والخواص التي يتميز بها الإنسان عن سائر المخلوقات الأخرى، قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ (٣٢) ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [المك: ٢٣ - ٢٤].

ونرى تكرار ذكر قوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ في أربع مواضع من القرآن الكريم وذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظِرُوا كَيْفَ كَانَ عِقَابُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [الأنعام: ١١]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عِقَابُ الْمُجْرِمِينَ﴾ [النمل: ٦٩]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [العنكبوت: ٢٠]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عِقَابُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّشْرِكِينَ﴾ [الروم: ٤٢]، ومن الملاحظ أن جميع الآيات السابقة جاءت تأمر بالنظر والتفكير والتأمل بغرض الإرشاد والتوضيح سواء كان ذلك التفكير حول حال الأمم السابقة وما حل عليها من صنع أيدي سكانها المكذبين والمجرمين والظالمين وبأنعم الله سبحانه جاحدين، أم كانت الدعوة بالتفكير في خلق الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** الذي أبدع كل شيء صنعاً، وهذا لا شك يؤدي إلى إمعان النظر بتلك النماذج وما تحمله من حضارات عمرانية ومبان سكانية أصبح مصيرها الهلاك والدمار بسبب فساد أهلها، وبالتالي كما مر بنا في المطلب السابق في النقطة المتعلقة بالقصص القرآني يؤدي ذلك التفكير إلى الابتعاد عن ما حذوه من مواصفات ذميمة تناقض مكارم الأخلاق وما تقوده من صلاح وفلاح يؤدي إلى عمارة الأرض وعمرانها.

هذا وجاء أسلوب التكرار في القرآن الكريم يؤكد على بعض القيم الأخلاقية تارة، ويعظم شأنها تارة، ويجذر من عدم امتثالها تارة أخرى. وجاء التكرار بشكل صريح ومباشر لقيم معينة، وجاء بشكل يدعوا إلى ما يقارب للقيم. كما جاء التكرار في بعض المواضع في اللفظ والمعنى موصولاً ومفصلاً، والموصول نحو قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥ - ٦]؛ فتكررت الآية بعد الآية التي قبلها مباشرة. وأما المفصول فقد جاء في صورتين، الصورة الأولى: التكرار في القرآن كله نحو قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المرسلات: ٤٧]، فتكررت الآية الكريمة والتي تحذر من الكذب الذي يضاد الصدق في أكثر من سورة. والصورة الثانية: التكرار في نفس السورة نحو قوله تعالى في سورة الشعراء: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الشعراء: ٩]؛ حيث تكررت الآية في نفس السورة ثماني مرات، يقول السيوطي: "كررت ثماني مرات كل مرة عقب كل قصة فالإشارة في كل واحدة بذلك إلى قصة النبي المذكور قبلها وما اشتملت عليه من الآيات والعبر^(١)"، وهي تؤكد أن العزة والرحمة من صفات الخالق **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** الذي وسعت رحمته كل شيء. كما قد يأتي في القرآن الكريم تكرار الأمر بالتزام قيمة معينة أو بيان أهميتها وفضلها، والنهي عن ضدها أو بيان أضرارها وفي ذلك لا شك عظيم الفائدة للمسلمين حيث تكون الاستفادة أكثر.

● **الأسلوب التحفيزي للعمران والعمارة، والمقارنة بين النافع والضار:** يتفرد أسلوب التحفيز في القرآن الكريم بخصائصه الفريدة التي تميزه عن بقية أساليب التحفيز الأخرى؛ حيث أنه يهتم بالظاهر والباطن، بالروح والمادة، بالنفس والعقل، وبالشكل الذي يدمج بين جميع الجوانب النفسية والمعنوية، المادية والحسية؛ وذلك لا شك يؤثر في النفس الإنسانية ويجعلها تبحث حول ما جاء من أوامر ربانية بعد تلك المقدمة التحفيزية اللافتة للنظر، ويجعل الإنسان أكثر تمعناً وحذراً؛ فتؤثر عليه إيجاباً وتجعله يسلك الطريق المستقيم الذي رسمه القرآن الكريم، ويتجنب كل ما جاء من نواه تتعارض مع الشريعة الإسلامية والفطرة الإنسانية من ظلم وفساد وغيرها من الأمور التي تهدم الفرد نفسه قبل هدم مجتمعه الذي يعيش فيه وبيئته التي ينتمي إليها.

(١) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، الإتقان في علوم القرآن، ج ٣، ص ٢٢٧.

ومن أهم أهداف الأسلوب التحفيزي في القرآن الكريم الحرص على إتقان العمل الصالح على أكمل وجه من خلال الدقة المتناهية والعزيمة والإرادة في تحسين صورة العمل المقام به، ومحاولة التميز به، والاهتمام باستمراريته وعدم التوقف أو الإعراض عنه، والحرص على أدائه بشكل سريع؛ أي باستجابة تجعله ينجز بشكل أسرع، فمثلاً نرى الأسلوب التحفيزي الذي جاء به القرآن الكريم والذي جاء فيه ما يحفز ويطمع في الحصول على المغفرة من الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** والفوز بجنته التي أعدها للمتقين، في قوله تعالى: ﴿ **وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ** ﴾ [آل عمران: ١٣٣]؛ فيخطر في بال المؤمن المتدبر للآية الكريمة والمتفكر فيها من هم المتقون الذين سيحصلون على هذه المكرمة الربانية العظيمة أو ما هي صفاتهم؛ فيأتي جواب ذلك في الآية التي تليها ليتم التركيز عليها تركيزاً عميقاً بعدما جاء التحفيز والإغراء بالمغفرة والجنة، لتأتي الآيات التي تليها تبين من هم المتقون، وما هي أهم صفاتهم، قال تعالى: ﴿ **الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَبِيرِ وَالْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ [آل عمران: ١٣٤ - ١٣٥]؛ فكان من الممكن أن يأتي الأمر الرباني بشكل مباشر أو من غير مقدمات؛ فيأتي الأمر بالإففاق في السراء والضراء، وكظم الغيظ، والعفو عن الناس، والإحسان إليهم، والتوبة من الظلم وعدم الإصرار عليه وذكر الله جل في علاه على النحو المذكور في الآية الكريمة، وما على المؤمن إلا اتباع الأوامر الإلهية واجتناب نواهيها في جميع الأحوال، ولكن إنها الحكمة الربانية التي تقدر الفطرة الإنسانية وتراعي احتياجاتها وتدرئ ميولها، وتجعل المتدبر والمتفكر في الآية الكريمة أكثر فعالية في تتبع صفات المتقين بكل جوارحه، وبكل شوق لمعرفة المزيد عن تلك الصفات من أجل الحصول على ذلك الإغراء؛ وهنا يأتي دور التحفيز في لفت انتباه المتدبر لهذه الآية الكريمة لمعرفة ما العمل الذي سيجعله يفوز بهذا الأمر ويظفر به.

هذه جملة من أساليب العمران في القرآن الكريم في تنمية المجال، وتنمية الإنسان، ليأتي المبحث الذي يليه يبين أهم الخصائص العمرانية والعمارية في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: خصائص العمران والعمارة في القرآن الكريم.

تتفرد منهجية القرآن الكريم بخصائص عمرانية ومعمارية؛ ولذلك عنيت في هذا المبحث بتحرير مطالب تبين خصائص العمران والعمارة في القرآن الكريم، على النحو الآتي:

المطلب الأول: خصائص العمران في القرآن الكريم.

من خلال ما مر بنا في المباحث السابقة من هذا الباب حول النماذج والأساليب العمرانية يمكن استنباط بعض الخصائص العمرانية في القرآن الكريم، والتي من أبرزها:

● اقتران العمران بالعبادة والإيمان: من أهم ما يميز الحضارة الإسلامية أنها تقوم على أساس العقيدة، والشريعة الإسلامية، والإيمان بالله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، وجاء القرآن الكريم ليبين ما يجب أن يكون عليه الإنسان، ويوضح ما له وما عليه من حقوق وواجبات تُسهم في تقدم مجتمعه وازدهار عمران حضارته؛ فعمران الأرض مطلب ومقصد شرعي، ومسؤولية فردية، وضرورة اجتماعية.

ومن خلال تتبع في الآيات القرآنية الكريمة ندرك بجلاء العلاقة التي تربط العمران بالعبادة والإيمان؛ حيث هناك ثنائية وعلاقة ازدواجية تربط بين الإيمان وعمارة الأرض بالعمل الصالح وما ينتج عن هذه الثنائية من تقدم عمراني، وجاء هذا الترابط في العديد من الآيات القرآنية الكريمة، منها قوله تعالى: **﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾** [البقرة: ٢٥]؛ وهذا يؤكد أن العمل الصالح الذي يفيد الفرد ومجتمعه هو المكمل لإيمان الإنسان، والذي يدفعه نحو العمران.

هذا ويعتبر الإيمان أساس العمل وأصله؛ فلا يكون للعمل قيمة في الإسلام إلا إذا كان نابعاً وقائماً على الأصل الإيماني. وتتداخل في طريق الإيمان العديد من الاتجاهات كالاعتقاد والتفكير والسلوك، وهذا لا شك له تأثيره الخاص على المؤمن؛ حيث يُعمر الإيمان قلب صاحبه ويوقظ في نفسه المراقبة الذاتية التي تدفعه إلى حب الخير وتجنب الوقوع في الشر، وتعزز الميل إلى حب العمل الصالح.

قال تعالى: **﴿وَإِلَىٰ نُمُودَ أَخَاهُم صَالِحاً قَالَ يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ ۖ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ وَأَسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾** [هود: ٦١]، تذكر الآية الكريمة بالأصل الذي من أجله استعمر الإنسان في الأرض والمتمثل في عبادة الله وحده لا شريك له؛ حيث

يُذكر صالح قومه بالأصل الأول الذي كان عليه الأقسام السابقة وهو عبادة الله جل في علاه وإخلاص الدين له سبحانه؛ فهو الذي أنشأ الإنسان من الأرض إنشاءً واستعمره فيها استعماراً آمراً عليه السلام قومه أن يرجعوا إلى ذلك الأصل.

وقال تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧]، تؤكد الآية الكريمة العامل المشترك الذي يربط بين العبادة والعمران؛ حيث أسكن إبراهيم عليه السلام بعضاً من أهله بوادي لا زراعة فيه ولا ثمار قريباً من بيت الله الحرام مؤكداً أن الغاية من ذلك هي عبادة الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** وإقامة الصلاة، ودعا إبراهيم عليه السلام ربه أن يجعل قلوب الناس تميل إلى هذا المكان وتحبه وتأتي له بكل شوق من مختلف بقاع الأرض وفي كل الأزمنة، وأن يصبح المكان كثير الإعمار متعدد الثمار.

هذا ودعا الرسل عليهم السلام أقوامهم بعبادة الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** وعدم الشرك به، وجاءت دعوتهم مقترنة بعمارة الأرض وإصلاحها وعدم الفساد فيها وهذا يؤكد أيضاً العلاقة التي تربط الإيمان بالعمران؛ فالعمران الذي لا يقترن بالإيمان إنما هو عمران زائل مصيره الخراب والدمار؛ وكيف للذات الضائعة أن تعود إلى صوابها إلا بالإيمان بالله وحده لا شريك له والانقياد لطاعته والأنس بمناجاته، فبالله يستمد الإنسان طاقته، ويحقق سعادته.

كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطِيعُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٨]؛ نلتمس من الآية الكريمة ارتباط العبادة بالرزق؛ ذلك أن الغاية من وجود الإنسان على كوكب الأرض إنما هي العبادة التي من شأنها النهوض بالجانب الاجتماعي والجانب الاقتصادي بل وسائر الجوانب من خلال طلب الرزق والكسب الحلال والسير في الأرض بالخير والإصلاح.

ولعل أبرز ما يميز الحضارة الإسلامية هو الجانب الإيماني وتوحيد الخالق جل وعلا الذي جعل العقيدة الإسلامية بقيمها الروحية والمادية هي الأساس الثابت الذي أسهم في انتشار الحضارة

الإسلامية الرائعة وتوغلها في الشرق والغرب^(١)؛ حيث تأثير العمارة الإسلامية في العمارة الغربية يظهر بوضوح لكل من يقوم بزيارة معلم من المعالم الغربية، أو يتصفح أحد الكتب التي تبين تاريخ العمارة، وتوضح أثر العمارة الإسلامية في العمارة الغربية^(٢).

هذا وإبراز هوية الحضارة الإسلامية إنما ينبثق من خلال رسم العقيدة الصحيحة التي جاءت في القرآن الكريم؛ حيث "تبرز أهمية العقائد في إرساء بناء حضاري متكامل من خلال قدرتها على توظيف الميل الفطري للإنسان لتوجيه جميع مصادره نحو هدف معين، تستطيع أن تستوعب فيه سلوك الفرد وعلاقاته بالآخرين وبالبيئة التي تحيطه"^(٣).

● شمولية العمران في القرآن الكريم: يتميز العمران في القرآن الكريم بشموليته وتكامله في عرضه لقضايا الفرد منذ بداية نشأته حتى النهاية؛ فيحدد له المنهج الصحيح المتكامل الذي ينظم سير حركة الإنسان ويضمن له السعادة في دنياه وآخرته؛ وذلك لأنه يركز على وحدة شاملة متمثلة في وحدة الخالق، ووحدة المخلوق، ووحدة الكون، ووحدة المصير؛ فلا تقتصر المنهجية على إنسان دون إنسان آخر، ولا على جيل عن جيل آخر؛ بل جاءت شاملة لجميع البشر وصالحة لكل مكان وزمان.

هذا ولم تقتصر المنهجية القرآنية في العمران على جانب دون الجانب الآخر؛ بل تمتد لتشمل عمران جميع جوانب الحياة المختلفة سياسية كانت، أو اجتماعية، أو اقتصادية، أو غيرها، وتهتم بالآخرة ولا تغفل عن الحياة الدنيا، وتوضح علاقة الإنسان مع ربه، وعلاقته مع نفسه، وعلاقته مع غيره - كما مر بنا سابقاً في المبحث المتعلق بالركائز العمرانية-، وتحدد ما له وما عليه من واجبات وحقوق دون الإغفال عن جانب مقابل الجانب الآخر؛ "فالفعل العمراني في روحه فعل إرادي

(١) الحميدان، عبد اللطيف بن محمد، سنن قيام الحضارات وسقوطها قديماً وحديثاً مقارنة بآراء ابن خلدون، ص ١٢٠، بتصرف.

(٢) من الكتب التي تبين أثر العمارة الإسلامية في العمارة الغربية بشكل تفصيلي، وجاءت باللغة الفرنسية: Fikry,

Devonshire, Ahmad, L, Art roman du pays et les influences, Quelques influences islamiques sur les arts de l'Europe

(٣) سلمان، عبدالله سعدون، دور نظم العقيدة الإسلامية في تشكل العمارة، ج ١، ص ٤٢١.

مبرمج، له ضوابطه وغاياته وتتجلى أهميته في قيمته الوظيفية، والثقافية، والتاريخية داخل المجتمع، ومدى تجسيده لقيمة الإنسان، وكرامته^(١).

هذا ولم يقتصر العمران في القرآن الكريم على عمران الإنسان وعمارة حضارته، بل اهتم بعمارة مساكن الكائنات الحية كبيوت النحل والعنكبوت والنمل، والتي تحمل العديد من العبر التي يستفيد منها عموم البشر؛ وهذا يؤكد الشمولية المتكاملة التي لا نظير لها.

● اعتبار العمران غاية استخلاف الإنسان: استخلف الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** الإنسان في الأرض وجعل المؤمنين خلائف فيها ليعمروها بالعمل الصالح، وجعل عز وجل الاستخلاف من أهم الوسائل التي تقوم عليها عمارة الأرض، قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ١٤].

وتعتبر قضية الاستخلاف وليدة التوحيد، قال تعالى: ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ ثَابَرُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾ [هود: ٦١]، يقول الشوكاني في تفسير الآية الكريمة: "أي: أمركم بعمارتها من بناء المساكن وغرس الأشجار^(٢)"، والعمران في القرآن الكريم أعم وأشمل من بناء الماديات من مساكن وقصور وقلاع وحصون وزراعة وتجارة؛ حيث يشمل العمران المعنويات قبل الماديات.

وينبع العمران من الشريعة الإسلامية والهداية الربانية، "والمقصد العام للشريعة الإسلامية هو عمارة الأرض، وحفظ نظام التعايش واستمرار صلاحها بصلاح المستخلفين فيها وقيامهم بما كلفوا به من عدل واستقامة، ومن صلاح في العقل وفي العمل، وإصلاح الأرض، واستنباط خيراتها وتدبير لمنافع الجميع^(٣)"؛ فيتمحور مقصد الاستخلاف إذاً في تحقيق العمران من خلال حسن استغلال الثروات الطبيعية التي أوجدها الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** في الأرض، والتفكر في التجارب والنماذج العمرانية المذكورة في القرآن الكريم، والأخذ بما فيها من عبر وعظات وفوائد تخدم عملية الخلافة في الأرض.

(١) إسماعيل، العمارة والعمران في ظلال القرآن، ص ١٣.

(٢) الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله، فتح القدير، ج ٢، ص ٥٧٦.

(٣) الفاسي، علال، مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، ص ٥٨-٥٩.

● إبراز العلاقة العكسية بين العمران والفساد: يوضح القرآن الكريم العلاقة العكسية بين العمران والفساد، فلا عمران دائم في حضارة فاسدة يتزعمها حكام أو زعماء ظالمون يعيشون في الأرض فساداً؛ فيؤدي الإصلاح إلى العمران، ويؤدي الفساد الذي هو نقيض الإصلاح إلى الخراب والدمار والهلاك، يقول تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود: ١١٧].

وتندرج تحت الفساد، عدة أمور، أهمها الظلم بأنواعه من انتهاك حقوق، وأكل أموال الناس بالباطل، وقتل النفس بغير حق. بالإضافة إلى الاستبداد والتكبر والتجبر والطغيان، وعدم شكر الرحمن، والغلو والإعراض عن الإيمان، والاعتداء على الغير والعدوان، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠]، نلاحظ في الآية الكريمة أول ما قاله الملائكة عندما أخبرهم خالقهم **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** أنه جاعل في الأرض خليفة، متسائلين بذلك تسائلاً استعلامياً لا اعتراضياً يهدف إلى استكشاف سبب اختيار خليفة الأرض من بني آدم، وخشية أن يكونوا ممن يعيشوا في الأرض فساداً ومن يسفك الدماء بغير حق؛ وهذا دليل على أول نقيض للعمران الذي هو مناط استخلاف الإنسان الفساد في الأرض، والذي كان يخشاه الملائكة، وفسر يحيى بن سلام الفساد في القرآن الكريم في ستة وجوه: "المعاصي، والهلاك، وقحط المطر، وقلة النبات، والقتل، والفساد بعينه، والسحر^(١)".

هذا وللإصلاح الذي يعتبر نقيض الفساد، ويعتبر ملازماً للعمران دوره الفعال في تنمية المجتمع وتقدمه؛ حيث يُعتبر بناء إنسان صالح مطلباً رئيساً لتحقيق التنمية. وتنوع الأساليب القرآنية التي تدعو إلى الإصلاح، فتشمل أسلوب الطلب في الأمر بالإصلاح، والنهي عن نقيضه، وأسلوب الترغيب والثناء على الإصلاح وأهله، وأسلوب الترهيب لمن تركه والتزم ضده. ومما لا شك فيه أن الخالق عز وجل هو المصلح الأول لجميع أحوال الإنسان، فيصلح سريره وعلايته، ويصلح سلوكه وأفعاله، ويصلح كل ما في حياته، قال تعالى: ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ [الأحزاب: ٧١]، وهو سبحانه أعلم بعباده ممن يصلح منهم ومن يفسد، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾ [البقرة: ١١٩].

(١) القيرواني، يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التصاريح لتفسير القرآن مما اشتهت أسماؤه وتصرفت معانيه، ص ١١٥-١١٦.

٢٢٠، ومن خلال التتبع في الآيات الكريمة حول شأن الإصلاح، تتضح الأوامر الربانية، والدعوة الصريحة إلى الإصلاح، وذلك من خلال الأمر بالإصلاح بين الأقربين تارة، والأمر بالإصلاح بين جميع المؤمنين تارة أخرى. كما يتضح النهي عن الفساد في الأرض وما يعقبه من تخريب يلحق بالمجتمع، ويحدد القرآن الكريم عاقبة المفسدين من خلال بعض الأمور التي سيتم ذكرها الآن على شكل نقاط وبشيء من الإيجاز، وسيتم التركيز عليها وعلى موضوع الفساد بشكل عام في المبحث المتعلق بعوائق العمران والذي سيأتي ضمن مباحث الباب الثالث:

١ - عدم محبة الله عز وجل للمفسدين، ومن خسر محبة الله جل في علاه خسر ما في الحياة، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة: ٦٤].

٢ - عدم إصلاح حال المفسدين، وإبطال أعمالهم، وعدم تحقيق مطالبهم ومآربهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٨١].

٣ - مضاعفة عذاب المفسدين، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾ [النحل: ٨٨].

٤ - استحقاق لعنة الله عليهم، وسوء عاقبتهم في الآخرة، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَنْفُسُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٥].

● تقرير المسؤولية والتبعة الشخصية: يؤكد المنهج القرآني أن كل إنسان سيحاسب بناء على عمله الذي عمله في دنياه، وكل شخص مسؤول عن تصرفاته وأعماله بصفة شخصية؛ فلا أحد يحاسب مكان أحد، ولا أحد ينقص من أجر أحد، وكل فرد مسؤول عن ذاته وسيحاسب على أفعاله سواء كانت خيراً بالثواب، أو شراً بالعقاب. وللشعور بالمسؤولية الذاتية والمجتمعية الدور الفعال في إصلاح ذات الإنسان وسلوكه؛ مما قد يؤثر عليه تأثيراً مباشراً؛ فيزيد من قدرته الإنتاجية التي تؤدي به إلى العمران القلبي والروحي الذي تبرهنه العمارة، قال تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلِّيِّ الْعَالَمِ وَلِلَّهِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]؛ فتدعو الآية

الكرامة إلى حفظ الجسم، وسائر الأعضاء، والعناية بها، وعدم توظيفها إلا بالخير وبما يرضي الخالق جل وعلا، فمسؤولية السمع والبصر والفؤاد والعقل تكمن بتوظيفها في طاعة الخالق **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** وعبادته، وتوظيفها بالخير والصلاح، وأن ينفع بها الإنسان نفسه والخلق من حوله، ويحقق بها غاية وجوده واستخلافه في الأرض.

● إبراز العلاقة بين العلم والعمران: إن العقل من أهم أدوات الإنسان في العمران والعمارة، وكلما زادت المعارف والعلوم أصبح الإنسان أكثر نورا وبصيرة؛ فيبحث ويبدع ويرتقي بتفكيره ويساعد في إرتقاء مجتمعه، وجاء الحث على العلم في أول ما نزل من القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥**﴾ [العلق: ١-٥].

حيث أعطى القرآن الكريم العقل والعلم أهمية بالغة كونه أهم مقومات بناء الإنسان والعمران^(١)؛ فبالعقل يستطيع الإنسان اكتشاف أسرار الحياة ومقوماتها التي تساعد على العمران، فمثلاً عند شراء الإنسان شيئاً يحتاج إلى تركيب ويريد إعداده أو تركيبه لا شك أول ما يفعله النظر إلى الكتيب المرفق مع ذلك الشيء، هكذا حال الإنسان يحتاج إلى بناء ذاته وكيفية تنظيم حياته على الوجه الذي يرضي خالقه ويحقق من خلاله غاية وجوده في الأرض؛ فيرجع إلى القرآن الكريم الذي ينظم حركة الإنسان منذ نشأته وحتى مماته تنظيمًا شاملاً متكاملًا لا يغفل جانباً مقابل جانب آخر.

كما دعا القرآن الكريم إلى التفكير والتعقل في خلق الله، والسير في الأرض والسعي في إصلاحها وعمرانها، ولفت النظر إلى سنن الأمم السابقة لأخذ العبرة والعظة واكتشاف السنن الإلهية من خلالها، قال تعالى: ﴿**وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ [الحشر: ٢١]؛ ففي التفكير في القرآن الكريم وما فيه من قصص وأمثال، والتفكير في خلق الله سبحانه، والتفكير في الأمم السابقة الأثر البالغ في تقدم الإنسان، وتقدم حضارته.

● التركيز على العمران الجماعي: من خلال التأمل في الآيات القرآنية الكريمة تتضح العناية الإلهية حول العمران الجماعي وعدالته، والتأكيد على أهميته في تقدم الفرد وتقدم حضارته؛ حيث

(١) انظر: المبحث المتعلق بمقومات العمران والعمارة في القرآن الكريم من هذا البحث، ص ٢٥٣.

تؤثر الجماعة تأثيراً بالغاً في تقدم الدول وتحضرها، وتطورها وازدهار عمرانها. وهناك ارتباط وثيق يربط التنمية الفردية بالتنمية المجتمعية؛ وهذا لا شك يؤثر على حركة العمران بشكل عام؛ إذ لا يمكن تنمية المجتمع دون تنمية الفرد ولا العكس؛ ذلك أن الفرد يعيش في الجماعة التي يفترض تحقيق التماسك من خلالها دون حدوث أي صراع بين الطرفين تطبيقاً للشريعة الإسلامية وتمسكاً بالإيمان؛ حيث "يصوغ الإيمان العلاقات المتشابكة بين الإنسان وبني جنسه والكون من حوله صياغةً متناسقة تحقق التوازن في هذا الكون"^(١).

ويأتي الاهتمام بالعمران الجماعي من خلال الدعوة إلى الوحدة الإنسانية والابتعاد عن العصبية، وتوحيد الغاية والهدف والمقصد بين جميع الناس وهي طاعة الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** وإخلاص العبودية له من أجل عمارة الأرض بالخير والعمل الصالح؛ وهذا لا شك يؤدي إلى تعزيز الروابط والتكافل والتعاون بين جميع الأفراد بتوحيد غايتهم وهدفهم المشترك. بالإضافة إلى التنظيم المتوازن بين الإنسان والمجتمع؛ حيث وضع المنهج القرآني القواعد والأسس التي تبين الحقوق والواجبات التي تربط بين الإنسان ومجتمعه وتضمن استمرارية العمران وديمومته اجتماعياً، وسياسياً، واقتصادياً، وحضارياً.

كما تحقق العلاقات الاجتماعية المترابطة متطلبات حياة الإنسان المعيشية، ويرتقي بالمجتمع الذي يعيشه؛ فالإنسان بطبعه يحتاج إلى الآخرين ولا يستطيع العيش بمفرده؛ وبهذا يربي القرآن الكريم قلوب المسلمين على حب الخير للآخرين والتعاون فيما بينهم، والعفو والصفح لمن يسيء منهم، والإصلاح في حال النزاع والخلاف، وعدم الإفساد بين العلاقات.

وتؤثر الأخلاق الاجتماعية على المجتمع بشكل رئيس وذلك إما بالسلب وأما بالإيجاب، فالمجتمع الذي يرتقي بالأخلاق الاجتماعية يكون مجتمعاً قوياً لا يتفكك، أما المجتمع الذي تشوبه الغلظة والكراهة والأنانية وغيرها من عوائق العلاقات الاجتماعية إنما يكون مجتمعاً هشاً ضعيفاً قابلاً للإنفكاك والانقسام.

ويعتبر جانب العمران الاجتماعي من أهم ما عني به المنهج القرآني في تنظيم العلاقات الوطنية من خلال العديد من الأمور، منها: العدل ومكافحة الظلم والفساد في شتى المجالات، وتنظيم جميع

(١) حمادة، فاروق، الورثة الصالحة للحضارة المعاصرة بحث قرآني في الحضارة، ص ٨٧.

العلاقات داخل المجتمع نفسه أو خارجه، بالإضافة إلى حفظ الأمانة، والوفاء بالعهود والعقود. كما دعا القرآن الكريم إلى التكافل الاجتماعي وما يوازنه من مصالح خاصة ومصالح عامة؛ فمثلاً في الزكاة والصدقات تطهير لمال الشخص وزيادة البركة فيه، وكذلك يتم من خلاله قضاء حوائج الفقراء والمساكين وإسعادهم بالمال.

ولا نغفل في هذا السياق عن ارتباط التعاون بالعمران، قال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣]؛ فتؤكد الآية الكريمة ما ينبغي أن يقوم عليه العمران الجماعي والذي أصله يتمثل في الاعتصام بحبل الله سبحانه، وتوحيد الصفوف وعدم التفرق بين المسلمين، قال **صلى الله عليه وسلم**: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى^(١)»؛ فالعلاقة بين المسلمين ينبغي أن تكون قائمة على الرحمة والمودة، والتآلف والتعاطف، قال تعالى:

﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩].

والعمران الاجتماعي أو الأخوي له اتجاه ومعنى؛ فعمران لأن الله استعمرنا في الأرض واستخلفنا فيها، وإسلامي لأننا نقيم دعائمه على مبادئ الإسلام وأخلاقه وتعاليمه، وأخوي لثلاث ينسى المؤمن أنه أخ المؤمن في الدين، وأخ الإنسان في الإنسانية. واتجاه العمران الأخوي صلاح الدنيا لصلاح الآخرة؛ فمجتمع العمران الإسلامي الأخوي مجتمع متقيد بتعاليم الإسلام، متماسك البنيان، قوي الأركان، متسامي الذروات، يتقيد جميع أعضائه بتعاليم الإسلام، ويعمل كل أحد منه في مكانه وموقعه من الجماعة بما يجب عليه تجاهها، ويرتبط كل واحد منهم بالأربطة المتينة التي من

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاوضهم ج ١٦، ص ١٤٠، رقم (٤٦٩١).

أهمها: الأخوة الإيمانية، والحب في الله، والرابطة القلبية المتبادلة، والإيثار، وتأدية الواجب، وغيرها من الأخلاق الإسلامية الفاضلة^(١)

● ازدواجية الأخلاق وال عمران: تلعب الأخلاق الدور الرئيس في تقدم الحضارات وتقدم عمرانها وازدهارها ونهضتها، ويؤكد المنهج القرآني على ضرورة التمسك بالقيم الأخلاقية التي تعتبر مقياساً لبناء الإنسان ومجتمعه وعمرانه وتقدمه في جميع نواحي الحياة عموماً، ويتضح ذلك من خلال العديد من الآيات القرآنية التي تبين عناية القرآن الكريم ببناء السلوك الأخلاقي وأثر ذلك في سائر حركة حياة الإنسان، فالإنسان مخلوق ولا أحد يعرف كيفية بنائه سوى خالقه.

كما ربط المنهج القرآني أخلاق الإنسان بالحقوق والواجبات، وضمن لكل إنسان ما له وما عليه من حقوق، ووضع حدوداً وضوابط لا يعتدي عليها أحد، فكل إنسان له حرية الاختيار وحرية التعبير دون إجحاف حق أحد. وجعل المنهج القرآني محور ضبط تلك الحقوق والواجبات الأخلاق فمتى صلح ذلك المحور الرئيس صلح حال الإنسان وسلوكه مع الآخرين، فالأخلاق هي التي تحرك الإنسان نحو احترام حقوق الغير؛ وذلك لا شك يؤثر سلباً أو إيجاباً في ارتقاء المجتمع وتقدمه أو انحلاله وتعثره، ويتعدى ذلك الأثر من حقوق الإنسان إلى حقوق الدول، وما جاء من أوامر أخلاقية واجبة على الإنسان تعتبر أداة تحقيق لتلك الحقوق المشروعة، ونظاماً حقوقياً مناسباً ينظم حركة سير الإنسان في تعامله مع غيره، ويجعله أكثر التزاماً للقوانين المسنونة.

● إبراز العلاقة بين الاقتصاد وقضيي التسخير والاستخلاف: قال تعالى: ﴿الْمَرْثُوا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهَرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠]، نرى في الآية الكريمة المعنى الشامل لقضية التسخير وهو يشمل ما في الكون جميعاً؛ فهياً الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِلْإِنْسَانِ النعم التي لا تعد ولا تحصى وجعل كل ما في الكون مسخراً لإرادته، حيث أمنه خالقه بأن يعمر هذه الأرض بما يخدم مقاصد الدين والدنيا، وبما يحقق الأمن والأمان الاجتماعي والاقتصادي.

(١) كهوس، أبو اليسر رشيد، العمران الإسلامي دراسة تأصيلية في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية، ص ١٤-١٦، بتصرف

واستخلاف الإنسان يستلزم وجود تنمية بشرية مستمدة من منهجية مثالية تحقق سعادته الدنيوية والأخروية، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾ [الروم: ٩]؛ نلتمس من الآية الكريمة استمرارية تنمية الأرض وإعمارها جيلاً بعد جيل؛ وذلك من خلال المحافظة على الموارد لدوام بقاءها وضمان استمراريته، وتضافر الجهود من أجل تنميتها؛ لتحقيق الهدف من وجود الإنسان على هذه الأرض وهو إعمار الأرض وتعميرها.

● الإعداد النفسي نحو العمران: اعتنى المنهج القرآني بالتنمية النفسية باعتبارها المحرك الرئيس الذي يدفع الإنسان إلى التنمية الخارجية؛ فإعمار الذات المحور الأساس الذي يضمن استمرارية التنمية، ويؤدي إلى إعمار الخارج، ويكون ذلك بالتدرج في الإصلاح؛ حيث يبدأ الإنسان بإصلاح ذاته مادياً ومعنوياً وفكرياً وسلوكياً، ثم ينتقل إلى الإصلاح مع من حوله من الناس الأقرب فالأقرب حتى ينتهي الإصلاح ليشمل الناس كافة؛ وهذه المنهجية المتدرجة لها الدور الفعال وتكون فرصة النجاح فيها كبيرة خلافاً لو كان عكس ذلك وابتدأ الإصلاح من الأبعد فالأبعد.

كما اهتم القرآن الكريم بإصلاح الذات والروح بالعقيدة الصحيحة، ثم انتقل إلى العناية والاهتمام بالسلوك الخارجي وتنظيم العلاقات والمعاملات الخارجية؛ فجاءت العناية الإلهية لتنهض بالإنسان من خلال تحقيق التوازن الدقيق في جميع مجالات الحياة من خلال تركية الإنسان بالقيم الأخلاقية جميعها؛ فيصوغ القرآن الكريم الإنسان المتوازن الصالح الذي يتحلّى بمكارم الأخلاق الموزونة التي لا تعارض بين جوانبها، ويكون التركيز عليها جميعاً تاركاً التطبيق على الإنسان كل على حسب قدرته واستطاعته، دون إهمال بعضها مقابل البعض الآخر، مؤكداً ارتباط العمران بالتطوير النفسي الذي ينبع من نفوس أصحابها، قال تعالى: ﴿لَهُ، مُعَقِّبَتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ، مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾ [الرعد: ١١].

● الموافقة بين الغاية الفطرية، والغاية العقلية: وذلك من خلال شعور الإنسان بغايته الفطرية نحو عمارة الأرض، وتعزيز ذلك بالنية والعمل الصادر عن القلب والذي ينبع من الغاية العقلية

والإدراك والفكر والإيمان. ومن خلال التأمل في القرآن الكريم نجد الاهتمام بالإنسان والنهوض به، وإبراز خصائصه الطبيعية المتمثلة في عقله وجسده وروحه وقلبه، كونه خليفة الله في الأرض وأداة العمران والعمارة؛ فالله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** كرم الإنسان وميزه عن سائر مخلوقاته بالعقل وجعله مهياً للتكليف وقادراً على تحقيق الغرض الرئيس من وجوده، وجعله الأداة والوسيلة التي من أجلها ترقى الأمم متى ما تحققت إنسانية الإنسان المكلف بإدارة منضبطة، قال تعالى: ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: ٦١]، فالله جل في علاه خلق الأرض قبل خلق الإنسان وجعل للإنسان فيها مكاناً وإمكانات تساعد على العيش فيها، وجعلها تتناسب مع قدرات الإنسان ومهياة للبناء والإعمار.

هذا ويوازن المنهج القرآني بين فطرة الإنسان وطبيعته وغرائزه مع واقعه وحقيقة حياته؛ فوازن بين الناس والدنيا، وكرم الإنسان وجعله حراً مترفعاً عن الذل والإهانة، وغير معزول عن غيره من البشر، وكذلك وضح كيفية حال الإنسان مع الدنيا فلا يشغل فيها ولا يغمس في مفاتها بل يكون متوازناً ويعيش الحياة الطيبة ويتمتع بطيبات ما أحل الله له، ويكثر العمل من الصالحات التي ترفعه في دنياه، وتنجيه في آخرته.

المطلب الثاني: خصائص العمارة في القرآن الكريم.

● امتزاج العمارة بالعمران الروحي: من خلال التأمل في آيات الذكر الحكيم يتضح الاهتمام بالإنسان اهتماماً جذرياً يبدأ من الذات والباطن حتى يصل إلى الظاهر، كما تتضح العناية بالقلب بجعله ينبض بنور الإيمان، ويجعل الضمير متصلاً بالله اتصالاً لا ينقطع عنه أبداً؛ اتصالاً يجلب الخير دائماً، ويتم من خلاله استشعار مراقبة الله تعالى في كل حين ومعيته سبحانه؛ فيبني الإنسان من الداخل ليوظف ذلك البناء الداخلي للعالم الخارجي، ويبارس حياته ودوره الإيجابي نحو عمارة الأرض بالخير؛ حيث يخاطب القرآن الكريم النفس البشرية بما يجول في خفاياها، وكل من يقرأ آياته يشعر وكأن الآية جاءت تصف حاله، وتطلع على مآله، وتجاوب جميع تساؤلاته؛ يقول جيفري لانج: "لما قرأت القرآن أحسست أنه هو الذي يقرؤني"^(١).

(١) - لانج، جيفري، ضياع ديني صرخة المسلمين في الغرب، ص ٣٧.

وجاء في القرآن الكريم التوجيه المباشر حول عمارة الأرض وعمران الوجدان؛ حيث يتم التأكيد على ضرورة عمران النفس والوجدان بالتقوى والإيمان والتقرب من الله سبحانه بالعبادات والأعمال الصالحة التي تفيد النفس، والعمل على تحقيق المقصد العام من استخلاف الإنسان في الأرض، فمثلاً في إقامة الصلاة والمحافظة عليها تهذيب للنفس البشرية، وارتقاء بها وابتعاد عن ما يهلكها؛ لأنها تنهى عن الفحشاء والمنكر، وفي نفس الوقت يستشعر عموم المسلمين بالوحدة والألفة التي تجمعهم أثناء قيامهم بهذه العبادة، يقول تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠]؛ تبين الآية الكريمة ضرورة التوازن بين جميع الأمور ليشمل ذلك التوازن الجانب المعنوي والروحي، والجانب المادي من خلال طلب الرزق والكسب الحلال؛ لإشباع الحاجات الإنسانية والنفسية؛ فالعمران المتوازن الذي يعتني بالنفس والبدن ولا يفصل القوة النفسية عن القوة البدنية، بل يعتبرها المحرك الفعال الذي تنتج من خلاله الأفعال، ومتى صلحت القوة النفسية صلحت القوة البدنية والمادية لا العكس؛ فليس في التقدم الصناعي والتفوق الإنتاجي والإرتقاء المعماري سيادة ولا زيادة ما لم يكن هناك محرك معنوي يضخ هذا المحصول المادي ويطوره بالأساليب المختلفة التي حث عليها القرآن الكريم من إرتقاء نفسي، وإيمان، وعمل صالح، وغيرها من الأمور التي تبني الإنسان العمراني.

كما ربط المنهج القرآني العمران الوجداني بالعقيدة وذلك من خلال بيان مراقبة الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** لعباده وما يقومون به من أعمال؛ وذلك لا شك يؤثر إيجاباً في سلوك الإنسان فيندفع بقلبه وروحه وكيانه نحو العمل الصالح؛ فالله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** مطلع عليه وعلى أعماله وسيحاسبه عليها. هذا ويحث القرآن الكريم على إعمار الأوقات بطاعة الله عز وجل، والانغماس في كل ما هو خير ومفيد للإنسان، وأن يستفيد من وقت فراغه حتى لا تنقلب نعمة الفراغ إلى نقمة؛ فعلى الإنسان أن يحسن استخدام وقته وينظمه، ويستثمره بالعلم والأعمال التي تقربه إلى خالقه، ويسعى في تعمير الأرض مادياً ومعنوياً؛ فالتعمير المادي يسير مع التعمير المعنوي في آنٍ واحد دون انقطاع أحدهما عن الآخر.

- لانج، جيفري: عالم رياضيات أمريكي عانى الكثير في حياته حتى اعتنق الإسلام الذي وجد الحياة فيه، انظر: لانج، جيفري، الصراع من أجل الإيمان انطباعات أمريكي اعتنق الإسلام، ترجمة: منذر العسبي.

كما دعا المنهج القرآني إلى ضرورة التوازن بين عالم العلم والمعرفة وعالم الروح والقيم، ومتى حقق الإنسان ذلك التوازن بين الجانبين أصبح أكثر فعالية وقدرة على المساهمة في بناء مجتمع متكامل ومتوازن ينهض بالجانب العلمي والروحي والمعنوي والمادي؛ وهذا لا شك يؤدي إلى تكامل الإنسان الذي جمع بين المقومات العلمية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي تنهض بالعمران جمعاً روحياً وعقلياً وجسدياً؛ مما يؤدي إلى التمازج المادي والمعنوي في العمارة الإسلامية التي توازن بين المادة والروح وتمزج بين المحسوس والملموس؛ لتظهر الجمال العمراني والمعماري في أبهى صورة.

● **الدقة في الوصف المعماري:** من خلال التأمل في القرآن الكريم يتبين التنوع في المصطلحات المعمارية، وكيف تحمل الآيات الكريمة وصفاً دقيقاً يصف المنشآت والمباني المعمارية باختلاف أحجامها، وتنوع أشكالها، قال تعالى: ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّنْ قَوَارِيرَ ۖ﴾ [النمل: ٤٤]، تشير الآية الكريمة إلى مصطلح معماري دقيق متمثل في بناء عال من زجاج صاف لا مثيل له في الروعة والإبداع، حتى ظنته ملكة سبأ أنه موج من الماء من شدة صفائه، ونقاؤه، وروعة إنشائه، كاشفة عن ساقها خشية الخوض في الماء وأن تبتل ملابسها به، وهذا الوصف الذي جاء في الآية الكريمة يحرك أحاسيس الإنسان حول رقة العبارة القرآنية، ودقة وصفها، ويؤثر في النفس نحو تلك المصطلحات المعمارية؛ فينجذب إليها، ويتأمل جمالها، ويسعى إلى الابداع المعماري.

كما اهتم القرآن الكريم بوصف ما يندرج تحت العمارة، وشمل ذلك الاهتمام وجود سور قرآنية تحمل مسميات معمارية، وهي كالأتي: سورة الكهف، وسورة الحجرات. بالإضافة إلى وجود مسميات لمدن وقرى جاءت في ثنايا الآيات القرآنية الكريمة؛ وهذا أيضاً يؤكد العناية القرآنية بالعمارة وما يندرج تحتها من مبان ومدن وقرى. وكذلك من العناية القرآنية بالعمارة، ما جاءت به من أوصاف دقيقة يتم من خلالها وصف البناء وما يتناسب معه من بيئة ومناخ -كما سيأتي ذكره في المبحث المتعلق بالضوابط المعمارية من الباب القادم^(١)، ومن الأمثلة على ذلك ما جاء في نموذج قوم ثمود الذين كانوا ينحتون البيوت في الجبال الشاهقة، وكانوا يعيشون فيها آمنين مطمئنين مراعين

(١) انظر: ص ١٣٧ من هذا البحث.

بذلك الاختلاف المناخي بين فصلي الشتاء والصيف. ولقد استفاد المهندس المعماري المسلم من النماذج المعمارية التي جاء ذكرها في القرآن الكريم وما تحمله من أوصاف معمارية دقيقة، وقام باستغلال العوامل الجوية، والهواء، والأمطار، وغيرها؛ فأقام الآبار لحفظ مياه الأمطار، وأنشأ البرك للاستفادة من رطوبتها، بالإضافة إلى استعمال المواد الآمنة على صحة الإنسان، وراحته؛ حيث يعتبر المعيار الأساسي التي تقوم عليه العمارة الإسلامية حاجة الإنسان وراحته النفسية^(١)

● **الانفتاح السياسي المعماري:** من خلال التأمل في العديد من المدن الإسلامية بمختلف أقطارها يتضح التشابه المعماري في الأبنية المختلفة من قصور وقلاع وحصون، ذلك التشابه الذي يعود في أصله إلى الانفتاح السياسي المعماري الذي يتم من خلاله الاتحاد والتشارك في الفكر والعقيدة، والتأكيد على مبدأ المساواة بين بني البشر، وعدم التمايز فيما بينهم، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣]؛ فلا يفرق المنهج القرآني إنسان عن إنسان آخر، ولا طبقة عن طبقة أخرى بل جاء بحضارة إنسانية تستوعب كافة البشرية دون الإجحاف بحق أحد منها، وجعل محور التمايز والفرقة بين الناس التقوى والعمل الصالح، لا الشكل، ولا اللون، ولا العرق، ولا أي شيء آخر، وهذا بلا شك يجعل الحضارة الإسلامية محكومة تحت نظام واحد يسير عليه كافة البشر قائماً على العدل والمساواة.

والانفتاح السياسي المعماري في الإسلام يعمل على ترسيخ دعائم الترابط بين المجتمعات والشعوب، وبت روح العمارة التي تبرهنها اللمسات الجمالية في الفنون المعمارية الإسلامية، ولا يهمل التطلع إلى الغير من أجل التحسين والتطور. كما تعمل الدول الإسلامية على تعزيز القوى المعمارية من خلال السياسة العمرانية المقتبسة من المنهج القرآني الحكيم، والتي تهتم بسياسات الدول مع شعوبها، وسياسة الشعوب مع حكومتها، وسياسة التعامل مع الآخر، وما له من دور في العمارة والعمران. ولا نغفل في هذا السياق ارتباط العمران بإطارين حاكمين له من الناحية الفكرية؛ وهما: السياسة الشرعية، وفقه العمارة، وأما الإطار الأول فيعني السياسة التي يتبعها الحاكم في العمران، سواء كانت تتعلق بالأمور

(١) البهنسي، عفيف، العمارة العربية الجمالية والوحدة والتنوع، ص ٩٤، بتصرف يسير.

السياسية العامة، أو بال عمران مباشرة وكلاهما يترك أثره على العمارة. وأما الإطار الثاني فيعني بالقواعد التي ترتبت على حركية العمران نتيجة للاحتكاك بين الأفراد ورغبتهم في العمارة^(١)

وللدول الإسلامية الدور البارز في تحويل العمارة إلى تجسيد جمالي موحد يحكمه الطابع الإسلامي الفريد؛ وذلك من خلال العديد من الأمور، منها المراقبة المستمرة حول الحركة العمرانية، وتنظيم حركة السكان، وتوظيف الموارد المالية والبشرية في خدمة البناء والعمران، يقول ابن خلدون: "الدولة دون العمران لا تتصور، والعمران دون الدولة والملك متعذر، لذا فإن مرحلة انتقال البشرية من البداوة إلى الحضارة المكتملة، جاءت عن طريق العمران، فوحده يحدد ممارسات الدولة^(٢)."

● **القطعية والبعد عن الظنية:** جاء في القرآن الكريم العديد من الآيات القرآنية التي تتحدث عن العمارة، تارة بالدعوة إلى التفكير في النماذج السابقة وما كانوا عليه من عمارة وحضارة، وما انتهوا إليه من خراب ودمار نتيجة الإعراض عن الحق والفساد في الأرض وعدم الإصلاح فيها، وتارة بالتطرق إلى أدوات العمارة ومشتقاتها وأنواع المباني والمنشآت، وتارة أخرى بالدعوة إلى الاستثمار المعنوي والمادي للعمران بالأساليب المختلفة التي جاء ذكرها في القرآن الكريم حول العمران والتعمير. حيث تقوم العمارة على الحجج والبراهين والمنطق والأدلة السمعية والبصرية والحسية، والبعد عن الظنون والاحتمالات والتقليد دون التفكير والإمعان، قال تعالى: ﴿سَرِيهِمْ ءَايَتُنَا فِي

الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۖ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۖ﴾ [فصلت: ٥٣]. والاستدلال بالعمارة الوارد ذكرها في القرآن الكريم إنما هو استدلال قطعي يعتمد على

الأدلة السننية القطعية التي لا تحتمل الظنية، ويعتمد على الحجج المدعمة بالنماذج والأمثلة التي تكون في محل العظة والاعتبار، والتي يدركها عقل الإنسان وتكون له بمثابة الدليل والبرهان، قال

تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَقُومِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِن إِلَهِ غَيْرُهُ ۖ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ۖ﴾ [هود: ٦١].

(١) عزب، خالد، السياسة الشرعية وفقه العمارة الحدود الفاصلة والمشاركة، ص ٧، بتصرف يسير.

(٢) ابن خلدون، المقدمة، ص ٤٥٧.

● الاهتمام بالحس الجمالي في العمارة: قال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** : «إن الله جميل يحب الجمال^(١)»، الجمال والتزين أمر فطري موجود في النفس البشرية، وراعى ديننا الإسلامي هذا الأمر وجعل الجمال من الأمور المحببة عند الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**. ولم يغفل المنهج القرآني عن نواحي الجمال المتعلقة بالعمارة بتنوع المباني ومختلف أنواعها من أبنية تعبدية، وأبنية سكنية، وأبنية عامة، وما يزينها من أثاث؛ مما دفع المعماري المسلم إلى العناية بالجانب الجمالي للعمارة الإسلامية ذلك الجمال الباهر والساحر للنظر، الذي يستشعره الناظر في العماثر الإسلامية من خلال امتزاج الروح بالمادة، والعقل بالعاطفة، والاهتمام بأدق التفاصيل التي حافظت على تاريخ العمارة الإسلامية وأضافت اللمسة العصرية، دون الإخلال بقواعد وفنون العمارة الإسلامية، والذي توارثته الأمة الإسلامية جيلاً بعد جيل وعصراً يتلو عصراً، عمراناً مقتبساً من حضارة إسلامية عربية العرق والأصل؛ "فالاهتمام بالعمارة الإسلامية معناه الاهتمام بالماضي لتوجيه الحاضر إلى المستقبل^(٢)"، "ومن القرن الهجري الثاني، بدأت الحضارة الإسلامية تأخذ دورها القيادي لتضيء للبشرية ظلمات عصورها الوسطى، وتحذو مسراها إلى النهضة، وعصر العلم الحديث، حضارة عربية اللسان والقلم، إسلامية الجوهر والروح والفكر والمنهج، شاركت فيها شعوب الأمة من أقصى المشرق الآسيوي إلى أقصى المغرب الإفريقي وتآلق ضياء مناراتها، من نيسابور، والري وأصفهان، وخوارزم وبخارى وسمرقند، و بغداد والبصرة والكوفة، والأستانة وبيروت ودمشق، وحلب والقدس، ومكة والمدينة، إلى القاهرة والإسكندرية ودمياط، وطرابلس والقيروان وتلمسان وقسنطينة ووهران، وفاس ومراكش وطنجة وسبتة، وطليطلة وقرطبة، واشبيلية ومرسية^(٣)."

وبعد التركيز في هذا الباب على العمران الوجداني المتعلق بالإنسان العمراني من تركية النفس، والتحلي بمكارم الأخلاق، والارتقاء بالعلم وكل ما ينمي القدرات العقلية، التي من خلالها يرتقي الإنسان وينهض المجتمع نتقل في الباب الذي يليه إلى العمارة، التي تتعلق بعمارة المباني، تلك "العمارة التي تكاد تكون إلزامية؛ لارتباط النشاط الإنساني فيها بالدوافع العضوية والنفسية القريبة

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه، ج ٢، ص ٨٩، رقم (١٣٤).

(٢) عبد الجواد، توفيق أحمد، تاريخ العمارة والفنون الإسلامية، ج ٣، ص ١٥.

(٣) بنت الشاطئ، عائشة عبد الرحمن، القرآن وقضايا الإنسان، ص ٢٦٥.

منها، والتي تعتبر إلزامية لحركة ونشاط الإنسان؛ ولذلك فإن الإنسان المؤمن المهتدي بمنهج الله تعالى أولى في هذه العمارة؛ لأنها تتفق مع جميع خصائصه، ولأن جميع خصائصه يتم استثمارها في العمارة^(١)؛ ولهذا سيوضح الباب الثاني أهم ضوابط العمارة البيئية والجغرافية والإنشائية والتصميمية، بالإضافة إلى عناصر العمارة ومميزاتها في القرآن الكريم، والاستشهاد بنماذج معمارية إسلامية، والذي سيؤكد على ثنائية العمران الوجداني بالعمران المادي والحضاري، وعدم انفصالهما أو انفكاكهما عن الآخر.

(١) المطرودي، عبدالرحمن إبراهيم، الإنسان وجوده وخلافته في الأرض في ضوء القرآن الكريم، ص ٣٧٠-٣٧١.

الباب الثاني

ضوابط العمارة وعناصرها ومميزاتها في القرآن الكريم.

وفيه فصلان:

الفصل الأول: ضوابط العمارة وعناصرها في القرآن الكريم.

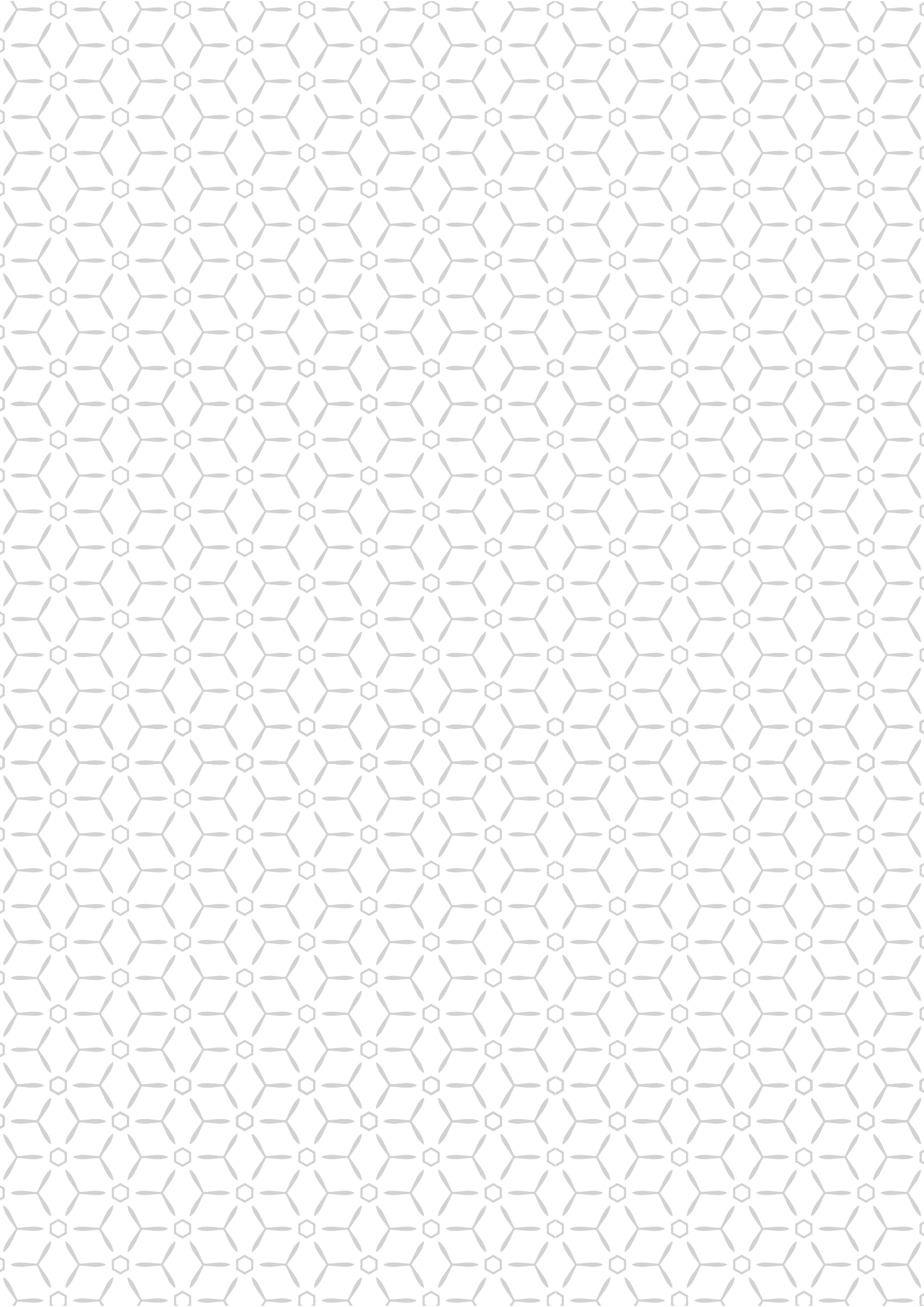
المبحث الأول: ضوابط العمارة في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: عناصر العمارة في القرآن الكريم.

الفصل الثاني: مميزات العمارة في القرآن الكريم،
ونماذج للعمارة الإسلامية.

المبحث الأول: مميزات العمارة في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: نماذج للعمارة الإسلامية.

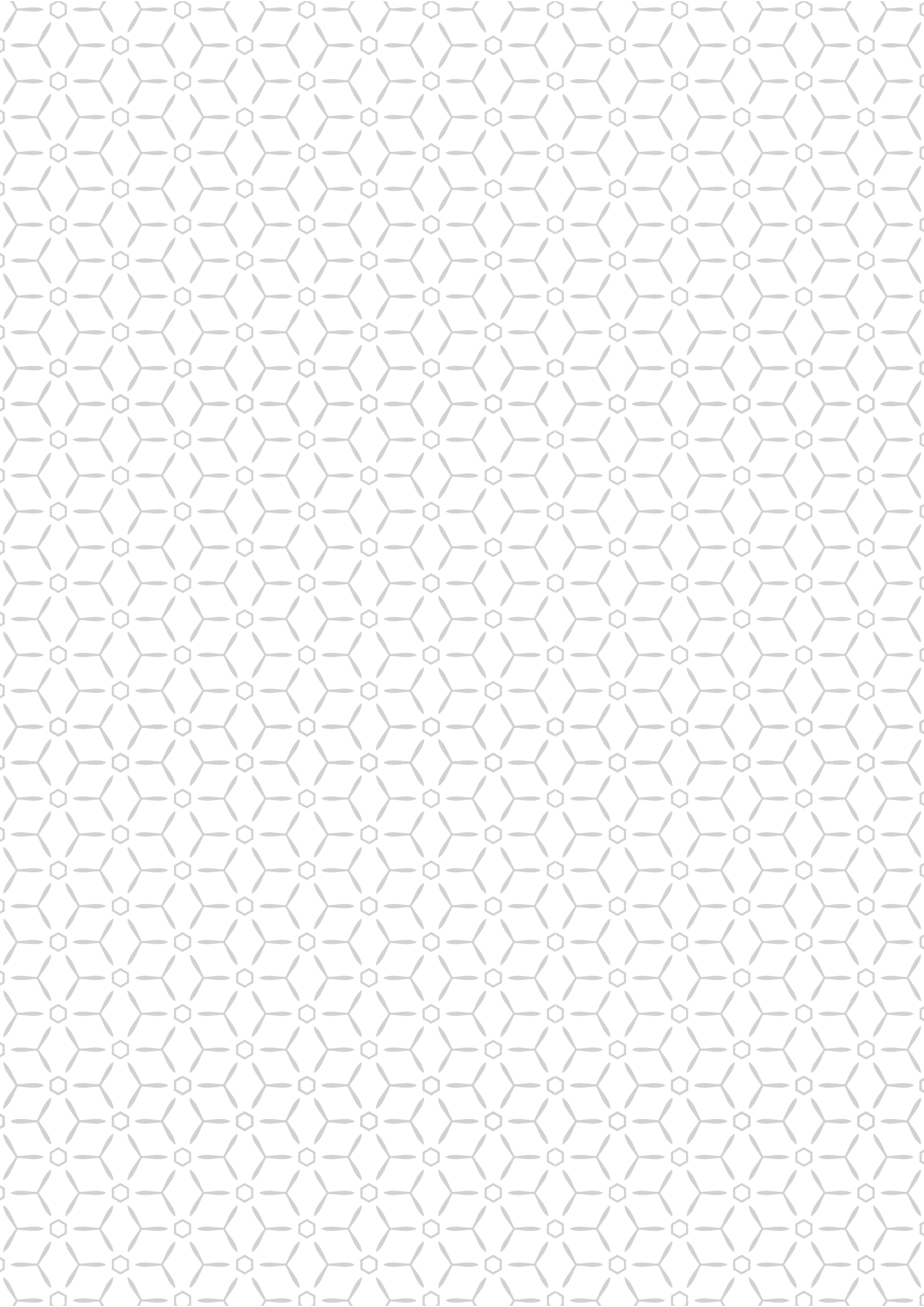


تمهيد

من خلال النظر في العمارة الإسلامية ومنشآتها يتضح ارتباط عمارة البنيان بعمران الوجدان؛ حيث جاءت المنشآت المعمارية لتحفظ كينونة الإنسان، من خلال تحقيق مقاصد الشريعة المتمثلة في حفظ الدين؛ وما ينتج عنها من قيام منشآت دينية، وحفظ النفس والاهتمام بالمنشآت الصحية، وحفظ العقل والعناية بالمنشآت التعليمية، وحفظ المال والاهتمام بالمنشآت الصناعية والتجارية، وحفظ العرض والاهتمام بالمباني السكنية.

ومما لا شك فيه أن للعمارة الإسلامية أثراً في برهنة العلاقة الروحية التي ترتبط بالمباني الدينية؛ فمثلاً نرى الأثر الواضح في نفوس المسلمين أثناء مشاهدتهم لأحد العناصر المعمارية وما تغرسه من قيم روحانية، كالمئذنة وما تتضمنه من معان اتصال أهل الأرض بخالق الأرض والسماء وما بينهما، والمحراب وما يبعث من معان يتقرب بها الإنسان إلى خالقه، وغيرها من العناصر التي سيتم التطرق إليها في هذا الباب؛ فالعمارة الإسلامية لا تقتصر على الشكل المادي فحسب؛ بل تتعداه لتشمل الاهتمام بالمضمون والجوهر المقتبس من تعاليم الدين الإسلامي، ومنهجية القرآن الكريم التي تعني بالجانب المعنوي، ولا تغفل الجانب المادي.

وبعد التركيز في الباب الأول على الجانب المعنوي للعمران، وجب الانتقال في هذا الباب إلى الجانب المادي؛ ليتم من خلاله توضيح أهم الضوابط التصميمية في العمارة الإسلامية، التي تراعي القيم العقائدية والإنسانية، وتراعي الظروف الجغرافية والمناخية وفق ما جاءت به المنهجية القرآنية، والذي يبين أيضاً عناصر العمارة الإسلامية المتعلقة بالمدن والمباني. كما يبرز مميزات العمارة الإسلامية وقيمها المادية، والجمالية، والمعنوية، ويوضح دور الإنسان العمراني، المهتم بالمبادئ، والقيم العقائدية والإنسانية التي تراعي قيم الحضارة الإسلامية، وتؤدي إلى عمارة قوية رصينة مستمرة، وهذا ما سيتم التماسه في المبحث الأخير لهذا الباب والمتعلق بالنماذج المعمارية الإسلامية المبكرة والمعاصرة.



الفصل الأول: ضوابط العمارة وعناصرها في القرآن الكريم.

تكمّن عبقرية العمارة الإسلامية في استمراريتها بالمحافظة على المضمون والغرض الوظيفي من البناء، وتطبيق المضامين التي كانت عليها سابقاً عبر امتداد الدهر حتى وقتنا الراهن؛ نتحدث هنا عن صلاح العمارة الإسلامية لكل زمان ومكان، وهذا خلاف غيرها من الحضارات التي كانت تخص حقة معينة، ثم ينتهي معها كل شيء بانتهاء مدتها؛ فمثلاً تأتي وظيفة الفناء الداخلي للمنزل من أجل الحفاظ على الترابط الأسري، وتوطيد الجانب الاجتماعي، بالإضافة إلى الخصوصية؛ لتستمر هذه الوظيفة حتى وقتنا الراهن. وعلى الرغم من بعض المتغيرات التي طرأت على العمارة الإسلامية في العصر الحديث، واتجاهها نحو الكمال الشكلي، والتغيير والتنوع، وقلة التركيز على المضمون والغرض الوظيفي، بغرض مواكبة العصر، إلا أن هذا التغيير لا يعرقل مسيرها نحو البقاء والاستمرارية؛ فتبقى العنصر الإسلامية تحافظ على الجوهر، بغض النظر عن مدى اختلاف المنظر؛ ولهذا سيتم التركيز في هذا الفصل على ضوابط العمارة والعناصر المعمارية التي حددتها المنهجية القرآنية، والتي ينبغي عدم الإغفال عنها أبداً في عملية البناء والعمارة، وتوظيفها على الوجه المطلوب توظيفاً يضمن لها البقاء والاستمرار، والتقدم والازدهار.

المبحث الأول: ضوابط العمارة في القرآن الكريم.

من خلال النظر في آيات الذكر الحكيم تتضح العناية الإلهية حول العمارة الإسلامية، من خلال الاهتمام بالجانب البيئي، والجغرافي، بالإضافة إلى الاهتمام بالجانب الإنشائي، والتصميمي، والذي انعكس تأثيره على المباني الإسلامية وجودة تصميمها. وهناك طرق علمية ومنهجية تحدها ضوابط ومعايير يجب مراعاتها أثناء عملية التصميم والإنشاء، مقتبسة من منهجية القرآن الكريم في البناء المعماري، سواء كانت تلك الضوابط والمعايير تتعلق بالبيئة وجغرافية الموقع، أو كانت تتعلق بالتصميم والإنشاء، وهذا ما سيتم التطرق إليه في هذا المبحث، الذي تم تقسيمه إلى مطلبين، على النحو الآتي:

المطلب الأول: ضوابط بيئية، وجغرافية.

تعتبر العمارة البيئية والجغرافية من أهم ما تعنى به العمارة الإسلامية؛ حيث "أولت التشريعات والقوانين عناية كبيرة لحماية البيئة، ونظافة المدن الإسلامية، ويظهر ذلك في وجود اشتراطات ومواصفات بنائية معينة يجب توافرها^(١)؛ حيث لا يمكن فصل العمارة البيئية عن العمارة الإسلامية، وذلك لارتباطها الوثيق بعملية الإنشاء والتصميم، سواء من ناحية عناصر التصميم ومبادئه، أم مجالاته وضوابطه، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ. بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ [سبأ: ١٥]، يقول صاحب التحرير والتنوير في تفسيره للآية الكريمة: "وجنتان تشبيه بليغ، أي في مساكنهم شبيه جنتين في أنه مغترس أشجارا ذات ثمر متصل بعضها ببعض مثل ما يعرف من حال الجنات، وتثنية جنتين باعتبار أن ما على يمين السائر كجنة، وما على يساره كجنة^(٢)"؛ فللظروف البيئية والأحوال المناخية الأثر البالغ الذي يعود على تصميم المباني والمنشآت المختلفة؛ والذي ينعكس على جمالها، وجودة تصميمها. ولفهم علاقة العمارة مع البيئة في الإسلام لا بد أولاً من فهم علاقة الإنسان مع البيئة في الإسلام لأن الإنسان هو من يُشَيِّ العمارة، ويتبين أن علاقة الإنسان مع البيئة محكومة بضابط تسخير العناصر البيئية لخدمة الإنسان لينهض برسائله الاستخلافية - وسيتم توضيح علاقتي الاستخلاف والتسخير وارتباطهما بالعمارة بشيء من التفصيل في الباب القادم-، بالإضافة إلى ضابط الاعتدال وهو شرط في استثمار موارد البيئة، وينبع من طبيعة دور المستخلف الذي جعل سيدا في الكون لا سيد الكون، فالبيئة أمانة تراعى، وملكية عامة مشتركة^(٣).

ويؤكد القرآن الكريم على ضرورة مراعاة العديد من الأمور قبل البدء في مرحلة البناء، ويحدد أهم الضوابط المعمارية، سواء كانت ضوابط تتعلق بالطبيعة والمناخ، وما يندرج تحت ذلك من درجة حرارة، ومياه، ورطوبة، ورياح، أو كانت ضوابط تتعلق بالجانب الجغرافي، وانتقاء الموقع، أو ما يتعلق بمختلف الجوانب الأخرى كالجانب الاجتماعي، والجانب الاقتصادي، والجانب الثقافي.

(١) وزيري، العمران والبنين في منظور الإسلام، ص ٢٠٠.

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٢٢، ص ١٦٦.

(٣) ضاهر، عبدالوهاب مصطفى، العمارة وحل مشاكل البيئة الإسلام، ص ٦، بتصرف يسير.

ولعل من أهم ضوابط العمارة البيئية والجغرافية في القرآن الكريم: حسن اختيار الموقع الجغرافي للمبنى، وحسن اختيار مواد البناء، والعناصر التي تتناسب مع الظروف المناخية لمنطقة المبنى، ودراسة ما فيها من سلبيات وإيجابيات؛ ثم الاستفادة من تلك الإيجابيات والمميزات، وتوظيفها في خدمة البناء، وتجنب السلبيات، وتفادي الوقوع فيها، وسيتم ذكر هذه الضوابط بشكل أكثر تفصيلاً خلال السطور القادمة.

هذا ويعتبر المناخ من أهم العناصر البيئية؛ لما يلعبه من دور جلي في التأثير على تخطيط وتحديد موقع المبنى، وتصميمه، واختيار مواد البناء؛ فالمناخ بما فيه من حرارة، ورطوبة، ورياح، ونبات وأشجار، وطاقة يعتبر مصدرها الرئيس الشمس، يشكل دوراً هاماً في التأثير على الإنسان، وعلى مستوى إنتاجيته، وممارسته لمختلف الأعمال والأنشطة؛ مما يؤكد على ضرورة الاهتمام بهذا العنصر البيئي، وضرورة حسن انتقاء مواقع البناء، قال تعالى: ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ [الإنسان: ١٣]، تلفت الآية الكريمة النظر إلى نعيم الآخرة وما فيه من جو لطيف معتدل، يؤثر في النفوس ويشعرها بالراحة، يقول صاحب الظلال في تفسيره للآية الكريمة: "فهم في جلسة مريحة مطمئنة والجو حولهم دافئ في غير حر، ندي في غير برد؛ فلا شمس تلهب النسائم، ولا زمهرير وهو البرد القارس"^(١)، وتوجه الآية نظرنا إلى بعض الأمور التي يجب مراعاتها في مرحلة الإنشاء والبناء، وهي الحرارة الشمسية، وكيفية الاستفادة منها، وتوظيف المناخ بما يخدم موقع البناء؛ حيث تؤدي دراسة درجات الحرارة، والمناخ بشكل عام خلال الفترات الزمنية المختلفة في موقع جغرافي معين إلى جودة التصميم وملائمته لظروف المكان والزمان، وظهور التصميم في أجمل حلة؛ وذلك من خلال دراسة الجدوى القبلية وما تتضمنه من نتائج وتوصيات قبل البدء في عملية التصميم والبناء من خلال اقتراح مواد البناء، وعناصره، ومواقعه، وكيفية استغلال العناصر البيئية كالظل والطبيعة والمناخ والاتجاه؛ فمن الجميل خلق عمارة عضوية: تنبع من البيئة وتعكس جمالها مستفيدة من أي تطور تكنولوجي، وتعطي المعالجة الفراغية بشكلها المعماري أهمية رئيسية كقاعدة انطلاق في التشكيل المعماري^(٢).

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج ٦، ص ٣٧٨٢.

(٢) عبد الجواد، توفيق حمد، العمارة الإسلامية فكر وحضارة، ص ٢٢، بتصرف.

هذا وتختلف طريقة التصميم وأنواعه من بيئة إلى بيئة أخرى، على سبيل المثال تصميم المبنى ومواد البناء وعناصره في بيئة باردة يختلف لا محالة عن البيئة الصحراوية الحارة؛ فالبيئة الباردة تحتاج إلى تصميم أبواب ونوافذ مواجهة للشمس طوال الوقت قدر الإمكان، وتحتاج إلى مواد بناء تساعد على امتصاص درجة الحرارة والاحتفاظ بها وقتاً طويلاً واختيار الألوان التي تساعد على ذلك، مع ضرورة توفير طاقات التدفئة. بخلاف البيئة المناخية الحارة والتي تحتاج خلاف ما تحتاج إليه البيئة المناخية الباردة؛ "فالمبنى المتوازن مناخياً هو الذي يستطيع أن يواجه الضغوط والمشكلات المناخية، مستعملاً جميع الموارد المناخية والطبيعية المتاحة التي تحقق راحة الإنسان داخل المبنى^(١). ولا يمكن من توحيد عملية البناء والتصميم والمواد والعناصر وتطبيقها على مختلف المواقع الجغرافية باختلاف الظروف المناخية، نعم هناك معايير تصميمية محددة لجميع المباني الإسلامية، ولكن نشير هنا إلى المواد والعناصر البيئية التي تستخدم في مرحلة التصميم والبناء والتي يجب اختيارها بما يتوافق مع طبيعة المكان؛ حيث من واجب المهندس المعماري أن تكون دراساته وأفكاره أساسها التفهم العميق لإمكانيات العصر الذي يعيشه، وطبيعة المجتمع الذي يخدمه، كما يجب أن تكون هذه الدراسات والأفكار تنتمي إلى البيئة المحيطة وتستفيد من صفاتها الجغرافية والمناخية^(٢)

قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَا وَمِثْلًا إِلَى حِينٍ﴾ [النحل: ٨٠]، تشير الآية الكريمة إلى كيفية الاستفادة من المواد الطبيعية المتاحة، وكيفية استغلالها في خدمة البناء والعمارة، بما يحافظ على جودة المبنى وصلابته؛ فالمباني يجب أن تتميز بالقوة في البناء، والجودة في التصميم، كما نلتمس من الآية الكريمة إمكانية الاعتماد على مواد البناء المتوفرة في البيئة؛ مما يوفر الكثير من الجهد والمال.

ومن الضوابط البيئية للعمارة في القرآن الكريم مراعاة الظل الذي يعتبر عنصراً من العناصر البيئية المؤثرة في عملية التصميم، والذي يعمل على خفض درجة الحرارة، ويساهم في الوقاية من

(١) وزير، العمارة الإسلامية والبيئة، ص ١١-١٢.

(٢) الخولي، محمد بدر الدين، المؤثرات المناخية والعمارة العربية، ص ٤، بتصرف يسير.

أضرار الأشعة الشمسية، لا سيما في فصل الصيف الذي ترتفع فيه درجة الحرارة، وقد أشار القرآن الكريم إلى أهمية الظلال في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرِيلاً تَقِيكُمْ الْحَرَّ وَسَرِيلاً تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ [النحل: ٨١]؛ فمن نعم الله التي لا تعد ولا تحصى تلك النعمة التي تقي الإنسان من ضرر الإشعاع الشمسي، وهي نعمة الظلال التي ينبغي أن تؤخذ بعين الاعتبار في مرحلة التصميم والبناء، ومن روعة الأسلوب القرآني في الآية الكريمة أنه يبين كيف يعمل الظلال على حماية الإنسان من أشعة الشمس، موضحاً في نفس السياق دور الملابس التي تعمل على نفس الوظيفة.

قال تعالى: ﴿وَزِلْ مَدُودٍ ۝ وَمَاءً مَسْكُوبٍ﴾ [الواقعة: ٣٠-٣١]، في الآية الكريمة تم ذكر عاملين من العوامل الطبيعية التي تساعد في خفض درجة الحرارة، والمتمثلة في الظل والماء، والتي يحسن استغلالها وتوظيفها فيما يخدم العمارة. وقال تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ۝ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ۝ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ﴾ [فاطر: ١٩-٢١]، وفي الآية الكريمة تم ذكر الشيء مع ضده لستم المقارنة بين الأضداد واستخراج الفرق بينهما، ومن هذه الأمور المتضادة التي جاء ذكرها في الآية الكريمة الظلال الذي تكون فيه درجة الحرارة أقل، لتأتي مقابلته مع ما يضاده والمتمثل في الريح شديدة الحرارة.

ومن أهم ضوابط العمارة البيئية في القرآن الكريم والتي ينبغي عدم الإغفال عنها أبداً تلك التي تتعلق بالجانب الأخضر، أو ما يسمى بالعمارة الخضراء، والمتمثلة في النباتات والأشجار المختلفة، سواء كانت تلك الأشجار داخل المبنى أم حوله؛ وذلك لما تقوم به من وظائف عديدة، أهمها: تلطيف الجو واعتداله في مختلف الفصول، والوقاية من العواصف الرملية وما تنتجه من الأتربة والشوائب، وكذلك تأثيرها من الناحية الجمالية، والنفسية، وإدخال البهجة والسرور، وجميل الشعور، وهذا ما أكد عليه القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ۗ إِنَّهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ [النمل: ٦٠].

والمقصود بالعمارة الخضراء التي تتوافق مع البيئة، وتراعي متطلبات السكان الذين يمكنهم فيها، وتعتمد في تصميمها وإنشائها على المواد والعناصر الطبيعية. ومما لا شك فيه أيضاً أن للمساحات الخضراء فوائد صحية وبيولوجية لها أثر طيب على صحة الإنسان، وذلك من خلال العملية البيولوجية التي يقوم بها النبات والنتيجة عن عملية التمثيل الضوئي، حيث يحتاج النبات في هذه العملية إلى ثاني أكسيد الكربون الناتج من مخلفات الإنسان والحيوان، وينتج الأكسجين النقي اللازم لتنفس الإنسان والكائنات الحية الأخرى^(١)

ومن أهم الضوابط الجغرافية في العمارة حسن انتقاء مواقع البناء، وهناك العديد من الآيات القرآنية الكريمة التي تبين ضرورة اختيار الموقع الجغرافي المناسب لكل مبنى، واستغلال الإمكانيات والقدرات والمواد المتاحة في خدمة ذلك، يقول تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَأَذْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ٧٤]؛ تبين الآية الكريمة كيفية استغلال قوم ثمود للمواقع الجغرافية باختلافها، واختيار نوعية المباني وفقاً لطبيعة المناخ؛ حيث بنوا لهم مساكن وفقاً لأماكنهم التي أنعمها الله سبحانه عليهم، واختاروا المكان المناسب لها، والتي كانت تقيهم شدة الحرارة في فصل الصيف، بالإضافة إلى مساكنهم وقصورهم التي كانت تتناسب مع فصل الشتاء، مراعين بذلك الظروف المناخية، وتقلبات الأجواء، ومستثمرين الإمكانيات والموارد الطبيعية المتاحة لديهم.

وهناك العديد من الفوائد عند حسن انتقاء موقع المبنى وفقاً بما يتناسب مع الظروف المناخية في المنطقة ولعل من أهم تلك الفوائد الاستفادة من الإضاءة والأشعة الشمسية؛ فعلى سبيل المثال إن كان يحيط المبنى الأبراج العالية، أو الجبال الشاهقة سيكون المبنى في الظل طيلة فترة النهار، وبالتالي لا يمكن الاستفادة من الأشعة الشمسية، وسيتم تقليل نسبة وصول الهواء إلى المبنى؛ فيجب أن يتوافق شكل المبنى وتصميمه مع الموقع الذي يقام عليه المبنى، وأن يتناسب مع ظروف المنطقة وطقسها، "وفي إشارة بديعة يوجه القرآن الكريم النظر إلى العمران المتوافق بشكل تام مع البيئة في عملية البناء، حيث يقول

(١) وزير، العمران والبيئة، ص ٢٠٥، بتصرف.

تعالى: ﴿وَكَاثُوا يَتَّحِثُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٢]، فالعمران في المناطق الجبلية عندما يتوافق بشكل تام مع الوسط البيئي المحيط به؛ تشعر وكأنها البيوت منحوتة في الجبال^(١).

كما قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٦]، في الاختيار الإلهي لموقع مكة المكرمة الذي فيه المسجد الحرام (قبله المسلمين) حكمة كبرى لم تكن لتعرف إلا بعد الحقائق والاكتشافات العلمية الحديثة؛ فالمسلمون عندما يتجهون في صلاتهم إلى مكة المكرمة؛ فهم يتجهون إلى موقع يعتبر بمثابة مركز اليابسة، بالإضافة إلى توسط موقع مكة المكرمة لتسهيل عملية الحج والعمرة للمسلمين من مختلف بقاع الأرض؛ فموقعها متوسط بالنسبة لكافة القارات فهي لا تقع في أقصى الشرق أو المغرب، أو في أقصى الشمال أو الجنوب^(٢).

ومن الضوابط البيئية والجغرافية في عمارة المباني الإسلامية أن تكون متوجهة نحو الاتجاهات الأربعة شمالاً أو جنوباً، أو شرقاً أو غرباً؛ لما لهذا الضابط من دور فعال في الاستفادة من أشعة الشمس، ومن الآيات الكريمة التي أشارت إلى أحد الاتجاهات، قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ [مريم: ١٦].

وكذلك ينبغي التركيز في تحديد اتجاه المداخل الرئيسية للمباني والأبواب والنوافذ، وانتقاء أماكن الفتحات في المباني، خصوصاً واجهة المباني وتوزيعها على حسب ما تتعرض له من أشعة الشمس. بالإضافة إلى ضرورة الاهتمام بتهوية المبنى من خلال توزيع الأبواب والنوافذ، واختيار المواقع، والاتجاهات المناسبة، وبالأحجام المختلفة التي تناسب مع كل اتجاه، ومحاولة تقابل النوافذ مما يساعد على سهولة حركة التيارات الهوائية وتوزيعها في المبنى؛ وذلك من أجل المحافظة على الهواء النقي، وتحسين درجة الحرارة.

(١) حسن، نوري محمد، العمران والتعمير في ضوء القرآن والسنة، ص ١٥.

(٢) وزيري، إعجاز القرآن الكريم في العمارة والعمران، ص ٧٧، بتصرف.

المطلب الثاني: ضوابط إنشائية، وتصميمية.

من خلال النظر في آيات الذكر الحكيم يتضح ورود بعض المصطلحات التي تتعلق بإنشاء المباني، والأسس التي يقوم عليها المبنى، بالإضافة إلى اللمسات التصميمية ودورها في عملية البناء والعمارة؛ فالبناء لا بد أن يكون قائماً على أسس وضوابط الشريعة الإسلامية والتي من أهمها التقوى التي تعتبر الأساس المعنوي لكل عمران، والركيزة الأساسية لكل مبنى، يقول تعالى: ﴿أَفَمَنْ أَتَسَسَ بِئِكَ، عَلَى تَقْوَىٰ مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَتَسَسَ بِئِكَ، عَلَىٰ شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَأَنْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [التوبة: ١٠٩]؛ تناولت الآية عدة عوامل ذات تأثير في تأسيس أساسات المنشأ، فالتعبير القرآني (أسس بنيانه) يعطي دلالة هندسية أنه لا بد أن يكون هناك أحمال ناشئة من البنيان تستلزم إنشاء أساسات لها، واختيار نوع مادة الأساس طبقاً لذلك، ولفظة (شفا) لها مدلول هندسي يفيد بأنها المنطقة التي تبدأ من حافة الجرف إلى نقطة بدء التصدع في الجرف وبالاتبعاد عنها قد لا يحدث انهياراً، ولفظة (جرف) لها مدلول هندسي يعني الفجوة من الأرض، ولفظة (هار) لها مدلول هندسي يعني التربة القابلة للانهار، وهذا يعني أن الآية الكريمة قد جمعت تقريباً جميع العوامل والأسباب الهندسية التي تؤدي باجتماعها إلى انهيار المبنى في الحفرة المجاورة للجرف، وهو أحد الملامح الاعجازية في مجال تصميم الأساسات للمباني. كما أشارت الآية إلى أهمية اختيار ودراسة الموقع الذي يتم اختياره لعملية إنشاء المبنى، فمثلاً البناء على حافة حفرة ذات تربة غير متماسكة سهلة الانهيار يعتبر من أسوأ الاختيارات، خاصة في حالة عدم أخذ الاحتياطات التصميمية اللازمة وأهمها اختيار نوع الأساس المناسب، أو التفكير في كيفية تدعيم هذه الحافة حتى لا تكون سهلة الانهيار^(١).

ولكل مبنى ضوابطه ومعايره الخاصة به على سبيل المثال للمساجد ضوابطها الخاصة بها كالضوابط المتعلقة باتجاه القبلة، وموقع الأبواب والنوافذ وطريقة توزيعها بأن تكون خلف المصلين أو بجانبهم وأن لا تكون أمامهم، وأن يكون المسجد بشكل مستطيل، بالإضافة إلى المعايير المتعلقة بالمنبر، ومساحة المسجد، وتحديد مواقع الضوء، ومراعاة التشكيل العام

(١) وزيري، إعجاز القرآن الكريم في العمارة والعمارة، ص ٩٥-٩٧، بتصرف.

للمسجد، وغيرها من المعايير، وسيتم في هذا المطلب الاقتصار على ذكر الضوابط التي تشترك في جميع المباني ومختلف المنشآت الإسلامية.

ولعل من أهم الضوابط التصميمية في عمارة القرى والمدن الإسلامية الحرص على توزيع المباني بجوار بعضهم البعض وعلى امتداد البيئة العمرانية، والتوفيق في اختيار مواقع المباني والمنشآت، على سبيل المثال ينبغي أن تحدد مواقع المساجد بناء على التجمع العمراني، حتى يكون بمثابة الموقع المتوسط الذي يربط بين جميع المباني الموجودة في أرجاء المدينة ليتواصل جميع من يسكن في المدينة مع بعضهم البعض؛ حيث "انعزال المسجد عن بيئته العمرانية يمكن أن يساهم في إضعاف التواصل والترابط ما بين أفراد وجماعات المجتمع المسلم مع المسجد، فكلما زاد انعزال المسجد عن البيئة العمرانية كلما كان أداء المسلمين للصلاة في أماكن عملهم أو إقامتهم بدلاً من الذهاب إلى المساجد لإقامة صلاة الجماعة فيها^(١).

ومن أهم ضوابط الإنشاء والتصميم في العمارة الإسلامية مراعاة الجانب الديني الذي يراعي مختلف المجالات البيئية والاجتماعية والاقتصادية، ونرى أغلب مدارس العمارة الحالية يركز اهتمامها حول التصميم البيئي من مراعاة المناخ، واختيار المواقع، وكل ما يندرج تحت ذلك، وتهمل إلى حد كبير الجانب الحضاري والديني في التصميم، ولا شك أن التركيز على الجانب البيئي لا يكفي وحده للحصول على تصميم ناجح؛ فلا بد في أي تصميم أن يراعي الملاءمة الاجتماعية والدينية كذلك^(٢)؛ فينبغي عدم الإغفال أبداً عن الجانب الديني فهو الأساس الذي ينبغي أن يقوم عليه كل مبنى إسلامي.

وهناك أمور ينبغي مراعاتها قبل البدء في الإنشاء؛ لضمان مبنى سليم قوي لا يضعف أو ينهار أمام ظروف الزمن، كاختبار الأرض واستكشاف نوعية التربة، ومدى تناسب الأرض مع الظروف الاقتصادية، والبيئية، والجغرافية، والاجتماعية، واختيار المهندسين ذوي الكفاءة العالية. كما توجد هناك ضوابط ينبغي مراعاتها خلال مرحلة الإنشاء والتنفيذ كتهيئة الأرض للبناء ومسحها بشكل

(١) وزير، العمران والبنين في منظور الإسلام، ص ١٩١.

(٢) حريري، مجدي محمد عبدالرحمن، أسس تصميم المسكن في العمارة الإسلامية، ص ١٩، بتصرف.

سوي، وتحديد مواقع ركائز المبنى وقواعده التي تحميه من الانهيار، وتوفير مواد البناء، واختيار ما يتوافق مع الظروف المناخية للأرض، وبناء الأعمدة والأسقف والجدران، وغيرها، ولكل ما ذكر ضوابطه الخاصة فيه.

ولعل أهم ضابط ينبغي مراعاته قبل البدء في إنشاء مبنى ضرورة وجود تصميم مبدئي، وتصور مسبق للبناء، وتوفير خطة منهجية متكاملة مع توضيح الغرض من البناء؛ ليمت تحديد عملية الإنشاء وكيفية البناء وفق الخطة الممنهجة، وتحديد كل مبنى والغرض من إنشائه، والمواد التي يحتاج إليها، على سبيل المثال إن كان الغرض من البناء إنشاء مبنى في صخور الجبال؛ فسيحتاج الأمر إلى استخدام عملية النحت؛ لشق الصخور ونحتها، أما إن كان الغرض إنشاء مبنى في السهول، فلن يحتاج إلى عملية النحت وسيقتصر على البناء والتشييد، بالطريقة التي تتناسب مع طبيعة المكان، ويمكن التماس ذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سَهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَادْكُرُوا ءَالَاءَ اللَّهِ وَلَا نَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ٧٤]؛ حيث توضح الآية الكريمة عمليات البناء والنحت: "(تتخذون من سهولها قصوراً) أي: من سهولة الأرض وهي ترابها تتخذون منه اللبن والآجر ونحو ذلك فتبنون به القصور، (وتنحتون) أي: تشقون، والنحت نجر الشيء الصلب^(١).

كما تعنى مرحلة الإنشاء بتحديد عناصر الإنشاء الذي يتبعه التصميم، ووضع ما يضمن سلامة المبنى، ويحافظ على توازنه ويحقق استقراره، ابتداءً من السقف وكل ما يحافظ على ثبات المبنى من أعمدة ودعامات وقواعد، مروراً بأجزاء المبنى ومرافقه، وانتهاءً بقاعدته والأساس الذي بني عليه المبنى، وجميع ذلك يتم من خلال الخضوع لمراحل الإنشاء والالتزام بضوابطه التي مرت بنا سابقاً والتي من أهمها: مراعاة موقع البناء، ودراسة علاقة موقع المبنى بالمواد التي سيتم استخدامها في البناء، ومراعاة مساحة المبنى وكيفية توزيع عناصره بطريقة متسقة تراعي جميع الجوانب المادية والمعنوية.

(١) القَنُوجي، فتحُ البيان في مقاصد القرآن، ج ٤، ص ٣٩٧.

هذا وتتطلب مرحلة الإنشاء العديد من الأمور، أهمها: المعرفة التامة بعلاقة الوظائف الإنشائية بالبيئة، والدراية بمواد البناء وكيفية توظيفها، قال تعالى: ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلُهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ [الكهف: ٩٦]، تبين الآية الكريمة كيفية توظيف مادتي الحديد والنحاس في البناء، وكيفية استخراج مادة النحاس المذاب، بالإضافة إلى سبب اختيار هذه المواد التي تساعد على تحكيم هذا البناء. كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ إِنِّي آتِيهَا أَلَمًّا مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنَ إِلَهِ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهْمَنُنْ عَلَى الطِّينِ فَأَجْعَلَ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [القصص: ٣٨]، أما هذه الآية الكريمة فتبين غرض فرعون من إنشاء هذا البناء قاصداً به التكبر والتعالي والطغيان والعصيان، كما تبين الآية الكريمة استخدام مادة الطين في البناء وتوظيفها لهذا البناء الذي لن يؤدي بفرعون إلا إلى سوء العاقبة نتيجة لغرضه السيء من إنشائه. وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا أَثْنًا وَمَتَعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾ [النحل: ٨٠]، تبين الآية الكريمة السابقة العديد من المواد الإنشائية والعناصر التصميمية، وكيفية توظيف مواد البناء حسب موقع البناء وظروفه البيئية والمناخية والجغرافية والحضارية؛ "فلقد عرفت العمارة الإسلامية بتوافقها وتطابقها مع الوظيفة والمنفعة المبتغاة من المنشأة، وتحقيق الأمن والسلامة والاستقرار، وهي شروط عامة، ولكن مراعاة العادات والتقاليد الإسلامية والبيئة المناخية والاجتماعية؛ تبقى من الشروط الخاصة بالعمارة الإسلامية، بالإضافة إلى دراسة اقتصادية التصميم كي تتوافق مع الوضع الاقتصادي ومع ميزانية المشروع، ومراعاة النواحي الصحية^(١)".

ومن الأمور المهمة التي ينبغي على المعماري المسلم أن يراعيها في عملية الإنشاء: اتجاه القبلة، وذلك من خلال محاولة توجيه المبنى وغرفته نحو القبلة، وتجنب توجيه دورات المياه باتجاه القبلة؛ قال تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ [البقرة: ١٤٤]. كما "كان لاتجاه القبلة واحترامها تأثير كبير على عمارة المساكن حتى في العهود التي كانت قبل الإسلام، ونلمح هذا الأمر الإلهي في قوله تعالى:

(١) البهنسي، عفيف، فنون العمارة الإسلامية وخصائصها في مناهج التدريس، ص ٦٢-٦٣.

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٨٧] ^(١). وأيضاً من الأمور المهمة التي ينبغي مراعاتها حسن استخدام

الجدار، وحسن توزيعه، وانتقاء الجدار ذو الجودة والقوة والصلابة، قال تعالى: ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَنِيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعْنَا أَهْلَهَا فَبِأَوَّانٍ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ، قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [الكهف: ٧٧]، تبين الآية الكريمة أهمية الجدار في صلب البناء وقيامه، وضرورة تجديده إن دار عليه الزمن حتى لا يقع ويهدم المبنى. وهناك أنواع وأشكال للجدار؛ فمنها ما تقتصر وظيفته على البناء الداخلي والمساعدة على صلب المبنى، وقوة تحمله، وهو الجدار الذي يستخدم في الداخل من أجل الفصل والتقسيم، وتختلف سماكته من حيث المكان. ومنها ما تكون له وظائف أخرى غير مقتصرة على الإنشاء كالعزل عن درجات الحرارة، والتي كلما زاد سمكها كلما كانت أكثر عازلية عن درجة الحرارة وهي الجدران التي تستخدم خارج المبنى.

ولا نغفل عن ضرورة التشييد والبناء القوي بأن يكون المبنى مرصوفاً يشد بعضه بعضاً؛ فمن أهم الضوابط التي ينبغي مراعاتها ضابط المتانة في الإنشاء، وقوة البنيان، وقوة عناصره وقوة تصميمه الإنشائي الذي يجعل المبنى قوياً متصدياً لجميع العوامل التي قد تؤثر على صلابته. ولا نغفل في هذا الصدد عن دور التربة التي سيقام عليها المبنى إذ تسهم في قوة وصلابة المبنى الذي سيقوم عليها. ومن الضوابط التي ينبغي مراعاتها الاهتمام بقواعد البناء، وضرورة اتزان القواعد أو الأسس التي يقوم عليها المبنى؛ فهي بمثابة العمود الأساس الذي يقوم عليه، والذي ينبغي إحكامه والتركيز على قوته؛ فهو الذي يحفظ السقف من الوقوع، وليس هناك سقف من غير أعمدة تحافظ عليه وعلى المبنى بأكمله، قال تعالى: ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَآتَى اللَّهُ بُيُوتَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النحل: ٢٦].

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ [الرعد: ٢]، توضح الآية الكريمة إعجاز الله سبحانه وتعالى الذي أقام السماء من غير أعمدة، كما تبين الآية الكريمة العلاقة التي

(١) وزيري، العمارة الإسلامية والبيئة، ص ٤١.

ترتبط بين الأعمدة والسقف والتي تمثل عمود المبنى وأساسه؛ حيث تمثل الأعمدة العمود الذي يستقيم عليه السقف والذي عدم وجوده يؤدي إلى انهيار السقف وسقوطه. ومن أهداف السقف أيضاً حماية الإنسان من الظروف المناخية سواء من درجة الحرارة، أو من الأمطار، وغيرها من عوامل المناخ. كما قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ [الزخرف: ٣٣]، جاء في الآية الكريمة مصطلح كل من السقف والمعارج، ويطلق مصطلح (المعارج) في القرآن الكريم على "السلام"^(١)، ولا شك أن للسلام منفعتها البالغة في المباني، والتي ينبغي مراعاة إنشائها؛ فهي التي يتم من خلالها انتقال الإنسان من دور إلى دور آخر، وهي التي تشكل الرابط الذي يربط بين أدوار المبنى.

ويأتي التصميم الذي له ضوابطه في العمارة الإسلامية والذي يعرف بأنه الفعل الإبداعي الذي ينتج وفقاً لمجموعة من الآليات التنظيمية التي تتصل بخصوصية الشكل التصميمي ومشهدية الطابع الابتكاري للصورة جمالياً وتقنياً، ويعتمد المصمم إلى إقتران فكرة العمل التصميمي بمعالجات تصميمية ترتبط بصيرورة الشكل، وطريقة البناء، والتنظيم الخطي، واللوني، والحجمي^(٢). وتعد مرحلة ما قبل التصميم من أهم المراحل؛ لما لها من أهمية وأثر يعود على جودة التصميم وسلاسته، وسهولة تطبيقه، وضمان نجاحه؛ ولذلك لا بد قبل البدء في الإنشاء مراعاة الأحكام الفقهية، والحقوق، والقوانين.

ومن أهم الأمور التي ينبغي مراعاتها في عملية التصميم: التناسب والانسجام بين العناصر، والوحدة وما تؤدي به من ارتباط الأجزاء، وتماسكها، والتوازن، والسيادة، والتباين وما يؤدي به من إثارة المتلقي وإحداث حالة من الجذب البصري، بالإضافة إلى التكرار والإيقاع الذي يشمل كل عناصر العمل الفني^(٣). ولعل من أهم ما يعنى به التصميم الموقع الذي سيقام فيه المبنى، ومساحته، وطريقة توزيع مرافقه وملاحقه، ويتم دراسة ذلك من خلال التخطيط المسبق الذي يأخذ تلك الأمور بعين الاعتبار، ويكون ذلك من خلال عدة طرق يقوم بها المهندس المعماري الذي يبدأ مرحلة تصميمه بعد

(١) طرشاوي، بلحاج، العمارة الإسلامية، أصولها الفكرية ودلالاتها الثقافية والبيئية، ص ١٨٩-١٩٢.

(٢) غولي، الأنظمة التصميمية لزخارف المساجد الإسلامية، ص ٤٥، بتصرف يسير.

(٣) غولي، المرجع السابق، ص ٥٦-٦٧، بتصرف.

الدراسة النظرية بمخطط أو مجسم توضيحي دقيق، سواء كان ذلك المخطط أو المجسم تم عمله يدوياً أم إلكترونياً؛ لما يضمن جودة التصميم الذي تتم فيه مراعاة الناحية الشكلية، والمادية، وسائر الأمور التي تتعلق بالإنشاء والتصميم منها البيئة وجغرافية المكان، ومراعاة الجانب الديني والاجتماعي.

وأمر المنهج القرآني بحفظ خصوصية المكان واعتبره من الأساسيات التي ينبغي أن يقوم عليها الإنشاء والتصميم في الإسلام لا سيما خصوصية المباني السكنية، سواء داخل المبنى كتوزيع غرف النوم، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَعِذَّ نَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَوةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَوةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوَرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَفَاتٌ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [النور: ٥٨]، أو كان خارج المبنى، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النور: ٢٧]، وفي الآية الكريمة إشارة إلى ضرورة مراعاة خصوصية المكان عند تصميم وإنشاء المبنى، وذلك يتم من خلال العديد من الأمور التي من أهمها: الحواجز والمشربيات، وطريقة النوافذ، وتوزيع الأبواب كأن يكون هناك مدخل للضيوف، ومدخل خاص لأفراد العائلة.

والتصميم الداخلي له خصوصيته الفردية التي تتناسب مع احتياجات، أو إمكانيات الفرد، أما التصميم الخارجي فله خصوصيته الاجتماعية، فهو مرتبط بالمجتمع أكثر من الفرد وهذا انعكاس لمبدأ الوسطية ما بين تطلعات الفرد وقيم المجتمع. الأمر الذي ينعكس على العملية التصميمية والقدرة على الإبداع والابتكار بمعنى ترك الحرية المطلقة في الداخل وتحديد الحرية المقيدة في الخارج وهذا ما يمكن أن تتميز به العمارة في الإسلام عن غيرها^(١)

كما يدعو ديننا الإسلامي الحنيف إلى الاقتصاد وعدم المبالغة في التزيين، وكل ما يؤدي إلى هدر الأموال والإسراف الذي ليس في محله، يؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿يَبْنِي ءَادَمُ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١]، وكذلك جاء النهي عن ما يبين مظاهر التكبر على الناس والتي منها عدم استخدام الحرير الطبيعي في مقاعد الجلوس، وآواني

(١) عبد الباقي، إبراهيم، رحلة البحث عن الذات وأصول العمارة في الإسلام، ص ٢١، بتصرف يسير.

الذهب والفضة؛ فعن حذيفة رضي الله عنه قال: «نهانا النبي ﷺ أن نشرب في آنية الذهب والفضة، وأن نأكل فيها، وعن لبس الحرير والديباج وأن نجلس عليه»^(١).

ومن الضوابط التي ينبغي مراعاتها في جميع مراحل البناء من تصميم وإنشاء الجانب الجمالي، الذي يضيف إلى المبنى هيئته، ويخدم الإنسان من حيث الإمتاع الحسي والعاطفي لديه، ويكون ذلك من خلال العديد من الأمور التي من أهمها: التنوع في استخدام المواد المختلفة كالرخام والتنوع في الإضاءات، والتوفيق في اختيار الألوان التي تتناسب مع كل جزء من أجزاء المبنى ومرافقه، واستخدام الزجاج الذي يساعد على دخول أشعة الشمس في المبنى؛ فذلك يؤثر على نفسية الإنسان ويشعره بالراحة. بالإضافة إلى الاهتمام بالعمارة الخضراء التي تلعب دوراً رئيساً في صحة الإنسان ونفسيته، وإدخال البهجة والسرور والشعور بالراحة كما ذكرنا سابقاً. بالإضافة إلى توفير نوافير مائية حتى وإن كانت ذات حجم متواضع لأن ذلك يلعب دوراً في الجانب الجمالي للمبنى، ويساهم في تلطيف الجو، بالإضافة إلى تزيين المبنى بالزخارف والأشكال الهندسية، "وأن يجمع التصميم بين مميزات الأصالة ومنافع المعاصرة، وأن تكون التفاصيل المعمارية وظيفية وهادفة وليست للزخرفة الشكلية فقط"^(٢)، ومن

الآيات الكريمة التي تبين دور الزينة، قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا

وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ [ق:٦]، تربط الآية الكريمة الزينة بالبناء، وما تعكسه الزينة من جمال المنظر؛ فيجب عدم الإغفال عن جانب الحس الفني والجمالي، والذي يحتاج إلى رسامين مهتمين في مجال التصميم والإبداع المعماري، ومن هم على دراية بما يتعلق بإنشاء المباني، وتفصيلها من مواد بناء وعناصر، ومن هم على دراية بضوابط الشريعة الإسلامية في الزينة والزخارف.

وفي ختام هذا المبحث الذي جاء بجملته من المعايير والضوابط المعمارية ينبغي أن نشير إلى أهمية تجديد وإصلاح المباني بين كل فترة زمنية؛ وذلك حرصاً على صيانة وتقوية المباني من خلال ترميم بعض أجزائها وعناصرها، والتأكد من ثبوتها وقوتها؛ تجنباً من وقوع الأضرار المادية والمعنوية. كما يتضح مما سبق أول ما يجب البدء فيه أثناء عملية الإنشاء هو تهيئة موقع المبنى من خلال الشروع في

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب اللباس، باب اقتراش الحرير، ج ٣، ص ١٢٠٦، رقم (٥٤١٤).

(٢) حريري، أسس تصميم المسكن في العمارة الإسلامية، ص ٢٨-٢٩.

الحفريات، ومن ثم البدء بإنشاء هيكل المبنى. هذا ويتوجب في مرحلة الإنشاء الإلمام والمعرفة العميقة بالأنظمة والقوانين الإنشائية التي حث عليها المنهج القرآني، ومواكبة التطور والتقدم التكنولوجي في الإنشاء، وكيفية استخدام المواد التي تتناسب مع المبنى من حيث الموقع والجودة والتكلفة والنوع. كما يتضح من خلال ما سبق ارتكاز ضوابط العمارة الإسلامية حول بعض العناصر المعمارية التي جاء ذكرها في القرآن الكريم، والمتعلقة بالمباني والمدن الإسلامية، والتي سيتم التطرق إليها في المبحث القادم.

المبحث الثاني: عناصر العمارة في القرآن الكريم.

من خلال التأمل في آيات الذكر الحكيم يتبين وجود العديد من العناصر المعمارية التي جاء ذكرها في القرآن الكريم، سواء كانت تلك العناصر تتعلق بالمدن وتخطيطها، أم كانت تتعلق بالمبنى ومرافقه. وتعتبر عناصر العمارة الإسلامية من أهم ما يميز الحضارة الإسلامية، ومن أهم الأسباب التي أدت إلى ازدهارها؛ نظرًا لغناها، وتنوع أشكالها، وتعدد وظائفها؛ فهناك عناصر معمارية رئيسية، وهناك عناصر معمارية ثانوية، وكل هذه العناصر تخدم العمارة الإسلامية، وتسعى إلى تحقيق أهدافها، سواء كانت تلك العناصر تتعلق بعمارة المدن، أو عمارة المباني؛ ففن العمارة إبداع تكويني وزخرفي يزيد في تشخيص هوية المبنى ووظيفته، ويتجلى هذا الفن في وجهين، وجه خارجي مرتبط بمشهد المدينة، حيث يبدو المبنى كتلة متناغمة مع الكتل المعمارية، ومرتبطة بهوية المدينة، ووجه داخلي يخدم المبنى ذاته، ويتطلع إلى خدمة المصالح الذاتية لدى الإنسان^(١)، وبناء على ما سبق أرتأيت تقسيم هذا المبحث إلى مطلبين: الأول: يتعلق بعناصر عمارة المدن، والثاني: يتعلق بعناصر عمارة المباني.

المطلب الأول: عناصر عمارة المدن.

تقوم العمارة المدنية على أساس حفظ الإنسان وسلامته، وصيانة كرامته، وتوفير سبل أمنه وراحته، وتمثل المباني والمنشآت المختلفة من مساجد، ومقار حكم، ومبان سكنية، وأربطة دفاعية، ومصانع، وخدمات عامة العناصر المعمارية للمدن الإسلامية، بالإضافة إلى الطرق الموزعة في مختلف المناطق والتي تشكل النسيج الذي تقوم عليه المدن والمحور الذي تركز عليه بقية العناصر المعمارية

(١) البهنسي، فنون العمارة الإسلامية وخصائصها، ص ١٣-١٤، بتصرف يسير.

المتعلقة بالمدينة؛ "فالمقصود بالعمارة المدائنية، هو جانب التعمير الخاص بإنشاء المدن، وتخطيطها بعناصرها المختلفة^(١)."

ولا بد من التخطيط الاستراتيجي للمدن والقرى الإسلامية حتى تكون كالسلسلة الواحدة التي تربط بين جميع المدن وتمتد العمارة من خلالها، وذلك يتم من خلال عناصر العمارة التي يتم استخدامها، ويتم فيها استغلال الموارد الطبيعية وتوظيفها حسب ما يحتاج إليه الفرد والمجتمع. وخير مثال على ذلك "هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة المنورة التي مثلت نقطة البداية في تاريخ العمارة الإسلامية، إذا كان لممارسته ﷺ مهام القيادة في دولة المدينة أثر في التركيب الداخلي لعمارة المدينة؛ إذا استحدثت وظائف جديدة داخل المدينة، لكي تتلائم مع كونها عاصمة للدولة الإسلامية الناشئة، التي تتخذ الإسلام منهجاً، ومنذ ذلك التاريخ بدأ يتبلور فقه البنين في الحضارة الإسلامية^(٢)".

فالمدينة غاية العمران البشري، ولكل مدينة مظهر أو طابع خاص يعبر عن جوهرها والهدف من إنشائها، وجوهر المدينة الإسلامية ينبع ويعتمد على التزام أهلها وساكنيها بتطبيق شرع الله جل في علاه، والعمل بتعاليم الإسلام، وبتطبيق المنهج الإسلامي في تخطيط المدينة، وتصميم مبانيها^(٣) وجاءت العديد من الإشارات القرآنية التي تشير إلى بعض عناصر عمارة المدن، وتوضح دورها، وتحدد ضوابطها، ومن أهم تلك العناصر:

● أولاً: المساجد: تعتبر المساجد أهم عنصر من عناصر عمارة المدن، "ومن أبرز فروع العمارة الإسلامية التي تأثرت بالجانب الروحي والحسي للإسلام^(٤)؛ حيث جاءت العديد من الآيات القرآنية التي تبين دور المسجد، ووظائفه، وتبين عناصره، وتحدد ضوابطه، وتؤكد عناية المنهج القرآني بالمسجد عناية خاصة كونه المكان الذي تقام فيه العديد من الوظائف الدينية، والاجتماعية،

(١) حسن، العمران والتعمير في ضوء القرآن والسنة، ص ٣٢.

(٢) عزب، تخطيط وعمارة المدن الإسلامية، ص ٤٧.

(٣) وزيري، العمران والبنين في منظور الإسلام، ص ١٨٧، بتصرف يسير.

(٤) حسن، نوبي محمد، عمارة المسجد في ضوء القرآن والسنة، ص ٩.

والسياسية؛ فهو المكان الذي تقام فيه الصلاة، والتقرب إلى الله، وتلاوة القرآن وحفظه، وهو المدرسة التي يتم فيها تدارس القرآن الكريم وعلومه، وهو المكان الذي يتشاور فيه المسلمون لما يخدم دينهم ووطنهم، ويحافظ على كينونتهم، بالإضافة إلى الدور الاجتماعي الذي يقوم به من توطيد العلاقات بين المسلمين، وتوحيد صفوفهم، واجتماع كلمتهم على الحق؛ "فالمساجد من أبرز معالم الإسلام ومكونات المجتمع الإسلامي، ومن أبرز المؤسسات التي تحفظ للأمة الإسلامية تاريخها الماضي وتربطه بواقعها الحاضر^(١)."

قال تعالى: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذْنُ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾ [النور: ٣٦]؛ تبين الآية الكريمة المكانة العظيمة التي تحظى بها المساجد، والتي رفع الله سبحانه من شأنها وجعلها من أطهر الأماكن، لما يقام فيها من عبادة وطاعة وخضوع واستكانة، وتسبيح وتهليل، وذكر وترتيل، في الصباح والمساء. ومن أجل هذه الوظائف وكون المساجد بيوت الله جل في علاه، اهتم المعماري المسلم بعمارة هذا المبنى ووظف ما يخدمه من عناصر معمارية، وأثاث، يشكل قداسة المكان.

فتأتي المآذن بشكلها الشامخ المتجه نحو السماء؛ لتعبر عن اتصال أهل الأرض بالخالق، وتأتي القباب المنحذبة باتجاه المصلين؛ لتعبر عن حماية المسلمين الذين يقيمون شعيرة الصلاة؛ فتتحذب القبة بشكل دائري نحوهم، وتزيد من قداسة المكان الذي تتسلل من خلاله أشعة الشمس، وهذه الأمور لا شك أن المعماري المسلم أدركها من غيره من أصحاب الديانات الأخرى، يقول تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكَفْرِ أُولَئِكَ حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ﴾ (١٧) إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾ [التوبة: ١٧ - ١٨]، تبين الآية الكريمة أهم ضوابط من ضوابط عمارة المساجد والمتمثل فيمن يقوم بعمارة المساجد بأن يكون ممن يؤمن بالله وحده، ويقيم حدوده، وليس الكفار الذين يجعلون مع الله عز وجل إله آخر فأولئك لا يقيمون حدوده، فكيف لهم أن يعتنوا بعمارة المساجد التي هي بيوت الرحمن؛ فالعمارة المطلوبة هي الشاملة والمتضمنة لما هو مادي ولما هو روحي؛ فعمارة

(١) الحميدي، عبدالعزيز عبدالله، عمارة المساجد المعنوية وفضلها، ص ٥.

المساجد هي من العمارة التي تعني حفظ البناء، أو من العمرة التي هي الزيارة، أو من قولهم: عمرت بمكان كذا أي أقمت به؛ فهناك جانب مادي مرتبط بالبناء والتشييد، وهناك جانب روحي متصل بالزيارة والإقامة بالمساجد^(١)؛ وبذلك "تكون عمارة المساجد نوعين: حسية، ومعنوية، فالحسية بالتشييد، والبناء، والترميم، والتنظيف، والفرش، والتنوير بالمصابيح، والدخول إليها، والقعود فيها، ومعنوية: بالصلاة، وذكر الله سبحانه، والاعتكاف، والزيارة للعبادة فيها^(٢)".

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف: ٢٩]، يقول ابن عاشور في تفسيره للآية الكريمة: "معنى: عند كل مسجد عند كل مكان متخذ لعبادة الله تعالى، واسم المسجد منقول في الإسلام للمكان المعين المحدود المتخذ للصلاة^(٣)، وتدعو الآية الكريمة بالتوجه إلى الخالق **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** ودعائه ومناجاته في أماكن العبادة المتمثلة بالمساجد؛ لإقامة العبادة وما يندرج تحتها من طاعة، وذكر، ودعاء، وتقرب إلى الله سبحانه.

كما يحذر المنهج القرآني من مساس المساجد بسوء، ويؤكد عذاب من يسع إلى خراب ودمار هذه المباني المقدسة التي تشكل أهم عنصر من عناصر عمارة المدن الإسلامية، وما سيحل به من خزي وخوف وقلق وضعف وهوان في الدنيا، ولعذاب الآخرة أشد وأقوى وأعظم من العذاب الذي سيصيبه في الدنيا، يقول **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهِ أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ١١٤].

● ثانياً: مقار الحكم: تشكل مقار الحكم أحد عناصر عمارة المدن الإسلامية، وتوجد مقار الحكم في القصور الفخمة، والمباني الضخمة للحكام، والتي تحتوي على جميع ما يحتاج إليه الحاكم، ولتلك القصور "طرازها المعماري الخاص الذي يحتوي على كافة الوحدات المعمارية المتنوعة التي كانت تلبي

(١) طاهيري، الإنسان والعمران من خلال قصص القرآن، ص ١٠٠-١٠١.

(٢) الزحيلي، وهبة بن مصطفى، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ج ١٠، ص ١٣٥.

(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٨، ص ٨٨.

احتياجات الحكماء من أماكن خاصة، أو مقرات لإقامة الخلفاء والسلاطين وأسرهم، ودواوين للحكم، وقاعات للاستقبال، ومقرات للجنود، وقاعات عرش، وحدائق غناء وغير ذلك^(١). وجاء لفظ القصور في العديد من الآيات القرآنية الكريمة، منها قوله تعالى: ﴿تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا﴾ [الأعراف: ٧٤]؛ فالقصور هنا المباني الشاهقة الحصينة، ومنها قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي إِن شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَجَعَلَ لَكَ قُصُورًا﴾ [الفرقان: ١٠].

● ثالثاً: المساكن: تعتبر المساكن من أهم عناصر عمارة المدن؛ حيث يمثل المسكن المبنى الذي يمارس فيه الإنسان حياته اليومية، وهو الملجأ الذي يأويه في الليل والنهار، ويحقق له الراحة والاستقرار، ولما يحظى به هذا العنصر المعماري من أهمية بالغة على المستوى الشخصي، والمستوى المجتمعي والمدائني جاءت عناية المنهج القرآني لهذا العنصر، من خلال بيان أهمية المسكن تارة، وتوضيح عناصره تارة، وتحديد ضوابطه تارة أخرى، يقول تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَا وَمِئَةً إِلَى حِينٍ﴾ [النحل: ٨٠]، تبين الآية دور المسكن في حفظ الإنسان واستقراره، كما توضح كيفية استغلال الموارد الطبيعية في بناء المسكن وتزيينه، واتخاذ عناصره المعمارية منها.

هذا ويبين القرآن الكريم أهم الضوابط التي ينبغي مراعاتها في المساكن احترام الخصوصية - والتي تم ذكرها في المبحث السابق من هذا الفصل - ، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النور: ٢٧]، يقول صاحب الظلال في تفسيره للآية الكريمة: "لقد جعل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى البيوت سكناً، يفيء إليها الناس فتسكن أرواحهم، وتطمئن نفوسهم، ويأمنون على عوراتهم وحرمتهم، ويلقون أعباء الحذر والحرص المرهقة للأعصاب! والبيوت لا تكون كذلك إلا حين تكون حرماً آمناً لا يستبيحه أحد إلا بعلم أهله وإذنه"^(٢).

(١) عبدالحافظ، عبدالله عطية، العمارة الإسلامية نشأتها تطورها طرزها، ص ٢٢٧.

(٢) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج ٤، ص ٢٥٠٧.

هذا وينبغي على الإنسان الذي يريد بناء مسكن له أن يجيد اختيار موقع مسكنه، ويتجه نحو المناطق المعمارية التي تكثر فيها الخدمات المختلفة، ويتوفر فيها سبل الراحة والأمان؛ ليتمتع فيها ويعيش باطمئنان، يقول تعالى: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ [الأعراف: ١٦١]، جاءت لفظة اسكنوا في الآية الكريمة حول القرية، وما فيها من أشجار وثمار متنوعة؛ حيث في قوله تعالى: ﴿حَيْثُ شِئْتُمْ﴾ دلالة على محاسن القرية وتنوع سبل الراحة فيها، وتنوع خياراتها. كما قال تعالى: ﴿وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٢]؛ فمن أهم أغراض المسكن الشعور بالأمن والأمان؛ لذلك حدد المنهج القرآني العديد من الضوابط والمعايير التي ينبغي الالتزام بها سواء كانت من الناحية البيئية، أو الجغرافية، أو الاجتماعية، أو كانت من ناحية الضوابط الإنشائية والتصميمية كما مر بنا في المبحث الأول من هذا الفصل.

كما جاء لفظ المساكن في العديد من الآيات القرآنية التي تصف نعيم الآخرة، قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٧٢]؛ تصف الآية الكريمة النعيم الآخروي الذي وعده الله سبحانه وتعالى للمؤمنين والمؤمنات؛ بأن لهم جنات الخلد التي تجري من تحتها الأنهار، وما فيها من خير وثمار، وتنوع الأشجار، وجميع ما يبهر الأبصار، والمساكن الطيبة التي يسكنون فيها، مساكن لا تقارن أبداً بمساكن الدنيا الفانية.

هذا ولم يقتصر المنهج القرآني على المساكن التي تأوي الإنسان، بل اهتم كذلك بمساكن الكائنات الحية الأخرى، قال تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ [النحل: ٦٨]، يضرب الله سبحانه وتعالى في الآية الكريمة مثلاً جلياً يبين به كيفية توظيف الموارد الطبيعية لما يخدم بناء المسكن، وأن هذه المنهجية ليست مقتصرة على مباني الإنسان بل سائر الكائنات الحية، إنها عناية الخالق سبحانه تلك العناية الربانية التي تهتم بجميع المخلوقات.

وقال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤١]، يا لروعة هذا المثل الذي يبين ضعف وهوان من يتخذ من دون الله ولياً؛ فهو بضعفه وقلة حيلته كضعف وهوان أوهن مسكن من مساكن الكائنات الحية وهو بيت العنكبوت المبني من الخيوط الضعيفة

الرقيقة التي لا تكاد أن ترى بالعين المجردة، ويمكن رؤيتها بالمجهر بشكل أكثر وضوحاً؛ فهي شديدة الضعف والوهن، ويسهل هدمها وانهارها في لمح البصر؛ لضعف مادة البناء.

● رابعاً: الطرق: تعتبر الطرق من أهم عناصر عمارة المدن، لما تقوم به من وظائف عديدة، وكونها العنصر الذي يربط بين بقية عناصر عمارة المدن الأخرى، ولعل من أهم وظائف الطرق ما تقوم به من تيسير السبل، وسهولة التنقل من مكان إلى آخر؛ فالطرق بمثابة نقاط التواصل بين المساكن، والمساجد، ومختلف المباني، وبمثابة الخيط الذي تتصل من خلاله المدن والقرى بعضها ببعض، بل وحتى بين مختلف الدول.

واعتنى القرآن الكريم بهذا العنصر الذي جاء ذكره وذكر ما يندرج تحته في العديد من الآيات الكريمة، منها قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَفْ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى﴾ [طه: ٧٧]؛ ومما توحى إليه الآية الكريمة بيان أهمية الطرق في تيسير السبل. وللطرق معايير وضوابط ينبغي مراعاتها أهمها: الاختيار الموفق للطرق، والأخذ بعين الاعتبار مواقع المساكن، وسائر المباني، وكيفية توزيع الطرق بناء على توزيع المباني، ومراعاة اتجاهات الرياح، واتجاهات الطرق نفسها بأن لا تكون كثيرة التعرج والانحدارات التي تؤدي إلى حوادث الطرق، وتعيق السير. ولعل "من العناصر النموذجية في فرش وتشكيل شارع سكني: تمييز خط السير عن طريق تغيير الأكساء، وتحويل اتجاه سير السيارات، ووجود تعريشة مع نباتات متسلقة لتغطية مواقف السيارات، وحيز المدخل، ونباتات متسلقة على الواجهة"^(١).

كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سَيْرُوا فِيهَا لَيْالِيًا وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾ [سبأ: ١٨]، يقول البيضاوي: أي: "قرى ظاهرة متواصلة يظهر بعضها لبعض، أو راكبة متن الطريق ظاهرة لأبناء السبيل، وقدرنا فيها السير بحيث يقل الغادي في قرية ويبيت الرائح في قرية إلى أن يبلغ الشام"^(٢)؛ فالطرق الميسرة من أهم الأمور التي تخفف من عناء السفر.

(١) عيسى، جهاد، والبدوان، غسان، أسس التصميم والتشكيل العمراني، ص ٣٩.

(٢) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج ٤، ص ٢٤٥.

● خامساً: الأربطة: تعني الأربطة المكان الذي يربط فيه المسلم دفاعاً عن دينه وموطنه؛ فهي المباني الدفاعية والحربية المحصنة، والتي كان يكثر استخدامها في السابق، ولا زالت هذه المباني تشكل عنصراً مهماً من عناصر عمارة المدن.

هذا وذكر القرآن الكريم العديد من عناصر عمارة المباني الدفاعية منها البروج المشيدة، وهي الحصون المنيعة، في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨]، ومنها الحصون في قوله تعالى: ﴿مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾ [الحشر: ٢]، والشاهد من الآية الكريمة ذكر الحصون كأحد أهم عناصر العمارة الدفاعية في مجال العمارة الحربية، يقول تعالى: ﴿لَا يُقْنِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ﴾ [الحشر: ١٤]، والشاهد من الآية الكريمة هو ذكر القرى المحصنة، والجدر أي الأسوار الدفاعية^(١)

● سادساً: المباني التعليمية: قال تعالى: ﴿اقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١ - ٥]، ولما كان أول ما نزل في القرآن الكريم حول العلم وضرورة التعليم، اعتنى المعماري المسلم في بناء الأماكن التعليمية، ووضع الخطط التصميمية والإنشائية لتلك المباني نصب أعينه؛ فتفنن بعمارة هذه المباني حتى أصبحت من أهم العناصر المعمارية التي لا يمكن الاستغناء عنها في المدن. وكان الاهتمام بعمارة الأماكن التعليمية منذ قدم الزمان؛ حيث تم تخصيص أماكن في المساجد من أجل تبادل العلوم والمعارف، حتى تورث للأجيال التالية ذلك الاهتمام جيلاً يتلو جيلاً؛ فأصبح تخصيص مؤسسات تعليمية بما فيها من مدارس وجامعات محور اهتمام المعماري المسلم الذي قام بتطوير هذه المباني وتوسيع نطاقها، وزيادة مرافقها، "ويتفق العلماء في مجال الدراسات المعمارية والأثرية الإسلامية على أن السلاجقة هم أول من شيد المدارس في العصر الإسلامي وكان ذلك في القرن الخامس الهجري (١١م) (٢)".

(١) وزيري، إعجاز القرآن الكريم في العمارة والعمران، ص ٣٠-٣٣، بتصرف يسير.

(٢) عبدالحافظ، عبدالله عطية، الآثار والفنون الإسلامية، ص ١٠٩.

● سابعاً: المباني الصحية: أولى المنهج القرآني الاهتمام بصحة الإنسان، وجميع ما يحفظ النفس البشرية ويصونها؛ فوضح ما يحفظ سلامة الإنسان من طعام، قال تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ، فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٦٩]، بالإضافة إلى ما يحمي الإنسان ويحفظه من طهارة ونظافة، قال تعالى: ﴿وَنِيَابَكَ فَطَهَّرَ﴾ [المدثر: ٤]، وبهذا الاهتمام بالجانب الصحي استشعر المعماري المسلم بضرورة تخصيص أماكن صحية تقام فيها الرعاية الطبية ويقام من خلالها التداوي وتوفير سبل العلاج، فأقام المستشفيات ومراكز الرعاية الصحية لخدمة الجانب الصحي لدى الإنسان، حتى أصبحت هذه المباني أحد أهم عناصر عمارة المدن، "وظاهرة إنشاء دور الشفاء عُرِفَت منذ فترة مبكرة، وكانت تسمى بالبيمارستانات أي دار الشفاء، وكل هذه المسميات استخدمت عبر التاريخ الإسلامي، وكلها تعبر عن المكان المخصص لعلاج المرضى^(١)."

● ثامناً: المباني الخدمية: تمثل المباني الخدمية إحدى عناصر عمارة المدن، ونعني بالمباني الخدمية: التي تخدم الإنسان وتلبي احتياجاته، ولعل من أهم المباني الخدمية الأسواق كونه المكان الذي يتوافر فيه معظم احتياجات الإنسان، والذي يكون فيه البيع والشراء؛ "حيث عُرِفَت العمارة المدنية الإسلامية الأسواق وكانت تؤدي دوراً مهماً في حركة البيع والتجارة داخل المدينة الإسلامية، وغالباً ما كانت تشيد هذه الأسواق في وسط المدينة^(٢)". وورد مصطلح الأسواق في القرآن الكريم في موضوعين من سورة الفرقان، على النحو الآتي: قال تعالى: ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ٧]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾ [الفرقان: ٢٠].

● تاسعاً: المناطق الخضراء: ونعني بالمناطق الخضراء الحدائق والمتنزهات؛ حيث للمناطق الخضراء منافع عديدة، تتعلق بالجانب الروحي والوجداني للإنسان؛ فتضيف له البهجة والسرور والشعور بالراحة والسعادة، بالإضافة إلى ما تقوم به من تهوية وتلطيف الأجواء. ومع تقدم الفنون المعمارية الإسلامية أصبح

(١) عبدالحافظ، العمارة الإسلامية، ص ١٩٨.

(٢) عبد الحافظ، لمرجع السابق، ص ١٩٦.

عنصر الحدائق من أهم العناصر التي يتم من خلالها تزيين المدن والمباني والمنشآت، والتي نالت اهتمام المصمم المعماري المسلم الذي أبدع وابتكر طرقاً، وخططاً تصميمية أدت إلى تنوع الحدائق.

ولقد جاء ذكر ما يندرج تحت الحدائق من ثمار، وأشجار، وزروع، ونباتات في العديد من الآيات القرآنية، وهذا يدل على عناية المنهج القرآني بالجانب الأخضر من الطبيعة؛ مما يلفت النظر إلى ضرورة توظيف هذا العنصر بما يخدم المدن، قال تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ (٢٤) **أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا (٢٦) فَأَبْنَيْنَا فِيهَا جَبًّا (٢٧) وَعَبْنَا وَقَضَبًا (٢٨) وَزَيَّنَّا وَنَحْلًا (٢٩) وَحَدَائِقَ غُلْبًا (٣٠)** [عبس: ٢٤ - ٣٠].

هذا ولم يقتصر المنهج القرآني على وصف الحدائق الدنيوية بل تعداه إلى وصف الحدائق الأخروية، وضرب المثل فيها كنعيم من نعم الآخرة التي تجذب الإنسان، يقول تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا (٣١) حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا (٣٢) [النبا: ٣١ - ٣٢].

● **عاشراً: مقار العمل:** تشكل أماكن العمل باختلاف اختصاصاتها، وتعدد مجالاتها، عنصراً مهماً من عناصر عمارة المدن؛ فالمؤسسات الحكومية، والمؤسسات الخاصة، وجميع ما يندرج تحت مظلة العمل باتت من أهم المباني التي نالت اهتمام المعماري حتى أصبح يتفنن في عمارة كل مبنى وما يرمز إليه من اختصاص، فنرى مباني عمل عالية من أبراج شاهقة، ونرى مباني عمل مستوحاه من تصاميم ذات دلالة هندسية حول اختصاص المبنى. ولقد دعا المنهج القرآني الإنسان أن يعمل في الحياة، ويكثر من الأعمال الصالحة، ويكد ويبذل قصارى جهده من أجل الكسب الحلال، والمساهمة في عمارة الأرض كل وحسب ميوله واختصاصه؛ فالمعلم يعلم، والطبيب يعالج، وكل موظف يوظف قدراته في وظيفته، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ﴾ [الملك: ١٥].

● **الحادي عشر: الأسبلة:** اهتم المنهج القرآني بالماء كونه من أهم مصادر حياة مختلف الكائنات الحية، يقول تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٠]، وانطلاقاً من أهمية الماء جاءت عناية الإنسان حول توفير أكبر قدر ممكن من المنشآت والمباني المائية، والتي أهمها الأسبلة التي تعتبر من "المنشآت الخيرية التي كانت تُشيد تقرباً لله عز وجل، وهي تندرج تحت نوع من المنشآت في العمارة المدنية الإسلامية وهي المنشآت المائية، أي تلك المنشآت المرتبطة بالمياه كالحمامات

والقناطر^(١)، وكذلك الحمامات التي تعتبر من عناصر عمارة المدن ومن المنشآت المائية؛ "لما تمثله هذه الوحدات المعمارية من أهمية في المجتمع المسلم الذي يعطي أهمية خاصة للنظافة والتطهر والمحافظة على الصحة العامة^(٢)".

المطلب الثاني: عناصر عمارة المباني.

أشار المنهج القرآني إلى كيفية إنشاء المباني وكيفية تصميمها، وإلى عناصر عمارة تلك المباني، وطريقة توظيفها وفقاً لما يخدم المبنى المراد بناؤه، بدءاً من اختيار منطقة البناء وتحديد اتجاهاته، مروراً بالعناصر المعمارية الداخلية والخارجية التي سيتم التطرق إليها في هذا المطلب الذي سيتم التركيز فيه على العناصر المعمارية للمساكن والمساجد؛ نظراً لتركيز المنهج القرآني على عمارة هذه المباني، وانتهاءً بالمواد الإنشائية والأثاث؛ "فالمتعمّن في أي القرآن الكريم يجد أن ظلالها تتفياً على عناصر عدة في مجال البناء، وهي كما يلي: اختيار الأرض: وهي إحدى العناصر وأولها في عملية البناء، والاتجاه، ونقاط التعيين^(٣)، بالإضافة إلى العناصر التي تساعد على معالجة وتهئية الراحة الحرارية داخل مباني المدن الإسلامية، أهمها: نوعية مواد البناء المستخدمة، وملاقف الهواء، وأساليب الإضاءة الطبيعية، واستخدام العناصر الطبيعية، ومعالجة الضوضاء^(٤)، وغيرها من العناصر المعمارية الأخرى التي جاء ذكرها في القرآن الكريم، والتي سيشار إليها خلال السطور القليلة القادمة، قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِّنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾^(٣٣) وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُورًا عَلَيْهَا يُتَكَبَّرُونَ^(٣٤) وَزُخْرُفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا^(٣٥) وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ^(٣٦) [الزخرف: ٣٣-٣٥]؛ تحتوي الآيات الكريمة السابقة على العديد من العناصر المعمارية، منها السقف، والمعارج، والأبواب، والسرر، والزخرف.

(١) عبدالحافظ، العمارة الإسلامية، ص ٢٠٧.

(٢) عبدالحافظ، المرجع السابق، ص ٢١٦.

(٣) إسماعيل، العمارة والعمران في ظلال القرآن، ص ٩٤-٩٧.

(٤) وزيري، العمارة الإسلامية والبيئة، ص ١٠٥-١٣٤، بتصرف يسير

هذا ويعتبر من الضروري عند اختيار هذه العناصر المعمارية أن تكون منسجمة قلباً وقالباً مع المبنى؛ أي تخدم الجانب الجمالي، وفي نفس الوقت تراعي الجانب البيئي، وما يندرج تحت ذلك من ضوابط تحقق الوظيفة التي تمت من أجلها عملية البناء، واختيار العناصر المعمارية بناء عليها كما مر بنا في المبحث السابق من هذا الفصل.

وقبل الخوض في عناصر العمارة الإسلامية للمباني والمنشآت الإسلامية ينبغي التطرق إلى عنصر مادة البناء كونه الأساس الذي يتم من خلاله توظيف بقية العناصر المعمارية. وكان المعماري المسلم في السابق يستخدم مواد بناءة تخدم الهدف أو الوظيفة التي من أجلها يتم البناء، وفي الوقت نفسه يراعي الشكل والحجم العام، ومع تقدم العلوم المعمارية والتكنولوجية، وتوظيفها في خدمة العمارة، بالإضافة إلى الاستفادة من التجارب المعمارية السابقة تم تطور وتقدم مواد البناء، وتعددت استعمالاتها؛ على النحو الذي تتم فيه دراسة كيفية توظيف كل مادة بما يتناسب معها من ظروف بيئية، واقتصادية، واجتماعية. وجاء في القرآن الكريم العديد من المواد البنائية، ومن تلك المواد: الماء الذي يعتبر العنصر الرئيس الذي تقوم عليه العمارة؛ فهو الأساس للبناء وسائر الأمور بل وسر حياة جميع الكائنات الحية، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٠]، بالإضافة إلى عنصر الرمل والطين الساخن: قال تعالى: ﴿فَأَوْقَدْ لِي يَهْمَنُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [القصص: ٣٨]؛ حيث يعتبر الرمل من مواد البناء الطبيعية والتي لها دورها الرئيس في عمليات البناء، سواء باستخدام الرمل بمفرده، أو من خلال خلطه مع مواد بناء أخرى. ومن تلك المواد أيضاً الحجارة والصخر، قال تعالى: ﴿وَتَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾ [الفجر: ٩]، وقال تعالى: ﴿وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٢]، والزجاج، قال تعالى: ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرٍ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤]، وجلود الأنعام، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَا وَمِئَةً إِلَى حِينٍ﴾ [النحل: ٨٠]، والأخشاب والأشجار التي يكثر استخدامها في النوافذ والأبواب والمشربيات، وكذلك تستخدم كحاجز وسائر

يفصل بين مختلف أجزاء المبنى، قال تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّعْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ يَتُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ [النحل: ٦٨]، والحديد والنحاس، قال تعالى: ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قَطْرًا﴾ [الكهف: ٩٦].

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ [الزخرف: ٣٣]، "وجه آخر من أوجه الإعجاز ألا وهو الإشارة إلى إمكانية استخدام المعادن بصورة أساسية في عناصر المباني المختلفة، كالأسقف والحوائط والأبواب وغيرها، وهذا سبق للقرآن الكريم حيث أن البشرية وقت نزول القرآن، كانت تستعمل في إنشاء المباني مادة الحجر أو الطوب أو الخشب، ولم تكن تعرف استعمال المواد المعدنية بصورة أساسية في إقامة المباني أو تشطبيها^(١).

كما ارتبطت بالعمارة الإسلامية الكثير من العناصر المعمارية التي ميزتها عن غيرها من أنواع العمارات الأخرى، وأهمها المآذن، والقباب، والمحاريب، والمداخل، والأعمدة والتيجان، والأروقة، والكواويل^(٢) وغيرها من العناصر التي سيتم ذكرها في هذا المطلب، والتي تم تقسيمها إلى قسمين: عناصر خارجية، وعناصر داخلية، على النحو الآتي:

● أولاً: العناصر الخارجية: المقصود بالعناصر الخارجية: التي تكون خارج المبنى، أو تلك التي تخدم الجزء الخارجي للمبنى كالمداخل والأبواب، والحدائق، والتنسيق العام للمساحات الخارجية، وسور المبنى، بالإضافة إلى الشبائيك والنوافذ، والفتحات الموزعة على المبنى سواء من فوق السطح أو في مختلف أرجائه، وما تقوم به من مهام تتمثل في تهوية المبنى، وتلطيف أجوائه، والاستفادة من الضوء الطبيعي وأشعة الشمس، وتحسين المنظر العام للمبنى وتزيينه. بالإضافة إلى المشربيات، والشرفات التي كانت في العصور السابقة تستخدم في القلاع والحصون لأغراض دفاعية، ولكن مع تقدم فنون العمارة الإسلامية وتطورها أصبحت في العصر الحالي عنصراً مهماً لمختلف المباني الإسلامية والتي تخدم مختلف الأغراض، فمثلاً استخدمت الشرفات في المساجد من أجل الصعود

(١) وزيري، إعجاز القرآن الكريم في العمارة والعمارة، ص ١١٩.

(٢) عبدالحافظ، الآثار والفنون الإسلامية، ص ٦٦، بتصرف يسير.

إلى المآذن، واستخدمت الشرفات في البيوت والقصور من أجل الاستفادة من الجو الخارجي، ومن أجل إضفاء الجانب الجمالي للمبنى. وللشرفات أنواع منها الشرفات المورقة أي التي تكون على هيئة الورق، ومنها الشرفات المسننة والتي أصبحت عنصراً لا غنى عنه لجميع أنواع العمارة الإسلامية، من: جوامع، وقصور، ومدارس، وخانوقات، وسبل^(١).

ومن العناصر أيضاً العقود وأشكالها، التي كانت تقتصر في العصور القديمة على العقد الروماني النصف دائري، حتى أصبحت العقود في العصور الإسلامية متعددة المظاهر والتركيب، فيها العقد المنفرج أو المنفوخ، والعقد المدبب، والعقد المطول، وفيها العقد الثلاثي الفتحات، والخماسي، والمفصص^(٢) بالإضافة إلى عنصر الفناء الذي هو عبارة عن فراغ مكشوف داخل المبنى، يحاط بسور أو جدران المبنى من غير سقف، أي مفتوح من ناحية السماء، وله دوره وأهميته البارزة التي نالت اهتمام المعماري المسلم الذي ركز على هذا العنصر وحوله إلى مساحات جذابة تكثر فيها النباتات والأشجار؛ حيث يعتبر "أهم عنصر في البيت الإسلامي هو الفناء الداخلي، والذي تمارس فيه الأسرة أنشطتها بخصوصية"^(٣)، ومن أهم العناصر الخارجية لعمارة المباني التي جاء ذكرها في القرآن الكريم:

● المداخل، والأبواب: يعتبر الباب من أهم العناصر التي لا غنى عنها في العمارة، والذي يكون موزع على المبنى سواء خارجه كالمدخل الخارجي الرئيسي للمبنى، أم داخله كالبيبان التي تفصل بين الغرف والحجرات. كما جاء ورود هذا العنصر في العديد من الآيات القرآنية الكريمة، منها قوله تعالى: ﴿وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١٨٩]، تشير الآية الكريمة إلى كيفية الدخول إلى المنزل الإسلامي، وذلك عن طريق الباب الذي يحفظ خصوصية المكان.

هذا "وتميزت مداخل الأبنية العامة، والقصور في العمارة الإسلامية بضخامتها وغالباً ما ارتفعت أطرافها وعقودها وحناياها الغائرة المحرابية الشكل حتى بلغت علو جدران الواجهة وربما جاوزتها

(١) عبد الحميد، سعد زغلول، العمارة والفنون في دولة الإسلام، ص ١١٨، بتصرف.

(٢) غنيمه، عبدالفتاح مصطفى، ميادين الحضارة العربية الإسلامية وأثرها على الحضارة الإنسانية، ج ٣، ص ٢٠٣، بتصرف يسير.

(٣) حريري، أسس تصميم المسكن في العمارة الإسلامية، ص ٤٥-٧٥.

ارتفاعاً، وقد استعملت في زخارفها جميع العناصر المعمارية الإسلامية وفنونها كفقرات الأقواس الملونة والمتداخلة، والفسيفاء، والرخام، والحليات الحجرية، والجصية، والخزف، وبشكل خاص المقرصنات، والمتدليات^(١).

● التنسيق العام للمساحات الخارجية للمبنى، وأهمها الحدائق: قال تعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ۗ إِنَّهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعِدُونَ﴾ [النمل: ٦٠]، لا شك أن الحدائق بما فيها من أشجار ونباتات لها دور رئيسي في تنسيق المساحات الخارجية للمبنى، وأهمية بالغة تعود على الإنسان سواء من الناحية الصحية، أو البيئية، أو الجمالية كما ذكرنا سابقاً. ومن عناصر تنسيق المساحات الخارجية كذلك: الرصف، والجبل الصخري التشكيلي، والنباتات المستخدمة، ومنحدر السيارة، وحمام الحوش^(٢) بالإضافة إلى النافورة، والفسقية، والسلسيل: للاستعمال، والزينة، وترطيب الجو أيام الحر والجفاف. وأما الفسقية: فهي عبارة عن حوض صغير تتوسطه نافورة، وقد يقام في منتصف بركة أخرى تتلقى ماءها منه^(٣).

● سور المبنى: لكل مسكن إسلامي سور أو حائط خارجي يحيط بالمبنى من الخارج، ويقوم بحفظ خصوصية المبنى، ويعتبر هذا العنصر من العناصر التي يتميز بها المسكن الإسلامي، والتي راعى فيها خصوصية المكان، حيث أولى القرآن الكريم اهتماماً بالغاً لخصوصية المنزل وسن آداباً للدخول إليه، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النور: ٢٧]؛ مما يدعوا إلى إقامة كل ما يضمن للإنسان خصوصيته.

● ثانياً: العناصر الداخلية: وهي تلك العناصر التي تتعلق بالأجزاء السفلية للمبنى والممتدة في قاع الأرض، والتي تعمل على حفظ أحمال وأثقال المبنى، والتي تساعد على ثبات واتزان المبنى؛ فهي

(١) وزيري، موسوعة العمارة الإسلامية، ج ١، ص ١١.

(٢) حريري، أسس تصميم المسكن في العمارة الإسلامية، ص ٤٥-٧٥، بتصرف يسير.

(٣) وزيري، مرجع سابق، ج ٢، ص ١٢١، بتصرف يسير. وللتوسع أيضاً في مسميات العناصر المعمارية الإسلامية بشكل تفصيلي، انظر: غالب، عبدالرحيم، موسوعة العمارة الإسلامية، وهو كتاب مترجم باللغة العربية، والإنجليزية، والفرنسية.

بمثابة العمود الفقري الذي يقوم عليه المبنى، كالأعمدة التي تعمل على الربط والاتصال بين أساس المبنى وأثقاله، والأسقف التي تحمل المبنى بشكل أفقي مشابه لوظيفة الأعمدة التي تعمل على حمل المبنى بشكل عامودي، وكلاهما يساعد على حفظ اتزان المبنى واستقراره، وكذلك الأرضيات، والأسطح. بالإضافة إلى العناصر التي يتم من خلالها تزيين المبنى، وتوزيع أقسامه، وسد فراغاته، واستكمال متطلباته من الأثاث، والوحدات الكهربائية بما فيها من وحدات التكييف والوحدات الضوئية، وخزانات المياه وتسليلاتها، ودورات المياه، والشرفات، والجدران، ودور التسوية، والغرف والحجرات، وغيرها من العناصر المعمارية الداخلية المتعلقة بالمساجد والمساكن ومختلف المباني الإسلامية. وسيتم التطرق إلى العناصر المعمارية الداخلية المشتركة بين المباني الإسلامية، بالإضافة إلى العناصر المعمارية المتعلقة بالمساجد، على النحو الآتي:

أولاً: العناصر المعمارية المشتركة بين المباني الإسلامية:

● **الأعمدة:** تعتبر الأعمدة من أهم عناصر عمارة المباني، والتي ينبغي مراعاة ضوابطها جيداً، بأن تكون ذات استقامة تمتاز بالقوة والصلابة، وبالشكل الذي يتحمل ثقل البناء، ويواكب مختلف الظروف المناخية، ولقد ورد لفظ هذا العنصر في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ [الرعد: ٢٠]، تشير الآية الكريمة إلى أهمية الأعمدة في حفظ السقف أو المبنى من السقوط أو الانهيار، لافتة النظر إلى صورة الإعجاز الإلهي في رفع السماوات من غير أعمدة نراها، بطريقة تختلف عن الواقع؛ حيث لا مبنى يقام من غير أعمدة أو ما شابه بها من دعائم تصلبه وتحفظ سقفه، وتحفظه من الانهيار والسقوط. كما وصف **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** قوم عاد بقوة مبانيهم التي تمتاز بصلابة أعمدتها، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٦) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (٧) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبَلَدِ﴾ [الفجر: ٦-٨]، ذات العمد، أي: "ذات القوة والشدة مأخوذ من قوة الأعمدة^(١)".

● **الأسقف:** من عناصر عمارة المباني في القرآن الكريم السقف الذي يعتبر الرابط أو الموصل بين أعمدة المبنى، ويشكل الأساس الأفقي الذي يغطي المبنى من فوقه. ولما كان سقف المبنى يتعرض أكثر من غيره من العناصر المعمارية للمؤثرات البيئية من أشعة الشمس والأمطار؛ فينبغي حسن

(١) القنوجي، فتح البيان في مقاصد القرآن، ج ١٥، ص ٢٢٠.

اختيار مواد إنشائه بأن تكون مناسبة للظروف المناخية والبيئية. قال تعالى: ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُيُوتَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النحل: ٢٦]، تبين الآية الكريمة العلاقة التي تربط بين سقف المبنى وبين أعمدته وقواعده؛ إذ كلاهما يقوم بحفظ اتزان المبنى وحفظ استقراره. كما جاء وصف السماء وكيف جعلها الخالق جل في علاه كالسقف المحفوظ، والذي لا يحتاج إلى قواعد وأعمدة، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٢] "والسقف، حقيقته: غطاء فضاء البيت الموضوع على جدرانه، وأطلق السقف على السماء على طريقة التشبيه البليغ^(١).

● السلام: جاء ذكر السلم في القرآن الكريم بلفظ المعارج، ويعتبر السلم من عناصر المباني التي يتم من خلالها الربط بين أدوار المبنى، والذي يضيف للمبنى حساً جمالياً فهو بمثابة واجهة للمبنى، وينبغي استغلاله جيداً وانتقاء ما يتناسب معه من مواد، قال تعالى: ﴿وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ [الزخرف: ٣٣]؛ تبين الآية الكريمة وظيفة السلم في الظهور والصعود من دور إلى دور أعلى، يقول الشوكاني في تفسير هذه الآية الكريمة: "المعارج، أي: الدرج جمع معراج، والمعراج السلم. والمعنى: فجعلنا لهم معارج من فضة عليها يظهرون، أي: على المعارج يرتقون ويصعدون^(٢).

● الأثاث: قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَا وَمَتَعًا إِلَى حِينٍ﴾ [النحل: ٨٠]؛ تبين الآية الكريمة كيفية استغلال جلود الأنعام فيما يخدم الأثاث. ويدل الأثاث الداخلي على متاع البيت، وجميع ما يستخدمه الإنسان في داره من فرش وثياب وغيرها، سواء كان قاصداً من خلاله سد حاجته، أو بغرض تزيين داره. ونرى في المباني الإسلامية عدم انفصال التصميم المعماري عن التصميم الداخلي للأثاث، وهنا يظهر التكامل التام في التصميم بين الخارج والداخل، ولعل من أهم عناصر الأثاث: المقاعد، والخزائن، والمناضد^(٣).

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ١٧، ص ٥٨.

(٢) الشوكاني، فتح القدير، ج ٤، ص ٦٣٥.

(٣) وزيري، موسوعة عناصر العمارة الإسلامية، ج ٢، ص ٥٣، بتصرف يسير.

● **الأرضيات، والأسطح:** لكل مكان في هذه الحياة أرضيته التي يستطيع الكائن الحي السير عليها، وتعتبر الأرضيات والأسطح من العناصر التي يقوم عليها المبنى، والتي عادة ما تسطح بالرمل، والطين، والإسمنت، والبلاط. قال تعالى: ﴿وَالِى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [الغاشية: ٢٠]؛ تبين الآية الكريمة كيف هيأ الخالق سبحانه وتعالى الأرض وجعلها مسطحة متزنة؛ يستطيع الإنسان من خلالها ممارسة حياته بشكل طبيعي، كما يمكن التماس بعض الملامح المعمارية من الآية الكريمة من خلال بيان الدور الرئيس الذي تقوم به الأسطح والأرضيات في خدمة المبنى وحفظ توازنه.

● **الجدران:** تعتبر الجدران سواء كانت الجدران الداخلية للمبنى، أو الجدران الخارجية بمثابة العازل الذي يمنع تسلل المؤثرات الصوتية والبصرية الخارجية، كعزله للحرارة أو البرودة، ومنعه من تسلل الضوء، والضوضاء، بالإضافة إلى حجبه لرؤية الحركة. بالإضافة إلى الدور الذي يقوم به الجدار في تقسيم أجزاء المبنى، ومرافقه، قال تعالى: ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ. قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [الكهف: ٧٧]، جاء في الآية الكريمة لفظ الجدار؛ حيث عندما مر الخضر مع موسى عليه السلام وجدا جداراً كان مائلاً دار عليه الزمن، ويريد أن ينخر وينهدم، قام الخضر بإعادة بنائه وصلبه حتى استقام، ومن خلال تأملنا للآية الكريمة يتبين ضرورة حسن اختيار مواد الجدران بأن تكون صلبة وقوية، قادرة على مقاومة الظروف المختلفة، بالإضافة إلى ضرورة إعادة بناء الجدار وصيانته والمحافظة عليه من الضعف بين كل فترة وفترة حتى لا ينخر وينهدم.

ثانياً: العناصر المعمارية المتعلقة بالمساجد.

أشار القرآن الكريم إلى المسجد كونه أهم عناصر عمارة المدن، تارة ببيان أهمية المسجد، ودوره في تزكية وتقوية النفس الإنسانية، وتارة بتوضيح دوره في توطيد العلاقات، وتارة أخرى بوصف المساجد أنها بيوت الله جل في علاه؛ مما يستدعي إلى دراسة العناصر المعمارية المتعلقة بالمساجد، وإبراز مميزاتها، والاهتمام بها، كونها أهم المباني الإسلامية، قال تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ. يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ [النور: ٣٦]، يُقصد بالبيوت في الآية الكريمة المساجد التي يؤدي فيها المسلم فريضته، ويتقرب بها إلى خالقه في جو روحاني مليء بالتسبيح والذكر.

ولعل من أهم العناصر المعمارية للمساجد: التخطيط الذي يتوافق مع العقيدة الإسلامية ببساطة أركانها، والصحن والهواء لمظلات المسجد وخاصة ظل القبلة، والأروقة وهي الظلة التي تشتمل

على المحراب والمنبر والمقصورة، والمئذنة التي تعتبر من أهم العناصر المعمارية الإسلامية التي تعطي للمسجد شخصيته المميزة^(١) ومن أهم عناصر عمارة المسجد بيت الصلاة: "وهو الجزء المسقوف من المسجد ناحية القبلة، وقد لا يزيد عمق بيت الصلاة (ويسمى جوفه) عن صفين من الأعمدة، وقد يمتد فيشمل أكثر من نصف مساحة المسجد^(٢)، بالإضافة إلى الصحن الذي يتوسط المسجد، والمتميز بالهدوء والسكينة؛ فهو الفضاء المختلف عن غيره؛ ذلك الفضاء الروحاني الذي يمارس فيه العبد ركنه الإسلامي ويتصل بخالقه.

هذا وتعتبر القبلة من أهم الأمور التي ينبغي مراعاتها عند عمارة المساجد، قال تعالى: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ [البقرة: ١٤٤]، القبلة هي الاتجاه الذي أمر الله سُبحانه وتعالى باتباعه لأداء الصلاة؛ فينبغي عند عمارة المساجد مراعاة اتجاه القبلة، وأن تكون هناك زاوية أو تجويف داخلي في منتصف الحائط الأمامي للمسجد يتجه نحوها الإمام ومن يتبعه من المصلين في صلاتهم، والذي يطلق عليه بالمحراب، والذي تم وروده في العديد من الآيات القرآنية الكريمة، منها قوله تعالى: ﴿كَلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾ [آل عمران: ٣٧]، وقوله تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ﴾ [آل عمران: ٣٩]، "يطلق المحراب على المسجد، أو أشرف مواضعه ومقدمها، سمي بذلك لأنه محل محاربة الشيطان^(٣).

كما يعتبر المنبر من أهم العناصر المعمارية التي عرفت قديماً في المساجد، باختلاف المواد التي تصنع منه، والتي غالباً ما تكون مصنوعة من الخشب، بالإضافة إلى الرخام المزين بالنقوش، والزخارف الإسلامية. ويعتبر المنبر المكان الذي تلقى فيه المواعظ والخطب الدينية، ولقد "طور الفنانون المسلمون هذا العنصر المعماري، وأدخلوا عليه لمسات جمالية حتى صار واحداً من أهم العناصر الفنية، والوظيفية داخل المسجد^(٤).

(١) المرسي، سامي محمد، المساجد الكبرى في العالم الإسلامي، ص ٢٤-٣٢، بتصرف.

(٢) مؤنس، حسين، المساجد، ص ٦١.

(٣) البضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج ٢، ص ١٥.

(٤) طرشاوي، العمارة الإسلامية، أصولها الفكرية ودلالاتها الثقافية والبيئية، ص ٣٧.

هذا وتعتبر الأروقة إحدى العناصر المعمارية المتعلقة بالمساجد، "وتقام الأروقة عادة في مقدمة الأواوين والحجر في الطابق الأرضي، وأمام الغرف في الطابق العلوي بشكل ممر مكشوف الوجه، وسقفه معقود من الأعلى، وكانت الأروقة تطل على جانب واحد أو جانبيين، أو تحيط بالصحن من جميع جهاته^(١)."

أما عنصر المئذنة الذي تتميز به المساجد الإسلامية، والذي يقوم المؤذن من خلاله برفع الآذان قديماً، ويقوم بالعديد من الوظائف الدينية، والدفاعية، بالإضافة إلى ما يقدمه من جمال وقداسة. ولقد مرت المآذن بمراحل مختلفة من التطور والتقدم؛ فأصبح هناك المآذن البسيطة، والمآذن الشاهقة، والمآذن الدقيقة، والمآذن العريضة، ومن أنواع المآذن أيضاً: "المئذنة الحلزونية، والمئذنة المضلعة، والمئذنة الاسطوانية^(٢)."

ويأتي عنصر القبة ضمن أهم العناصر المعمارية التي تقوم بالعديد من الوظائف، فهي على الرغم بما تقوم به من وظائف جمالية، إلا أنها تضيف إلى المتعبد الشعور بالمزيد من الارتياح والاطمئنان والرفعة والسمو؛ فالقبة بشكلها الدائري تكون داخل المسجد من الداخل إلى الخارج باتجاه الأعلى، وذلك يؤثر على شعور المتعبد الناظر بعينه وقلبه إلى السماء، يدعو خالقه ويرجوه. كما تقوم القبة بإدخال أشعة الشمس داخل المسجد، وتهويته إن كانت في القبة فتحات يتخلل من خلالها الهواء. ولا يغفل عن ما تقوم به القبة من تكبير الأصوات وتضخيمها وهذا أيضاً يدخل الرهبة في صدور المصلين الذين يستمعون إلى ما يتلوه الإمام من آيات قرآنية كريمة، وكذلك يعتبر هذا العنصر "وسيلة تغطية لمساحات مربعة صغيرة أو كبيرة^(٣)". ومن أنواع القباب: "القبة البيضاوية، والقبة البصلية، والقبة الكروية، والقبة المخروطة، وقببية المئذنة التي تشكل الجزء العلوي من المئذنة، وهي شكل مصغر للقبة^(٤)". ويأتي الهلال الإسلامي الذي يوضع فوق معظم القباب والمآذن، والذي يرمز

(١) جودي، محمد حسين، العمارة العربية الإسلامية، خصوصيات، ابتكاراتها، جمالياتها، ص ٦٥.

(٢) الألوسي، صفا لطفي، معجم مصطلحات وأعلام في الفكر والزخرفة والعمارة الإسلامية، ص ١٤٤-١٤٥.

(٣) عبدالحافظ، العمارة الإسلامية، ص ١٤.

(٤) الألوسي، مرجع سابق، ص ١٢٩-١٣٣.

إلى التوحيد في الإسلام؛ حيث يتجه كالبوصلة الروحية باتجاه الكعبة موازيا للمحراب، وعمودياً على جدار القبلة، وكأنه السهم الذي يقود الصلاة باتجاه موطن الوحي^(١).

يتضح من خلال ما سبق ذكره في هذا الفصل أن العمارة الإسلامية نشأت في عصر له تراثه المعماري، وفي ظل الإسلام أصبحت العمارة تتطور شيئاً فشيئاً من الناحية الشكلية والوظيفية، موظفة الجانب المعنوي قبل الجانب المادي، ويحد ذلك قيم وضوابط معمارية إسلامية تعني باحتياجات الإنسان، وتراعي جميع الجوانب الدينية، والاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، وكل ما ينهض بالحضارة الإسلامية؛ حيث "بنى المسلمون مدناً عديدة، في وقت مبكر من بدء فتوحاتهم، وكان أول ما يفعلونه بعد اختيار موقع المدينة المراد بناءها، أن يختطوا المسجد الجامع، ودار الإمارة، ومن حولهما حي لكل قبيلة، كان يدعى (القطعية)، وفي كل قطعية منازلها ومسجدها وسوقها^(٢)؛ مراعين بذلك الاحتياجات الدينية، والشخصية، والاجتماعية.

كما وضح هذا الفصل عناصر عمارة المدن والمباني الإسلامية، وكيفية توظيفها، والتي تعتبر من أهم ما يميز العمارة الإسلامية، ويحافظ على استمرارها. وبناءً على ذلك نتقل في الفصل القادم إلى إبراز تلك المميزات التي امتازت بها العمارة الإسلامية وقيمها المادية والمعنوية، بالإضافة إلى التطرق لبعض النماذج المعمارية الإسلامية المبكرة المعاصرة، والبحث في مكوناتها التي ضمنت استمرارها وتميزها عبر مر العصور واختلاف الدهور.

(١) الألويسي، معجم مصطلحات وأعلام في الفكر والزخرفة والعمارة الإسلامية، ص ١٥٢، بتصرف يسير.

(٢) أبو خليل، شوقي، الحضارة العربية الإسلامية وموجز عن الحضارات السابقة، ص ٥٥١.



الفصل الثاني: مميزات العمارة في القرآن الكريم، ونماذج للعمارة الإسلامية.

من أهم ما يميز العمارة الإسلامية أنها عمارة مادية تتعلق بالإنشاء والبناء والتشييد، وفي ذات الوقت نفسه عمارة معنوية تتعلق بالروحانيات والعبادات والقيم الأخلاقية، عمارة تهتم بالمضمون والجوهر، والشكل والمظهر؛ ففي العمارة الإسلامية لا يمكن انفكاك العمارة عن العمران المعنوي؛ حيث تعتبر العمارة وليدة العمران المعنوي.

وعليه فإن هذا الفصل يهدف إلى إبراز مميزات العمارة في القرآن الكريم، والاستشهاد بنماذج معمارية إسلامية شهدتها الحضارة الإسلامية عبر مختلف العصور المبكرة والحديثة، والتي توضح القيم العمرانية المعنوية والمادية التي تم توظيفها في خدمة العمارة.

المبحث الأول: مميزات العمارة في القرآن الكريم.

مع استعراض بعض الآيات القرآنية الكريمة؛ يتضح الاهتمام بالعمران والتعمير الروحي في المدينة بشكل عام، وفي المباني التي تتكون منها المدينة بشكل خاص، بالشكل الذي يؤكد شمولية الدين الإسلامي لكافة جوانب الحياة داخل ما يتم إنجازه من عمران^(١) لذلك سيركز هذا المبحث على مميزات العمارة في القرآن الكريم من خلال دراسة قيم العمارة من الناحية المادية والجمالية، والناحية المعنوية والروحانية، على النحو الآتي:

المطلب الأول: القيمة المادية، والجمالية.

تتميز العمارة الإسلامية بتعدد طرزها، وتنوعها، وغنى عمائرهما، والتفنن في زخارفها، واشتراكها في الأغراض والأهداف المتمثلة في التركيز حول العناية والاهتمام بالمضمون والجوهر. وظهر فن العمارة الإسلامية مع نشأة الإسلام والذي كان يتميز بالبساطة والانسجام المباشر مع ظروف الإنسان، وظروف بيئته، ثم ظهر الطراز الأموي، فالطراز العباسي، وبعد ذلك ظهرت العديد من الطرز الأخرى، والتي أطلقت عليها مسميات تابعة لمسميات الإقليم، أو الدولة، أو المنطقة، أو حتى الأشخاص، كالطراز الأندلسي، والطراز الأيوبي، والطراز الفارسي، والطراز العثماني، والطراز

(١) حسن، العمران والتعمير في ضوء القرآن والسنة، ص ٢٠، بتصرف يسير.

الهندي، والطراز المغولي، وغيرها من الطرز الأخرى^(١) ويرجع تعدد الطرز وتنوعها إلى تعدد الشعوب الإسلامية، وتنوع المواد البنائية التي تختلف من إقليم إلى آخر، بالإضافة إلى اختلاف البيئات، وتنوع الثقافات؛ مما أدى إلى عمارة رصينة متنوعة، وفي ذات الوقت نفسه عمارة فريدة يجمعها طابع موحد يهتم بالقيم المادية والجمالية التي جعلت للعمارة الإسلامية مميزات تميزها عن غيرها من العمارات الأخرى، ومن تلك المميزات التي جاء ذكرها في القرآن الكريم:

● عمارة تهتم بالعمائر السكنية أولى اهتمام: من خلال التتبع في آيات الذكر الحكيم تتضح العناية بالمباني السكنية؛ وذلك للعديد من الأغراض، منها: بيان نعم الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** على الإنسان الذي وفر له الملجأ والمسكن الذي يستطيع من خلاله الاستقرار والشعور بالراحة والأمان، قال تعالى:

﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَخِفُّونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْجِفُونَ الْجِبَالَ بَيْوتًا فَادَّكُرُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ٧٤]، ومنها ذكر أحوال مساكن الأمم السابقة، وما حل بها من هلاك ودمار نتيجة إغراضهم عن الحق، وعدم إيمانهم بالله جل في علاه، وجحودهم لأنعمه؛ للاستفادة من الدروس والعبر، قال تعالى: **﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فَنَلَّكَ مَسْكِنُهُمْ لَمْ تَسْكُنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾** [القصص: ٥٨].

ومنها بيان عناصر المبنى السكني وكيفية إنشائه وفق كل بيئة وما تحتاجه من نوعية بناء؛ فمثلاً جاء وصف المباني السكنية التي تكون في المناطق التي تتميز بالجو المعتدل، وما تحتاج إليه من بناء، وكذلك المباني التي تكون في الجبال، وما تحتاج إليه من نحت، قال تعالى: **﴿وَكَأَنَّا يَنْجِفُونَ مِنَ الْجِبَالِ بَيْوتًا ۖ أَمْنِينَ﴾** [الحجر: ٨٢]، في حين جاء وصف المبنى السكني الذي يكون في صحراء شديدة الحرارة، يصعب الاستقرار فيها، ويكثر الارتحال والتنقل من خلالها في قوله تعالى: **﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَفِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَا ۖ وَمَتَّعَا إِلَىٰ حِينٍ﴾** [النحل: ٨١]؛ حيث توضح

(١) للغوص في معرفة نشأة كل طراز وخصائصه ونماذجه بشكل تفصيلي، انظر: الريحاوي، عبدالقادر، العمارة في الحضارة الإسلامية.

الآية الكريمة نوعية السكن في مثل هذه المناطق، والتي ينبغي أن تتميز بسهولة حملها وإنشائها بأن تكون مساكن متقلة خفيفة، ففي قوله تعالى: ﴿تَسْتَخِفُّونَهَا﴾ أي: تحملونها وتضعونها بكل سهولة ويسر، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ ظَعَنَكُمْ﴾ أي: يوم ارتحالكم وتنقلكم من منطقة إلى أخرى.

● عمارة لها صبغتها الدينية الخاصة: يعتبر الدين الإسلامي المحرك الفعال لعجلة التنمية البنائية والمعمارية، والذي انعكس طابعه في الحضارة الإسلامية من خلال كثرة انتشار المباني والمنشآت الدينية التي كان الهدف من وراء بناءها التقرب إلى الخالق وكسب رضاه، ولعل من أهم ما يميز العمارة الإسلامية عنايتها الفائقة بالعمائر الدينية والمنشآت التعبدية والتي تميزت بطابعها الخاص، ولعل أهم تلك المنشآت الدينية الجوامع والمساجد الموزعة في مختلف الأقطار الإسلامية؛ نظراً لأهمية وجودها وما تقوم به من دور في توطيد العلاقات بين المسلمين واجتماعهم، وتوحيد كلمتهم، ولحاجة الإنسان إلى مكان خاص للعبادة يتقرب من خلاله إلى خالقه ويناجيه، ويؤدي فريضة الصلاة فيه؛ ولتلك الحاجات اعتنى المنهج القرآني بالمساجد عناية خاصة؛ فتارة نجد الإشارة إلى فوائد المساجد وأهميتها، وتارة يتم الالتفات إلى ضوابط المساجد ومعاييرها، وتارة نجد عناصر بناء المساجد، وتارة أخرى يتم ذكر نماذج لأهم المساجد؛ مما دفع المعماري المسلم إلى الاهتمام بهذه المنشآت، والتفنن في عمارتها، والعناية بأدق تفاصيلها، حتى تفردت بالأساليب والأشكال، وتنوع العناصر والخصال.

ومن خلال النظر في القرآن الكريم يتبين ورود لفظة المسجد في العديد من الآيات الكريمة سواء كانت بصيغة المفرد أو بصيغة الجمع، وسواء كان بلفظ المسجد بشكل مباشر، كقوله تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف: ٢٩]، أو إطلاق لفظة يُقصد بها المسجد، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٦]؛ فالمقصود بالبيت في الآية الكريمة هو المسجد الحرام. كما قال تعالى: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ عَيْنِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١]؛ وفي هذه الآية الكريمة جاء ذكر نموذجين لأهم المساجد.

● الاهتمام بالزخرفة، وتوظيف عناصر النقوش الكتابية: من أهم ما تتميز به العمارة الإسلامية اهتمامها البالغ بالزخرفة والنقوش الكتابية التي تستخدم في عمارة المباني ومختلف أنواع الأثاث، وتزيد من جمالية المبنى وبهائه، وهذا الاهتمام يكثر في المباني الإسلامية المختلفة، حتى لا يكاد يخلو أي مبنى من هذا الجانب الذي له أهمية بالغة في إضفاء طابع الجمال، وإمتاع العين، وتحريك العاطفة نحو تلك الزخارف والنقوش التي تحتوي أحياناً على آيات قرآنية، وأحياناً على نصوص من الشعر العربي، وأحياناً أخرى تحتوي على أشكال هندسية ذات دلالة محورية حول المبنى أو المنشأ المعماري الإسلامي؛ "فإن الطابع التزييني المميز في كتابة الخطوط العربية والزخرفة لا يمكن أن يكون منفصلاً عن الطابع التعبيري للبناء، وكلاهما يكتسب قيمة جديدة، وحينما يشيع الإيقاع الحركي في سائر العناصر المعمارية فإن ذلك يولد فينا ضرباً من التألف غير العادي مع البناء، يستحوذ على مشاعرنا، وكأن هناك روحاً تنظم حركتها وتحدد كفاءتها"^(١)؛ نظراً لاستغلال الزخارف والنقوش الكتابية التي تميزت بمراعاتها للعديد من الأمور التي تخدم المبنى كالإشارة إلى المبنى والتعريف بمنشئته، ومراعاة استخدام نوع المواد المستخدمة، بالإضافة إلى مراعاة مواقع الاستخدام، وغير ذلك.

ولقد اهتم المعماري المسلم بعنصر الزخرفة اهتماماً بالغاً حتى استخدمه لخارج المبنى، وداخله، وبمواد مختلفة، وأساليب متنوعة هندسية كانت أم كتابية؛ "فلما كانت عناصر العمارة الإسلامية لها أصول قديمة، كذلك كان الحال بالنسبة لعناصر الزخرفة الإسلامية من نباتية، وهندسية، وحيوانية، وأدبية، ولما كان لها من سمات تجريدية، ومن ألوان خاصة، بل وتبعاً لمكان الزخرفة، من: سطح أفقي، أو مستدير، أو الشيء المزخرف، من: عمارة كبيرة أو تحفة صغيرة، وانسجاماً مع المادة المزخرفة من حجر، وخشب، وعظم، وخزف، وزجاج، ومعدن، وجلد، ونسيج، أو ورق"^(٢).

إذاً تعتبر الزخرفة من أهم العناصر الجمالية التي تتميز بها العمارة الإسلامية؛ لما لها من طابع خاص تتفرد به، حيث نرى تفنن المعماري المسلم بالأشكال الزخرفية في مختلف المباني الإسلامية، والتي قد تعرف أنها مباني إسلامية من خلال الرسومات والأشكال الزخرفية والانحناءات التي

(١) جودي، العمارة العربية الإسلامية، خصوصيتها، ابتكاراتها، جمالياتها، ص ٩٧.

(٢) عبد الحميد، العمارة والفنون في دولة الإسلام، ص ٢٢٠.

تفرد المعماري المسلم فيها مستخدماً العديد من أنواع المواد^(١) حتى أصبحت محور اهتمام من يقوم بزيارة تلك المباني الإسلامية؛ لما تحتويه من زخارف ورسومات هندسية ذات طابع إسلامي؛ على سبيل المثال في مسجد قرطبة "الذي تم تأسيسه على يد عبدالرحمن الأول، بن معاوية الداخل، أول أمير مستقل للأندلس"^(٢)، نلاحظ "أقواس حدوة الفرس مع عدد من التحولات التي تجري عليها واستخدام طريقة خاصة في تجميعها ونظمها مع بعض؛ لتولد سلسلة من الانحناءات التي تعمل على تصغير وتعقيد المقياس وتحقيق تألف مع بقية الأشكال لترسم عمارة بليغة في أروع صورها؛ فتتولد الجاذبية المعقدة التي عرفت عبقرية وغنى العمارة الإسلامية"^(٣)؛ ويرجع سبب اهتمام المعماري المسلم بالعنصر الجمالي، والاهتمام بالزخرفة إلى عناية القرآن الكريم بالزخرفة، وذلك من خلال العديد من الآيات القرآنية التي بينت أهمية الزخرفة ودورها في إضفاء الجمال سواء من الناحية المادية أو المعنوية، حتى جاءت سورة في القرآن الكريم تحمل اسم الزخرف.

يقول تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَزُخْرُفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٣٥]؛ والمقصود بالزخرف النقوش والأشكال التي يتم من خلالها تزيين المكان وتحسينه؛ يؤكد ذلك قوله تعالى في سورة يونس: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ﴾

(١) للتوسع حول مظاهر الحضارة الإسلامية في الفنون والأشكال الزخرفية، انظر: حسين، محمود إبراهيم، الارابيسك دراسات في الحضارة والفنون الإسلامية، ص ١٠٥ - ٢٠١.

(2) Manuel Salcines, photos by: Archivo Noria Oronoz, La Mezquita De Cordoba, 7

Abd al-Rahman I, ibn Muawiya, el Dajil, superviviente de la famosa-tanza de Abu Futrus en palestina, donde los Abbasidas asesinaron a la mayoría de los Omeyas, y primer emir independiente de Al-Andalus, fue el fundador de esta mezquita.

Basilo Pavon Maldonado, **El Arte** للاستزادة حول العمارة الإسلامية في قرطبة، الأصل والتطور، انظر: **Hispano-Musulman En Su Decoracion Geometrica Una teoria para estilo**, 141.

وهناك أيضاً كتاب مترجم باللغة العربية لنفس المؤلف السابق Basilo Pavon Maldonado، ويتعلق بعمارة المساجد في الأندلس، والموسوم بـ: عمارة المساجد في الأندلس، مدخل عام، ترجمة: علي إبراهيم متوفي.

(٣) شريف، أنوار مشعل، والعمرى، حفصة رمزي، بلاغة الشكل في العمارة الإسلامية: دراسة تحليلية لأسلوب الإطناب، ص ٤٠. من أجل التعرف على الأشكال المذكورة في المتن حول مسجد قرطبة، انظر: ص ٣٧٩ وما بعدها من هذا البحث.

[يونس: ٢٤]؛ حيث مزجت هذه الآية الكريمة الزخرفة بالزينة، وقد يُقصد بالزخرف أيضاً الذهب الذي يعتبر كذلك من الأمور التي تندرج تحت الزينة، قال تعالى: ﴿أَوْ يَكُونُ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرَفٍ أَوْ تَرَفٍّ فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُفَيْكَ حَتَّى تُنْزَلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٣]، "قال المفسرون: «الزخرف» الذهب في هذا الموضع، والزخرف ما تزين به، كان بذهب أو غيره^(١)".

● عمارة تسعى إلى الجمال بكافة الصور والأشكال: اهتم القرآن الكريم بجانب الجمال والزينة، نلتبس ذلك من خلال العديد من الآيات القرآنية التي وضحت لنا أهمية الزينة في تجميل وتحسين المكان والمنظر، يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾ [الملك: ٥]، كما يقول تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ﴾ [الصفات: ٦]، قال صاحب الظلال في تفسيره للآية الكريمة: "ونظرة إلى السماء كافية لرؤية هذه الزينة، ولإدراك أن الجمال عنصر مقصود في بناء هذا الكون، وأن صنعة الصانع فيه بديعة التكوين جميلة التنسيق، وأن الجمال فيه فطرة عميقة لا عرضاً سطحياً، وأن تصميمه قائماً على جمال التكوين كما هو قائماً على كمال الوظيفة سواء بسواء؛ فكل شيء فيه بقدر، وكل شيء فيه يؤدي وظيفته بدقة وهو في مجموعه جميل^(٢)".

كما دعت الآيات الكريمة إلى استلهاً نواحي الجمال من خلال النظر والتأمل في ملكوت السماوات والأرض، وفي إبداع صنع الخالق وإعجازه في البناء، يقول تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ [ق: ٦]. هذا وتبين الآيات الكريمة ضرورة استخدام العنصر الجمالي في عمارة المباني؛ لما له من تأثير بالغ على شعور الإنسان، وإحساسه بالسعادة والراحة، يقول تعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمُ أَنْ تَنْتَبِهُوا شَجَرَهَا أَلَمْ يَكُنْ اللَّهُ مَعَ الْهَمِّ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ [النمل: ٦٠]؛ أي: حدائق بهيجة ناضرة جميلة مفرحة؛ ففي التأمل في منظر الحدائق يأتي الشعور

(١) ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج ٣، ص ٤٨٥.

(٢) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج ٥، ص ٢٩٨٣-٢٩٨٤.

بالبهجة والنشاط، الكفيل بإحياء القلوب. وفي تدبر آثار الإبداع في الحداثك كفيل بتمجيد الصانع الذي أبدع هذا الجمال؛ فتلوين زهرة واحدة وتنسيقها ليعجز عنه أعظم رجال الفنون، وتموج الألوان وتداخل الخطوط وتنظيم الوريقات في الزهرة الواحدة ليلبدو معجزة تتقاصر دونها عبقرية الفن في القديم والحديث^(١).

هذا واحتوت الآيات الكريمة على العديد من النماذج المعمارية، التي تحمل العديد من نواحي الجمال والإبداع النابع من الفكر والإمعان؛ مما قد يدفع المعماري المسلم محاولة الاقتداء بتلك النماذج، والسير على نهجها الذي أعطى للجمال قيمة في عملية العمارة، ومن أهم النماذج المعمارية ذات الطابع الجمالي والإبداعي: الصرح الممرد لسليمان عليه السلام: ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤].

فالعمارة الإسلامية عمارة تبحث عن جوانب الجمال وتسعى لتوظيفه في خدمة الإنسان من خلال التركيز على عمران الوجدان، وجمال البنيان، سواء كان ذلك التركيز يخدم الفضاء الداخلي للمبنى أو الخارجي؛ ليصبح بعد ذلك صالحاً للحياة البشرية، ومجالاً لتطور الحضارة الإنسانية؛ "فالعمارة وعاء الحضارة، وتمثل الهوية الثقافية، والمستوى الإبداعي والجمالي للإنسان، ولقد استطاعت العمارة الإسلامية أن تنتقل من المضارب في البوادي إلى الأكواخ في القرى، ثم إلى المباني والأوابد في المدن، حاملة ملامح أصيلة، منسجمة مع متطلبات الإنسان ومع تقاليد بيئته^(٢).

● عمارة ذات عقيدة رصينة تتوافق مع الضوابط الشرعية: تأثرت العمارة الإسلامية بالعقيدة تأثراً جلياً؛ حتى ظهر أثر ذلك على أشكالها وأساليبها وأنواعها.

ومما لا شك فيه أن العقيدة تؤدي إلى الرقي الحضاري للفرد والمجتمع الذي يعيش فيه؛ فهي بمثابة البوصلة التي يسير عليها المسلم سيراً فطرياً نحو عمارة الأرض وعمرانها وتوظيف القدرات والإمكانات نحو تحقيق الأهداف التي أصبح الإنسان خليفة في الأرض من أجلها، والمتمثلة في

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج ٥، ص ٢٦٥٦، بتصرف يسير.

(٢) البهنسي، فنون العمارة الإسلامية وخصائصها، ص ٢٩.

عبادة الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، والسير في الأرض من أجل الخلافة والعمارة والإصلاح، قال تعالى: ﴿وَالْإِنْسَانُ لِرَبِّهِ لَكَنُفِرٌ﴾ [الأنعام: ١٦٥]؛ تؤكد الآية الكريمة العلاقة التبادلية بين العقيدة والعمارة؛ إذ سبب استخلاف الإنسان في الأرض وعمارته متمثل في الإيمان والعقيدة، وما يندرج تحتها من عبادة الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** وطاعته وإخلاص الدين له.

ومن أهم الركائز التي تقوم عليها العمارة ويؤسس عليها البناء كما ذكرنا سابقاً تقوى الله سبحانه وخشيته؛ يؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُيُوتَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُيُوتَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَاتَّخَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [التوبة: ١٠٩]، والاستفهام في الآية الكريمة استفهام تقريرى يدعو إلى لفت النظر والتركيز؛ إذ لا يقارن من قام بتأسيس بنيانه على أقوى الأسس، وأمتنها، وأضمنها في المحافظة على قوة البنيان وديمومته، مع من اتخذ أوهن الأسس وأضعفها، والتي لن تؤدي به إلا إلى الخسارة والخذلان.

هذا ويقابل القرآن الكريم في الآية السابقة بين نتيجة التأسيس الصحيح القائم على التقوى والإصلاح، وما ينتج منه من حفظ البناء والإعمار بنتيجة التأسيس الضعيف الذي لا يقوم على التقوى والإيمان، بل يقوم على الفساد، وما ينتج منه من خراب ودمار سيحل على المبنى طال الزمن أم قصر، قال تعالى: ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰ اللَّهُ بُيُوتَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النحل: ٢٦].

● عمارة ذات مواد بنائية متنوعة: تتميز العمارة الإسلامية بتنوع مواد بناؤها وغناها، وذلك يعود إلى عناية المنهج القرآني بالمواد البنائية، والاهتمام بكيفية توظيف مختلف المواد الطبيعية المتوفرة في البيئة، وتوظيف كل مادة بما تتناسب مع الجو العام للمبنى، على سبيل المثال وضح لنا القرآن الكريم كيفية الاستفادة من جلود الأنعام في بناء مسكن متنقل يتناسب مع الظروف البيئية الصحراوية، ويسهل من خلاله التنقل من منطقة إلى أخرى، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَا وَمِئَةً إِلَىٰ حِينٍ﴾ [النحل: ٨٠].

فإن ذلك التنوع في المواد البنائية، ومحاولة توظيف المواد الطبيعية المحلية واستغلالها في خدمة البناء لا شك جعل العمارة الإسلامية عمارة ذات هوية فريدة، تتميز بطابع الوحدة في المضمون وإن تعددت الأشكال في مختلف الأقطار إلا أنها ترجع إلى طابع خاص موحد يتسم بوحدة الطابع وتنوع المادة، والتجانس بين العمارة القديمة والعمارة الحديثة، وذلك من خلال المنهجية الموحدة في انتقاء المواد البنائية وكيفية توظيفها في خدمة كل منطقة أو بيئة معينة، والتي سار عليها المعماري المسلم قديماً، ثم تبعه المعماري المسلم حديثاً؛ "فالصحوة المعمارية الحديثة تقوم على مبدئين أساسيين: تبني خصائص العمارة التقليدية، وهي المقياس الإنساني، واستغلال التقنيات الحديثة ضمن حدود المقياس الإنساني نفسه^(١).

● عمارة متوازنة مع المناخ، والبيئة: من أهم ما امتازت به العمارة الإسلامية حرصها في التوافق والتوازن المناخي والبيئي في التصميم والبناء، سواء كان على مستوى المدينة بشكل عام، أو على مستوى المبنى بشكل خاص فنرى العناية والاهتمام بجميع ما يوفر سبل راحة الإنسان ويحمي البنيان، على سبيل المثال نرى عناية المنهج القرآني في توفير الراحة الحرارية، فتارة نرى عناية القرآن الكريم بالظلال، وما يقوم به من الحماية من أشعة الشمس، وتلطيف درجة الحرارة، يقول تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسُ عَلَيْهِ دَلِيلًا ۚ ﴾ [٤٥] ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿ [الفرقان: ٤٥-٤٦]، وفي التأمل في الآية الكريمة ندرك أهمية اختيار موقع البناء حسب الظلال؛ لما للظلال من فوائد في تحسين الجو العام.

وتارة نرى الحرص على ضرورة انتقاء موقع البناء والتجمع العمراني قبل الشروع في البنيان، وفقاً للظروف البيئية، والمناخية، والجغرافية، وحتى الاجتماعية، يقول تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُّوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ ۚ بَلَدٌ طَيِّبٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴾ [سبأ: ١٥].

وتارة أخرى نرى الحث على ضرورة اختيار مواد البناء حسب مناخ المكان، وبيئته، والظروف المحيطة به، يقول تعالى: ﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۚ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَا وَمِئَةً إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [النحل: ٨٠].

(١) البهنسي، فنون العمارة الإسلامية وخصائصها، ص ٤٢.

● عمارة تتنوع فيها الأساليب البنائية، والإنشائية: احتوت العديد من الآيات القرآنية على أساليب البناء والإنشاء والتشييد؛ مما جعل للعمارة الإسلامية تنوعاً في أساليب وطرق البناء، ومن الأساليب البنائية التي جاء ذكرها في القرآن الكريم النحت، أي: نجارة المواد الصلبة، سواء نحت الجبال لبناء المساكن، أو للطرق والأنفاق، أم نحت الخشب من أجل بناء المباني الخشبية كالأكواخ، وغيرها، يقول تعالى: ﴿وَأذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَخَذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آيَاتَ اللَّهِ وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ٧٤]. بالإضافة إلى أسلوب البناء عبر انصهار الحديد، قال تعالى: ﴿أَتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ أَنْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ [الكهف: ٩٦]، وفي الآية الكريمة لفظة إلى استخدام الحديد في بناء السدود؛ وذلك لقوته وقدرته على التحمل، والمحافظة على السد من الوقوع أو الانهيار.

● غنى العناصر المعمارية الإسلامية: تحتوي العمارة الإسلامية على العديد من العناصر البنائية والمدنية التي تتفرد بها، والتي تميزها عن غيرها من العمارات الأخرى، والتي ساهمت أيضاً في وحدة الشكل والطابع على الرغم من اختلاف الأقاليم، وتنوع الثقافات، وتعدد الطرز. ويكثر ذكر العناصر المعمارية في القرآن الكريم، والتي تم التطرق إليها بشكل تفصيلي سابقاً في المبحث المتعلق بعناصر العمارة في القرآن الكريم؛ لذلك لن نقف على ذكرها بل سنبين أثرها في تميز العمارة الإسلامية؛ إذ أنها عمارة توحى عناصرها، باستقلالية وجمالية مميزة؛ فالجمالية تبدو في طرازها المعماري، وقبب مساجدها، ورشاقة أعمدها، فالشكل القوسي الذي ينحني في أعلى نوافذها وأبوابها يعطينا الشعور بالانفتاح والتتابع، وأما العقود وتعدد أشكالها وأنواعها، وتتابعها فهي تشعر بالاطمئنان، أما رشاقة الأعمدة وسهولة تعددها وقصرها وطولها فتعطينا الشعور بحب الاستقرار، فالشكل العمودي يشير إلى تسامي الروح، والشكل الأفقي مثل الثبات والتساوي، أما المنارة فتشعرنا بامتدادات واتساعات فضائية نحو المطلق، وأما المحراب فهو رمز للطموح الديني^(١)

(١) جودي، العمارة العربية الإسلامية، خصوصيتها، ابتكاراتها، جمالياتها، ص ٩٨، بتصرف.

● عمارة تعني بالألوان وتوظيفها في خدمة المبنى: من أهم ما يميز العمارة الإسلامية عنايتها بالألوان التي لا يكتمل جمال المبنى إلا باكتمالها؛ لما تقوم به من جذب عين، وإمتاع نظر؛ لذلك اعتنى المعماري المسلم بهذا الجانب ووظف قدراته في انتقاء الجميل من الألوان متأثراً بالألوان التي جاء ذكرها في القرآن الكريم الذي اعتنى بالألوان عناية فائقة، ليتم توظيفها فيما يخدم العمارة، وذلك من خلال الدعوة إلى التفكير والتدبر في الألوان واختلافها، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ ۚ أُولَٰئِكَ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا إِلَٰهَ الْأَرْضِ ۚ فَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [فاطر: ٢٧]، بالإضافة إلى ربط اللون بالسعادة، كقوله تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ رَفَافٍ خُضِرَ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٍ﴾ [فاطر: ٢٧]، بالإضافة إلى ربط اللون بالجمال، كقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ ۚ أُولَٰئِكَ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا إِلَٰهَ الْأَرْضِ ۚ فَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [الحج: ٦٣]؛ "فاستخدام اللون في العمارة الإسلامية يؤدي وظيفة جمالية، وغالبا ما تستعمل الألوان الزرقاء والخضراء والذهبية بكثرة، إلى جانب مساحات محدودة من الألوان الحمراء والصفراء والبنية، ولكل من هذه الألوان تعبيراتها الخاصة بالنسبة للفنان المسلم^(١)".

المطلب الثاني: القيمة المعنوية، والروحانية.

تتماز العمارة الإسلامية بخصائصها الفنية، والدينية، والثقافية، التي تظهر قيمها السامية ذات الأهداف الجمالية والروحية، التي تدمج بين الجانب المادي والجانب المعنوي، دون إهمال جانب مقابل جانب آخر؛ فالعمارة الإسلامية لا تقتصر على القيم المادية فحسب من بناء المباني والمنشآت وما شابه ذلك؛ بل محور اهتمامها يدور حول القيم الروحية والمعنوية التي تحرك الوجدان، وتدفع الإنسان نحو الإتقان في عملية البناء موظفاً قيمه المعنوية التي تنهض بال عمران والعمارة، وتركز على نواحي الجمال؛ فنرى اهتمام المعماري المسلم بملء الفراغات والمساحات، وما يضيف له من رونق وبهاء وجمال سواء كان من خلال الأشكال، أو الألوان، أو غيرها؛ وذلك لما له من دور في مخاطبة الروح، وإمتاع العاطفة.

(١) غولي، الأنظمة التصميمية لزخارف المساجد الإسلامية، ص ٧٥-٨٣.

ومن يتأمل العمارة الإسلامية يرى الوحدة الجمالية التي تسير عليها في مختلف الأقطار، ومع اختلاف الثقافات، حتى أصبحت كالوتيرة الواحدة المزينة بالزخارف والنقوش الجمالية، ذات الطابع العربي الإسلامي الموحد؛ مما يدفع المعماري المسلم أن يهتم بدراسة العناصر والقواعد التي تنظم سير الحركة المعمارية من خلال الرؤية القرآنية، وما ترمي إليه من قيم معنوية، وروحانية، لها تأثيرها البالغ في وجدان الإنسان، ومن تلك القيم التي يمكن التماسها من خلال تتبع منهجية القرآن الكريم في بيان القيم المعنوية والروحانية للعمارة:

● **وحدة الطابع والمضمون:** تتجلى سمة الوحدة في العمارة الإسلامية بكل وضوح والتي يرجع مردها إلى الدين الإسلامي الذي يؤكد على وحدانية الخالق، ووحدة الأمة الإسلامية؛ فالمعبود واحد، والدين واحد، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢]، وسارت العمارة الإسلامية على هذه الوتيرة، وجاءت لتعكس صور الشريعة الإسلامية من خلال تنوع الأشكال العمرانية، والطرز المعمارية والتي يحدها جميعها طابع الوحدة في المضمون والهدف، والذي يليه وحدة الأشكال والصور والمرافق، وما فيها من عناصر إنشائية تصميمية، وعناصر جمالية تزيينية؛ مما يكفل استمرارية العمارة الإسلامية ويضمن لها حق البقاء، والخصوصية على مر العصور واختلاف الدهور. وعلى الرغم من تنوع المواد البنائية من منطقة عن الأخرى، واختلاف المناخ، إلا أنها تشابه في الشكل العام نظراً لتشابه الأهداف والمضامين؛ "فالفن الإسلامي تميز بوحدة تسود إنتاجه مهما تعددت الأقطار، واختلفت الأجناس، وابتعدت العصور، وترجع هذه الوحدة الفنية بصفة أساسية إلى قضية التوحيد، ووحدة العقيدة التي انتشرت في هذا العالم^(١).

هذا ويعتبر التكرار من العناصر التي تندرج تحت الوحدة ومن السمات التي تميز العمارة الإسلامية، فعلى سبيل المثال نرى تكرار الشكل المقوس لدخل من مداخل المباني الإسلامية وتوزيع هذا الشكل المقوس في مختلف أنحاء المبنى، بشكل متكرر، وبأحجام متفاوتة، بالإضافة إلى تكرار القبة في معظم الجوامع الإسلامية؛ وهذا يؤكد أيضاً الوحدة التي تميزت بها العمارة الإسلامية.

(١) غنيمة، ميادين الحضارة العربية الإسلامية وأثرها على الحضارة الإنسانية، ج ٣، ص ١٦٠.

● انسجام شكل المبنى مع غرضه الوظيفي: يعتبر ارتباط الشكل المعماري مع الغرض الوظيفي من أهم ما يميز العمارة الإسلامية؛ فالعمارة الإسلامية عمارة تهتم بالتوازن مع الروح والمادة؛ أي مع الشكل والمضمون، عمارة تحترم العقل، وتهتم بالعاطفة. والعلاقة بين الشكل ومضمونه الوظيفي أي بين المادة والروح يعبر عن الحالة الثنائية بين الشكل المادي الملموس، والوظيفة المعنوية المحسوسة؛ من خلال الامتداد الروحاني النابع من الشكل الخارجي الذي يحقق الرضى الذاتي، والقبول، والشعور بمعنوية المادة، ويخدم البعد النفسي للإنسان؛ "فالعمران محصلة لتفاعلات مجموعة من القوى والطاقات الكامنة داخل كيانات المجتمع، نتج عنها الشكل والمضمون من خلال إبداعية المسلم الذاتية، لذا كان العمران في الإسلام لغة تعبيرية^(١)."

فاهتمام العمارة الإسلامية بالغرض الوظيفي الذي ينشأ المبنى على أساسه اهتمام يُدرك بوضوح، ويتم من خلاله ربط شكل المبنى بما يوحي له من غرض، والذي قد يدركه الإنسان منذ أول وهله يتأمل فيها شكل المبنى، وما فيه من عناصر يستلهم منها قيماً روحية ومعنوية؛ وذلك من خلال ما تعكسه الأشكال التعبيرية من قيم ومبادئ توحى بالتناسك والازدواجية بين شكل المبنى وغرضه الوظيفي، على سبيل المثال تعتبر المشربية من عناصر العمارة الإسلامية والتي جاء شكلها يتناسب مع مضمونها، أو بعبارة أدق يخدم مضمونها الوظيفي؛ فلا يقتصر دور المشربية على ما تقدمه من جمال المبنى وزينته، بل لتشكيل عنصراً هاماً من العناصر التي تساعد على ستر المبنى وتحقيق له الخصوصية؛ "فالعمارة الإسلامية تميزت بانسجام الشكل المعماري مع المضمون الوظيفي، وهكذا تختلف عمارة المسجد عن عمارة المدرسة، أو المشفى، أو البيت، ويبقى من الصعب أن نخطئ في تحديد وظيفة المبنى من خلال شكله المعماري؛ بل تأتي قيمة المبنى من مدى ملاءمته لوظيفته المحددة، فيكون البيت أكثر كمالاً إذا حقق الوظيفة السكنية من لجوء وسكينة وأمن^(٢)."

يقول تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَا وَفَتْحًا إِلَى حِينَ﴾ [النحل: ٨٠]؛ نلتمس من الآية الكريمة ضرورة الاهتمام بتوفير جو السكينة والراحة وعمارة المسكن بما يحقق

(١) والي، البيان والتبيان في العمارة والعمران، ص ١٥.

(٢) البهنسي، فنون العمارة الإسلامية وخصائصها، ص ٢٢-٢٥.

سلامة الإنسان ويضمن سعادته؛ إذ ربطت الآية الكريمة عمارة المسكن بتحقيق غرضه الوظيفي المتمثل في إنشاء مبنى يحقق السكنية والخصوصية. وأما المساجد فينسجم شكلها المعماري مع غرضها الوظيفي من خلال الاهتمام بعمارتها بناء على مضمونها الوظيفي والذي من أهمه تحقيق الأمن والأمان، والراحة والاطمئنان، ومراعاة اتجاه القبلة، والتأكيد على طهارة المساجد، قال تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [البقرة: ١٢٥].

● البساطة والبعد عن التكلف: تتجلى الأناقة في العمارة الإسلامية من خلال العناية بالبساطة والجمال في آن واحد، بساطة باستخدام الزخارف، والنقوش، والأشكال، والألوان، ومختلف العناصر، والبعد عن التكلف، ومظاهر الترف والإسراف الذي ينهى عنه ديننا الإسلامي الحنيف، ومراعاة الجانب الاقتصادي والجمالي في ذات الوقت نفسه، قال تعالى: ﴿يَبْنِيْءَ ءَادَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١]، "واستخدم الفنانون المسلمون في بادئ الأمر خامات رخيصة كالجص والصلصال والخشب في أعمالهم الفنية، ولكنهم استطاعوا أن يحولوا هذه الخامات والمواد الرخيصة إلى أعمال فنية عظيمة القيمة^(١)؛ فهي عمارة تهتم بالجواهر أكثر من المظهر؛ مما جعلها تتميز بطابع البساطة والبعد عن التكلف لا سيما في الواجهات الخارجية للمباني الإسلامية.

● عمارة تهتم بجميع مجالات الحياة الإنسانية: تتميز العمارة الإسلامية بتنوعها، ذلك التنوع في الخصائص، والأساليب، والأشكال، وغنى المفردات، والعناصر، وتنوع اللغة التعبيرية المعمارية، واهتمامها بمختلف المجالات الحياتية المتنوعة، مما أدى إلى تنوع الوحدات، والعناصر، والمنشآت الإسلامية، لتشمل العمارات الدينية، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَن ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ﴾ [التوبة: ١٨]، والعمار السكنية من بيوت وقصور، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النور: ٢٧]، والعمار العسكرية من قلاع

(١) غولي، الأنظمة التصميمية لزخارف المساجد الإسلامية، ص ٧٥-٨٣.

وحصون، قال تعالى: ﴿وَوَظَنُوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِّنَ اللَّهِ فَأَنَّهُمْ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾ [الحشر: ٢]، بالإضافة إلى العماير الطبيعية، قال تعالى: ﴿أَفَاَمَ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَيْنَنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ [ق: ٦]، ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُم سُرَابِيلَ تَقِيَكُمُ الْحَرَّ وَسُرَابِيلَ تَقِيَكُمُ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ [النحل: ٨١].

وما العمارة الإسلامية إلا المرآة العاكسة للحضارة الإسلامية، ولجميع المقومات المختلفة سواء من الناحية الدينية، أو التعليمية، أو الاقتصادية، أو الاجتماعية؛ فمتى تأصلت العمارة بالقيم الإسلامية الحضارية التي رسمها المنهج القرآني، وأكدت عليها السنة النبوية الشريفة متى ما انعكس ذلك على عمارة المدن وعمران المجتمع.

● عمارة أخلاقية بالدرجة الأولى: للعمارة الإسلامية طابعها المميز الذي يعبر عن القيم الحضارية المتمثلة في التجانس، والبساطة، والوسطية، والوحدة، والتواضع، وعدم الإسراف والتبذير بقصد التفاخر والتباهي في البناء، وغيرها من القيم الحضارية. وقد تمسك المعماري المسلم بهذه القيم جيلاً بعد جيل؛ مما أدى إلى التناسق والتوازن في العمارة الإسلامية قديماً وحديثاً، والربط بين الأصالة والمعاصرة من خلال الالتزام بالمنهج الإسلامي وقيمه الحضارية في العمران والعمارة.

ومن الممكن تطبيق القيم الأخلاقية التي جاءت في القرآن الكريم لبناء الإنسان واستغلالها لبناء العمارة؛ على سبيل المثال جاءت العديد من الآيات القرآنية الكريمة التي تحث الإنسان على عدم الإسراف والتبذير، وعدم البخل والتقتير، بل استخدام مبدأ الوسطية، والاعتدال، وإنفاق الأموال في موطنها، وهذا يطبقه الإنسان على نفسه من ملبس ومأكل وغيرها، ويتم تطبيقه أيضاً من الناحية المعمارية من خلال الاعتدال والوسطية في البناء والتصاميم.

● توظيف الفكر الإنساني في خدمة العمارة: المتأمل في الفنون الإسلامية المعمارية ليدرك بجلاء أنها بكل جوانبها وتعدد مجالاتها، وبمختلف أنواعها وعناصرها وفلسفاتها إنما تقوم على العقلية الفكرية والعلوم الناتجة من الفكر الإنساني، وعندما يتفاعل العقل والفكر مع المكان وطبيعته يتكون المجتمع العمراني؛ فمثلاً من أهم الأفكار التي تبناها المعماري المسلم منذ القدم وحتى في عصرنا

الراهن تشكيل الزخارف الإسلامية التي تعتبر من الأفكار المعمارية الموروثة، والتي تخدم الجانب الفني والروحي والمعنوي وتحرك الأحاسيس والمشاعر اتجاهها.

هذا واحتوت العديد من الآيات الكريمة على أمثلة ونماذج يستفيد منها العقل البشري، والفكر الإنساني في عملية البناء والعمارة، سواء من الناحية التصميمية والإنشائية، أم التجميلية والتزيينية، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَا وَمِئَةً إِلَى حِينٍ﴾ [النحل: ٨٠]؛ فكيف للحضارة أن تنهض، وكيف للعمارة أن يزدهر إلا بالعقلية الفكرية الناجحة المتحصنة بالقوة والإدراك والفهم والإمعان التي ترسمها منهجية القرآن!

● إنسانية العمارة الإسلامية: تمتاز العمارة الإسلامية بإنسانيتها؛ أي أنها عمارة تهتم بالإنسان أولى اهتمام، وتوظف عناصرها وخصائصها وضوابطها بناء على ما يخدم ذلك الإنسان، وتلبي احتياجاته، سواء من الناحية المعنوية أو الناحية المادية؛ فالإنسان والعمارة علاقة ثنائية تبادلية يتفاعل كل منهما مع الآخر لنشكل الحضارة. وتتمثل إنسانية العمارة من خلال المحافظة على الموروث الحضاري، والسعي إلى تحقيق أهم المتطلبات والاحتياجات الأساسية والوظيفية التي تخدم القيم ومختلف المجالات الدينية، والاجتماعية، والاقتصادية، والبيئية، والسياسية، وغيرها.

ولما كانت أهداف العمارة ترمي بشكل عام إلى خدمة البشر؛ جاءت العمارة الإسلامية لتجسد عاطفة الإنسان، وميوله الفطري، وجاءت لتسد حاجاته النفسية والمعنوية، من خلال ما تشيده من مبان ومنشآت تراعي فيها اتجاهات الإنسان، وعواطفه، وقدراته، وإمكانياته، وتولي راحته أولى اهتمام، وذلك من خلال العناصر التصميمية، والجمالية، وما فيها من ألوان متناسقة وخطوط، وأشكال ذات صبغة جمالية تؤدي إلى الشعور بالارتياح. بالإضافة إلى اهتمامها بجمال الفضاءات الموزعة في أنحاء المبنى، وتوزيع مرافق ووحدات المبنى وفقاً لما تقتضيه حاجات الإنسان من خصوصية، وراحة، وأمان، وغير ذلك الكثير مما يصب في خدمة الإنسان، ويعزز مكانته، ويلبي احتياجاته من خلال توفير مسكن إسلامي يتمتع بمميزات العمارة الإسلامية، وتعتبر حاجة الإنسان إلى مأوى يقيه من الظروف الطبيعية، والمتقلبات البيئية والمناخية أول الأسباب التي دعت إلى الاهتمام بالعمارة والبناء، قال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ

تَنخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَنَجِّنُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا ءَالَآءَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ [الأعراف: ٧٤].

● عمارة تولي الخصوصية أولى اهتمام: من أهم مميزات العمارة الإسلامية وما تضيفه من قيم معنوية تؤثر على الفرد ومجتمعه تلك الخصوصية التي تبدأ من تصميم المدينة، وتخطيط مرافقها، وشبكات طرقها، وتنتهي بحوائط المباني من الخارج، والمشربيات من الداخل، وغيرها مما يحفظ للإنسان خصوصيته، ويعزز حرته، من خلال خصوصية التصميم الخارجي والداخلي للمبنى والذي يختلف كل واحد منهما عن الآخر من ناحية الحرية؛ فخصوصية التصميم الخارجي للمبنى ذو حرية مقيدة تتمثل في مراعاة قيم المجتمع والالتزام بالخصوصية الاجتماعية، أما الخصوصية المتعلقة بالتصميم الداخلي للمبنى فتكون فيه الحرية مطلقة تتناسب مع ميول الفرد واحتياجاته.

ولقد أكد القرآن الكريم على أهمية توفير الخصوصية في المباني السكنية، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النور: ٢٧]؛ من هذه المنطلقات الربانية يبدأ الحرص في تعزيز الروابط الاجتماعية من خلال المباني المعمارية الإسلامية، واحترام ضوابطها التي أهمها احترام خصوصية المساكن ومراعاة الآداب الإسلامية أثناء الدخول إلى مساكن الغير، والتي أهمها الاستئذان قبل دخول البيوت.

● التوجيه نحو القبلة: لعل من أبرز مميزات العمارة الإسلامية التي ميزتها عن سائر العمارات الأخرى مراعاة توجيه المباني بمرافقها، ووحداتها نحو اتجاه معين، والمتمثل باتجاه القبلة، ولكن مع الأسف الشديد نرى في العمارة المعاصرة قلة الاهتمام بتطبيق هذه الميزة مقارنة لما كانت عليه في السابق؛ وهذا يؤثر على المجتمع الإسلامي.

وهناك العديد من الأدلة التي تؤكد على أهمية استقبال القبلة عند تصميم وبناء المباني الدينية والسكنية، وسائر المنشآت الأخرى، منها قوله تعالى: ﴿قَدْ رَأَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٤٤]، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخْبَرْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَأَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً

وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ [يونس: ٨٧]؛ فعند تأمل الآية الكريمة يمكننا التماس بعض الملامح البنائية والإنشائية والمتمثلة في مراعاة اتجاه القبلة، بأن يكون المبنى السكني، وغرفه باستقبال اتجاه القبلة.

هذا وبينت الشريعة الإسلامية أفضلية عدم استقبال القبلة أو استدبارها عند قضاء الحاجة؛ مما يدعو إلى مراعاة ذلك عند تصميم مختلف المباني الإسلامية، سواء كانت تلك المباني سكنية، أو تجارية، أو غير ذلك، قال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «إِذَا أَتَيْتُمُ الْغَائِطَ فَلَا تَسْتَقْبِلُوا الْقِبْلَةَ وَلَا تَسْتَدْبِرُوهَا، وَلَكِنْ شَرِّقُوا أَوْ غَرِّبُوا»^(١).

في نهاية هذا المبحث يتضح لنا بإيجاز ارتكاز العمارة في القرآن الكريم على عمران الوجدان، وعمارة البنیان، دون الإغفال عن جانب مقابل الجانب الآخر؛ مما أعطى العمارة الإسلامية الصبغة الخاصة التي ميزتها عن سائر العمارات الأخرى بما تحتويه من قيم مادية وجمالية، ومعنوية وروحانية، تخدم عقل الإنسان وعاطفته وجميع احتياجاته.

وبعد ما مر بنا في المباحث السابقة من هذا الفصل حول ضوابط العمارة الإسلامية من الناحية البيئية، والجغرافية، والناحية الإنشائية والتصميمية، وعناصرها المعمارية المتعلقة بالمباني والمدن، بالإضافة إلى مميزاتها المتمثلة بقيمها المادية، والجمالية، والمعنوية والروحانية، أرتأت القيام بذكر بعض النماذج المعمارية الإسلامية في مختلف العصور المبكرة والمعاصرة؛ ليتم من خلالها توضيح ما تم التطرق إليه في المباحث السابقة.

المبحث الثاني: نماذج للعمارة الإسلامية.

قبل القيام بذكر بعض النماذج المعمارية الإسلامية المبكرة، والمعاصرة^(٢) لا بد من الإشارة هنا أن الحضارة الإسلامية مرت عبر مراحل أدت إلى تنوع الطرز المعمارية - كما مر بنا سابقاً في الملحة

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب استقبال القبلة، ج ١، ص ٨٤، رقم (٣٨٣)، ومسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب الاستطابة، ج ٣، ص ١٥٣، رقم (٣٩٣).

(٢) تم الرجوع إلى مختصين في الهندسة المعمارية وعلم الآثار الإسلامية من أجل معرفة الفرق بين الآثار القديمة، والآثار المعاصرة، واختيار النماذج المعمارية الإسلامية المبكرة والمعاصرة، وتم مقابلة العديد من المهندسين المعماريين من جامعة قطر،

التاريخية-؛ "وتنوعت على أثر ذلك طرز المساجد، فيأتي العصر الإسلامي الأول (الطراز الأموي، والطراز العباسي)، ثم ينتقل إلى طرز المساجد الإسلامية في العصور الوسطى والتي تشمل الطراز الفاطمي، والطراز الأيوبي، والطراز المملوكي، والطراز السلجوقي، والطراز الفارسي المغولي، والطراز المغربي، وأخيراً طرز المساجد في العصر الحديث والذي يشمل (الطراز الصفوي الإيراني، والطراز الهندي المغولي، والطراز العثماني)^(١)."

وسيتم التركيز في هذا المبحث على نماذج العماير الدينية؛ لأن المساجد والجوامع نواة التراث المعماري الإسلامي؛ فبناء المسجد قبل كل شيء يعتبر توجيهاً قرآنياً، وأساس التجمع العمراني، الذي تتم فيه العديد من الوظائف الدينية، والاجتماعية، والإنسانية، والسياسية. وبذلك تعتبر المساجد من أول اهتمامات المعماري المسلم؛ حيث تعتبر أهم معلم من معالم العمارة الإسلامية؛ "فالمساجد أدلة حية ظاهرة وملموسة تشهد أكثر من أي إنتاج آخر بأهمية التراث الذي قدمته هذه الحضارة في النواحي الدينية، والاجتماعية، والعلمية، والتعليمية، والعمرانية، والفنية^(٢)". كما تعبر المساجد عن "المركز الكوني للعمارة، ومنبع كل عمارة حقيقية للأرض أجمعها، ومصدر الوعي الحقيقي بما يجب على الإنسان تجاه الكون كله، ومنطق الانطلاق المتجه نحو بناء الإنسان وعمارة الأرض مادياً ومعنوياً^(٣)؛ فيما أن المسجد هو النموذج الأول للعمارة الإسلامية، والذي كان له تأثيره الملموس في مختلف العماير الإسلامية الأخرى، ونظراً لأكثر الآثار المعمارية القديمة التي لم يتم إدخال أية تغيرات، أو توسيعات، أو تجديدات عليها، ولا تزال موجودة بشكلها الأول الذي كانت عليه في السابق حتى عصرنا الراهن تتمثل في العماير الدينية؛ لصلاحها لجميع الناس، وعدم اقتصرها على فئة، أو طبقة، أو حقبة زمنية معينة، بخلاف باقي العماير الأخرى، "كبناء القصور الذي بدأ في العصر

وجامعة حمد بن خليفة- المدينة التعليمية/ دولة قطر، ووزارة البلدية/ دولة قطر، ومختصين في علم الآثار المعمارية في جمهورية تركيا، ومملكة المغرب، للاستفسار حول هذا الشأن.

(١) غولي، الأنظمة التصميمية لرخارف المساجد الإسلامية، ص ١٢٧-١٢٩.

(٢) الأندلسي، القاضي أبو الأصبغ عيسى بن سهل، وثائق في شؤون العمران في الأندلس المساجد والدور، مستخرجة من مخطوط الأحكام الكبرى، ص ٨.

(٣) طاهيري، الإنسان والعمران من خلال قصص القرآن، ص ١١٣.

الأموي ولم يبق من القصور الأموية إلا القليل لأنها تهدمت لا بسبب الزمن ولكن لأنها تخص أشخاص معينين بعكس المساجد التي تهتم كل الناس^(١)؛ فبناء على ما سبق ذكره تم الاقتصار على ذكر نماذج معمارية لعمائر دينية.

والغرض من ذكر هذه النماذج المعمارية ليس حصر أكبر عدد ممكن من المساجد؛ فهناك العديد من الكتب التي خصصت لوصف معظم المساجد وتناولت الموضوع بشكل تفصيلي، إنما الغرض من ذكر هذه النماذج من باب التمثيل التطبيقي، والمقارنة بين النماذج المبكرة والمعاصرة، ولفت النظر حول النماذج المعمارية القديمة وبراعة الفن المعماري منذ قدم التاريخ؛ " فالمباني، بكافة أنواعها التاريخية تعد بصمة واقعية مقروءة، تعكس المنهج والتفكير الذي انتهجته تلك الأمم، والذي حاولت عكسه طيلة فترات وجودها^(٢)".

وتم تقسيم هذا المبحث إلى مطلبين: المطلب الأول: نماذج معمارية إسلامية مبكرة، والمطلب الثاني: نماذج معمارية إسلامية معاصرة^(٣) فالنماذج المبكرة تتمثل في: مسجد القرويين/ مملكة المغرب، ومسجد أحمد بن طولون/ جمهورية مصر العربية. وأما النماذج المعاصرة؛ فهي كالآتي: مسجد السلطان أحمد/ جمهورية تركيا، ومسجد المدينة التعليمية/ دولة قطر، وتم اختيار هذه المساجد نظراً لمراعاة اختلاف الجانب الجغرافي، والتنوع بين مختلف الأقاليم والقارات لتشمل قارة آسيا، وأفريقيا، والجانب الأوروبي؛ فمثلاً نرى التصميم الشكلي، وما يندرج تحته من تزيين، بالإضافة إلى أشكال بعض العناصر المعمارية للمساجد في بلاد المغرب العربي والقارة الأفريقية، ليس كما هو عليه في

(١) الحداد، عبدالله عبدالسلام، مقدمة في الآثار الإسلامية، ص ٦٣-٦٤.

(٢) اليسير، رنا إسماعيل، تاريخ العمارة بين القديم والحديث، ص ٥-٦.

(٣) من خلال إجراء مقابلة مع مختص في علم الهندسة المعمارية والعمارة الإسلامية؛ أكد لي من وجود مدرستين باستطاعتنا التمييز بين النماذج والآثار المعمارية القديمة والحديثة من خلالها؛ فالمدرسة الأولى مهمتها الحفاظ على المبنى المعماري دون مساسه، أو تبديل أحد أجزائه، أو إدخال أية إضافات، والاحتفاظ بالشكل الأصيل، وهي التي تندرج تحتها نماذج العمائر القديمة. وأما المدرسة الثانية فتقوم بإدخال التعديلات والإضافات على المبنى وتجديده، ولا بأس من إعادة بنائه، وتغيير وظيفته من أجل الاستفادة منه واستخدامه لأمر تخدم الثقافة المعاصرة، كمنزل بن جلمود في مدينة مشيرب قلب الدوحة في دولة قطر الذي تم تحويله إلى متحف، وقصر توب كابي في مدينة إسطنبول، الذي تم تحويله كذلك إلى متحف تاريخي يستقطب آلاف السياح من مختلف بقاع الأرض.

جمهورية تركيا الموجودة في الجانب الأوروبي، وإن كانت جميعها تعتني بالجوهر والمضمون، ولكن نظراً لاختلاف الموقع الجغرافي والبيئة، والتأثر بالفن المعماري السائد في كل إقليم أو قارة.

بالإضافة إلى ذلك هناك تصنيف يعتمد على البعض في تحديد طرز المساجد في العالم الإسلامي، بناء على الشكل، من خلال نوعين، هما: "الطراز أحادي المحور الأفقي، وفي هذا الطراز يكون المحور الأفقي باتجاه القبلة هو الأقوى والأوضح في المسجد وأكثر ما يتضح هذا الطراز في الطراز العربي بطرزه المختلفة. والطراز أحادي المحور العمودي، وفيه يكون المحور العمودي باتجاه السماء من خلال عنصر القبة الرئيسية هو الأوضح والأقوى، ولعل الطراز التركي يوضح مثل هذا التوجه في التصميم للمساجد^(١)؛ لذلك تم اختيار أغلب النماذج التي تندرج تحت الطراز العربي باختلاف طرزه والتي تنتمي إلى الطراز أحادي المحور الأفقي، بالإضافة اختيار نموذج من الطراز العثماني والذي ينتمي إلى الطراز أحادي المحور العمودي.

المطلب الأول: نماذج إسلامية مبكرة.

تمثل العمائر الإسلامية القديمة الموروث الحضاري الذي ترعرع على أيدي المسلمين وما قاموا به من فتوحات إسلامية شملت العديد من الأقاليم والقارات المختلفة، ولا شك لكل إقليم طابعه المميز وأساليبه المعمارية التي تميزه عن غيره من الأقاليم، حتى أصبح لكل بلدة تراثها وموروثها الثقافي الخاص فيها على اختلاف الحقب، واختلاف الحكام، فمثلاً "حكمت أفريقيا والأندلس من القرن (١١ إلى ١٣ م) عدة دويلات ومن أهم ولايتها يعقوب بن المنصور الذي تنسب إليه عدة أعمال معمارية أهمها: مسجد الحسن ومنارته في الرباط^(٢)"؛ إلا أنها اتسمت بنفس الطابع المعماري الذي يميز هذا الإقليم عن غيره. هذا "وتتميز المباني الأثرية الإسلامية عن غيرها بكثير من منشآت الحضارات الأخرى أنها لا تتواجد بشكل منفرد إلا في القليل النادر، بل دائماً ما تتجمع هذه المباني

(١) المالكي، قبيلة، تاريخ العمارة عبر العصور، ص ١٥٧.

(٢) سامح، كمال الدين، العمارة في صدر الإسلام، ص ١٨٢.

داخل إطار مدينة ذات نسيج متميز هو المدينة التاريخية الإسلامية، والتي تتميز إلى جانب ذلك بالتنوع الكبير في أنماط هذه المباني لارتباطها بالأنشطة المختلفة لكل نواحي الحياة داخل المدينة^(١).

ولنقف هنا حول نقطة كيفية تعاملنا مع الموروث، وكيف يمكننا الاستفادة منه وتطبيقه على أرض الواقع على النحو الذي يخدم الثقافة^(٢) فمن خلال النظر في النماذج المعمارية الإسلامية المبكرة يمكننا التعرف على ملامح العمارة قديماً، وكيف حاول القدماء الاستفادة من الموارد الطبيعية، باختلافها وتنوعها، مع مراعاة اختلاف الظروف المناخية، وتوظيف القدرات والإمكانات بما يحقق خلافة الإنسان في الأرض ويضمن له استقراره، وتكيفه مع بيئته، مما يجعلنا نحذوا نهجهم ونتعلم من خبراتهم لما يخدم حضارتنا المعاصرة؛ فالآثار المعمارية الإسلامية أهم شاهد على قوة الحضارة الإسلامية وازدهارها والتي تميزت بالمساجد التي أبدع الصانع المهرة في زخرفتها، وكذلك القصور ذات الطابع الإسلامي المميز بالنقوش الإسلامية والآيات وتфриغات الخشب واستخدامها بدقة متناهية في تزيين الجدران والأبواب^(٣). كما تنبغي الإشارة هنا إلى أن فن العمارة له علاقة وثيقة بين علم التاريخ من جانب، وعلم الآثار من جانب آخر، ولا غنى لأحد من هذه العلوم الثلاثة عن الآخر^(٤) مما يستدعي إلى إعادة النظر بالنماذج المعمارية الإسلامية عبر مر الدهور، واختلاف العصور.

والمأمل في النماذج المعمارية الإسلامية القديمة يرى أن أصل العمارة الإسلامية وأساسها يدور حول المضمون والوظيفة التي يقوم عليها المبنى، أو الغرض الذي شيد المبنى من أجله؛ حيث يغلب

(١) البناء، السيد محمود، المدن التاريخية خطط ترميمها وصيانتها، ص ١٢٧.

(٢) من خلال زيارتي لمدينة فاس / مملكة المغرب - التي تحتوي على العديد من الكنوز الأثرية والآثار التي تشهد على أصالة عمارة الماضي وعظمتها - لامست الحرص الشديد في المحافظة على المعالم الأثرية؛ حيث من أهم ما يميز مدينة فاس أنها تحافظ على تراثها بشكل كبير بحيث تكون عمليات الترميم من أبسط ما قد يكون، ولا يضاف عليها أية تعديلات؛ فمثلاً نرى في مسجد القرويين الذي يعتبر من أقدم المساجد وأكثرها محافظة على التراث المعماري الأصيل أعمدة لم يدخل عليها مواد بناءية تختلف عن مادة البناء الأولى كالخشب، أو الرخام، أو غير ذلك، هذا ويحتوي مسجد القرويين على خزانة تحتوي على أقدم المخطوطات وأندرها والتي توجد فقط في هذه الخزينة، كما تحتوي على ساعة مائية ذات مميزات أثرية، والتي تعمل على العديد من الوظائف.

(٣) الحميدان، سنن قيام الحضارات وسقوطها قديماً وحديثاً، ص ١٤١-١٤٢، بتصرف.

(٤) الموسوي، هاشم عبود، العمارة وحلقات تطورها عبر التاريخ القديم، ص ١٨، بتصرف.

على طابع العمائر القديمة البساطة واليسر والبعد عن التكلف بما يلائم الظروف الطبيعية والاقتصادية كما سيمر بنا خلال السطور القادمة؛ فكان المبنى يبنى في بداية العصور الإسلامية من خلال أيسر الأساليب، وأبسط المواد، حتى بدأت تتطور شيئاً فشيئاً مع المحافظة على تعاليم ديننا الإسلامي الحنيف؛ حيث "تم صياغة التشريعات المنظمة للعمارة في المدن الإسلامية القديمة في ضوء المبادئ المستمدة من الشريعة الإسلامية نظراً لعدم وجود قوانين للتخطيط العمراني في تلك الفترة، لذلك فقد ارتبطت تلك التشريعات المنظمة للعمارة بفقه الشريعة الإسلامية ارتباطاً وثيقاً"^(١).

هذا وتكثر النماذج المعمارية القديمة حتى لا يكاد يخلو بلد من الآثار المعمارية التي شيدت في العصور المبكرة سواء كانت تلك الآثار مدنية كالبيوت والقصور، أو دينية كالمساجد والجوامع، أو عمائر تعليمية كالدور، أو عمائر دفاعية كالقلاع والحصون، وفي مختلف البلدان الإسلامية كسامراء، وبلاد الشام، والمدينة المنورة، والقاهرة، وتونس، ومراكش، وفاس، وغرناطة في الأندلس^(٢) وغير ذلك، وهناك العديد من النماذج المعمارية الأثرية التي تم إنشاؤها في عصور مبكرة يشهدها عصرنا

(١) المسلمي، أحمد منصور، العمران الأصالة والمعاصرة رؤية إسلامية لتخطيط المدينة العصرية، ص ١٩٢.

(٢) من الواقع المحزن تم تحويل جامع غرناطة إلى كنيسة كاتدرائية، ومن خلال زيارتي للأندلس وجدت تحويل معظم المساجد الدينية التي بنيت وشيدت على أيدي المسلمين إلى كنائس ومتاحف، مع احتفاظها بالشكل الأصلي الذي بناه المسلمون الأوائل؛ حيث لم يتم إدخال تعديلات جوهرية على المبنى، بل تم الاكتفاء بإجراء عمليات الترميم.

هذا واستفاد الغرب من خبرة المسلمين في العمارة؛ فمثلاً في السابق كانوا يسترشدون بالمعماريين المسلمين لبناء كنائسهم، ناهيك عن تأثرهم تأثراً بالغاً بالعمارة الإسلامية لا سيما في العصور الوسطى، التي استخدموا فيها العقد المذهب متأثرين بالعمارة الإسلامية آنذاك؛ وما يؤيد هذا الكلام ما قامت به المهندسة النحاس، نيفين من تأليف كتاب يبين مدى تأثير العمارة الإسلامية على العمارة الأوروبية، وركزت على العقد المذهب كنموذج على ذلك، وأسماه: التأثيرات المعمارية الإسلامية على العمارة الأوروبية في العصور الوسطى، العقد المذهب أنموذجاً دراسة حضارية أثرية. كما تظهر استفادة الغرب من العمارة الإسلامية من خلال ما يقيمون به من أبحاث وكتابات، منها ما يقر بالاعتراف بالمميزات التي تتفرد بها العمارة الإسلامية،

ككتاب: Moya Carey, **An Illustrated history of Islamic architecture an introduction to the architectural wonders of islam, from mosques, tombs and mausolea to gateways, palaces and citadels**، ومنها ما يقوم بدراسة التطور المعماري في العالم

الإسلامي، ومتابعة الحركة المعمارية الإسلامية، ككتاب: Christiane Gruber, **Islamic Architecture on the move, motion and modernity**، ومن الكتب العربية التي تبرز إقرار الغرب بامتيازات العمارة

الإسلامية، عمارة، محمد، الدين والحضارة عوامل امتياز الإسلام شهادة غربية.

الراهن، ولم تخضع لعمليات التجديد والتوسعة، والتي تؤكد على جمالية الحضارة الإسلامية وقوة امتدادها، والتي أثمرت نتاجاً وموروثاً دينياً، واجتماعياً، وسياسياً، وعمرانياً، يشهد له التاريخ، ومن تلك النماذج:

- النموذج الأول: جامع القرويين في مملكة المغرب.

نبذة تاريخية حول مسجد القرويين^(١) جاء تأسيس جامع القرويين كمسجد لأداء الصلوات في ظروف خاصة ارتبطت برغبة الأدارسة في ترسيخ الدعوة الإسلامية على أسس متينة يتكامل فيها الجانب المعماري والعلمي في إطار منظومة حضارية متكاملة جعلت المسجد معلمة عمرانية بكل المقاييس، كما أسس الجامع على يد فاطمة الفهرية من خلال المال الحلال الطيب الذي ورثته من زوجها وأختها؛ فبني المسجد على أساس التقوى. وبدأت أشغال بناء جامع القرويين في شهر رمضان سنة ٢٤٥ هجرية / ٨٥٩ ميلادية، ويتميز مسجد القرويين بوجود البلاطات الموازية لجدار القبلة^(٢) كما يعتبر مسجد القرويين المسجد الأم في المغرب، لأنه يضم بعض المكونات وبعض التفاصيل الخاصة بفن العمارة من الدرجة الأولى؛ فصومعته بمظهرها العام بسيطة ولكنها متوازنة في أبعادها، وأنها بحق إرث من أواسط القرن العاشر الميلادي. كما تتمثل أصالته في تصميمه المربع وهو تأثير أندلسي، ويأتي تمام كماله في قبة النصف كروية وهو تأثير جاء من إفريقيا^(٣)

وصف المسجد المعماري: يعتبر مسجد القرويين من أهم المعالم الأثرية التي تبرز جمالية الفن المعماري الإسلامي لا سيما في "صومعة"^(٤) الجامع وجماليتها وروعة زخارفها؛ فهو من أهم المعالم

(١) تم تلخيص معظم المعلومات المتعلقة بمسجد القرويين من محاضرة بعنوان النبوغ المغربي وإشعاعه الحضاري جامعة القرويين نموذجاً، لزين العابدين الحسيني، برعاية مؤسسة الحاج البشير الخاصة للتعليم العتيق، ٢٠١٣م، <https://www.youtube.com/watch?v=31sKuAaKgWU> ، تاريخ الاطلاع: ٩/٤/٢٠٢٢م؛ حيث تحتوي هذه المحاضرة على جميع المعلومات التي تتعلق بمسجد القرويين.

(٢) وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية، أعمال ندوة حول خصوصيات معمار المساجد بالمملكة المغربية، ص ٢٤، بتصرف يسير.

(٣) وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية، مساجد مغربية عبر التاريخ، ص ١٣، بتصرف يسير.

(٤) الصومعة: اسم يطلق على المئذنة، وهو الاسم الشائع في بلاد المغرب العربي؛ فللمئذنة في اللغة العربية ألفاظاً أخرى تستعمل للدلالة عليها، وهي: الصومعة، والمئذنة.

الإسلامية، والآثار العمرانية التي جسدت الفن المعماري الأندلسي^(١) والتي ظلت شاهداً حياً عبر مرور الزمن وتطور التاريخ. وشيدت صومعة جامع القرويين "سنة ٣٤٥هـ / ٩٦٥م"^(٢)، والتي زودها الزناتيون بشكلها المربع الخالد إلى يومنا هذا على حاله المعماري الأول، كما تعتبر هذه الصومعة "الأصل التاريخي الأول لصوامع المغرب المربعة"^(٣). ولصوامع المساجد في المغرب طابعها الخاص الذي قد تتميز به عن باقي الدول الأخرى^(٤) فمثلاً نرى صومعة الكتبية بزخارفها الفنية المتنوعة التي زينت بها أوجه جميع المئذنة، والتي تمتاز أيضاً بالتغير والتنوع من وجه إلى آخر، وقوام زخارفها ستة شبابيك في البرج الرئيسي، وشباك في البرج العلوي الصغير^(٥). هذا وتتميز صومعة مسجد القرويين بأمر مختلف أيضاً عن بقية صوامع المساجد الأخرى؛ حيث يوجد سيف مولاي إدريس الثاني فوق صومعة القرويين الذي بنى المدينة وهو موجود حتى اليوم. وأما عدد سواري المسجد الحاملة لسقفه فيبلغ عددها ثلاثمائة سارية منها عشرون من حجر ملون غريب الخلقة المشترك من جملتها اثنان وثلاثون وسائرهما يدار عليها، ومن الاتفاق الغريب في إحدى هذه السواري الثلاثة منهن عن يمين الواقف مستقبلاً تحت الثريا الكبرى يبصر من دارها جميع أبواب الجامع التي بداخله^(٦).

ويتنصب على مقربة من صومعة القرويين برج النّفارين منفصلاً عن الجامع، شبه منارة بدون قبة، تحمل اسم البرج، اعتاد النّقارون في شهر رمضان المعظم أن ينبهوا منها سكان المدينة على مختلف

(١) للتوسع في موضوع العمارة المغربية والأندلسية وجمالية زخارفها، انظر: مرزوق، محمد عبدالعزيز، الفنون الزخرفية الإسلامية في المغرب والأندلس.

(٢) الموقع الرسمي لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية / مملكة المغرب، <http://www.habous.gov.ma>، تاريخ الاطلاع: ١٢/٤/٢٠٢٢م.

(٣) وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية، مساجد مغربية عبر التاريخ، ص ٢٧.

(٤) من خلال الزيارة لمختلف المناطق والمدن المغربية يتضح الطابع الموحد لصوامع المساجد في المغرب، انظر: ص ٣٦٧، وما بعدها من هذا البحث.

(٥) بن قربة، صالح، المئذنة المغربية الأندلسية في العصور الوسطى دراسة معمارية وفنية، ص ٥٠-٦٠، بتصرف.

(٦) الجزنائي، علي، جنى زهرة الأس في بناء مدينة فاس، ص ٧٨، بتصرف يسير.

أجزاء الليل، وخاصة وقت السحر^(١)، بالإضافة إلى "قوس مزدوج مرابطي الأصل يفصل ما بين بيت الصلاة وجامع الجنائز^(٢)"، ولهذا المسجد من الأبواب بين "صغار وكبار ثمانية عشر باباً^(٣)".

وأما بالنسبة إلى مساحة المسجد؛ فهناك دقة في عدد المصلين الذين يصلون في هذا المسجد، وهناك حساب دقيق قبل بنائه؛ ليتم استيعاب أكبر عدد من المصلين وهذا شيء مهم في التدبير الهندسي. كما يعتبر جامع القرويين هو الجامع الوحيد في العالم الذي يتوفر على واحد من أثرى وأقدم المنابر، وهو يحتوي على درجات، وقد حليت جوانبه برسوم في غاية الدقة، وكل قطعة تختلف عن الأخرى في زخرفتها^(٤).

هذا وشكلت الإنارة بجامع القرويين منظومة متكاملة، وعدد الثريات التي تسرج فيها المصابيح مائة وثلاثون ثريا جميعها من النحاس مختلفة الصناعات والأشكال والمهمات^(٥) وهناك جوانب ميكانيكية عجيبة وتقنيات علمية مطورة وظفت بمسجد القرويين، فلما تم الصحن بالفرش والبناء أمر القاضي بصنع بكاكير له وشرائط غليظة وقلاع من شقق الكتان مبطنة بالمقيرة على قدر الصحن وما يظله فكان إذا أتى الصيف واشتد الحر شددت البكاكير وجذبت الشرائط فيرتفع القلاع في الهواء على الصحن كله، فيستظل الناس تحتها من حر الشمس فيكون فيه الظل، وجعل في القلاع أبوابا للرياح تدخل منها ليلا؛ فلم تزل القلاع تنصب في زمن الصيف فيستظل بها الناس في زمن الحر.

وأما التوقيت في مسجد القرويين كان إما على شكل ساعات شمسية، أو ساعات مائية، بالإضافة إلى وجود اسطربلاب محمد بن علي الغزاوي بجامع القرويين وهو موجود حتى الآن، ومصنوع بدقة عالية يتم من خلاله تحديد المواقع بجودة عالية.

(١) التازي، عبد الهادي، جامع القرويين المسجد والجامعة بمدينة فاس موسوعة لتاريخها المعماري والفكري، ج ٢، ص ٣٢٧، بتصرف يسير.

(٢) وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية، مساجد مغربية عبر التاريخ، ص ٣٨.

(٣) الجزنائي، جنى زهرة الأس في بناء مدينة فاس، ص ٧٧.

(٤) وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية، مساجد مغربية عبر التاريخ، ص ٣١، بتصرف يسير.

(٥) للتوسع في موضوع الثريات في المغرب الأقصى، انظر: سالم، عبدالعزيز صلاح، روائع الفنون الإسلامية في المغرب الأقصى؛ حيث تطرق المؤلف إلى أدق التفاصيل المتعلقة بالثريات في المغرب الأقصى.

وأما الخصة والبيلة التي بالصحن فعملت في سنة تسع وتسعين وخمسمئة على يد موسى بن أبي شامة، وكان من أهل الهندسة والمعرفة والبناء، وهي بيلة من رخام أبيض، وفيها عشرون ثقباً من جهة اليمين، وعشرون ثقباً من جهة الشمال، وينصب الماء إلى البيلة من أنابيب خمسة، حتى يصل إلى الخصة المصنوعة من النحاس الأحمر المموه بالذهب^(١)

هذا ويحتوي الجامع على أقدم كلية في العالم، والكلية الوحيدة التي كانت يتلقى الطلبة من خلالها تعليم العلوم السامية، وهي جامعة القرويين^(٢) تلك التحفة المعمارية متكاملة المكونات، والتي تعد مظهراً تقنياً وفنياً بما يرتبط بها من مولد خاصة بالبناء كالرخام أو الخشب أو الطوب والحجر أو بما يرتبط بها من تقنيات هندسية؛ فقبل أن تكون جامعة القرويين جامعة كانت جامعاً وهنا يتم إبراز العلاقة الوثيقة بين الدين والعلم، ويتم التكوين من خلال كراسي متنوعة لمختلف العلوم الإنسانية، الفقه والتفسير والحديث واللغة، وفيها منحت أول إجازة في العالم لطبيب وبيطري وعشاب.

- النموذج الثاني: جامع أحمد بن طولون في جمهورية مصر العربية.

نبذة تاريخية حول مسجد أحمد بن طولون-المسجد الطولوني-: يجسد المسجد الدليل الحي على بهاء العمارة الإسلامية منذ العصور المبكرة؛ حيث يعتبر هذا المسجد من أقدم الآثار المعمارية في مصر، وأهمها من الناحية الأثرية، وأقدم مسجد احتفظ بتخطيطه وبالكثير من التفاصيل المعمارية الأصلية، وتم إنشاء هذا المسجد بأمر من مؤسس الدولة الطولونية أحمد بن طولون سنة ٢٦٣هـ/ ٨٧٦م، وتم استكمال إتمامه في سنة ٢٦٥هـ/ ٨٧٩م؛ حيث تم تسجيل تاريخ ذلك على لوح رخامي مثبت على إحدى أكتاف رواق القبلة^(٣)

وصف المسجد المعماري: يعتبر مسجد أحمد بن طولون من المساجد التي أثرت بعمارتها على عمارة ما بعدها من المساجد التي سارت على منوال هذا المسجد متأثرة بتلك العناصر المعمارية، والزخارف

(١) الفاسي، بن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، ص ٦٤، بتصرف يسير.

(٢) "حسب موسوعة جينيس للأرقام القياسية فإن هذه الجامعة هي أقدم جامعة في العالم والتي لا يزال التدريس مستمراً بها إلى اليوم"، انظر: الجاسر، عمر عبدالله، حضارة الإسلام أنارت الطريق للأنام، ص ٢٠.

(٣) المرسي، المساجد الكبرى في العالم الإسلامي، ص ١٢٧، بتصرف.

البسيطة، ومواد البناء. ويبلغ طول المسجد ١٣٨ متراً، وعرضه ١١٨ متراً تقريباً، يحيط به من ثلاث جهات ثلاث زيادات، عرض كل منها ما يقارب ١٩ متراً، ويكون المسجد مع هذه الزيادات مربعاً طول ضلعه ١٦٢ متراً^(١) وبذلك يعد المسجد الطولوني من أكبر المساجد الموجودة في مصر. "وللمسجد أسوار وللزيادات الخارجية أسوار أقل في الارتفاع، عليها شرفات مفرغة تشبه ألسنة اللهب، وهذه الأسوار أبواب يقابل كلا منها باب من أبواب المسجد، وكانت أبواب المسجد اثنتين وأربعين بعضها بجدران الزيادات الخارجية والبعض الآخر بجدران المسجد ذاته^(٢)؛ ولعل سبب تعدد الأبواب يرجع إلى تسهيل الدخول إلى المسجد من جميع الاتجاهات، ومن مختلف الأسوار.

وأما المئذنة فتأتي بطابع فريد مميز يكاد يكون لا نظير له؛ حيث تتميز هذه المئذنة بسلم خارجي يحاط بها من الخارج بشكل ملتوي، "وشيدت مئذنة ابن طولون بالزيادة الشمالية الغربية إلى الشرق قليلاً من محور المسجد، وتتكون من قاعدة مربعة التخطيط ويعلوها منطقة متوسطة أسطوانية التخطيط، يجري حولها من الخارج درج سلم صاعد، يوصل إلى المنطقة العلوية التي تتكون من مئذنين، العلوي أصغر من السفلي، وفي قمة المئذنة يوجد طاقية مضلعة على شكل مبخرة، ويتجلى الأسلوب المعماري المحلي في مصر في شكل الجوسق المئمن الذي تنتهي به المئذنة من أعلاها^(٣).

هذا وجعل ابن طولون في وسط صحن المسجد قبة مشبكة من جميع جوانبها مفروشة كلها بالرخام، وتحت القبة حوض رخام قطرها أربعة أذرع في وسطها نافورة ماء، وتعرضت هذه القبة إلى الحرق وقام بتجديدها ابن المعز سنة ٣٨٥هـ، ثم قام بتجديدها السلطان لاجين، وبنى قاعدتها بالحجر ومقاس كل من الضلعين البحري والقبلي ١٢,٧٥ متراً، والشرقي والغربي ١٠, ١٤ متراً^(٤) والقبة الموجودة حالياً ثالث قبة أقيمت في المسجد.

(١) المرسي، المساجد الكبرى في العالم الإسلامي، ص ١٢٨، بتصرف يسير.

(٢) إسماعيل، كامل، دراسات أثرية لمسجد أحمد بن طولون، ص ٨.

(٣) المرسي، مرجع سابق، ص ١٣٠.

(٤) أحمد، يوسف، المحاضرات الأثرية جامع أحمد بن طولون، ص ٣١-٣٣، بتصرف يسير.

ويأتي بالجزء العلوي من جدران المسجد الطولوني مجموعة من "الشبابيك الحصية ذات الأشكال الهندسية الجميلة، وهي على شكل العقود الكبيرة الداخلية أي أنها مدببة متجاوزة، ومرفوعة على عمودين قصيرين متخذين في نفس البناء، وتحيط بتلك العقود إطارات قوامها كتابات كوفية وزخارف نباتية^(١)، أما السقف "فعبارة عن كمرات خشبية مشغولة بالزخارف والآيات القرآنية^(٢)، وتأتي الشبابيك لتحيط بالمسجد من جميع الجهات.

ويتكون إيوان القبلة - بيت الصلاة - من خمسة أساكيب وسبعة عشر رواقاً^(٣) ويمتد بيت الصلاة في المسجد ١٨ متراً، ويبلغ امتداد واجهته على البهو ٩٢ متراً، تحتل الدعائم منها ثلاثين متراً، وقد كانت فتحات بيت الصلاة في مسجد ابن طولون تزداد امتداداً^(٤). ويتوسط المحراب جدار القبلة، وهو مجوف يكتنفه من كلا جانبيه عمودان من الرخام مرتداً أحدهما عن الآخر، وتيجان تلك الأعمدة من الرخام المفرغ كل اثنين منهما متشابهان، وهي دقيقة الصنع من الطراز البيزنطي القديم، وبالمسجد الطولوني محاريب أخرى أنشأت بعد زمن أحمد بن طولون أهمها المحراب المستنصري^(٥)

وأما المنبر الذي يعتبر من أقدم منابر مساجد القاهرة فهو مصنوع من الخشب المجمع على هيئة أشكال هندسية تحصر بينها حشوات محلاة بزخارف دقيقة بارزة، والذي تم إنشاؤه في زمن السلطان لاجين^(٦) هذا ويمتاز المسجد الطولوني بميزة معمارية وهي الدعائم، فقد كانت سُقُف المساجد قبل ذلك تقام على عقود تحملها أعمدة، فرفعها ابن طولون على دعائم مبنية من الحجر، وهذه الدعائم عنصر معماري ظهر لأول مرة في مصر في المسجد الطولوني، نقله ابن طولون من العراق -مسجد سامراء الكبير- إلى مصر^(٧).

(١) إسماعيل، دراسات أثرية لمسجد أحمد بن طولون، ص ٩.

(٢) صلاح، مروى عصام، التاريخ والثقافة المعمارية، ص ٣١٠.

(٣) إسماعيل، مرجع سابق، ص ٩، بتصرف يسير.

(٤) فكري، أحمد، مساجد القاهرة ومدارسها، ص ٨٨، بتصرف يسير.

(٥) فكري، المرجع السابق، ص ١٠-١١، بتصرف يسير.

(٦) مرسي، المساجد الكبرى، ص ١٢٩، بتصرف يسير.

(٧) إسماعيل، مرجع سابق، ص ٩، بتصرف يسير.

المطلب الثاني: نماذج إسلامية معاصرة.

للمتغيرات الحضارية والسياسية التي تشهدها المجتمعات الإنسانية في العصر الراهن الأثر الواضح في العمارة، لا سيما مع التقدم التكنولوجي، وظهور التقنيات التنموية بمختلف أنواعها وأشكالها، والتي أصبحت من أهم الأدوات التي تقوم عليها العمارة الحديثة، التي تعتمد بشكل رئيس على التقدم العلمي والتكنولوجي والتنوع في مواد البناء والإنشاء؛ فنرى اعتماد "العمارة الحديثة التي استعملت في إنشائها الأسمنت والحديد والزجاج، إضافة إلى الحجر والأجر والخشب، وكيف أعطت هذه المواد الأولية فرصة جديدة للمعمار الحديث الذي أصبح أكثر جرأة في تحدي الاستقرار والتناسب والقواعد التي كانت ثابتة^(١). كل ذلك أدى إلى تركيز العمارة المعاصرة على الجانب المادي عوضاً عن الجانب المعنوي الذي كان محور اهتمام العمارة الإسلامية في العصور المبكرة؛ ويرجع هذا الاهتمام بالقيم المادية في العصر الراهن تماشياً مع الثورة الصناعية التي أولت اهتمامها بالآلات والمعدات بقدر أهميتها فيه القدرات الإنسانية؛ " ففي بداية الثورة الصناعية بدأت الآلة تحل محل الإنسان؛ مما جعل المصمم لا يشعر بقيمة ما يصنعه أو يبتكره فأصبح يشعر بأنه قطعة في آلة^(٢).

وبعد التطرق إلى بعض النماذج المعمارية الإسلامية المبكرة في بداية هذا البحث، ننتقل إلى ذكر بعض النماذج المعمارية المعاصرة، والمستوحاة من العمارة الإسلامية، حتى يمكننا من خلالها استنباط أهم الفروق بين العمارة الإسلامية المبكرة والعمارة الإسلامية المعاصرة، ومعرفة ما إذا كان المصمم المعماري المسلم في العصر الراهن يسير على نفس نهج المصمم المعماري المسلم في العصور المبكرة، ومن النماذج المعمارية المعاصرة:

(١) البهسني، العمارة عبر التاريخ، ص ١٠.

(٢) اليسير، تاريخ العمارة بين القديم والحديث، ص ١٨١.



- النموذج الأول: مسجد السلطان أحمد/ في جمهورية تركيا.

نبذة تاريخية حول مسجد السلطان أحمد^(١) يتمتع مسجد السلطان أحمد بمكانة كبيرة؛ حيث أنه يعود إلى الدولة العثمانية، وبُني هذا المسجد من طرف السلطان أحمد الأول وهو السلطان الرابع عشر من السلاطين العثمانيين بين عامي ١٠١٨-١٠٢٦هـ/ ١٦٠٩م-١٦١٦م حسب إحدى النقوش الموجودة على أحد أبوابه، وبني على الطراز العثماني الكلاسيكي الإسلامي، وبالمهندسة المعمارية الخاصة بالعثمانيين^(٢) كما يحتوي المسجد على قصر صغير للسلطان في الجهة الشرقية الأمامية من المسجد، ومقصورة السلطان التي تقع في جنوب شرق المسجد داخل المصلى، بالإضافة إلى ملحقات المسجد والتي تشمل عدداً من المدارس الدينية، ودار التوقيت، ومستشفى، وحماماً تركياً، وسبيل ماء، وضريح السلطان.

ويقع مسجد السلطان أحمد في مدينة إسطنبول في تركيا جنوبي (آيا صوفيا)^(٣) وشرق ميدان السباق البيزنطي القديم^(٤) وتم اختيار المكان من قبل السلطان أحمد الذي كان حريصاً أن ينتقي موقعاً مثالياً أسوة بأجداده، فوقع الاختيار على هذا المكان، والذي كان آنذاك يحتوي على قصور ومنازل اشتراها جميعاً وهدمها، ثم أسند مهمة بناء المسجد إلى المعمار صدفكار محمد آغا الرئيس

(١) تم الحصول على المعلومات المتعلقة بمسجد السلطان أحمد من خلال زيارتي للمسجد وإجراء مقابلات مع عدد من المختصين في تراث وتاريخ العمارة العثمانية المتواجدين في المسجد آنذاك، بالإضافة إلى الكتيب الخاص بمسجد السلطان أحمد، والذي برعاية جمعية مسجد السلطان أحمد، وكان المسجد يخضع إلى عمليات الترميم التي بدأت عام ٢٠١٩م ومن المتوقع انتهاءها في نهاية سنة ٢٠٢٢م.

(٢) للتوسع في موضوع الطراز العثماني للعمارة الإسلامية، انظر: عبدالحافظ، عبدالله عطية، الفنون الزخرفية الإسلامية في العصر العثماني، ص ٢٣ وما بعدها، وللتوسع في معرفة المساجد الموجودة في إسطنبول التركية، وطرزها المعمارية، انظر: Henry Matthews, **Mosques of Istanbul including the mosques of Bursa and Edirne.**

(٣) تم فتح مسجد آيا صوفيا للصلاة في عام ٢٠٢٠م على يد الرئيس التركي رجب طيب أردوغان، من بعد ما كان كنيسة، والذي اعتبرها أمانة تركها السلطان الفاتح، وجبت المحافظة عليها وتحويلها إلى مسجد بعد ٨٦ عاماً، حفاظاً على القيم الإسلامية، انظر إلى ص ٣٧٣ من هذا البحث، صورة رقم (١٣).

(٤) كما يقع المسجد بالقرب من قصر طوب كابي والذي يحتوي على بقايا من آثار الرسول ﷺ، والصحابه رضي الله عنهم، انظر إلى ص ٣٧٦-٣٧٧ من هذا البحث.

للدولة العثمانية في بداية القرن السابع عشر، والذي كان يعرف بعبقريته، فضلاً عن قيامه بالعديد من الخدمات المعمارية، أهمها ترميم المسجد الحرام.

وصف المسجد المعماري: يشتهر المسجد بعمارته المميزة؛ حيث يعد من أهم وأضخم المساجد في العالم الإسلامي، ويوجد بداخل المسجد بلاط أزرق مما أعطى له اسم (المسجد الأزرق)، والجدير بالذكر أن مسجد السلطان أحمد يضم ٢١٠٤٣ قطعة خزفية تختلف في تصميمها ونقشها، وبعض هذه القطع نقشت بأروع أشكال الأزهار. وللمسجد سور خارجي مرتفع يحيط به من ثلاث جهات، وفي السور خمسة أبواب، ثلاثة منها تؤدي إلى صحن المسجد، واثنان إلى قاعة الصلاة. وأما البوابة الرئيسية للمسجد؛ فهي تبرز من الخارج بصورة معمارية فنية، وتوجد سلسلة حديدية ثقيلة معلقة في أعلى مدخل الساحة في الجزء الغربي، وكان السلطان هو المخول بدخول هذه المنطقة ممتطياً جواده، وكان يخفض رأسه للدخول فيها كي لا يصطدم بالسلسلة، وهذه إيحاء رمزية لتأكيد عبودية الحاكم لعظمة الله.

وللمسجد ست مآذن؛ فالماذن الأربع حول القبة ذات ثلاث شرفات، والمآذنتان حول الصحن ذات شرفتين المجموع ١٦ شرفة، ولكل مأذنة سلم حلزوني، وتأقي المآذنة في مسجد السلطان أحمد على شكل القلم المتوجه نحو السماء؛ فلما جاء ديننا الإسلامي يدعو إلى العلم وشد الرحال إليه، وكان أول ما نزل من آيات الذكر الحكيم على نبينا محمد ﷺ تأمر بالعلم والأخذ به والاهتداء إليه في قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١ - ٥]؛ قام العثمانيون ببناء المآذنتان على شكل القلم؛ رمزاً للعلم والكتابة، حتى أصبح هذا العنصر المعماري بشكله المتمثل بالقلم من العناصر المعمارية الخاصة بالدولة العثمانية، والذي لا نجده بهذا الشكل في الدول الأخرى^(١).

(١) الناظر في مآذن المساجد الموجودة في جمهورية تركيا يرى أن أغلبها إن لم تكن جميعها قائمة على شكل قلم ممتد إلى السماء، ويظهر الشكل بكل وضوح في رأس المآذنة التي تشبه رأس القلم تماماً، وهذا الشكل كما ذكرنا لا يوجد إلا في المساجد ذات الطراز العثماني، ومن خلال زيارتي لمختلف المناطق والمدن التركية يتضح ذلك الطابع الموحد في المآذن التركية، انظر: ص ٣٧٣، فما بعدها من هذا البحث.

أما بالنسبة للقباب فهناك قبة الجامع الكبيرة والأساسية الموجودة في منتصف المسجد، والذي يبلغ قطرها ٢٣,٥ متراً، وارتفاعها ٤٣ متراً، وُحُطت فيها الآيات ٣٢-٣٥ من سورة النور، وتحتوي على نوافذ مصنوعة من الزجاج، وبشكل منظم؛ مما جعل القبة كأنها معلقة في الهواء، وترتكز هذه القبة على أربعة أعمدة ضخمة موجودة وحدها داخل المسجد تسمى (أعمدة قدم فيل)، قطر الواحدة منها ٥ أمتار، ومنقوشة بالزخارف ذات المهارة العالية، وحول القبة الأساسية توجد أربعة قبب على شكل نصف دائرة، ويحف بالقبة الرئيسة ثماني قبب ثانوية؛ للدمج بين فن العمارة العثماني، والعناصر البيزنطية المستوحاة من مسجد آيا صوفيا المجاور له. وأما فناء المسجد فيتساوى تقريباً مع مساحة المسجد نفسه من الداخل، وهو محاط برواق معمد متصل، تعلوه مجموعة من القبب الصغيرة.

وإذا انتقلنا إلى عمارة المسجد من الداخل فنرى المصلى الذي يشكل أهم منطقة في المسجد بشكله المستطيل، والذي يبلغ طوله ٥٣,٥٣ متراً، وعرضه ٤٩,٤٧ متراً (٢٦٦٢ متراً مربعاً). هذا ويحتوي المسجد على محراب مذهب ويعتبر أهم عنصر من عناصر العمارة الموجودة داخل المسجد^(١) ومصنوع من رخام منحوت بشكل رفيع، ويزين أعلاه مقرصنات ولوحتان عليهما آيات من القرآن الكريم، وتشتمل التصميمات الموجودة على آيات مزخرفة من القرآن الكريم، كما نرى حسن الخط في مسجد السلطان أحمد، والاهتمام بالنقش على أدق التفاصيل بما فيها الإنارات^(٢) ويأتي على يمين المحراب منبر ذهبي اللون مزخرف بدقة وأناقة. كما يوجد داخل المسجد كرسي خشبي مزين بالصدف صُنع بحرفية خاصة في فن النجارة تسمى بـ(الكندة كارية)، وهي تعشق الأخشاب مع بعضها بدون استعمال المسامير، ويتم استخدام الكرسي لإلقاء المواعظ والدروس. بالإضافة إلى محفل المؤذن، وهو مكان مرتفع للمؤذنين يقع في جانب العمود الكبير في الجهة الغربية من القبة الرئيسية، ويعتبر هذا العنصر من العناصر المعمارية التي اهتم بها المعماريون العثمانيون.

هذا واستخدمت في كسوة الجدران داخل المسجد أنواع مختلفة من الرخام، وقد صممت بعبقرية معمارية بحيث ينتشر الصوت في كافة الجهات داخل المسجد بشكل متوازن وبنغمات مختلفة. وأما

(١) انظر: ص ٣٦١ من هذا البحث، صورة رقم (٢٢)، و(٢٣).

(٢) انظر: ص ٣٦٢ من هذا البحث، صورة رقم (٢٦)، و(٢٧).

إنارته فهي عبارة عن قناديل حديدية بشكل دائري (ثريا) معلقة بأسلاك توجد في وسط المسجد وينار القسم الداخلي من المسجد ب ٢٦٠ نافذة، والنوافذ الكبيرة للمسجد تمنح انطباعاً بالاتساع.

- النموذج الثاني: مسجد المدينة التعليمية/ في دولة قطر.

نبذة تاريخية حول مسجد المدينة التعليمية^(١) تقوم فكرة بناء مسجد كلية الدراسات الإسلامية والمسمى بجامعة المدينة التعليمية - مبنى ذي المنارتين - بأنه جامع يجمع بين الإيمان والعلم، والمسجد والمدرسة تحت سقف واحد؛ فلما كان المسجد المكان الذي يتم فيه تلقي المعارف والعلوم؛ جاء هذا المسجد ليبرهن على تلك العلاقة الوثيقة التي تربط العلم بالإيمان، وأن العلوم كانت وما زالت تستظل تحت ظل الإيمان. وأما بالنسبة للشكل الخارجي للمسجد فإنه يختلف عن المساجد القديمة؛ فشكل المسجد حديث للغاية، وكان الغرض من بنائه بهذا الشكل مواكبة العصر والتطور والتقدم المعماري والتكنولوجي الذي تشهده دولة قطر، بالإضافة إلى الربط بين الماضي والحاضر والمستقبل.

وعلى الرغم من الاختلاف النوعي لشكل هذا المسجد عن المساجد الأخرى إلا أنه استخدمت فيه العديد من العناصر المعمارية الإسلامية القديمة، أهمها الخط، والزخارف الإسلامية، والاعتماد على الضوء الطبيعي، وبني هذا المسجد على الطراز المعماري الحديث، وباهندسة المعمارية المعاصرة^(٢) كما يحتوي المسجد على مكان تعليمي، ومكتبة. ويقع مسجد المدينة التعليمية في مدينة الدوحة، ويتميز بموقعه الجغرافي الاستراتيجي؛ حيث يقع في واجهة المدينة التعليمية، وفي تقاطع مهم يربط بين أجزاء المنطقة.

وصف المسجد المعماري: يمثل مسجد المدينة التعليمية العمارة الحديثة التي تظهر بكل وضوح على الشكل الخارجي للمسجد، كما يعبر المبنى عن الهوية المعمارية المعاصرة. والمتأمل في مبنى ذو المنارتين يرى تأثير تصميم نقوش الخط العربي التي تزين المبنى باللغة المعمارية للمبنى نفسه، إذ تعبر عن الهوية

(١) تم الحصول على المعلومات المتعلقة بمسجد المدينة التعليمية من خلال زيارتي لمسجد المدينة التعليمية، ومقابلة القائمين على العمل في هذا المسجد، ومن خلال الاستفادة من المعلومات الموجودة في لوحات المسجد، ومطوياته، بالإضافة إلى الفلم الوثائقي الذي يمثل جميع مراحل إنشاء وبناء هذا المبنى المعماري الحديث، والذي كان يعرض في نفس المبنى، ومن إصدار الريان للإنتاج.

(٢) يؤكد ذلك شكل المسجد الخارجي، انظر: ص ٣٦٣ من هذا البحث.

الإسلامية المعاصرة لدولة قطر؛ فقد عمد المصمم المعماري إلى دراسة كل عنصر مكاني على حدة، ومن ثم تحليل علاقته بالنقش الخطي من أجل تحقيق صورة بصرية لا ينساها الناظر بفضل حسن تناغمها. وتم تصميم النقوش باستخدام أنواع الخط العربي الكلاسيكية التي تمثل مدارس الخط العباسي والعثماني؛ ولهذه الغاية، تم تخصيص خمس مناطق مختلفة داخل حرم ذو المنارتين لتنفيذ أعمال الخط الفنية، وهي: المآذن، وأركان الإسلام الخمسة، والمسجد: المحراب والقبة الوسطى، والباحة.

هذا وتم الاهتمام بالعمارة الخضراء؛ فيحيط بمسجد المدينة التعليمية من جميع جوانبه الأشجار الخضراء بمختلف الأحجام والأشكال، والموزعة حول المبنى من خارجه، بالإضافة إلى الأنهار الصناعية، التي تعمل على تلطيف الجو، وتبعث في النفس الراحة. وكذلك عمد المصمم إلى بعث الحياة في محيط الباحة، التي تعد قلب المبنى، عبر ابتكار حركات قوامها الحروف العربية، والآيات الموجودة في الباحة: [الحجرات: ١-١٣]. وهناك خمسة أعمدة توجد في الباحة الخارجية تعكس دلالة رمزية بوصفها أساسات يقوم عليها بناء المسجد؛ إذ تمثل هذه الأعمدة أركان الإسلام الخمسة: الشهادة، والصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، ويزدان كل عمود منها بآية قرآنية تمثل ركناً من أركان الإسلام، وقد صاغ المصمم حروف كلماتها بخطوط زخرفية من قطع معدنية بارزة اتخذت شكل سوار يعانق محيط الأعمدة.

ولعل من أهم ما يميز المبنى تلك المئذنتين المميزتين عن أي مئذنة صممت لمسجد من قبل، والتي تعبر عن العمارة الحديثة بكل وضوح؛ فهو تصميم حديث ومعقد يحتاج إلى دقة عالية وجهد مضاعف، لا سيما ضبط الكتابة على منارات مائلة يصعب الكتابة عليها، وينبغي أن تتم من خلالها القراءة الصحيحة عن طريق العين المجردة بوضوح؛ فتأتي المئذنة بشكل ديناميكي يتجه من العنصر الأفقي إلى العمودي المتجه نحو الأعلى باتجاه السماء^(١)

واستخدم المصمم المعماري الشكل "السُّلَمي" لكتابة الخط بهدف إبراز التصميم المعماري للمآذن، كما قرر استخدام الشكل العمودي الصاعد لكتابة لغة تُكتب بنسق أفقي يسمح للجماهير قراءة الخط المكتوب على مئذنة يصل ارتفاعها إلى ٨٠ متراً. ويمكن قراءتها على بعد ١٠ كيلو متراً.

(١) انظر: ص ٣٦٤ من هذا البحث، صورة رقم (٣٢)، و(٣٣).

وهناك مئذنة ترتفع قليلاً عن المئذنة الأخرى. وينقش على المئذنتين الآيات الكريمة الآتية: قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، وقوله تعالى: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٩١].

وهناك ثلاثة مداخل للمسجد، بالإضافة إلى المداخل التي يمكن فتحها إلكترونياً؛ فيصبح عدد الأبواب ما يقارب خمسة أبواب^(١)

وفي داخل المسجد نرى تسلل الضوء الطبيعي، وأشعة الشمس من خلال النوافذ؛ فهناك نافذة كبيرة مغلقة في أعلى سقف المسجد تتسلل من خلالها أشعة الشمس؛ لتكون مدخلاً للإنارة الطبيعية داخل المسجد، بالإضافة إلى النوافذ الموجودة في الأسفل، والتي يتم فتحها بالكامل في المناسبات الدينية؛ فتصبح كالأبواب المفتوحة. بالإضافة إلى الإنارة الصناعية، والتي توجد في سقف المسجد بشكل مبثر في مختلف أرجاء السقف كالنجوم المتناثرة في السماء^(٢) والناظر إلى القوس الموجود في المسجد فإنه يرمز إلى العلاقة بين النور والمعرفة، من خلال النوافذ العملاقة التي تحيط بالمبنى بأكمله، والتي يتم من خلالها دخول ضوء الشمس من كل اتجاه، ومن كل جانب، مؤكداً بذلك أن العلم نور.

هذا ويتسع المسجد لحوالي ١٥٠٠ شخص بالداخل، و٣٠٠ شخص في شرفة السيدات، و١٣٠٠ شخص في فناء المسجد الخارجي، و٢٠٠ شخص في محيط المسجد.

ويمتد عبر ارتفاع المبنى شلال مياه بجوار مدخل المسجد، تطل عليه أماكن مخصصة لوضوء النساء وأخرى للرجال؛ حيث يرمز الشلال للتنقية والطهارة كمرحلة انتقال إلى مكان الصلاة والعبادة. وهناك سلام داخلية صممت لتحاط بنبع من المياه المسئلة المبردة؛ حيث غرضها ليس فقط ربط الأدوار ببعضها البعض فحسب، وهناك سلم يؤدي إلى منطقة الوضوء يتدفق حوله الماء ليصب في أنهار صناعية خمسة.

(١) انظر: ص ٣٦٥ من هذا البحث، صورة رقم (٣٩).

(٢) انظر: ص ٣٦٥ من هذا البحث، صورة رقم (٣٨).

ويأتي محراب المسجد بنقوش الخط الموجودة داخل قوس المحراب المنحني^(١) وذلك للمساعدة في إضفاء أجواء تبعث الطمأنينة، والآية التي تم نقشها في المحراب، قوله تعالى: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ [البقرة: ١٥٠]. وتمتد نقوش الخط العربي من المحراب وصولاً إلى القبة الوسطى لتحقيق شكل من أشكال التوازن بين العنصرين وتكوين رابطة بصرية بينهما، ومن ثم توجه النظر نحو كامل أرجاء المساحة المحيطة، والآية الموجودة في القبة الوسطى قوله تعالى: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ١١٢]^(٢)

كما يوجد في المسجد منبران، منبر رئيسي وهو ثابت داخل المصلى^(٣) بالإضافة إلى منبر متحرك يمكن استخدامه داخل المصلى، ويمكن نقله إلكترونياً بسهولة ويسر إلى الملحق الخارجي للمصلى والذي تقام فيه المناسبات، والمزود بأحدث طرق التكنولوجيا، ويوجد به أبواب تفتح على حسب الاستخدام، إن كان للدروس الدينية والحلقات التعليمية داخل المصلى، أم كان لخطبة صلاة العيد والتي تلقى في الملحق الخارجي للمصلى^(٤) ويوجد داخل المصلى ثلاث غرف يتم فيها القراءة بهدوء. أما بالنسبة إلى فرش المصلى فيحتوي على خطوط تلتقي بخطوط خارج المصلى توجد في ملحق المصلى الداخلي الممتد للخارج.

من خلال ما سبق ذكره في هذا المبحث من نماذج معمارية إسلامية مبكرة ومعاصرة تتضح بداية العمارة الإسلامية بالبساطة والروحانية، والجو الهادئ البعيد عن التكلف، واستخدام أيسر المواد البنائية. وتعتبر البساطة، والمرونة، والوضوح في التصميم، وكثرة الأعمدة، من المميزات التي يشترك فيها الطراز العربي، بتنوع طرزه التي تصنف تحته كالطراز النبوي، والطراز الأموي، والطراز المملوكي، والطراز العباسي، والطراز الفاطمي، والطراز الأندلسي المغربي. واستمرت العمارة

(١) انظر: ص ٣٦٥ من هذا البحث، صورة رقم (٣٦)، و(٣٧).

(٢) انظر: ص ٣٦٤ من هذا البحث، صورة رقم (٣٤)، و(٣٥).

(٣) انظر: ص ٣٦٦ من هذا البحث، صورة رقم (٤٠).

(٤) انظر: ص ٣٦٦ من هذا البحث، صورة رقم (٤١).

الإسلامية على هذا المنوال حتى العهد الأموي الذي تأثر بعمارة البلدان التي فتحها المسلمون؛ فاتجهت العمارة الإسلامية بعد ذلك نحو التكلف، والفخامة، والاهتمام بالزخارف والأشكال الهندسية، حتى أصبحت المساجد كالقصور ذات المداخل العالية التي شيدت في العهد العباسي، والذي يعد عصر الازدهار، والتنوع، والغنى المعماري. وفي العصر الحديث الذي يزداد به عدد السكان بزيادة عدد المدن، جاءت العمارة التي تتوافق مع احتياجات العصر والتي تجمع بين الأصالة والمعاصرة، عمارة تجمع بين الطرز المعمارية الحديثة وتحافظ على القيم الإسلامية.

فالمتتبع لآثار ونماذج العمارة الإسلامية يلاحظ أن هناك تطوراً للعمارة الإسلامية في كل عصر عن العصر الذي يسبقه؛ فمثلاً المآذن لم تكن موجودة في مساجد العهد النبوي، والعهد الراشدي، ثم بدأ الاهتمام بهذا العنصر المعماري في العصر الأموي؛ حيث "تشير المصادر إلى أن المنارة لم تكن موجودة في زمن النبي ﷺ، ولم تكن كذلك في زمن الخلفاء الراشدين، وإنما أحدثت في زمن معاوية بن أبي سفيان^(١)، وكان ارتفاع المئذنة في السابق لا يكون عالياً جداً عن المبنى، بخلاف العصر الحديث. كما كان المؤذن في السابق يصعد حتى يصل إلى المئذنة من أجل النداء إلى الصلاة، أما في العصر الحديث فأصبحت ذات طول عال، يصعب الصعود والوصول إليها. كما كانت المساجد القديمة تقتصر على مئذنة واحدة فقط، ثم تم إدخال أكثر من مئذنة مع بداية العهد العثماني حتى عصرنا الراهن.

هذا ويتبين من خلال النماذج السابقة أن هناك اختلافاً نسبياً بين بعض العناصر المعمارية في العصر المبكر والعصر الحديث، منها اختلاف منابر المساجد الحديثة عن المساجد السابقة؛ ففي المساجد القديمة كانت المنابر ذات أهمية بالغة وذات مساحة كبيرة وواسعة تفي بغرضها كالتجمع حول الخطيب، أما منابر المساجد الحديثة فهي خلاف ذلك حيث يصغر حجمها، ويقل الاهتمام بها مقارنة بما كانت عليه في السابق؛ فعمارة المساجد خلال العصور المبكرة كان لها اتجاه واحد نجح في توفير المرغوب فيه حسب الظروف العامة والخاصة لتلك البيئات، وأما في العصر الحديث، فتطرح أمام عمارة المساجد اتجاهات متنوعة، كالاتجاه التقليدي المحلي، والاتجاه التقليدي المحسن، والاتجاه التقليدي المحافظ، والاتجاه الكلاسيكي الجديد، والاتجاه نحو المعاصرة، والاتجاه الرمزي، والاتجاه المختلط^(٢)

(١) المرباط، زكرياء، التخطيط والبناء في الفقه الإسلامي، ص ٢٩٤.

(٢) وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، أعمال ندوة حول خصوصيات معمار المساجد بالمملكة المغربية، ص ٧٠-٧٥، بتصرف يسير.

وأما بالنسبة إلى صحن المسجد؛ فنرى المساجد ذات الصحن المركزي، والذي يكون مع أروقة ترتكز على صفوف من الأعمدة موجودة في المساجد التي بنيت في فترة إسلامية مبكرة^(١) قال عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: «| أَنَّ الْمَسْجِدَ كَانَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَبْنًى بِاللِّبْنِ، وَسَقْفُهُ الْجَرِيدُ، وَعُمْدُهُ خَشَبُ النَّخْلِ، فَلَمْ يَزِدْ فِيهِ أَبُو بَكْرٍ شَيْئًا، وَزَادَ فِيهِ عُمَرُ، وَبَنَاهُ عَلَى بُيُوتِهِ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِاللِّبْنِ وَالْجَرِيدِ وَأَعَادَ عُمْدَهُ خَشَبًا، ثُمَّ غَيَّرَهُ عُثْمَانُ فَرَادَ فِيهِ زِيَادَةً كَثِيرَةً وَبَنَى جِدَارَهُ بِالْحِجَارَةِ الْمُتْقَشَّةِ وَالْقَصَّةِ وَجَعَلَ عُمْدَهُ مِنْ حِجَارَةٍ مُتْقَشَةٍ وَسَقَفَهُ بِالسَّاجِ»^(٢).

وبلغ تطور مسجد الصحن المركزي درجة من النبل المعماري؛ فمثلاً نجد ذلك في مسجد ابن طولون الذي يضم صحناً رئيسياً، ويعتبر ضرورياً في امتداد الحيز الفراغي إلى أعلى، مفسحاً المجال أمام الأنفاس الربانية كي تمتد في جنباته، والأهمية الرمزية للصحن في إحتواء النظام الطبيعي ضمن منطقة الصلاة تعزز وظيفته المفيدة في توفير مساحة إضافية، والاتجاه الأفقي نحو مكة المكرمة^(٣)

كما نرى في العصر الحديث تركيز المهندسين في عمارة المباني والمنشآت حول الجوانب المادية، والجمالية، بالإضافة إلى اختيار وانتقاء المواد البنائية، والتي لا شك تختلف من عصر إلى عصر آخر؛ فمثلاً استعمل القدماء سابقاً الحجارة في البناء، وقد كانت تلك المادة تتناسب تماماً مع الناحية الوظيفية، والناحية الشكلية. أما في عصرنا هذا، ونظراً لاستعمال أسلوب الإنشاء الهيكلي في البناء بالنسبة للمباني المتعددة الطوابق أصبحت هذه المادة غير عملية نظراً لثقل وزنها نسبياً^(٤).

وفي نهاية هذا الباب يمكننا التأكيد على أهمية العمارة الإسلامية باعتبارها علماً من العلوم التي تتعلق بمختلف الفنون، والتي ترتبط بجميع الجوانب الدينية، والاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية، وكل ما ينهض بالحضارة الإنسانية؛ حيث تعتبر العمارة الإسلامية المرآة العاكسة

(١) للتوسع في موضوع عمارة المساجد في العصور الإسلامية الأولى - أثناء الهجرة النبوية حتى العصر الراشدي -، انظر: عبده، عبدالله كامل موسى، عمارة المساجد في الجزيرة العربية والعالم الإسلامي منذ ما قبل الهجرة النبوية حتى نهاية العصر الراشدي، ص ٦٥ - ١٨٥.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، أبواب استقبال القبلة، ج ١، ص ٩٢، رقم (٤٢٧).

(٣) خلوصي، محمد، عمارة المساجد تصميم وتاريخ وطراز وعناصر خمسة ثمانين مسجداً، ص ١٣، بتصرف.

(٤) حمودة، ألفت يحيى، الطابع المعماري بين التأصيل والمعاصرة، ص ٢٠٢، بتصرف يسير.

للحضارة الإسلامية، التي تبرهن على مستوى تقدمها وازدهارها؛ فلذلك نالت اهتمام العديد من العلماء والمؤرخين.

وبعد تركيزنا على العمران والعمارة في القرآن الكريم من خلال التطرق إلى عدة جوانب، أهمها: ركائز العمران، وخصائصه، وأساليبه، وضوابط العمارة، وعناصرها، ومميزاتها، ننتقل إلى الباب القادم والذي يهتم بكيفية المحافظة على العمران والعمارة من خلال التأمل في المنهجية القرآنية التي وضحت معنى استخلاف الإنسان في الأرض، ومعنى التسخير، وأكدت ارتباط الاستخلاف بالعمران والعمارة، وارتباط التسخير بالعمران والعمارة، وبينت مقومات العمران والعمارة، وعوائقهما؛ مما يدفع الإنسان إلى السير في الأرض وممارسة العمران والعمارة على الوجه الذي يحدده القرآن الكريم، والذي يرتقي بالإنسان وحضارته.

الباب الثالث

منهج القرآن الكريم في حماية العمران والعمارة.

وفيه فصلان:

الفصل الأول: الاستخلاف والتسخير وعلاقتهما بالعمران والعمارة.

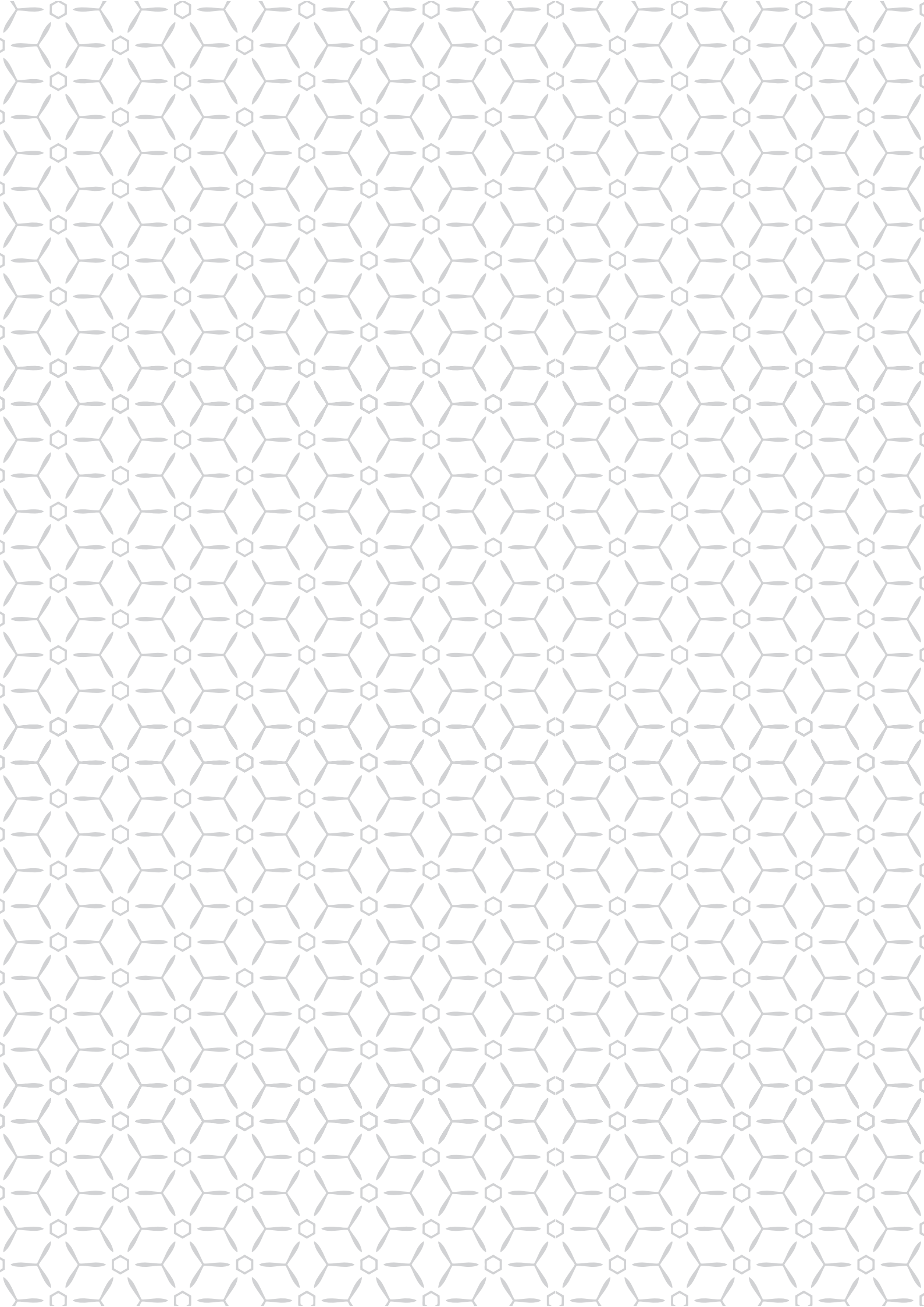
المبحث الأول: الاستخلاف وعلاقته بالعمران والعمارة.

المبحث الثاني: التسخير وعلاقته بالعمران والعمارة.

الفصل الثاني: مقومات العمران والعمارة وعوائقهما في القرآن الكريم.

المبحث الأول: مقومات العمران والعمارة في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: عوائق العمران والعمارة في القرآن الكريم.





تمهيد

يرسم القرآن الكريم للإنسان الطريق المستقيم الذي يتم من خلاله النهوض بالمجتمع والحضارة، محددًا محور حركته، التي تركز على الإيمان بالله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** وحسن عبادته، وفي الوقت نفسه يبين القرآن الكريم العوائق التي قد تقف أمام العمران والعمارة، موضحاً آثارها على الفرد ومجتمعه؛ مما يدفع الإنسان إلى تجنب الوقوع فيها. ومن خلال النظر في القرآن الكريم تتأسس القواعد المنهجية للبناء الإنساني والعمراني في مختلف الجوانب الأخلاقية، والاجتماعية، والفكرية، والاقتصادية، والتي تقوم على التحرر الداخلي من الأهواء والرغبات الشخصية، والتحرر الخارجي من سطوة التقاليد ومختلف الغوايات، ثم تقوم على صفات من الواقعية والمقارنة النقدية؛ وعلى هذه القواعد يتأسس العقل المسلم؛ فينطلق في إنجاز العمران منفتحاً على تراث السابقين، ومطلعاً على نتاج الخالفين انفتاح التبين الناقد، وغائصاً في بحر القرآن الكريم، يأخذ من مبادئه وتوجيهاته في هذا الشأن ما يصنع به الإضافة الحضارية، ويمضي من هذا وذاك في ريادة يسهم بها في تنمية العمران البشري وترشيده^(١)

كما تنبغي الإشارة إلى أن "الغاية من أي بناء حضاري علماً وعملاً؛ موصولة بحبال ثلاثة: حبل يصلها بالله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** (الاستخلاف وتحصيل المعية الإلهية)، وحبل يصلها بالناس (التركية وترسيخ الذات الإنسانية)، وحبل يصلها بالكون (الاستقامة والاستعمار الإيماني للأرض)^(٢)؛ ولهذا أرتأيت تقسيم هذا الباب إلى فصلين على النحو الآتي: فصل يبين الاستخلاف والتسخير موضحاً علاقتهما بالعمران والعمارة، وفصل يوضح مقومات العمران والعمارة، وعوائقهما في القرآن الكريم؛ حيث تعتبر هذه الأمور من أهم ما يضمن الحفاظ على العمران والعمارة، ويؤدي إلى ازدهار الحضارة.

(١) النجار، عبدالمجيد، مقاصد القرآن في بناء الفكر العمراني، ص ٩٨، بتصرف يسير.

(٢) الخطيب، محمد عبدالفتاح، قيم الإسلام الحضارية نحو إنسانية جديدة، ص ٣٢.





الفصل الأول: الاستخلاف والتسخير وعلاقتهما بالعمران والعمارة.

مما لا شك فيه أن الاستخلاف يتقوى بالإيمان والتقوى والعمل الصالح، ويتراجع بالكفر والشرك والظلم والفساد؛ ولذلك جاءت المنهجية القرآنية لتوافق بين الجانب النظري (العقل والفكر) والجانب التطبيقي (العمل). ويرد مصطلح العمران في القرآن الكريم على أنه تكليف شرعي بعمارة الأرض مبني على الإرادة الحرة للمكلفين، ومؤسس على الفعل التسخيري والاستخلاف في للجهد الإنساني، ولذلك فهو محكوم بمنظومات سنية تجعله في صلب معتركات الابتلاء والتداول والتدافع، والتجديد، سقوطاً ونهوضاً، تراجعاً وتقدماً^(١)

وبما أن العمارة التي تعتبر من فعل الإنسان تركز على محورين رئيسيين يضمنان لها التوازن والاستقرار، وهما الاستخلاف والتسخير، وجب علينا التركيز على هذين المحورين، وبيان ماهيتهما، وعلاقتهما بالعمران والعمارة، ولهذا عانيت بتقسيم هذا الفصل إلى مبحث يوضح مفهوم الاستخلاف، ويبرز علاقته بالعمران والعمارة، ومبحث آخر يوضح مفهوم التسخير، ويبرز علاقته بالعمران والعمارة.

المبحث الأول: الاستخلاف وعلاقته بالعمران والعمارة.

من أهم المبادئ التي تفرد بها الإسلام ولم تدعو إليها أية عقيدة أخرى مبدأ خلافة الإنسان في الأرض، الذي يقرر غاية الوجود الإنساني، ويدعو إلى النظرة الشمولية حول العالم بما فيه من مسخرات، وموارد طبيعية، وإمكانات، وقدرات وهبها الخالق للإنسان، من أجل تكليفه بمهمة الخلافة في الأرض، يقول تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ١٤]، تؤكد الآية الكريمة اقتران العمران والعمارة بالاستخلاف، وارتباط استخلاف الإنسان بما يقوم به من دور وظيفي نحو عمارة الأرض، وأن الله سبحانه سيجازي كل عامل بعمله.

(١) البطوي، عزيز، سنن العمران البشري في السيرة النبوية، ص ١٢٣، بتصرف يسير.

ومنهجية القرآن الكريم في الاستخلاف إنما تصب في خدمة الإنسان، وترسم له خيوط الحركة العمرانية، بما فيها من أوامر إلهية، ونواه، وقيم أخلاقية، تؤدي إلى ازدهار الحضارة الإنسانية؛ حيث "تمثل الحضارة خلاصة الممارسات الاستخلافية للكيانات البشرية المتعاقبة على وجه الأرض، بصرف النظر عن الزمان والمكان؛ فهي حصيلة تضافر الجهود الجماعية لأمة ما، انطلاقاً من رؤية خاصة تمثل تصوراً معيناً للوجود والإنسان، ودوره فيه^(١). ولما جاء مفهوم العمران والعمارة في القرآن الكريم يتوافق مع مفهوم الاستخلاف؛ جاء هذا المبحث ليسلط الضوء على علاقة الاستخلاف بالعمران؛ حيث سيتبع هذا المبحث عدداً من الآيات القرآنية الكريمة التي توضح مفهوم الاستخلاف، وتبرز علاقته بالعمران.

المطلب الأول: مفهوم الاستخلاف.

من خلال التأمل في آيات الذكر الحكيم تتضح العناية الإلهية في تحديد المعالم الرئيسة للاستخلاف، وتحديد سلم التمكين ومناطه، تارة من خلال توضيح ماهيته، وتحديد مداركه وواجبات المستخلفين في الأرض، وتارة من خلال التأكيد على غايته وأهدافه، وتارة من خلال بيان كيفية تحقيقه، وما يضمن استمراريته، وتارة أخرى من خلال التأكيد على العلاقة الوثيقة التي تربط الاستخلاف بالعمران والعمارة؛ فالاستخلاف مبدأ قرآني هدفه تنمية الإنسان، وعماران مجتمعه بالخير والعمل الصالح. وسيوضح هذا المطلب مفهوم الاستخلاف، وأنواعه وشروطه في القرآن الكريم، على النحو الآتي:

أولاً: تعريف الاستخلاف.

١ - في اللغة: من خلال البحث في كتب اللغة والمعاجم، يتضح أصل الاستخلاف قائماً على الحروف الثلاثة: الخاء، واللام، والفاء، وهذا الجذر له عدة معان منها: النيابة سواء نيابة شخص عن شخص، أو قرن عن قرن، ومنها خلاف قدام، ومنها التغيير؛ حيث جاء في كتب اللغة أن للاستخلاف: "أصول ثلاثة: أحدها أن يجيء شيء بعد شيء يقوم مقامه، والثاني

(١) الأحمر، عبدالسلام محمد، استخلاف الإنسان في الأرض بوصفه مقصداً عاماً للقرآن والشريعة والحضارة، ص ١٢٢.

خلاف قدام، والثالث التغير^(١)، وإذا قيل في هؤلاء القوم خلف ممن مضى أي يقومون مقامهم ويحلون محلهم، والخلف: القرن يأتي بعد القرن^(٢) ويتضح من خلال ما تقدم من التعريفات السابقة اتفاق ابن فارس، وابن منظور في تعريف الاستخلاف بأنه ما يعني النيابة عن الغير.

٢- في الاصطلاح: لا يختلف معنى الاستخلاف في الاصطلاح عن المعنى اللغوي، حيث يعرف في الاصطلاح أنه بمعنى: النيابة، وقيام اللاحق بما يقوم به السابق؛ حيث يعرف الاستخلاف بأنه: "تحمل مسؤولية الحكم والقيادة، والنيابة بين الناس في تأمين مصالحهم الفردية والجماعية^(٣)"؛ "فالاستخلاف من حيث مفهومه يكاد ينحصر في النيابة عن الغير، نيابة تنزل النائب منزلة المنوب عنه، وتجعله خليفة له، وهو ما يعطي هيئته، ويحول له صلاحيته^(٤)."

٣- في الاصطلاح القرآني: دارت مادة "خلف"^(٥) في القرآن الكريم ستاً وخمسين مرة موزعة على العهدين: المكي والمدني، ووردت في العهد المكي خمساً وثمانين مرة، وفي العهد المدني خمساً وأربعين مرة.

وجاءت الألفاظ كالآتي: (خَلَفَ، خَلَفْتُمُونِي، يُخْلَفُونَ، أَخْلَفْنِي، خُلِّفُوا، أَخْلَفَكُمْ، يُخَالِفُونَ، فَأَخْلَفْتَكُمْ، فَأَخْلَفْتُمْ، أَخْلَفْنَا، أَخْلَفُوا، تُخْلَفُ، نُخْلِفُهُ، يُخْلِفُ، تُخْلَفُهُ، تَخْلِفُهُ، يَتَخْلَفُوا، اخْتَلَفَ، اخْتَلَفْتُمْ، اخْتَلَفُوا، تَخْتَلِفُونَ، يَخْتَلِفُونَ، فَاخْتَلَفَ، اسْتَخْلَفَ، يَسْتَخْلَفُ، يَسْتَخْلَفُكُمْ، لَيْسْتَخْلَفْنَهُمْ، خَلَفْتُ، خَلَفَكَ، خَلَفَكُمْ، خَلَفْنَا، خَلَفَهُ، خَلَفَهَا، خَلَفَهُمْ، خَلَفِي، خَالِفِي، خَالِفِي، خَالِفُكَ، خَلَفَةً، الْخَوَالِفُ، خَلِيفَةً، خَلَائِفَ، خَلَفَاءَ، الْمُخْلَفُونَ، لِلْمُخْلَفِينَ، مُخْلِفَ، اخْتَلَفَ، اخْتَلَفْنَا، مُخْتَلِفًا، مُخْتَلِفُونَ، مُخْتَلِفِينَ، مُسْتَخْلَفِينَ)، ومن أهم الملاحظات حول الاصطلاح القرآني لمادة خلف:

(١) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج ٢، ص ٢١٠.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، ج ٩، ص ٨٤، بتصرف يسير.

(٣) الأحرر، استخلاف الإنسان في الأرض، ص ١٠٨-١١٠.

(٤) طاهيري، الإنسان والعمران من خلال قصص القرآن، ص ١٢٣.

(٥) من أجل تتبع ورود مادة "خلف" في القرآن الكريم، انظر: عبد الباقي، محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، مادة (خ ل ف).

يتضح من خلال الرصد السابق ورود مادة خلف في العهدين المكي والمدني، ووردت في العهد المكي ما يقارب ضعف ورودها في العهد المدني، ولعل في ذلك إشارة إلى أن طبيعة المؤمنين يغلب عليها الإدراك والوعي نحو أهمية الخلافة، والدور الذي ينبغي القيام به من أجل عمارة الأرض بالخير والعمل الصالح، واستشعار لما أودعه الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** عليهم من نعم أهلتهم إلى الخلافة في الأرض؛ حيث كان أفراد المجتمع المدني يغلب عليهم الصفات الحميدة لاستقرار الإيمان في قلوبهم، فكان الحث على استغلال النعم والخلافة في الأرض على الوجه المطلوب، والتذكير به في المجتمع المكي أكثر حاجة من المجتمع المدني لما كان يحتاجه من تصحيح عقيدة، ونبذ شرك، ودعوة إلى أخلاق مستقيمة تؤدي إلى عمران القلوب. ووردت المادة بصيغة الماضي والمضارع، والمفرد والجمع؛ لما في ذلك دلالة أن الاستخلاف مهمة يقوم بها الفرد والجماعة، كما وردت لازمة ومتعدية.

ويعرف ابن عاشور الخليفة بأنه: "الذي يخلف غيره في عمل، أي يقوم مقامه فيه، فإن كان مع وجود المخلوف عنه قيل: هو خليفة فلان، وإن كان بعد ما مضى المخلوف قيل: هو خليفة من فلان^(١)".

هذا ويضيف القرآن الكريم للاستخلاف معنى آخر يتمثل في تحمل مسؤولية الأمانة في الخلافة، أو الإشراف على الناس، يقول تعالى: ﴿ **إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا** ﴾ [الأحزاب: ٧٢]؛ فالخلافة استئمان، ولهذا عبر القرآن الكريم عنها في الآية (إنا عرضنا الأمانة)؛ فالأمانة تفرض الاحساس بالواجب والمسؤولية، وبدون إدراك الكائن أنه مسؤول لا يمكن أن ينهض بأعباء الأمانة، أو يختار لممارسة دور الخلافة^(٢).

وجاءت العديد من الآيات الكريمة بصيغة الجمع، والمتمثلة في خلائف - جمع خليفة - ، يقول تعالى: ﴿ **وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾ [الأنعام: ١٦٥]، نستشف من الآية الكريمة بوجود تباين في درجة تمثيل الخلافة في الأرض، كما جاءت العديد من الآيات الكريمة التي تخدم نفس الدلالة، أو المعنى العام للآية السابقة، والتي تفيد معنى خلف الحاضر بالسابق، بأن يقوم مقامه،

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٢٣، ص ٢٤٢، بتصرف يسير.

(٢) الصدر، محمد باقر، الإسلام يقود الحياة، ص ١٠٣.

وفق عملية متناغمة ومستمرة، ومن تلك الآيات الكريمة، قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ١٤]، ومنها قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ، وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ إِلَّا مَقْنًا﴾ [فاطر: ٣٩]، ومن خلال التأمل في الآيات المذكورة آنفاً يُستنتج أن القرآن الكريم قد سلط الضوء على الاستخلاف، وجعله بمثابة الاختبار الذي يمتحن به المؤمن بناء على أدائه الديني، لينال الجزاء الآخروي؛ نتيجة لما قدمه في مرحلة استخلافه.

٤- التعريف التركيبي للاستخلاف: تكليف - المستخلف - الخالق **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** - المستخلف - الإنسان، بعمارة - المستخلف فيه - الأرض التي هي محور الاستخلاف وجوهره، والسعي نحو عمارة الأرض وإصلاحها، وتوظيف الموارد، والإمكانيات التي سخرها الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** للإنسان، والتمسك بالقيم الأخلاقية التي تؤدي إلى ازدهار الحضارة الإنسانية، والالتزام بما جاءت به منهجية القرآن الكريم، من أوامر إلهية تعتبر الدليل الحي والإرشادي لعملية بناء الإنسان، والخلافة، والعمران.

ثانياً: أنواع الاستخلاف.

من خلال التأمل في آيات الذكر الحكيم يتضح أن للاستخلاف نوعين: استخلاف خاص، واستخلاف عام، فأما النوع الأول يراد به شخص معين، أو فئة معينة من الناس، ومن أهم أهدافه الإرشاد، والتوجيه، والحكم بين الناس.

ويوضح المنهج القرآني ما يندرج تحت هذا النوع كخلافة الأنبياء -عليهم السلام-، قال تعالى: ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [ص: ٢٦]، تبين الآية الكريمة اصطفاء الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** داوود عليه السلام ليكون خليفة في الأرض، وذلك لاجتماع صفات الاستخلاف التي أهلتها ليحكم بين الناس بالحق والعدل، بعيداً عن الهوى، مؤكداً سبحانه أثر اتباع الهوى في الضلال والابتعاد عن سبيل الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلُقْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٢]، أي اتبع سبيلي ونهجي الذي سرت عليه نحو الصلاح والإصلاح، وابتعد كل البعد عن الفساد في الأرض وعن المفسدين فيها؛ فترى في الآية الكريمة طلب موسى - عليه السلام - من أخيه حتى ينوب عنه في الخلافة، موصياً بالإصلاح، والتمسك بالحق، وعدم سماع كلمة من يسعى في الأرض فساداً.

وكذلك من الاستخلاف الخاص ما يراد به مجتمع معين، أو أمة معينة، أو فئة معينة من الناس، سواء كانوا علماء، أو أئمة دين، أو غير ذلك، قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥]، يتضح من الآية الكريمة استخلاف مجتمع معين من الناس، والمتمثل في المجتمع الصالح الذي يؤمن بالله سبحانه ويعمل الصالحات؛ حيث يعدهم خالقهم سبحانه بأن يمكنهم في الأرض، ويبدل خوفهم بالأمن والأمان؛ وذلك جزاءً لإيمانهم به، والتزامهم بشرعه، وتطبيق منهاجه.

أما النوع الثاني من الاستخلاف، فهو الذي لا يقتصر على فئة معينة بل يراد به عموم الناس، وهو الاستخلاف العام، ومن أهم أهدافه عمارة الأرض بشكل جماعي، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا مَقْنًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾ [فاطر: ٣٩].

يتضح مما سبق أن الاستخلاف في القرآن الكريم جاء لجميع البشر، ولجميع الأجيال، إنه استخلاف فردي واستخلاف جماعي في آن واحد، وهذا ما يضمن استمراريته، وصلاحه لكل زمان ومكان، ويتحقق من خلاله الهدف الرئيس المتمثل في عمارة الأرض.

ثالثاً: شروط الاستخلاف.

يكن جوهر الاستخلاف في العلاقة التي تربط بين الخليفة والمستخلف، وكيف يحافظ الخليفة على تلك العلاقة بالاقتراب من مستخلفه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، والإيمان به، والعمل الصالح، والابتعاد عن

الهوى والضلال، وكل ما يزعزع صفاء الروح؛ فدور الخليفة يتمثل في طاعة مستخلفه، وأن لا يخالف قوانينه وأحكامه، ولا يخرج عن أوامره، ويتجنب نواهيه.

ومن أهم مميزات الخليفة الصالح أن يعبد الله كأنه يراه، ويسبح بحمده آناء الليل وأطراف النهار، ويكثر من الأعمال الصالحة التي تقربه إليه، ويبذل قصارى جهده في توظيف النعم لخدمة دينه، وصلاح نفسه، وبناء مجتمعه؛ "فخلافة الإنسان في الأرض تقوم على جانبين وتتم بحركتين: الأولى: حركة الإنسان في مجال تحقيق العبودية، والثانية: حركة الإنسان في مجال تحقيق السيادة^(١).

وإن أردنا التطرق إلى أهم شروط الاستخلاف، يمكننا بدايةً الاستشهاد بآية قرآنية كريمة تحتوي على العديد من الركائز التي يقوم عليها الاستخلاف، والمتمثلة في قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥]؛ نلتمس من الآية الكريمة أهم شروط الاستخلاف: الإيمان بالله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، **﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾**، والعمل الصالح، **﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾**، وعبادة الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، **﴿يَعْبُدُونَنِي﴾**، وتوحيده، وعدم الإشراك به جل وعلا، **﴿لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾**، كما نرى ارتباط هذه الشروط بعضها مع البعض، أو بمعنى آخر كل منها يشتق من الآخر، ويندرج تحته؛ حيث ينبثق العمل الصالح وحسن العبادة، وعدم الإشراك بالله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** من الإيمان الراسخ، والعقيدة الصحيحة. كما تبين الآية الكريمة ثمرات العمل بشروط الاستخلاف، وهي كالآتي: النصر والتمكين في الأرض، وتحقيق الحياة الآمنة المطمئنة، وتبديل الخوف بالأمن والأمان؛ فالله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** يعد المستخلفين الذي يؤمنون بالله جل في علاه، ويحاربون الكفر، والشرك بكل أشكاله، ويحرصون على القيام بالأعمال الصالحة بالتمكين في الأرض، وتقوية إرادتهم، ومدتهم بالأمن والأمان.

ومن خلال التأمل في آيات الذكر الحكيم يتضح أن المحور المركزي الذي تدور عليه عملية الاستخلاف هو الإيمان بالله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**؛ يبرهن على ذلك العديد من الآيات الكريمة، منها قوله

(١) الدسوقي، فاروق، استخلاف الإنسان في الأرض نظرات في الأصول الاعتقادية للحضارة الإسلامية، ص ٤٦.

تعالى: ﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الحديد: ٧].

حيث من أهم شروط استخلاف الإنسان في الأرض الإيمان بالله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، وتوحيده، وتحقيق عبوديته، والقيام بالأعمال الصالحة، وأن تكون تلك الأعمال نابعة من العقيدة الإسلامية المستقيمة الناتجة من المعرفة التوحيدية، والتي يبتغي الإنسان فيها الإخلاص لوجه الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**؛ "فالتوحيد والمعرفة التوحيدية هما اللذان منحا العمران الإسلامي هويته الإسلامية الخاصة على سائر المستويات؛ بحيث لم يستطع أي عمران آخر أن ينافس العمران الإسلامي فيما حققه في سائر المستويات خاصة الإنسانية منها^(١).

وكذلك من أهم شروط الاستخلاف وركائزه التحصن بالأخلاق الفاضلة، كالعدل الذي ينبغي أن تقوم عليه الخلافة، يقول تعالى: ﴿يٰۤاٰدَمُ اِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِى الْاَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوٰى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيْلِ اللّٰهِ اِنَّ الَّذِيْنَ يَضِلُّوْنَ عَنْ سَبِيْلِ اللّٰهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيْدٌۢ يَّمَسُوْنَ يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [ص: ٢٦]، تبين الآية الكريمة أهم شرط ينبغي أن يتوافر في الخليفة وهو أن يكون عادلاً، لا يتبع الهوى فيما يحكم بين الناس بل يقوم بالقسط، يقول ابن كثير في تفسيره للآية الكريمة: " هذه وصية من الله عز وجل لولاة الأمور أن يحكموا بين الناس بالحق المنزل من عنده تبارك وتعالى، ولا يعدلوا عنه؛ فيضلوا عن سبيله^(٢).

بالإضافة إلى الصبر في مرحلة الخلافة، قال تعالى: ﴿ قَالَ مُوسٰى لِقَوْمِهِ اَسْتَعِيْنُوْا بِاللّٰهِ وَاَصْبِرُوْا۟ ۚ اِنَّ الْاَرْضَ لِلّٰهِ يُورِثُهَا مَنْ يَّشَآءُ مِنْ عِبَادِهٖۚ وَالْعٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِيْنَ﴾ [الأعراف: ١٢٨]؛ حيث ما نطقت به الآية الكريمة يؤكد أن الصبر مفتاح التمكين.

ومن القيم الأخلاقية كذلك الشكر على النعم التي أنعمها الله سبحانه على الإنسان وأهلته للخلافة، والأمانة التي تمثل أهم ما ينبغي حملها في الخلافة، وغيرها من القيم الأخلاقية. ولا نغفل عن دور الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكيف يضمن للإنسان استمرارية استخلافه وتمكينه في

(١) العلواني، طه جابر، التوحيد والتزكية والعمران محاولات في الكشف عن القيم والمقاصد القرآنية الحاكمة، ص ٨٢-٨٣.

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٧، ص ٦٢.

الأرض، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَاللَّهُ عَلَيْكَ الْأُمُورَ﴾ [الحج: ٤١]؛ تبين الآية الكريمة أهم المقومات والعوامل التي تساعد على استمرارية تمكين الإنسان في الأرض والمتمثلة في إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

هذا ومن مقتضيات الاستخلاف الحرية التي من شأنها يستطيع الإنسان ممارسة عمله على الوجه المطلوب، حرية بعيدة عن الخوف من الظالمين، يواجه من خلالها المسلم أعداء الدين، ولكن هذه الحرية ليست حرية مطلقة؛ بل مقيدة بقوانين تحكم الإنسان، وتضمن له الخير والسلامة في أمور دينه ودينه، وسينال الجزاء عليها؛ فالاستخلاف تكريم رباني للإنسان وفي الوقت نفسه اختبار له؛ فهو "تكليف واختبار للفئة المؤمنة، التي إذا تهيأت لها ظروف الريادة والقيادة لغيرها من الأمم الأخرى، وحكمت شرع الله، وأصلحت دنيا الناس بمنهج الله القويم، دام لها المجد والسؤدد، وإذا تقاعست عن ذلك، وأخلت بشروط الاستخلاف الإسلامي، انتكست وخابت، وصارت محكومة بغيرها بعد ما كانت حاکمة لغيرها^(١)

وبعد توضيح مفهوم الاستخلاف، وبيان أنواعه، وتحديد شروطه التي جاءت في القرآن الكريم، نتقل إلى المطلب الثاني من هذا المبحث، والذي يبين ارتباط الاستخلاف بالعمران والعمارة، ويوضح المعالم المشتركة بين كل منهما.

المطلب الثاني: ارتباط الاستخلاف بالعمران والعمارة.

من خلال النظر في القرآن الكريم حول البناء العمراني يمكن إدراك ارتباط الاستخلاف بالعمران والعمارة؛ وذلك من خلال الاشتراك في المعاني والدلالات، بالإضافة إلى كونها غاية الوجود الإنساني؛ فالفعل العمراني وليد الاستخلاف؛ حيث يأتي كل من العمران والعمارة بفعل الإنسان الذي استخلفه الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي الْأَرْضِ**، ورسم له الخارطة التي يسير عليها في مرحلة استخلافه، وحدد له العناصر الرئيسة لمقاصد المنهجية القرآنية في بنائها للعمران والعمارة؛ "فلما كانت عمارة الأرض هي مهمة تكليفية من الله تعالى للإنسان، فإن العناصر الأساسية التي يتألف

(١) الأحمر، استخلاف الإنسان في الأرض، ص ١٠٩.

منها البيان القرآني لمقصد العمارة ثلاثة: طبيعة التكليف الإلهي للإنسان بمهمة العمارة، وهي طبيعة الاستخلاف، وطبيعة العلاقة التعميرية بين الإنسان والأرض، وهي الارتفاق، وطبيعة العلاقة بين الإنسان وأخيه الإنسان، وهي الشهادة على الناس؛ فهذه هي العناصر الأساسية لمقاصد القرآن في بناء العمران^(١).

ومن حكمة الله جل في علاه جعل الإنسان خليفة في الأرض، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَتَّادِمُ أَنْبِئُهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [البقرة: ٣٠ - ٣٣]؛ تؤكد الآية الكريمة أن بداية الوجود الإنساني تتمثل في استخلافه في الأرض، والذي يعتبر المقصد الأساس من خلق الإنسان، وسر وجوده في هذه الحياة، كما تبين الآية الكريمة كيف أشهد الله سبحانه ملائكته الكرام بجعل الإنسان خليفة في الأرض، يمارس عمارة الأرض بالتقوى، والعمل الصالح، ووهبه العقل الذي ميزه عن غيره من المخلوقات، وزوده بالقدرات والإمكانات التي تؤهله لممارسة الخلافة في الأرض على الوجه المطلوب؛ فالآية الكريمة تدور حول قضية استخلاف الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** الإنسان على هذه الأرض، وتؤكد أن العلم من مقومات الاستخلاف، جاء في مصنف ابن أبي شيبة أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «|حَسْبُ الرَّجُلِ دِينُهُ، وَمَرْوَعُهُ: خُلُقُهُ، وَأَصْلُهُ: عَقْلُهُ^(٢)»؛ فالدين، والأخلاق الفاضلة، والعقل ركائز الإنسان المستخلف.

وهذا الاستخلاف، الذي مهده الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** للإنسان، بتسخير كل ما في السماوات، والأرض، من أجل القيام بمهمة العمارة، جاء محكوماً بمنهجية تضبط العملية الاستخلافية؛ حتى لا يتصرف الإنسان في هذه المهمة على هواه، فإن الله تعالى أوحى إلى نبيه بالهدي الذي جاء في منهج

(١) النجار، مقاصد القرآن في بناء الفكر العمراني، ص ٧١.

(٢) ابن شيبة، المصنف، كتاب الأدب، ما ذكر في حسن الخلق وكراهية الفحش، ج ٥، ص ٢١٢، رقم (٢٥٣٣٤).

القرآن الكريم، والذي يضمن القيم والضوابط، التي تجعل عملية الاستخلاف تسير على المنوال الشرعي السليم^(١).

كما يعيد المنهج القرآني نظر الإنسان حول العديد من النعم التي أنعمها الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** عليه، إذ جعله خليفة في الأرض، وجعله في أحسن تقويم، ومدّه بالقوة، والإرادة، وزوده بكل ما يحتاج إليه، لعمارة الأرض، قال تعالى: **﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَضْطَةً فَأَذْكُرُوا ءَالَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾** [الأعراف: ٦٩]، وقال تعالى: **﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَخَذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْجُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَأَذْكُرُوا ءَالَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾** [الأعراف: ٧٤]؛ فبالنظر بتلك النعم، وغيرها من النعم التي لا تعد ولا تحصى قد يدرك الإنسان واجبه تجاه تلك النعم؛ مما يؤدي إلى حسن استغلالها، وتوظيفها فيما يخدم الخلافة والعمران، واتباع الطريق المستقيم، الذي رسمه منهج القرآن الكريم، ولعل من أهم النعم التي أنعمها الخالق على الإنسان، وتميز بها عن غيره من سائر المخلوقات، نعمة العقل، التي يستطيع من خلالها تحمل مسؤولية الأمانة في مسيرة الخلافة، والتي يستطيع من خلالها ضبط العلاقة مع الخالق، ومع النفس، ومع الناس، ومع سائر المخلوقات الأخرى.

هذا وتظهر العلاقة الوثيقة بين الاستخلاف، والعمران من خلال دعوة القرآن الكريم الإنسان المستخلف، للقيام بدوره، ووظيفته في عمارة الأرض، وتحقيق غاية وجوده الإنساني، يقول تعالى: **﴿وَالِإِيَّائِي ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَنْقُورُ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوَبُّوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾** [هود: ٦١]؛ حيث يقوم العمران على غايتين: غاية تعبدية، وغاية استخلافية، وهو مشروع يستهدف الإنسان ليحقق معنى وجوده، ويستهدف الأمة في مسيرتها من أجل تحقيق سنن الاستخلاف^(٢) فكل إنسان في هذه الحياة مكلف أن يؤدي أمانته، ويحقق خلافته من خلال أداء العمل، أو الوظيفة المكلف بها، والتي تسعى إلى خدمة نفسه، وخدمة غيره من بني جنسه في آن واحد؛ مما يؤدي إلى تضافر الجهود بين الناس باختلاف

(١) نوري، موفق سالم، القيم الحضارية في الخطاب القرآني سورة العنكبوت أنموذجاً، ص ٩٩، بتصرف.

(٢) كهوس، العمران الإسلامي، تم الاستفادة من الرسم البياني الموجود في ص ١٠٠، بتصرف يسير.

أنواع تلك الجهود وأشكالها، وتعاون الجميع مع بعضهم البعض، والقيام بمهمة الخلافة، والنهوض بالمجتمع كل حسب عمله، ومكانته الوظيفية؛ "فوظيفة الخلافة التي جعلت غاية للوجود الإنساني تعني مباشرة الإنسان للكون بالروح وبالجسم، اعتباراً به واستثماراً لمنافعه وخيراته، كل ذلك تكميلاً للذات في بعدها الفردي والجماعي، وترقية لها في وجهتها إلى الله تعالى عبر منهج العبادة^(١).

هذا ولما كانت غاية الاستخلاف ومقاصده تتمثل في العمل الصالح النابع من الأخلاق الفاضلة، والسعي إلى تعمير الأرض، لما يحقق للإنسان الحياة الكريمة؛ جاءت المنهجية القرآنية لتربط الاستخلاف، وعمارة الأرض بصلاح عقيدة المستخلفين، وما يقومون به من أعمال صالحة، وواجبات شرعية، تندرج تحت مهام العمران، الذي يعتبر غاية استخلاف الإنسان، "وإذا كان العمران مرتبطاً بعبادة الله تعالى، وهما ينتظمان معاً للاضطلاع بتمكين الإنسان من القيام بمقتضيات الاستخلاف، فإن هذا العمران لا يكون إلا وفق أبعاد متكاملة: رسالية وإنسانية ومادية تحصنها قيم التقوى، والعدل، والمسؤولية، والصلاح، والإصلاح^(٢)"، يقول تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [النور: ٥٥]، نرى في الآية اقتران الإيمان بالعمل الصالح، أي اقتران العقيدة بالعمل، واقتران الجانب النظري بالجانب التطبيقي، وهذا لا شك يؤدي إلى تحقيق غاية الاستخلاف في الأرض على الوجه المطلوب.

ويقول تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١]؛ "فأعلمهم سبحانه بأن أمر بقاء خلافتهم منوط بأعمالهم، وأنه تعالى يكون ناظراً إلى هذه الأعمال لا يغفل عنهم فيها، حتى لا يغتروا بما سينالونه^(٣).

كما جاء الحث على العمل والكسب الحلال في العديد من الآيات القرآنية الكريمة، منها قوله تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أَضِيعُ عَمَلَ عَمِلٍ مِنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنِّي بِبَعْضِكُمْ مِّنْ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ٦٣].

(١) النجار، عبدالمجيد، خلافة الإنسان بين الوحي والعقل، ص ٦٣.

(٢) البطوي، سنن العمران، ص ١٢٣-١٢٤.

(٣) رشيد رضا، تفسير المنار، ج ١١، ص ٢٥٩.

١٩٥]، ومما توحى إليه الآية الكريمة أن الخلافة في الأرض؛ لإعمارها وفق المنهجية القرآنية لا تقتصر على شخص معين، أو جنس معين؛ بل هي شاملة لجميع بني البشر، وصالحة لكل زمان ومكان.

كما جاءت جملة من الآيات الكريمة التي تحمل أسلوب الوعد والوعيد بين من يحسن استخلافه في الأرض، وبين من يسيء الاستخلاف، يقول تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ [النور: ٥٥]؛ فجاء في الآية الكريمة الوعد للمؤمنين الذين يعملون الصالحات بأن الله جل في علاه لسيستخلفهم في الأرض، ويمكنهم فيها. ويقول تعالى: ﴿خَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا﴾ [مريم: ٥٩]، وأما في هذه الآية الكريمة؛ فجاء الوعد للذين أساءوا استخلافهم في الأرض، وعاثوا فيها فساداً، وأضاعوا صلواتهم، واتبعوا أهواءهم، بأن لهم العذاب الشديد؛ جزاء بما قدمت أيديهم.

فالغرض من الاستخلاف واضح وجلي ويتمثل في عبادة الله جل في علاه، وإخلاص الدين له، والانقياد له والطاعة، وعمارة الأرض، وتعميرها بالخير، والعمل الصالح، يقول تعالى: ﴿قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَهْلِكَ عِدْوُكُمْ وَيَسْتَخْلَفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٩]؛ جاء في الآية الكريمة تعليل سبب الخلافة بالنظر في أعمال الإنسان، إذ غاية الاستخلاف الرئيسة كما ذكرنا آنفاً بيان مكانة الإنسان، ووظيفته المكلف بها في الحياة، كونه المستخلف في الأرض. وكل ما يقوم به الإنسان من أعمال مختلفة يجب أن يكون مؤطراً بإطار الاستخلاف، بحيث ينطلق الإنسان في عمارة الأرض، ويمضي فيها على أساس أنه مُستخلف، وموجه بتوجيه المستخلف، فيما يتعين أن يفعل، وما ينبغي أن يترك، فيكون العمران الذي ينجزه عمراناً استخلافياً^(١)؛ فالإنسان مأموراً بأن يقوم بعمارة الأرض، وبناء الحضارة، والسعي إلى إصلاح الأرض لما أودعه الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** من مؤهلات، أهله أن يمارس عملية الاستخلاف في الأرض، ولما وهبه من قدرات عقلية، وإمكانات بدنية، يقوم من خلالها بتحقيق الهدف من وجوده.

(١) النجار، مقاصد القرآن في بناء الفكر العمراني، ص ٧١-٧٢، بتصرف يسير.

هذا وجاء الاستخلاف مقروناً بالأرض في العديد من الآيات الكريمة، منها قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدًا﴾ [النمل: ٦٢]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٦٥]؛ نلتبس من هذه الآيات الكريمة أن الاستخلاف إنما هو مؤقت ويعنى بالأرض؛ فهي مناط الاستخلاف، وأن الإنسان مكلف بعمارتها؛ فمتى صلح استعمار الإنسان للأرض، وقام بتوظيف قدراته، والموارد التي أتاحها الله له لاستكمال مسيرته الاستخلافية، متى ما صلحت هذه الأرض.

ومن المعلوم أن لكل إنسان أجل معين ومحكوم بفترة زمنية معينة، ثم يأتي من ينوب عنه، ويستكمل مسيرة الخلافة في الأرض، من شخص إلى شخص، ومن أمة إلى أمة، ومن قرن إلى قرن، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾ [آل عمران: ١٤]؛ فعلى كل إنسان أن يحسن استغلال وجوده في هذه الحياة، ويقوم بمهمته الاستخلافية، بمختلف وظيفة كل شخص عن الآخر، الجميع يعمل من أجل استكمال مسيرة الحياة، وكل شخص يكمل الآخر، فالمعلم يعلم، والطبيب يعالج، والقاضي يحكم بين الناس بالعدل، وغيرها من الوظائف، وهكذا تدور عجلة عمران الإنسان، وعمارة المجتمع؛ فاستخلاف الإنسان وظيفة أرادها الخالق للمخلوق يقوم من خلالها بعمارة الأرض بشكل تناوبي بين أبناء آدم عَلَيْهِ السَّلَام.

كما نرى في العديد من الآيات الكريمة إقرار المسؤولية الاستخلافية في عمارة الأرض؛ حيث يعتبر الاستخلاف وظيفة يقوم بها الإنسان من أجل عمارة الأرض، "ومادام الاستخلاف الإنساني ممارسة للمسؤولية العمرانية، وجميع الواجبات المتفرعة عنها، فإن الأمم لا تنفك عن بلورة مدلولات خاصة بها لمعنى المسؤولية، تتحرك بها في إقامة حضاراتها، وتدل طبيعة تمدنها في الواقع على مدى تقديرها لقيمة المسؤولية، فكلما وجدت لديها إنجازات عمرانية راقية افترض معها وجود حس مرتفع للمسؤولية لدى أفرادها^(١)، ومن أعظم ما قد يحمله الإنسان كما ذكرنا سابقاً أمانة

(١) الأحمر، استخلاف الإنسان في الأرض، ص ١٢٥.

استخلافه؛ يقول تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢]، "إن مفهوم الأمانة والتكليف بها، من الأمور شديدة الأهمية كما جاء في القرآن الكريم، حيث كلاهما - الأمانة والتكليف بها - هي في الأصل صلب غاية خلق الإنسان، واستخلاف الله تعالى له في الأرض، واستعمارها فيها كما أنبأ القرآن الكريم^(١)؛ فمتى أحسن الإنسان حمل الأمانة، وطبقها على جميع أمور حياته، مع دينه، ودينه، ونفسه، وغيره، متى أحسن عمارة الأرض، وحقق أسمى معاني الاستخلاف فيها.

فالاستخلاف إرادة تحمل في طياتها تكريم الإنسان بهذا المركز، ثم بالتميز بين الكائنات، مع كل ما يستلزمه هذا الاستخلاف، من حق الحرية، وحق الخيار لاتخاذ القرارات الحياتية، وما يستتبع ذلك من واجبات ومسؤوليات تلقى على عاتق الإنسان حول تصرفاته، واستخدام قدراته وطاقاته في خلافة الكون؛ صلاحاً وإعماراً، أو فساداً ودماراً؛ فالاستخلاف بما يحمله من متعة التصرف ومسؤولية الخيار هو جوهر الحياة الإنسانية^(٢) ولا نغفل في هذا السياق عن العلم ودوره في تحقيق غاية الوجود الإنساني؛ حيث يعتبر العلم سبباً من أسباب استخلاف الإنسان، والذي تم تفضيل الإنسان به، ومخاطبة الملائكة بهذا الشأن؛ لما يمثله العلم من دور في التوضيح والاستنارة حول عملية الخلافة. فوهب الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** الإنسان من العلم مال يهبه الملائكة، ويميزه بالعقل الذي جعله منطلق الخلافة، يستطيع من خلاله السير في مناكب الحياة، والسعي من أجل عمارة الأرض، وتحقيق المهمة الوظيفية للوجود الإنساني، والآيات التي تؤكد على العلم، وتبين أهميته كثيرة، وكفينا في ذلك أول ما جاء في الذكر الحكيم: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ

الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١ - ٥].

ومن خلال التأمل في آيات القرآن الكريم تتضح السنن الاستخلافية العمرانية، وما تؤدي به من الإدراك والوعي حول مواطن نهوض الحضارة وازدهارها، وأسباب تدهورها وسقوطها واندثارها، والعقل مأمور بالتفكير والتدبر بتلك السنن؛ لأثرها العائد على الفرد ومجتمعه؛ حيث لا يصح أن يكون

(١) التلاوي، أحمد، أسس الحضارة والعمران في القرآن الكريم مع تصحيح لمفاهيم خاطئة في فضائنا الإسلامي، ص ٣٠٨.

(٢) أبو سليمان، الرؤية الكونية الحضارية القرآنية، ص ١٠٥، بتصرف.

الإنسان خليفة في الأرض وهو غافل عن سنن الله في التاريخ، والمجتمع، والعمران، والمصير؛ لأن الاستخلاف أصله استخلاف سنني؛ استخلاف وفق أوامر الله تعالى وتنفيذاً لمراذه من تعمير الأرض؛ فلا توحيد بلا تكليف، ولا تكليف بلا استخلاف، ولا استخلاف بلا عمران، ولا عمران بلا سنن^(١). هذا ويؤدي الجهل بهذه السنن إلى "تأخير فرص العمارة في الأرض، والفوضى في المفاهيم والمصطلحات والموازن، والخرق لنظام المصالح الثابتة والمتغيرة بالخلط بين السنن الجارية والخرابة"^(٢).

وبإدراك تلك السنن قد تتشكل الحضارة، ويزدهر العمران، وقد يحقق الإنسان غاية استخلافه في هذه الأرض؛ حيث تعتبر "السنن التي شرعها الله سبحانه في الأنفس والآفاق المرتكزات التي تقوم على التعامل معها العملية التربوية، وتعتبر حجر الأساس في التنشئة والتحضير للبناء الحضاري"^(٣). ولعل من أهم تلك السنن سنة الإصلاح في الأرض وعمارها بالخير والعمل الصالح، وكل ما يحقق للإنسان إنسانيته، ويرفع من شأنه وشأن مجتمعه، قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥].

وتأتي سنة عدم الإفساد، لتؤكد أثر الإفساد في الأرض، والسعي فيها ظلماً وطغياناً، وما يؤدي إلى هلاك الحضارة، حتى ولو كان المستخلفون فيها أصحاب قوة، وإرادة، وبلغوا من القوة والعلم ما جعلهم يتقدمون في مختلف الأصعدة كالبناء والعمارة، إلا أن ذلك لن يغني عنهم شيئاً، وستقع عليهم سنة العذاب والهلاك صنيعة ما قدمت أيديهم، وبما كانوا في الأرض يفسدون، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُظْلَمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [الروم: ٩]، تؤكد الآية الكريمة ضرورة النظر والتفكير في سنن الأمم

(١) البطيوي، سنن العمران، ص ٢٠٥-٢٠٦، بتصرف يسير.

(٢) عيساوي، عادل بن بوزيد، فقه السنن الإلهية ودورها في البناء الحضاري، ص ١٧٨.

(٣) الكيلاني، ماجد عرسان، مقومات الشخصية المسلمة أو الإنسان الصالح، ص ١٤.

السابقة، وما حل بهم نتيجة ما كانوا يصنعون، وذلك لأخذ العبر والعظات، وإدراك سنة الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** التي لا تتبدل ولا تتحول.

أما سنة الاستبدال فقد نبه إليها المنهج القرآني في أكثر من موضع، وأكثر من سياق، وتعني سنة الاستبدال استبدال جيل عن جيل، وقرن عن قرن، وأمة عن أمة، موضحاً أهم الأسباب التي تؤدي إلى استبدال المستخلفين، قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾ [محمد: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمْكِنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾ [الأنعام: ٦]، وقال تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيفٌ﴾ [هود: ٥٧]؛ تلفت الآيات الكريمة السابقة النظر حول استبدال المستخلفين في الأرض إذا ما التزموا بشروط الاستخلاف، وحققوا ركائزه.

يتضح مما سبق الغاية من الخلافة إدارة الذات نحو إعمار الحياة، وتسخير الإمكانيات والقدرات، بما يقوم برعاية وخدمة الإنسان بل وسائر الكائنات، واستغلال النعم بما يرضي الخالق، الذي أودعها للإنسان، وكرمه بها عن غيره من المخلوقات، وعلى هذا المقصد القرآني في العمران الاستخلافي نشأت الحضارة الإسلامية وتطورت، مصطبغة بالصبغة القرآنية في مختلف مناحيها، وجميع إنجازاتها، فكل ما حرره المسلمون فكراً، وما أنجزوه عملاً إنما صدر عن دافع قرآني، مكيفين أفكارهم وأعمالهم بأحكام قرآنية، فإذا بالعمران الذي أقاموه قد غدا عمراناً استخلافياً ينجزونه في نطاق ما كلفوا به من القيام بمهمة الخلافة في الأرض^(١).

المبحث الثاني: التسخير وعلاقته بالعمران والعمارة.

بعد التطرق إلى الاستخلاف كونه من أهم مكونات العمران والعمارة، ننتقل إلى المكون الآخر الذي له تأثيره المادي الملموس في إنتاج الفكر، وإعمال العقل، والذي له وظيفة كونية تساعد على تأمين مرحلة الخلافة وهو مكون التسخير.

(١) النجار، مقاصد القرآن في بناء الفكر العمراني، ص ٧٢-٧٣، بتصرف.

حيث بين القرآن الكريم صور التسخير، وحدد معالمه، وأكد العلاقة التي تربطه بال عمران والعمارة، ووضح كيف تم تسخير كل ما في الكون لخدمة الإنسان المكلف بعمارة الأرض، فترى تسخير الشمس والقمر، والليل والنهار، والأشجار والثمار، والبحار والأنهار، وغيرها من النعم المسخرة التي لا تعد ولا تحصى، وكل ذلك من أجل تحقيق مقصد وجود الإنسان في الأرض والمتمثل في عبادة الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، وما يندرج تحت ذلك من صلاح النفس، وصلاح المجتمع، قال تعالى:

﴿ **وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَنْقُورُ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ** ﴾ [هود: ٦١]، يقول رشيد رضا في تفسيره للآية الكريمة: "المراد أنه هو المنشئ لخلقكم والممد لكم بأسباب العمران، والنعم فيها، فلا يصح أن تعبدوا فيها غيره؛ لأنه هو صاحب الفضل كله، والمستحق للعبادة وحده^(١)؛ فبتلك النعم المسخرة أصبح الإنسان مؤهلاً لبناء الحضارة والعمارة، وبالضوابط، والأحكام الشرعية التي تعمل على تنظيم حياة الإنسان، وتقوي مراحل استخلاصه، والتي لها تأثيرها البالغ في عمارة الأرض؛" فالإنسان هو هدف ومحور عملية التنمية وليس وسيلتها فحسب، وذلك انطلاقاً من تكريم الله للإنسان وتسخير الكون له، وبناءً عليه فالتعامل التنموي مع هذه الموارد المسخرة ينبغي أن يستهدف توفير متطلبات كرامة الإنسان وعزته^(٢)، والتي رسمتها منهجية القرآن الكريم، وحددت معالمها.

المطلب الأول: مفهوم التسخير.

يعتبر التسخير ركيزة أساسية من ركائز الإعمار، نلتبس ذلك من خلال التأمل في آيات القرآن الكريم التي بينت آثار التسخير المادية والمعنوية -الروح والمادة-؛ الروح من خلال أثرها على عقيدة المؤمن، كتعظيم الخالق، والتضرع إليه، وشكره لما أنعم، وزود الإنسان بالقدرة، والمعرفة، وكل وسائل الاستخلاف، والمادة من خلال توظيف تلك النعم المسخرة في خدمة العمارة، ولا شك لتلك الآثار النتائج الواضحة في العمارة، ولهذه الأهمية التي حظى بها التسخير في القرآن الكريم، سيتم التطرق إلى مفهوم التسخير، وبيان علاقته بالتذليل والتمكين، وتوضيح صوره وأشكاله في القرآن الكريم، على النحو الآتي:

(١) رشيد رضا، تفسير المنار، ج ١٢، ص ١٠١.

(٢) صالح، أماني، وآخرون، الأوقاف الخيرية وعمارة الإنسان والمكان نحو توطین نموذج إسلامي معاصر، ص ٦٨.



- أولاً: تعريف التسخير.

- ١- في اللغة: الراصد في كتب اللغة والمعاجم، يجد أصل التسخير قائماً على الحروف الثلاثة: السين، والحاء، والراء، وهذا الجذر له عدة معانٍ، منها: التذليل، ومنها الخضوع والاستكانة، ومنها الانقياد، ومنها العطف واللين؛ حيث جاء في كتب اللغة أن التسخير: "السين والحاء والراء أصل مطرد مستقيم يدل على احتقار واستذلال، ومن الباب: سخرت منه، إذا هزئت به^(١)، "وسخر منه وبه سخرًا ومسخرًا وسخرًا، بالضم، وسخرة وسخرًا وسخرية: هزئ به^(٢)؛ يتضح من خلال التعريف السابق الوارد في الكتب والمعاجم اللغوية أن مادة سخر لها معنيين في اللغة: الأول بمعنى التذليل، والثاني بمعنى السخرية.
- ٢- في الاصطلاح: بالنظر إلى المعنى اللغوي يتضح أن التسخير يلتقي مع المعنى الاصطلاحي، حيث يعرف في الاصطلاح بأنه: "سياقة إلى الغرض المختص قهراً^(٣)."
- ٣- في الاصطلاح القرآني: وردت مادة "سخر"^(٤) في القرآن الكريم سبع عشرة مرة موزعة على العهدين: المكي والمدني، ووردت في العهد المكي ثلاثاً وثلاثين مرة، وفي العهد المدني تسع مرات، وجاءت الألفاظ كالاتي: (سَخَر، سَخَرُوا، تَسَخَرُوا، تَسَخَرُونَ، نَسَخَرُ، يَسَخَرُ، يَسَخَرُونَ، سَخَرْنَا، سَخَرْنَاهَا، سَخَرَهَا، يَسْتَخَرُونَ، السَّاحِرِينَ، سَخَرِيَا، سُخْرِيَا، الْمُسَخَّرِ، مُسَخَّرَاتٌ).

ملاحظات حول الاصطلاح القرآني لمادة سخر:

من خلال الرصد السابق يمكن التماس بعض الملامح التي منها: ورود مادة سخر في العهدين المكي والمدني، غير أنها وردت في العهد المكي أكثر من العهد المدني، ولعل ذلك إشارة أن تسخير النعم وتذليلها يستوجب توظيفها فيما يخدم الأمة، ويزيد من ازدهارها وتقدم عمرانها، حيث يذكر

(١) ابن فارس، مقاييس اللغة، ج ٣، ص ١٤٤.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، ج ٤، ص ٣٥٢.

(٣) الراغب الأصفهاني، المفردات، ج ١، ص ٤٠٢.

(٤) لتتبع ورود مادة "سخر" في القرآن الكريم، انظر: عبد الباقي، محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، مادة (س خ ر).

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بأن تسخير النعم ينبغي مقابلته بالشكر والإيمان بخالق النعم ومسخرها لخدمة الإنسان، لا الكفر والجحود بنعم الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**؛ ولذلك جاءت في العهد المكي أكثر من العهد المدني حاجة المجتمع المكي الماسة إلى التذكير بنعم الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**. كما وردت هذه المادة بعدة صيغ منها: صيغة الماضي والمضارع، وصيغة المصدر، وجاءت أيضاً اسماً تارة مفرداً، وأخرى جمعاً؛ مشيرة بذلك أن التسخير في القرآن الكريم يفيد الفرد والجماعة.

هذا ويتفق معنى التسخير في القرآن الكريم مع المعنيين اللغوي والاصطلاحي، إلا أن القرآن الكريم جاء بشيء أكثر تفصيلاً؛ حيث وضح طبقات التسخير، وأنواعه وأشكاله، فمثلاً تسخير الناس لبعضهم البعض، وتسخير عناصر الكون، كتسخير الليل للراحة والسكون، وتسخير النهار للعمل والكد، وتسخير السحاب للأمطار، وتسخير النجوم والكواكب، وغيرها. والتسخير حقيقته تذليل ذو عمل شاق أو شاغل بقهر وتخويف أو بتعليم وسياسة بدون عوض. ويستعمل مجازاً في تصريح الشيء غير ذي الإرادة في عمل عجيب، أو عظيم من شأنه أن يصعب استعماله فيه، بحيلة أو إلهام تصريفاً يصيره من خصائصه وشؤونه، كتسخير السحاب للأمطار^(١).

ويقول أبو السعود: "المراد بالتسخير: إما جعل المسخر بحيث ينفع المسخر له، أعم من أن يكون منقاداً له يتصرف فيه كيف يشاء، وجميع ما في السموات والأرض من الكائنات مسخر لله تعالى مستتبعاً لمنافع الخلق وما يستعمله الإنسان حسبما يشاء وإن كان مسخر له بحسب الظاهر فهو في الحقيقة مسخر لله تعالى^(٢). كما يؤكد صاحب الكليات ورود مادة سخر في القرآن الكريم لتدل على معنيين "أحدهما الاستهزاء، والثاني التسخير والاستخدام"^(٣).

٤ - **التعريف التركيبي:** يعني التسخير تهيئة الأرض للإنسان، وتوفير جميع السبل التي تعين على خلافة الأرض، من موارد ومكونات طبيعية أهمها الهواء، والماء، وكواكب من شمس وقمر ونجوم، بالإضافة إلى الكائنات الحية، وغير ذلك من النعم المسخرة التي تم تسخيرها

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٨، ص ١٦٨، بتصرف يسير.

(٢) أبو السعود، العبادي محمد بن محمد بن مصطفى، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ج ٧، ص ٧٤.

(٣) الكفوي، الكليات، ج ١، ص ٤٩٤.

للإنسان بهدف الإيمان بالله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، وطاعته، وحسن عبادته، وشكره، ومساعدة الإنسان في النهوض بحضارته. كما يعتبر التسخير المرحلة التي تلي الخلافة مباشرة، والحلقة الثانية التي توصل إلى عمارة الأرض وعمرانها.

- ثانياً: العلاقة بين التسخير وكل من التذليل، والتمكين.

يشارك معنى التسخير مع معنى التذليل؛ حيث كلاهما يدل على انقياد الشيء للآخر، وتوجهه نحو هدف معين يساق إليه جبراً أو قهراً، قال تعالى: **﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِ رَبِّهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾** [الأعراف: ٥٤]، يقول صاحب الظلال في تفسيره للآية الكريمة: "المنهج القرآني يكثّر من الربط بين عبودية هذا الكون لله، ودعوة البشر إلى الاتساق مع الكون الذي يعيشون فيه والإسلام لله الذي أسلم له الكون كله والذي يتحرك مسخراً بأمره^(١)؛ فالتسخير يعني أن النعم المسخرة تدخل تحت نطاق خدمة الإنسان ومنفعته، دون تمليك حق التصرف فيها، أو التعرض لأمرها، إنما الخالق وحده لا شريك له الذي يملك حق التصرف، ويملك زمام الأمور جميعها، والذي يخضع له جميع ما في السماوات والأرض طوعاً وكرهاً **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**."

أما العلاقة بين التسخير والتمكين علاقة اقتران واشترائية تهدف إلى تحقيق وإنجاح عملية الخلافة في الأرض؛ "فالتمكين هو الإقدار على التصرف في أمور الأرض ومخلوقاتهما؛ ليكون بذلك سيد هذا العالم بها أودع فيه، وبما يُسرّ وذلل أمامه^(٢)، قال تعالى: **﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَةً قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾** [الأعراف: ١٠]، تبين الآية الكريمة كيف سخر الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** أسباب انتفاع الإنسان في الأرض، وكيف مكنه فيها، وجعلها مهذاً له يستطيع الإنسان أن يبني عليها ويستقر فيها، ويقوم بزراعتها وحرثها، ويستفيد من خيراتها وثمارها، وسخر ما فيها من موارد طبيعية وإمكانات؛ يستطيع الإنسان من خلالها القيام ب مهمة الخلافة في الأرض على أكمل وجه. كما

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج ٣، ص ١٣٠٧.

(٢) حمادة، فاروق، دراسات إسلامية في القرآن والفقه واللغة والفكر والحضارة، ص ١٤٥.

تشعر الآية الكريمة بضرورة مقابلة تلك النعم المسخرة بشكر خالق النعم، والقادر على سلبها في أي وقت شاء، وكيفما يشاء، والعمل على تطبيق مقاصد وجود الإنسان في هذه الحياة؛ فعليه أن يجد، ويبدل قصارى جهده في مرحلة استخلافه التي سيجازي عليها.

فالتمكن إذن تكليف ينبغي على الإنسان القيام بأعبائه على الوجه المطلوب، وعليه أن يوسع مداركه ولا يقتصر بمحدودية فكره على الهدف الزائل، أو المؤقت من التمكن، كالوقوف على هدف الوصول إلى السلطة، والإغفال عن الجانب الرئيس والمتمثل في المهام الموكلة للإنسان أن يقوم بها في هذه الحياة.

هذا واستعمل لفظ التمكن في القرآن الكريم بمعنى الملك، والسيادة، والسلطان^(١) قال تعالى: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ [الكهف: ٨٤]، يقول صاحب الظلال في تفسيره للآية الكريمة: "لقد مكن الله له في الأرض، فأعطاه سلطانا وطيد الدعائم، ويسر له أسباب الحكم والفتح، وأسباب البناء والعمران، وأسباب السلطان والمتاع، وسائر ما هو من شأن البشر أن يمكنوا فيه في الحياة^(٢)."

- ثالثاً: صور التسخير وأشكاله في القرآن الكريم.

سخر الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** العديد من النعم الظاهرة والباطنة، ونرى كل ما في السماوات والأرض، وجميع ما في الكون مسخر لخدمة الإنسان، قال تعالى: ﴿الْمَرْثَرُوا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠]، ومن صور التسخير في القرآن الكريم:

● تسخير الشمس والقمر والنجوم، والليل والنهار: تكرر في القرآن الكريم ذكر هذه النعم التي سخرها الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** للإنسان، وذلك في العديد من الآيات الكريمة، قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ [إبراهيم: ٣٣]، تبين الآية الكريمة كيف سخر

(١) التلاوي، أسس الحضارة والعمران في القرآن الكريم، ص ٢٣٧، بتصرف.

(٢) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج ٤، ص ٢٢٩٠.



الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** للإنسان الكواكب وسيرها لخدمة الإنسان، فسخر الشمس لتثير عتمة الظلام، وتمد الكون بأشعتها الحرارية، وما تقوم به من وظائف عديدة تخدم الإنسان وسائر المخلوقات. وكذلك سخر القمر ليستفيد الإنسان من ضوئه، ويتنفع به. ومعنى (دائبين): أي مستمرين في وظائفهما، جاء في فتح البيان في مقاصد القرآن: "الدؤوب مرور الشيء في العمل على عادة جارية، والدأب العادة المستمرة دائماً على حالة واحدة، ودأب في السير دوام عليه^(١)."

وقال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِي إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [النحل: ١٢]، تبين الآية الكريمة أن الخالق **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** سخر لخلقه خمسة أمور عظام، وهي الليل، والنهار، والشمس، والقمر، والنجوم، وهذه الأشياء فيها من عظيم نعمته ما لا يعلمه إلا هو، وفيها الدلالات الواضحات لأهل العقول: على أنه الواحد المستحق لأن يعبد وحده لا شريك له^(٢).

كما سخر **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** النهار للجد والعمل، ثم يأتي الليل ليغشي النهار، ويكون مسخر لخدمة الإنسان بكل ما فيه من هدوء، وسكينة، يستطيع من خلالها الإنسان الشعور بالراحة من بعد الكد والجد الذي بذل في النهار، قال تعالى: ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [القصص: ٧٣].

● تسخير البحار والأنهار: من أهم صور التسخير التي جاء ذكرها في العديد من الآيات القرآنية الكريمة البحار والأنهار، وما تحتويه من منافع يستنفع منها الإنسان، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبًا وَلَبَسُونَهَا وَتَรَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ١٤]، تحتوي الآية الكريمة على العديد من النعم المسخرة في البحر لمنفعة الإنسان، منها ما يؤكل كالأسماك، ومنها ما يُلبس كاللؤلؤ والمرجان، ومنها ما يتم من خلاله حمل الإنسان ونقله من مكان إلى آخر كالسفن،

(١) القنوجي، فتح البيان في مقاصد القرآن، ج ٧، ص ١١٨.

(٢) الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ج ٢، ص ٣٤٠، بتصرف

يقول تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ﴾ [إبراهيم: ٣٢]؛ فالله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** الذي سخر للإنسان السفن والمراكب التي تحمل الإنسان، وتحمل معه متاعه، وتجارتها من بلد إلى بلد آخر يقصده ويتوجه إليه. وهذه السفن والمراكب إنما تجري في البحار والأنهار بأمر من الخالق، الذي أوجدها من العدم كما أوجد غيرها من النعم، وهو وحده القادر سبحانه على سلبها. وهو الذي سخر الأنهار لتسقي الإنسان، وتسقي الدواب التي أيضاً تخدم الإنسان، وتسقي الحرث والأشجار.

● تسخير الجبال: هناك صورة أخرى من صور التسخير في القرآن الكريم، وهي تسخير الجبال، وكيف ذلّلها الخالق **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، وجعلها تسبح مع داود عليه السلام وهو أمر خارق للعادة، وإعجاز إلهي؛ يؤكد على تفرد الخالق بجميع مخلوقاته، وتصرفه في جميع الأمور، حتى وإن كانت خارج العادة، بالطريقة التي لا يعلمها غيره سبحانه، يقول تعالى: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٩]، يقول الطنطاوي في تفسيره للآية الكريمة: "وهذا التسبيح من الجبال لله تعالى إنما هو على سبيل الحقيقة، ولكن بكيفية لا يعلمها إلا هو عز وجل؛ بدليل قوله سبحانه: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٤] (١).

وكذلك لا نغفل عن النعم المتعلقة بالجبال، التي سخرها الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** للإنسان؛ حيث تقوم الجبال بوظائف، أهمها: استقرار حياة الإنسان من خلال تثبيت القشرة الأرضية؛ فهي بمثابة الوتد الذي يقوم بتماسك طبقات الأرض، ويحفظها من الانهيار. كما تساعد الجبال في المحافظة على التربة، وغيرها من الوظائف التي قد لا يراها الإنسان بالعين المجردة، ولكن وجودها مهم وضروي في حياته وفي استقراره وراحته؛ وذلك من بديع صنع الخالق **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** الذي سخر كل شيء، ونظمه لخدمة الإنسان، وجعل كل شيء في مختلف الزمان والمكان يقوم بوظائفه، التي لا غنى للإنسان عنها.

● تسخير الكائنات الحية: سخر الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** للإنسان مختلف الكائنات الحية، من دواب، وأنعام، وطيور، ومن أشجار، ونباتات، وثمار، تفي بمختلف احتياجات الإنسان؛ فمنها ما يسد جوعه

(١) الطنطاوي، محمد سيد، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ج ١٢، ص ١٤٣.

كالطعام، يقول تعالى: ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِّنْ شَعِيرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَادْكُرُوا أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا الْقَانِعَ وَالْمَعْتَرَ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الحج: ٣٦]، ومنها ما يحمل الإنسان ويقوم بنقله من مكان إلى آخر كالإبل، قال تعالى: ﴿لَتَسْتَورُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ [الزخرف: ١٣]، وفي الآية الكريمة تذكير لتلك النعم التي أنعم الله سبحانه وتعالى الإنسان بها، من تسخير ذلك المركب لمختلف المواقع الجغرافية؛ فسبحان من ذل ذلك المركب، الذي لم يكن للإنسان أن يتقل من مكان إلى آخر لولا تسخير له.

ومن الكائنات الحية التي جاء ذكر تسخيرها في القرآن الكريم الطيور المتناثرة في جو السماء، والتي تخدم الإنسان، قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: ٧٩].

● تسخير الأرض، والسماء، وما فيها: قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ صُورَكُمْ وَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر: ٦٤]، وقال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ١٣]، تبين الآية الكريمة النعم العظيمة، والصور الرئيسة، والبارزة، المسخرة للإنسان بشكل عام، والمتمثلة في السماوات وما فيها من شمس وقمر ونجوم، وما في الأرض من دواب وجبال وأشجار وثمار، وكل من تلك النعم المسخرة تقوم بمهامها، وتعمل على وظائفها، بالقدر الذي يخدم الإنسان. وفي الآية الكريمة جاء ذكر هذه النعم بشكل عام؛ ليأتي التخصيص في آيات أخرى، تبين وتؤكد الإعجاز القرآني في أبهى صورته، يقول ابن عاشور في تفسيره للآية الكريمة: "هذا تعميم بعد تخصيص اقتضاه الاهتمام أولاً، ثم التعميم ثانياً^(١)؛ ولا شك أن ذلك يترك أثره في نفس من يتفكر بتلك الآيات الكريمة، وما فيها من إظهار لنعم الخالق جل في علاه، وما تدعو إليه من استغلال تلك النعم في عمارة الأرض. وهناك نعم

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٢٥، ص ٣٣٧.

مسخرة أيضاً لخدمة الإنسان كالرياح والسحاب المذل بأمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، يسيره كيفما يشاء، وفي أي وقت شاء؛ ليعطي أيضاً وجهاً آخر من الإعجاز الإلهي، وقدرة الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وتأكيداً على وحدانيته الذي أبدع صنع كل شيء سبحانه، مالك الدنيا ومليكها، والمتصرف في جميع شؤونها، يقول تعالى: ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤].

هذا وجاءت العديد من الآيات القرآنية الكريمة التي تربط السماء بالبناء، ولكن ليس أي بناء، بناء خالق السماوات والأرض وما بينهما، والمتفرد سبحانه بالقدرة، قال تعالى: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾ [النبا: ١٢]، وقال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ وَمَا بَنَاهَا﴾ [الشمس: ٥]، وقال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: ٤٧].

● تسخير بني آدم لبعضهم البعض: قال تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ [الزخرف: ٣٢]، أي يستخدم الناس بعضهم بعضاً باختلاف القدرات والإمكانات، ويتعاونون على الخير، وكل إنسان يوظف قدراته أثناء خلافته في الأرض بما يساعد على نهوض العمران، يقول صاحب الظلال في تفسيره للآية الكريمة: "التفاوت في الرزق هو الذي يسخر هذا لذلك، ويسخر ذاك لهذا في دورة الحياة، وكلهم مسخرون للخلافة في الأرض بهذا التفاوت في المواهب والاستعدادات، والتفاوت في الأعمال والأرزاق^(١)

المطلب الثاني: ارتباط التسخير بالعمران والعمارة.

يحمل التسخير في مضامينه علامات تكريم الإنسان الذي استخلفه خالقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى من أجل أن يسعى لعمارة الأرض، ويصلحها، ويعمرها بالإيمان والعمل الصالح؛ فجاءت العديد من الآيات القرآنية الكريمة التي توضح النعم التي كُرم الإنسان بها، وواجبه تجاهها، واستغلالها، وتوظيفها فيما يخدم العمران والعمارة؛ فالإنسان يجد أمامه ميداناً واسعاً لبناء العمران، وتحسين العمارة، وتزيينها بالأشكال، والفنون الهندسية، وانتقاء كل أسر للنفس

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج ٥، ص ٣١٨٧، بتصرف يسير.

والحس مما تجود به الأرض والسماء، أو يفيض به خيال النبغاء، أو توحى بمحاكاته كل حديقة غناء (١) وجاء ذكر تلك النعم في القرآن الكريم بصيغ مختلفة، ومتنوعة، ولكنها تخدم ذات الغرض نفسه، والمتمثل في عمارة الأرض، ومن تلك الصيغ: صيغة التجعيل، قال تعالى:

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢]؛ فالله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** جعل الأرض والسماء مسخرة للإنسان على النحو الذي يستفيد الإنسان من خلاله في مرحلة استخلافه، وفي خدمة العمران، وهو الذي جعل الأشجار الخضراء بأنواعها المختلفة مسخرة لخدمة الإنسان، قال تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مُنْتَفِعُونَ﴾ [يس: ٨٠]، وهو الذي جعل الليل لراحة الإنسان، والنهار للكد، وبذل الطاقة والعمل، قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ إِلَهَ لَدُّو فَضَّلَ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [غافر: ٦١]؛ نرى من خلال الآيات الكريمة السابقة كيف جعل الخالق **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** كل ما على الأرض مذلاً لخدمة الإنسان؛ بهدف الإصلاح في الأرض.

كما قال تعالى: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ الْقُلُوبُ مِنكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الحج: ٣٧]، تبين الآية الكريمة نعماً أخرى سخرها الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** للإنسان، والمتمثلة في الأنعام، التي يحتاج إليها الإنسان في المأكل، والملبس، والنقل من مكان لآخر، ويحتاج إليها في البناء، وهذه النعم وغيرها تتطلب شكر الخالق **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، وحسن عبادته على ما هدى وأنعم.

ومن ناحية أخرى يحمل التسخير في القرآن الكريم مضامين أخرى تعرف الإنسان على خالقه، وبديع صنعه، والتي بشأنها ينقاد الإنسان إلى حسن عبادة الخالق المنعم والمسخر؛ فالكون إذاً وجميع ما حوى مسخر للإنسان على النحو الآتي: إما تسخير تكريم، وهو أن جميع ما في هذا الكون مسخر لخدمة الإنسان، وإما تسخير تعريف، وهو أن كل ما بث ربنا في هذا الكون يدل الإنسان على الله

(١) الدمشقي، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَكَة، الحضارة الإسلامية أسسها ووسائلها وصور من تطبيقات المسلمين لها ولمحات من تأثيرها في سائر الأمم، ص ٨٦، بتصرف يسير.

تعالى؛ لأن التسخير هو عنوان رقي للإنسان وتكريم له، وينبغي أن يقوده إلى العبادة، التي هي عنوان رقي الإنسان وتكريمه، لتتصل كل حلقات التكريم بعضها ببعض، وذلك بالتوجه إلى الله تعالى بالعبادة والشكر والطاعة^(١)

هذا ويعتبر التمكين كما وضعنا سابقاً من أبرز صور التسخير؛ فالتمكين يعني تمليك الإنسان الحق، والقدرة على التصرف بالموارد الطبيعية، وتوظيفها فيما يخدم العمران، ويحقق المعنى الاستخلافي للإنسان ومقاصد الشريعة الإسلامية والتي أهمها المحافظة على الدين الذي يحافظ على النفس، والعلم، والمال، ويحافظ على كينونة الإنسان، وكل ما يضمن له السلامة والأمان، والراحة، والاطمئنان، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١]، تربط الآية الكريمة التمكين بالدين، من خلال توضيح علامات وأسباب التمكين في الأرض ومواجهة العدو، وتحقيق النصر والمتمثلة بعبادة الخالق **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** مسخر النعم والقادر على سلبها في أي وقت شاء، وذلك من خلال تطهير النفس بالمحافظة على الصلاة وأدائها في أوقاتها، وتطهير المال من خلال إيتاء الزكاة، وتطهير المجتمع والمحافظة على التحامه، وقوة تماسكه من خلال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِّنْ قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ يُمْكِنُوا لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾ [الأنعام: ٦]، "أي جعلناهم قادرين من حيث القوى والأسباب والآلات على أنواع التصرفات فيها ما لم نجعله لكم من القوة والسعة في المال والاستظهار بالعدد والأسباب^(٢)، وبذلك النعم العظيمة التي كانت مسخرة لهم إلا أنهم لم يقابلوها بالشكر والإيمان، بل عاشوا في الأرض فساداً وأكثروا من الذنوب والخطايا التي أهلكهم الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** بها، وأنشأ من بعدهم قوماً آخرين.

هذا ووضح القرآن الكريم كيفية المحافظة على التسخير والنعم المسخرة للإنسان، ولعل أهم ما تنبغي الإشارة إليه في هذا السياق ضرورة العلم والتعقل بالآيات القرآنية الكريمة؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ

(١) عباس، رامي سامي، وخطاطبة، عدنان، مظاهر التكريم الإلهي للنفس الإنسانية، ص ١٠٩، بتصرف يسير.

(٢) أبو الفداء، إسماعيل حقي مصطفى الإستانبولي، روح البيان، ج ٥، ص ٢٩١.



فِي خَلْقِ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفَلَاحِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ [البقرة: ١٦٤]؛ توضح الآية الكريمة العديد من نعم الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** التي سخرها على الإنسان، مؤكداً أنها كالأدلة القطعية التي تؤكد على عظمة الخالق **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** مالك الكون ومليكه والمتصرف فيه كيفما يشاء، وأن هذه الأدلة أول من يدركها ويتأمل معالمها الذين ينظرون في أسباب النعم المسخرة، ويميزون النافع منها عن الضار، ويوظفونها في خدمة الإعمار والإصلاح، وكلهم وعي بأحكامها، والنظام الذي يسير عليه التسخير، والقدرة الإلهية التي جعلت هذه النعم مسخرة للإنسان، والتي تؤكد على استحقاق الخالق وحده لا شريك له بالعبادة والانقياد والطاعة، فكلما كان العقل يتجه نحو تحقيق العلوم والمعارف كلما أدى ذلك إلى الاتجاه نحو الإيمان وما يؤدي به إلى عمارة الأرض؛ "فالتسخير يتكامل مع العلم، وثمرته تحقيق مصلحة الإنسان والتعرف على مقدار عظمة الخالق، والخضوع له بتحقيق العبودية، وفيه إثبات أن المسخر له أكرم عند الله تعالى من المسخر، فالإنسان أكرم عند الله عز وجل من الكون، والانحراف في استغلال التسخير يعني زوال التكريم بإرادة الإنسان^(١).

فلما أعطي الإنسان مفاتيح التسخير من عقل، وإمكانية البحث، والنظر في تجارب الأمم السابقة، وجب عليه أن يقابل تلك الأهلية التي أهلتته إلى الخلافة في الأرض بحسن توظيف النعم المسخرة والمحافظة عليها؛ "فالوصول إلى حقيقة التسخير وصورته العملية بمقدماتها العلمية المنضبطة، وما يترتب عليها من نتائج: هو رهن العلم الذي يتجاوز النظرة العادية إلى ما هو وراء ذلك من الملاحظة والتجربة، ورصد كل ما يجب رصده، ومقدار التأثير والتأثير، وكل ما له علاقة بسلامة الطريق السلوك للوصول إلى الحقيقة في نظر العلماء المتمرسين^(٢)؛ فالعلم أهم أداة من أدوات التسخير، وهو الذي يؤدي إلى اكتشاف الكون وأسراره، ويوصل إلى حقيقة التسخير وماهيته، والتعرف على معالمة والتوسع في مداركه.

(١) عباس، وخطاطبة، مظاهر التكريم الإلهي للنفس الإنسانية، ص ١٠٩.

(٢) الصالح، محمد أديب، المسلم والبناء الحضاري الوجود الذاتي وعمارة الأرض، ص ٨٧.

وتمثل تعاليم الدين الإسلامي، ومنهجية القرآن الكريم مرجعية فكر الإنسان في جميع أموره الحياتية بما فيها عمران الوجدان، وعمارة البنيان؛ حيث يدعو المنهج القرآني إلى توظيف الفكر، والجد، والاجتهاد، وإمعان النظر من أجل النهوض بالحضارة الإسلامية، والارتقاء بالمستوى المعيشي. وجاءت العديد من الآيات القرآنية الكريمة التي تؤكد ضرورة استخدام العقل، والفكر؛ كأداة نافعة لا يُستغنى عنها في العمارة وبناء الحضارة؛ فمثلاً نرى في القرآن الكريم تكرار ورود: «أولم يسيروا»، وفي هذا دلالة واضحة إلى دعوة القرآن الكريم لاكتشاف سنن الكون، وقوانينه التي تحكمه، وأثرها في العمران والحضارة، ومن تلك الآيات الكريمة، قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُظِلِّمَهُمُ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [الروم: ٩]؛ ففي الآية الكريمة دعوة إلى النظر، والتأمل في أحوال الأمم السابقة، وآثارها الخاصة بالقوة الحربية، وموارد الثروة الزراعية، وسائر شؤون العمران، وكيف كان عاقبة ذلك وأسبابه، ليعلم أن القوة والثروة لا تحول دون هلاك الأمة إذا استحكمت ذلك بالظلم، وكفر النعمة^(١) كما قال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ﴾ [العنكبوت: ٢٠]، من خلال الآية الكريمة يمكننا إدراك ماهية الفكر الإسلامي في العمران والعمارة؛ الذي يبدأ في الحث على التأمل في ملكوت السماوات والأرض، والإعجاز الإلهي في الخلق، ثم يدعو إلى التفكير في الأقوام السابقة، وما أقاموه من عمارة وبناء، وما شيدوه من صروح وقلاع، وما آلوا إليه نتيجة ما قدمت أيديهم.

وقال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ [النمل: ٦٩]؛ تؤكد الآية السابقة أنه على أساس إمعان النظر، وتمحيص الفكر؛ تنتج الرغبة في ممارسة الخلافة، وعمارة الأرض بالشكل المطلوب، قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ١٤].

(١) رشيد رضا، تفسير المنار، ج ٨، ص ٢٥٦، بتصرف يسير.

ولا شك أن تطور الإنسان الذي يعتبر عضواً أساسياً في تقدم المجتمع وازدهاره يكون من خلال إمعان النظر في إمكانياته، ومحاولة تعزيزها، لما يخدم ذاته ويخدم غيره تحت نظام إسلامي ينهض بالإنسان نفسه والمجتمع الذي يعيش فيه، ويحدد المنهجية التي يسير عليها لتحقيق الأهداف المرجوة من تقدم وازدهار وعمران، مستمداً من منهجية القرآن الكريم، والتي تدعو إلى النظر والتفكير في نعم الخالق وآلائه؛ فما هي فائدة القلب وهو كالحجر الصلب، وما هي فائدة البصر وهو خالي من النظر، قال تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ [الحج: ٤٦]، وهذا لا شك يعطي الإنسان الأمل والحافز الذي يجعله لا يقف عند محدودية الدنيا بل يتعداها ليصل إلى الآخرة؛ فيعمل من أجل تحقيق ما يضمن له السعادة في الدنيا والآخرة.

ومن خلال تأملنا في الآيات القرآنية الكريمة التي جاء فيها: «وسخر لكم»، نستشعر تأكيد هذا التسخير لجميع الناس، والفضل الذي يعود عليه؛ مما قد يفتح الآفاق المعرفية نحو تلك الأمور المسخرة والتعرف عليها، والغوص في معالمها؛ وهذا يؤدي إلى إدراك حقيقة النعم التي سخرها الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** للإنسان، والتي قد تدفعه إلى مقابلتها بشكر الخالق **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، والإيمان به، والسعي في الأرض لتحقيق مقاصد الشريعة الإسلامية. على سبيل المثال، قال تعالى: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦١]، تبين الآية الكريمة القدرة الإلهية في خلق السماوات والأرض، وتفرد الخالق **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** بالتصرف في جميع ما في الكون، وتسخير الشمس والقمر بأمره وسعة حكمته.

وفي الغوص في العلوم الفلكية، والنظر والتأمل فيها، واستكشاف الكون، وما يحتويه من أجرام سماوية كالشمس والقمر، وكيف ذللها الخالق **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، وجعلها منقادين بالطلوع والأفول في أوقات معينة تخدم الإنسان، وكيف جعلها بأشكال مختلفة؛ قد يصل الإنسان إلى أقصى درجات الإدراك نحو عظمة الخالق بديع السماوات والأرض، وأنه وحده المستحق للعبادة والإفراد بالألوهية، وكلما تعمق أكثر في تفاصيلها وتفاصيل خلقها؛ كلما أدرك حقيقة عظمة الخالق، وفضله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، الذي سخر تلك النعم وذلّلها وفق حكمته الإلهية؛ مما يدفع الإنسان إلى وضع الأمور في مواضعها الصحيحة، ويسعى في الأرض إصلاحاً وتعميراً، ويذل طاقته ويوظف إمكانيته نحو ما يرضي خالقه، ويحقق غاية وجوده في الأرض، ويبدع في البناء، ويساهم في الرقي الحضاري،

والازدهار العمراني، الذي سينال نتيجته الأجيال التي تليه أيضاً، ويصبح مثال يحتذى به؛ حيث نرى في وقتنا الراهن "متبعو الآثار والسائحون ينهبون وتأخذهم الدهشة من عظمة آثار المسلمين العمرانية، وما احتوت عليه من زخرفيات وجماليات بديعات رائعات، كالمقرصنات، والمدليات ذوات الإتقانات الهندسية الرائعة، وكالفسيفساء التي تزين رسومها البديعة المدهشة المسطحات الداخلية للمباني، سواء كانت مستويات، أو منحنيات، أو مكورات، أو مجوفات^(١).

ولا نغفل في هذا السياق عن أمر مهم وهو أن رعاية الخالق **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** المتمثلة في التسخير، والتي نلتمس من خلالها رحمة الخالق بالإنسان، ونعمه التي ميزه بها عن غيره من المخلوقات، تجعل الإنسان أكثر إحساساً بضعفه، وبحاجته إلى الرحمة الإلهية بشكل دائم ومستمر في جميع الأمور، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ وَأَلْفَلَكَ تَجَرَّى فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحج: ٦٥]، تعيد الآية الكريمة نظر الإنسان برحمة الخالق جل في علاه، الذي سخر كل ما في الكون ليشمل ذلك التسخير الجو والبحر والبر؛ مما قد يجعل المؤمن يزداد إيماناً، ويسعى في الأرض إعماراً، وبتكرار مثل هذه الآيات الكريمة، وما فيها من تذكير للإنسان بنعم الله سبحانه؛ لا شك يجعل القارئ لها، والمتأمل في ملاحظتها يشعر بالمسؤولية، والأمانة الوظيفية التي نوط الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** بها الإنسان عن غيره، فكما سُخرت لأجله هذه النعم دقها وجلها، ظاهرها وباطنها، ينبغي عليه أيضاً أن يحسن التعامل معها، ويوظفها في خدمة دينه ودنياه على الوجه الذي تحدده الشريعة الإسلامية ومقاصدها، التي تحافظ على الإنسان وترعى كينونته، وتضمن له الاستقرار، والأمن والأمان، وتؤدي إلى البناء وال عمران؛ "فالتسخير العمراني يحقق أهم ثلاثة مقاصد شرعية: وهي تحقيق غاية العمارة وتنفيذ مهام الاستخلاف في الأرض، وتحقيق مقصد تكريم الإنسان على غيره من المخلوقات^(٢).

ومن خلال النظر في آيات الذكر الحكيم يتبين ورود مصطلح التسخير ليدل، أو يؤكد على بعض الدلالات والإشارات، والتي من أهمها الدلالة على الألوهية والربوبية، على سبيل المثال في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ

(١) الدمشقي، الحضارة الإسلامية، ص ٦٣٩.

(٢) القحطاني، مسفر بن علي، الدين والحضارة حفظ العمران مقصد شرعي، ص ٣٠.

رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٣٢﴾ [إبراهيم: ٣٢]،
نرى في الآية الكريمة دلالة التسخير على الألوهية، وتدبير كل ما في الكون بأمر الإله وحده سبحانه
خالق السماوات والأرض، الذي ينزل من السماء الأمطار التي تسقي الحرت والنسل، وتخرج
الأزهار والثمار التي يستفيد منها الإنسان، ويسخر السفن التي تجري في البحر بما ينفع الناس،
وتنقلهم من مكان إلى آخر بأمره وحده سبحانه، والذي يسخر البحار والأنهار، والمتصرف وحده في
ملكوت السماوات والأرض.

وقال تعالى: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ
يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَلِكَ كُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ
فِطْمِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣]، تبين الآية الكريمة كيف سخر الله سبحانه وتعالى الشمس والقمر، وكيف يتم
إدخال الليل في النهار، وإدخال النهار في الليل، وكيف جعل سبحانه النهار معاشاً للكبد والعمل،
وجعل الليل سباتاً لراحة الإنسان، ليأتي في ختام الآية الكريمة التأكيد على تفرد الله سبحانه وتعالى في
الملك، وحق التصرف في جميع ما خلق، مالك الدنيا ومليكها، وخالق كل ما في الكون، وما دونه
سبحانه لا يملك من الأمر شيء، ولا يملك أضعف ما قد يتصوره الإنسان؛ والمتمثل في القشرة
الرقيقة التي تحاط بالنواة؛ وهو تشبيه لأضعف ما قد يكون، وفي هذه النعم المسخرة الدلالة
الواضحة على أن توحيد الإله الذي تفرد بخلق جميع ما في الكون هو وحده المستحق للعبادة.

كما تأتي بعض الآيات الكريمة التي تحمل مصطلح التسخير لتدل، أو تؤكد على قدرة الخالق
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي إِعَادَةِ الْخَلْقِ، والبعث والنشور، وإحياء الموتى من القبور، قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ
السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدِيرُ
الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ [الرعد: ٢]، تؤكد الآية الكريمة القدرة الإلهية في إعادة
الخلق والبعث، فالقادر على رفع السماوات من غير عمد نراها، وخالق الكون بما فيه، والجاعل من
اللاشيء شيء، والذي سخر الشمس والقمر ودلّلها تحت نظام معين، وإلى أجل معين لا يعلمه إلى
الله سبحانه وتعالى، والممتلك لجميع الصفات التي تؤكد كمال القدرة في الخلق وفي تسخير كل ما في
الكون لا هو قادر على إعادة خلق كل ما في الكون من جديد، يقول الثعلبي في تفسيره لقوله تعالى:

﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي: "ذللها لمنافع خلقه ومصالح عباده، كل واحد منهما يجري الى وقت قدر له، وهو فناء الدنيا وقيام الساعة التي عندها تكور الشمس ويخسف القمر وتنكدر النجوم^(١)، قال تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ [الزمر: ٥].

وتأتي آية قرآنية كريمة أخرى تبدأ باسم الجلالة تؤكد وجوب مقابلة النعم التي سخرها الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** على الإنسان بالشكر والإيمان، قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الحاثية: ١٢]، ومما لا شك فيه ارتباط التسخير بالإيمان والتقوى، وهذا الارتباط له تأثيره في العمران والعمارة، وذلك من خلال ما يزرعه الإيمان في قلب العبد من حب العمل، والخير، والإصلاح، والسعي في الأرض بما يعمرها، ويحافظ على مقوماتها، ويزيد من ازدهارها، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىءِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦]، يقول صاحب الظلال في تفسيره للآية الكريمة: "والإيمان بالله قوة دافعة دافقة، تجمع جوانب الكينونة البشرية كلها، وتتجه بها إلى وجهة واحدة، وتطلقها تستمد من قوة الله، وتعمل لتحقيق مشيئته في خلافة الأرض وعمارتها، وفي دفع الفساد والفتنة عنها، وفي ترقية الحياة ونمائها، وهذه من مؤهلات النجاح في الحياة الواقعية^(٢).

ومن أشكال التسخير في القرآن الكريم، التسخير المقرون بالعذاب والويل للظالمين الذين يسعون في الأرض فساداً، فمسخر النعم **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** قادر على تسخيرها لخدمة الإنسان، وفي الوقت ذاته هو القادر وحده على إزالتها وتبديلها بنقمة، يقول تعالى: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعِجَازٌ نَحْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٧]، جاء التسخير في الآية الكريمة يحمل معنى التسليط؛ حيث أرسل الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** على قوم عاد الرياح الشديدة العاتية، والتي استغرقت

(١) الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ج ٥، ص ٢٦٩.

(٢) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج ٣، ص ١٣٣٨.

مدتها سبع ليال وثمانية أيام، وكانت عليهم بشكل مستمر لا تهدأ ولا تفر؛ مما أدى إلى هلاكهم وتدمير مبانيهم، وجعلتهم كأنهم جذوع نخل هالكة، ومتساقطة بعضها على البعض.

هذا ويعتبر التسخير من السنن الإلهية التي لها علاقة وثيقة بالكون؛ فالكون بما فيه من نعم مسخرة للإنسان سواء نعم تخص الكم كالشمس والقمر، أو نعم تخص الكيف كالليل والنهار، وغيرها من النعم التي تلقي على عاتق الإنسان مهمة الانتفاع بما ذلله الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، وتدفعه إلى الاتجاه نحو العمل الهادف الذي يؤدي إلى عمران الحضارة؛ "بحيث ترى أن العلاقة بين الإنسان كما خلقه الله وكونه وأعدده للخلافة في الأرض، وبين الكون والحياة: علاقة تسلم في ظل الاستجابة الصادقة لدعوة الحق إلى البناء الذي يتسم بالسلامة، ويحقق مع كرامة الإنسان وطمأنينته الوجود الذاتي المتكامل لمجتمع متماسك قوي^(١).

هذا ويكثر في القرآن الكريم الاستشهاد بطرح التساؤلات المتعلقة بالتفكير، وإمعان النظر في الاستدلال بخلق الله سبحانه للكون، وتسخير ما فيه للإنسان؛ مما يقرر للعقل التوافق والتوازن بين تسخير الكون، والسنن الحياتية للأفراد والمجتمعات التي لا تتغير، أو تتحول. وجاءت هذه المنهجية التساؤلية في القرآن الكريم في العديد من المواضع، منها قوله تعالى: **﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُم مِّنْ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لِيَقُولَنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾** [العنكبوت: ٦١]، ومنها قوله تعالى: **﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾** [الفرقان: ٢٩]، وفي تكرار هذه المنهجية التي تبدأ بالتفكير والتعقل والتأمل لاكتساب العلم، وتنتهي بالعمل والتطبيق والاستثمار قد يصل الإنسان إلى الفهم بالسنن الإلهية في التسخير، والإدراك الكلي للوظيفة الإنسانية، وتحقيق المقاصد التسخيرية التي من أهمها استغلال النعم وتوظيفها فيما يخدم العقيدة والعمران؛ "فالإنسان بهذا الاستخلاف وتلك

(١) الصالح، محمد أديب، الإنسان والحياة في وقفات مع آيات معالم قرآنية في البناء، ص ١٠٥.

السيادة يملك بعقله الذي وهبه الله تعالى له توظيف بعض السنن ببعض، والاستعانة بها عليها حتى يكون مسخرًا لها ولا تكون هي مسخرة له، وساعتها سيكون من أهل النصر^(١).

يتضح مما سبق أن التسخير يمثل المرحلة التي تلي مرحلة استخلاف الإنسان، والتي تكمل عملية الفعل العمراني، والوسيلة التي يتم عن طريقها بلوغ غاية استخلاف الإنسان في الأرض، والاستخلاف لا يكون من غير تسخير، أي لا يستطيع الإنسان القيام بمهمة الخلافة مع عدم تسخير الإمكانيات التي تعينه على أداء مهامه.

وفي ختام هذا الفصل يتبين عناية القرآن الكريم بالاستخلاف والتسخير، وتحديد ميادين الاستخلاف، بالإضافة إلى ميادين التسخير المتمثلة في الأنفس، والكون، والآفاق، وعلى الإنسان أن يتفكر في تلك الميادين ويتعامل معها بناءً على ما وهبه الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** من عقل، وأن يشكر الخالق على ما سخر له من النعم العظيمة التي تعينه في مرحلة خلافته؛ فالعمران مصطلح قرآني يشكل منظومة من المعارف والقيم التي لا يمكن تحقيق كفايتها الاستيعابية إلا باستحضار مفهوم الاستخلاف، وعلاقته بمفهوم التسخير؛ حيث لا يتحقق العمران بالمعنى القرآني إلا بإطلاق الفعل الاستخلافي والتسخيري في اتجاه العبودية لله تعالى، ولا يبلغ مداه إلا من خلال التحامه مع المركب المفهومي من توحيد، وتزكية، ومن خلال استحضار عناصره وفق الرؤية القرآنية والمتمثلة في الإنسان، والمكان، والزمان، والرسالة^(٢) فلا يمكن ممارسة الفعل الاستعماري من غير مكوناته المتمثلة في الاستخلاف والتسخير؛ لذلك لا بد على الإنسان المستخلف أن يعمل وفق ما تقتضيه المنهجية القرآنية في قضيتي الاستخلاف والتسخير، وأن يعي مفهوم الاستخلاف، ويتعرف على ماهيته وحقيقته، ولا يغفل عن جوهر التسخير وأصله وأهدافه، التي ترمي إلى عمارة الأرض.

(١) الغريب، رمضان خيس زكي، مفهوم السنن الربانية من الفهم إلى التسخير دراسة في ضوء القرآن الكريم، ص ١٨٦-١٨٧.

(٢) البطيوي، سنن العمران، ص ١٢٣-١٢٤، بتصرف يسير.



الفصل الثاني: مقومات العمران والعمارة وعوائقهما في القرآن الكريم.

قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٩]؛ القرآن الكريم الدستور الذي يهدي الإنسان إلى الطريق المستقيم؛ لما فيه من دروس، وعبر، وتجارب، وخبرات، يستفيد من خلالها الإنسان، ويستثمرها في حياته؛ فتنهض عن طريقها الحضارات. ولما فيه من توجيهات يستطيع الإنسان من خلالها تجاوز العوائق والعقبات، التي قد تقف أمام مرحلة الاستخلاف؛ "فالقيمة الحقيقية للإدراكات الإنسانية تكمن في عملية الاستثمار لها، وتوجيهها بما تُوحى إليه من معان باطنية، والتي يجب أن لا يأخذ منها إدراكاته الحسية فقط، بل إدراكاته المعنوية التي هي قيمة الإنسان، والتي تحتم عليه أن يكون استثمارها نحو العمل الصالح^(١).

وبناءً على ذلك أرتأيت تقسيم هذا الفصل إلى مبحثين، أحدهما يبين مقومات العمران والعمارة في القرآن الكريم، والآخر يوضح العوائق المعنوية والمادية للعمران والعمارة التي جاء ذكرها في القرآن الكريم، في محاولة لمواجهة تلك العوائق التي تؤثر على الحركة العمرانية، وتؤدي إلى تدهور مستوى الحضارة الإنسانية، ودفعها بما جاءت به المنهجية القرآنية من مقومات تخدم مختلف المجالات والجوانب الأخلاقية، والاجتماعية، والنفسية، والفكرية، والاقتصادية، وتؤدي إلى تنمية الذات، وتساعد على تطوير القدرات، وتدعو إلى استغلال الإمكانيات التي تخدم عمليتي الاستخلاف والتسخير؛ فكما اهتم القرآن الكريم بذكر ما يحفظ العمران والعمارة من مقومات، كذلك نبه وحذر من بعض العوائق والعقبات التي تقف أمام عمران الحضارات.

المبحث الأول: مقومات العمران والعمارة في القرآن الكريم.

ترتكز منهجية القرآن الكريم في المحافظة على العمران والعمارة حول أربعة جوانب: الجانب الأخلاقي الذي يؤدي إلى ارتقاء سلم الحضارة والعمران، ويكون بمثابة البوصلة التي تدفع الإنسان نحو العمارة؛ لما تقدمه الوظيفة الأخلاقية من خضوع الجوانب الشكلية، والعناصر الإنشائية للقيم

(١) المطرودي، الإنسان وجوده وخلافته في الأرض في ضوء القرآن الكريم، ص ٣٥٩-٣٦٠.

الأخلاقية التي تحافظ على الشكل والمضمون، بالإضافة إلى الجانب الاجتماعي، والجانب الفكري والنفسي (العقل والروح)، والجانب الاقتصادي؛ "فالربط بين المادة والروح، وبين الاقتصاد والأخلاق، وبين المدنية والدين، هو سمة المجتمع الإسلامي، والتنمية التي لا تراعي الواقع الموضوعي، ولا تلجأ إلى الطرق والوسائل المنسجمة مع أهداف المجتمع وغاياته، لا يمكنها أن توفر شروط الإقلاع، فضلاً عن تحقيق اللحاق بالدول المتقدمة^(١)؛ ولهذا عني هذا المبحث ببيان تلك الجوانب التي تحافظ على الحركة العمرانية، وتعتبر من أهم مقوماتها.

المطلب الأول: المقومات الأخلاقية، والاجتماعية.

يحتوي هذا المطلب على جانبي من جوانب مقومات العمران والعمارة في القرآن الكريم، على النحو الآتي:

- أولاً: المقومات الأخلاقية:

من خلال التدبر في كتاب الله جل في علاه نجد صفوة الفضائل الأخلاقية التي تبني الإنسان وأخلاقه، وتزكيه، وتعزز إنسانيته وكرامته؛ حيث يخاطب القرآن الكريم النفس الإنسانية بما يجول في خفاياها خطاباً يصلح حالها ويسعدها، ويكون الخطاب من خلال أساليب متنوعة تجذب المتدبر، والمتأمل في الآيات القرآنية الكريمة؛ حيث يتفنن بأسلوب الأمر والنهي، والوعد والوعيد، والترغيب والترهيب، ووصف الجنة وما تحمله من نعيم دائم جزاءً لمستحقّيها من أصحاب الأخلاق الحميدة، ويصف النار وما تحمله من عذاب سقيم لمن يستحقّها من أصحاب الأخلاق الذميمة، وعبر القصة والمثل، والتقرير والتلقين من خلال أساليب الخطاب المتنوعة، والغوص في عالم الأخلاق الظاهرة والباطنة، والمقابلة والمزاوجة، والدعوة إلى المراقبة، والتنوع والشمول، واللين في النصيح والقول. بالإضافة إلى ربط مكارم الأخلاق بالله جل في علاه، وبملائكته وكتبه ورسله عليهم السلام، وبكل ما ارتفع في المقام. وكذلك من خلال لفت الأنظار إلى أسلوب الحوار، والتكرار، والتفنن بالاستفهام، وغيرها.

(١) نخبة من الباحثين والكتاب، إشكالية التنمية ووسائل النهوض، ص ٢٣٥.

وتتنوع منهجية القرآن الكريم في الأمر بالأخلاق، فتارة تأتي بأمر صريح وإلزام واضح لقيمة معينة، والنهي عن ما يضادها، وتارة أخرى تأتي بأمر مقارب لتلك القيمة، وبيان قيمتها وفضلها وأثرها على الإنسان وأنها من صفات المؤمنين، فمثلاً جاء الأمر الصريح بالتعاون على البر والتقوى، والنهي عن التعاون على الإثم والعدوان في قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢]، وجاءت آية أخرى تبين التعاون من صفات المؤمنين، وتؤكد فضله وأثره عليهم، قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١]، أي: "بعضهم يوالي بعضاً، فهم يد واحدة، يأمرون بالإيمان، وينهون عن الكفر^(١)، متشاركون بذلك في حمل أمانة الخلافة والإعمار في الأرض. ولا يقتصر المنهج القرآني على بيان أهمية الأخلاق الظاهرة وأثرها، أو بمعنى آخر الأخلاق المحسوسة التي يكون إدراكها من خلال تصرفات الإنسان وما يصدر عنه من أفعال أو أقوال، بل يغوص في عالم الأخلاق الباطنة التي لا يمكن إدراكها إلا في قرارة الشخص ذاته، ويتعمق في الأخلاق الغير محسوسة التي تحرك الأخلاق المادية وتضبطها، "فالتحلي بمحاسن الأخلاق يشتمل على التحلي بما ظهر منها وما بطن^(٢)؛ حيث "تهدف الأخلاق الإسلامية إلى أن تملك على المسلم قلبه، فيدفعه إليها إيمانه، ويزيده الالتزام بها إيمانياً، فمصدرها قلبي، وأصلها صلاح الباطن^(٣)". فقد يأمر القرآن الكريم الإنسان بأن يضبط أفعاله ويصحح أقواله من خلال ما ظهر من القيم الأخلاقية وما بطن، قال تعالى: ﴿وَذَرُوا ظَهَرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيَجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٠]، يقول مقداد يالجن: "ابتدأ الإسلام من تطهير الباطن ليكون الاستعداد إلى التحلي بالأخلاق الفاضلة حتى تصل إلى أعلى الدرجات التي تبرهنها الأخلاق الظاهرة^(٤)".

(١) ابن الجوزي، زاد المسير، ج ٢، ص ٢٧٧.

(٢) الأهدل، أحمد بن يوسف، الأخلاق الزكية في آداب الطالب المرضية، ص ١٢٧.

(٣) الخزندار، أبو أسامة محمود محمد، هذه أخلاقنا عندما نكون مؤمنين حقاً، ص ١٩.

(٤) يالجن، مقداد، دور التربية الأخلاقية الإسلامية في بناء الفرد والمجتمع والحضارة الإنسانية، ص ٢٧، بتصرف يسير.

كما قال تعالى في إصلاح نفوس المؤمنين، وقلوبهم: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۝١﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا [الشمس: ٩ - ١٠]؛ تبين الآية الكريمة أهمية تزكية نفس الإنسان في بناء العمران؛ "فالقرآن يعتمد إلى إصلاح البواطن بأضواء التوحيد، فإذا تمت استنارتها صلحت الظواهر، واستقامت على الطريق^(١)."

كما تتنوع مجالات الأخلاق في القرآن الكريم لتشمل الجانب الإنساني وهو الذي يرتبط بعلاقة الإنسان مع خالقه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، والتي تمارس من خلالها أركان الإسلام، والجانب الأسري الذي يحدد علاقة الإنسان بمحيط أسرته وأقاربه، والجانب الاجتماعي الذي يربط الإنسان مع الآخرين، والجانب الوطني الذي يحدد الضوابط الدولية بين الحكام والشعوب، ويقوي العلاقات الدولية مع بعضها البعض، وسائر جوانب الحياة المختلفة.

وجميع الجوانب تنشأ مجموعة من القيم والمبادئ الأخلاقية التي تركز إلى كليات مشتركة تؤدي إلى ارتقاء الفرد بذاته، وتحسين معاملاته، وضبط أفكاره ومعتقداته، وتقوية علاقاته مع جميع من حوله، "فالقرآن الكريم هو كتاب الأخلاق الأول، وهو الذي يهدي للتي هي أقوم، وحسن الخلق من جملة ما يهدي إليه القرآن^(٢)، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْإِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١]، تختصر الآية الكريمة العديد من المجالات الأخلاقية في مختلف جوانب الحياة الإنسانية بين المؤمنين، يقول سيد قطب: "وهو عالم له آدابه النفسية في مشاعره تجاه بعضه البعض وله آدابه السلوكية في معاملاته. وهو عالم نظيف المشاعر، مكفول الحرمات، مصون الغيبة والحضرة، لا يؤخذ فيه أحد بظنه، ولا تتبع فيه العورات، ولا يتعرض أمن الناس وكرامتهم وحریتهم فيه لأدنى مساس^(٣)."

(١) علي، سعيد إسماعيل، القرآن الكريم رؤية تربوية، ص ٤٠٢.

(٢) الخراز، خالد بن جمعة، موسوعة الأخلاق، ص ٨٤.

(٣) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج ٦، ص ٣٣٣٦.

والقرآن الكريم حين يلقي الضوء على قيمة معينة يروم بذلك أهدافاً منها إصلاح نية الفاعل، أو تصحيح الفعل من خلال تلك القيمة، وبهذا التنوع في مجال الأخلاق لتشمل جميع المجالات يستطيع الإنسان السير في هذه الحياة وفق مشيئة الخالق **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

هذا ويشير القرآن الكريم إلى أهمية الدعاء في اكتساب مكارم الأخلاق، والابتعاد عن مساوئها؛ فقد أرشدنا الخالق **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** في فاتحة كتابه إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿ **أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ** ﴾ [الفاتحة: ٦]، كما قال تعالى: ﴿ **رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ** ﴾ [البقرة: ٢٥٠]. وإنه لمن واجب المسلم التوجه بالدعاء إلى خالقه كما توجه إليه أولو العزم من الرسل؛ حيث يساهم الدعاء في إصلاح النفس من الأخلاق الذميمة، قال تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ** ﴾ [إبراهيم: ٣٥].

ومن خلال التأمل في كتاب الله تعالى يتبين الدين في النصيح، والرفق في الإرشاد؛ حيث يشير الخالق إلى القيم الأخلاقية بعطف يستجيش النفوس، ويأسر القلوب، مصرفاً بذلك عباده عن أسلوب الغلظة والشدة، التي تؤدي إلى النفور والفرقة، يؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿ **فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ غَلِيظُ الْعِقَابِ لَافْتَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ** ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، هذه الآية الكريمة صريحة الدلالة في الدعوة إلى إشاعة الرحمة والمودة بين المسلمين، والتزام مبدأ الشورى بينهم؛ لما يحقق من من تآلف وتكاتف.

وقال تعالى: ﴿ **ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ﴾ [النحل: ١٢٥]، أي: "بالطريقة التي هي أحسن طرق المجادلة من الرفق واللين، من غير فظاظة، أو بما يوقظ القلوب، ويعط النفوس ويجلو العقول^(١)؛ فالقول والجدال إنما يكون بالرفق واللين، والدعوة إلى سبيل الله قوامها الحكمة، والموعظة الحسنة، والجدال الحسن الذي لا يعقبه سوء، ولا محن.

(١) النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ج ٢، ص ٢٤٢.

هذا وتمتاز خصائص القيم الأخلاقية القرآنية بواقعيتها؛ حيث تراعي واقع الحياة الإنسانية، وتتناسب مع مخيلة الإنسان فلا تأتي بقيمة لا تناسب فطرته، وتعقد صفو حياته. كما تمتاز بمنطقيتها التي تراعي فكر الإنسان وعقليته فلا تأتي بقيمة تناقض تلك الأفكار والمعتقدات، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تَوَسَّوْهُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ اقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ جَلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦]، فخالق السماوات والأرض ومن عليها هو أعلم بخواطر الإنسان، وبواعثه النفسية، وقدراته واستطاعاته، وهو الذي مع الإنسان أينما كان، قال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤].

فلا يأمر **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** الإنسان إلا بما يناسب قدراته ووفق استطاعاته، ويجلب له خيري الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مِيلًا عَظِيمًا﴾ (٢٧) **يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا** [النساء: ٢٦ - ٢٨]، يقول الزمخشري: "يريد الله أن يبين لكم ما هو خفي عنكم من مصالحكم وأفاضل أعمالكم، وأن يهديكم مناهج من كان قبلكم من الأنبياء والصالحين، والطرق التي سلكوها في دينهم لتتقنوا بهم^(١)، فلا يكلفهم إلا بما تقتضيه قدراتهم. ولا يقتصر القرآن الكريم على مراعاة قدرات الإنسان فحسب بل يتعداه إلى السهولة في تطبيق المأمور به من القيم الأخلاقية، وسهولة الابتعاد عن ما يناقضها، قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْتُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقال تعالى: ﴿لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِّرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا ءَاتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَّا ءَاتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٧].

يقول وهبة الزحيلي: "تمتاز قيم الإنسان في القرآن الكريم بمنطقيتها، وواقعيتها؛ لأنها من أجل بناء الإنسان، وهي للإنسان نفسه^(٢). هذا، ويستنبط محمد عبدالله دراز شروطاً معينة للقرآن الكريم عند الأمر والإلزام بقيمة من القيم وهي: إمكانية التصرف، واليسر العملي، وتحديد الواجبات

(١) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، ج ١، ص ٥٠١.

(٢) الزحيلي، وهبة، القيم الإنسانية في القرآن الكريم، ص ٣١.



وتدرجها^(١) وفي الحقيقة القرآن الكريم لا يأتي إلا بما يناسب الإنسان، ويجلب له الخير عاجلاً أم آجلاً، والله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** أعلم بعباده، وما يتناسب مع سجيّتهم؛ فيحدد الحقوق والواجبات وفق إمكانية الإنسان، ويسره العملي.

- ثانياً: المقومات الاجتماعية:

أولى القرآن الكريم الاهتمام البالغ بالمنظومة الاجتماعية والجانب الجماعي وذلك من خلال إبراز عناصر تلك المنظومة تارة، وخصائصها وطرق تقويمها تارة، وكيفية المحافظة عليها تارة أخرى. ومن خلال التأمل في آيات الذكر الحكيم يتبين أن الأوامر والنواهي، وجميع ما يندرج تحت الأحكام الشرعية إنما يصب في خدمة جميع الأفراد، وليس فرداً واحداً فحسب؛ وهذا لا شك يؤثر إيجاباً في عجلة التنمية البشرية، وفي عمران الحضارة الإسلامية؛ فعندما تتوحد أفكار المسلمين، وتشارك أعمالهم، وتكون موحدة، أو تنتهي لمفاد واحد، ويكون سعيهم في الأرض تحت أنظمة تشريعية وقوانين موحدة؛ لا شك يؤدي ذلك إلى الوحدة الاجتماعية، وتعزيز روابطها؛ فالوحدة الاجتماعية: "الركن الأساسي للصحة الحضارية؛ إذ الحضارة فعل إنساني جماعي، لا تنهض به إلا أمة متماسكة"^(٢).

هذا وتضافرت الآيات الكريمة التي تدعو الإنسان إلى روح الجماعة، ونشر القيم الأخلاقية فيما بينها من خلال العديد من المهارات الجماعية، فالتأمل في الكتاب الكريم يرى العناية الفائقة بهذا الشأن؛ حيث تأتي معظم الخطابات التي تأمر بالتزام قيمة معينة، أو بيان أهميتها، وفضلها على الفرد والمجتمع بصيغة الجمع، وإن كانت تأتي خطابات بصيغة المفرد، ولكن طابع الجمع هو الغالب، فمثلاً في سورة الفاتحة يأتي الدعاء بصيغة الجمع؛ ليشمل دعاء الإنسان لنفسه، ولأخيه المسلم، قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝﴾ [الفاتحة: ٥ - ٦]، يقول السيوطي: "قوله تعالى: «وإياك نستعين»: شامل لعلم الأخلاق^(٣). والأخلاق "التي تنميها العبادات

(١) دراز، دستور الأخلاق، ص ٣٩-٥٩، بتصرف يسير.

(٢) جندية، بتول أحمد، على عتبات الحضارة - بحث في السنن وعوامل التخلق والانقياد، ص ٨٤.

(٣) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، أسرار ترتيب القرآن، ص ٥٨.

في النفس ليس المقصود منها أن تكون أخلاقاً أنانية ذاتية للشخص نفسه فحسب، ولكن المقصود منها هو أن تكون أخلاقاً^(١) لتشمل أخلاق الفرد نفسه، مروراً بأخلاق الفرد مع غيره.

ويدعو القرآن الكريم إلى التكافل والتكاتف بين المسلمين في جميع مجالات الحياة المختلفة، حيث "أخذ الإسلام يبني المجتمع بناءً واحداً متماسك الأطراف، وكان أول ما اتخذ من ذلك إيجاب الحث على التعاون والتراحم^(٢)، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا نَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢]. يقول سيد قطب: "من مقتضيات الإيمان أن ينهض كل فرد في الجماعة بحق الجماعة عليه؛ فهو مأمور أن يتكافل مع الجماعة في ماله وجهده ونصحه، وفي إحقاق الحق في مجتمعه، وإزهاق الباطل^(٣)؛ فالإنسان لا يمكنه العيش بمفرده بل لابد من انخراطه مع غيره، وبتعاونه مع أفراد مجتمعه وتكافله معهم على الخير تنهض المجتمعات، وتحقق الغايات، ولذا كان من أبرز مظاهر الوعي في الأفراد: شعورهم بحق الجماعة عليهم، وتصرفهم في حدود التعاون الاجتماعي، فالدين الحق هو الذي ينمي روح الشعور بحق الجماعة، والأمة الراقية هي التي تغلب الروح الجماعية كل نزعة فردية، وانعزالية في أبنائها^(٤)."

كما تحقق العلاقات الاجتماعية المترابطة للإنسان متطلبات حياته المعيشية ويرتقي بالمجتمع الذي يعيشه؛ فالإنسان بطبعه يحتاج إلى الآخرين، ولا يستطيع العيش بمفرده. وبهذا يربي القرآن الكريم قلوب المسلمين على حب الخير للآخرين، والتعاون فيما بينهم، والعفو والصفح لمن سبهم، والإصلاح في حال النزاع والخلاف، وعدم إفساد العلاقات. حيث تؤثر الأخلاق الاجتماعية في المجتمع بشكل رئيس سلباً أو إيجاباً، فالمجتمع الذي يرتقي بالأخلاق الاجتماعية يكون مجتمعاً قوياً لا يتفكك، أما المجتمع الذي تشوبه الغلظة والكراهية والأناية وغيرها من معوقات العلاقات الاجتماعية إنما يكون مجتمعاً ضعيفاً.

(١) صبح، علي، التصوير القرآني للقيم الخلقية والتشريعية، ص ٢٦٧.

(٢) القطان، إبراهيم، تيسير التفسير، ج ١، ص ١٦٦.

(٣) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج ١، ص ٣٤٥.

(٤) السباعي، مصطفى، أخلاقنا الاجتماعية، ص ٦٣.

كما دعا القرآن الكريم إلى التكافل الاجتماعي وما يوازنه من مصالح خاصة، ومصالح عامة؛ فمثلاً في الزكاة والصدقات منافع تعود على المنفق، وفي الوقت نفسه منافع تعود على من أنفق عليهم؛ فهي تطهير لمال الشخص وزيادة البركة فيه، وكذلك قضاء حوائج الفقراء والمساكين وإسعادهم بالمال وسد حاجتهم، ولا نغفل عن الجانب الأهم وهو الحصول على الأجر والثواب؛ لما يقوم به الإنسان من أعمال خيرية وصدقات ظاهرة وخفية.

وعلاقة الإنسان مع غيره من البشر يجب أن يكون أساسها منهاج الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، ذلك المنهج الذي يرسم خيوط التعامل مع الآخرين، ويجعل المؤمنين إخوة بتعاطفهم وتراحيمهم وتعاونهم فيما بينهم؛ "وبالعمل والتعاون ينتشر العمران وتعم الحضارة وفق منهج رب العالمين، ومن الأمثلة على ذلك ما بناه ذو القرنين من حضارة ربانية معتمدة على ركائز الإيمان والعلم والعدل والإصلاح مستهدفة بني الإنسان فقاد الدنيا بالإيمان والخير والفلاح وعمل على تخليصها من أسر المادة الطاغية وكذلك الكفر والشرك والإجرام^(١)؛ فابتاع ذلك المنهج الذي يأمرنا بحب الخير وعمله، ومحاربة الشر بأكمله؛ يصل الإنسان إلى أعلى ما قد تصل إليه النفس البشرية من أخلاق حميدة، وتربية سديدة، يتحقق من خلالها التكافل بين بني البشر، وهذا كفيل بارتقاء الحضارة، وازدهار العمران.

كما حث منهج القرآن الكريم على حب الخير للناس ومساعدتهم في السراء والضراء، وهذا يدعو إلى التعاون بين المسلمين؛ ليصبحوا بعد ذلك كالبنين المرصوص، قال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** في تراحيم المؤمنين وتعاونهم فيما بينهم: «المؤمن للمؤمن كالبنين يشد بعضه بعضاً^(٢)». ومن خلال التبع في الآيات القرآنية الكريمة يتضح أن الأمر بالتعاون جاء في مواضع مختلفة، منها ما جاء بألفاظ صريحة، ومنها ما جاء بألفاظ أخرى غير لفظ التعاون ولكن ترمي له وتركن إليه. ومن الأوامر الإلهية التي جاءت بشكل صريح تأمر بالتعاون، قوله تعالى: **﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾** [المائدة: ٢]، يشير الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** في الآية الكريمة إلى

(١) الصَّلَافِي، تبصير المؤمنين بفقہ النصر والتمكين في القرآن الكريم، ص ١٨٠.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب استقبال القبلة، ج ١، ص ١١٤، رقم (٤٨١)، ومسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحيم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، ج ١٦، ص ١٤٠، رقم (٢٥٨٧).

وجوب تعاون المؤمنين فيما بينهم، تعاوناً قائماً على الرحمة والمودة والإحسان وكل ما يحمله الخير من معنى، وبتقوى الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** حق تقاته. ولئن أمر الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** في الآية الكريمة بالتعاون على البر والتقوى، فكذلك نهى عن التعاون القائم على الشر وما يجلبه من إثم، وعن الاعتداء على حدود الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، وعلى الناس؛ فالله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** يعاقب الذين يتعاونون على الإثم والعدوان أشد العقاب. وقال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وهنا جاء الأمر بالتعاون والاعتصام بحبل الله، وجمع المسلمين على الإيثار به وتوحيده، فبهذا الحبل الرصين قد يتضامن جميع المؤمنين مع بعضهم البعض، وتتوحد كلمتهم، ويجتمع شملهم، وكذلك جاء النهي عن المفارقة، وعدم توحيد الكلمة، يذكرهم بنعمته **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** عليهم حيث كانوا من قبل هذا الاجتماع والترابط القوي أعداء فيما بينهم، ولكن بفضل من الله ورحمة ألف بين قلوبهم فأصبحوا بعد ذلك إخواناً يجب بعضهم البعض، ويتعاونون فيما بينهم، وكانوا بسبب تلك العداوة سيدخلون النار ولكن أنقذهم منها خير الراحمين، يقول السعدي: "إن في اجتماع المسلمين على دينهم، وائتلاف قلوبهم يصلح دينهم وتصلح دنياهم وبالا اجتماع يتمكنون من كل أمر من الأمور، ويحصل لهم من المصالح التي تتوقف على الائتلاف ما لا يمكن عدها، من التعاون على البر والتقوى، كما أن بالافتراق والتعادي يختل نظامهم وتنقطع روابطهم^(١)، فالتعاون من الواجبات الدينية التي يتم من خلالها اجتماع كلمة المسلمين وتوحيد صفوفهم، وكذلك يعتبر من الضرورات الاجتماعية التي تتحقق من خلالها المصالح، وتتماسك فيها الروابط.

هذا، وقد ربط القرآن الكريم المؤمن بمجتمعه وجعله ميثاقاً غليظاً لكل جوانب الحياة، قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١]، تبين الآية الكريمة مدى ترابط المؤمنين، وتعاونهم فيما بينهم على

(١) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ج ١، ص ١٤١.

الخير والرحمة؛ حيث المؤمنون والمؤمنات جميعهم أولياء بعض يأمرهم بالمعروف الذي يأمر به خالقهم، وينهون عن المنكر الذي ينهى عنه خالقهم، ويقيمون الصلاة، ويؤتون الزكاة، مطيعين بذلك خالقهم عز وجل، ورسوله الأمين **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، أولئك الذين يربطهم جميعهم شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، سيرهم العزيز الذي وسعت رحمته كل شيء.

قال تعالى: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٥]، توحى الآية الكريمة بأن التعاون يبدأ من القريب إلى البعيد حتى يصل إلى المجتمع بأكمله، وكون بعضهم أولياء بعض يدل على التعاون والنصح فيما بينهم، يقول ابن عاشور في هذا الصدد: "فائدة التعاون تيسير العمل، وتوفير المصالح، وإظهار الاتحاد والتناصر، حتى يصبح ذلك خلقاً للأمة^(١)"، فبال تعاون تتحقق المصالح بكل يسر ولين، وبه تظهر ملامح التكافل الاجتماعي حتى يصبح طبعاً وسجية في المجتمع المتمثل به. وطبيعة المؤمنين يتشاورون فيما بينهم في أمور دينهم ودنياهم، مما قد يؤدي إلى إشاعة الرحمة والمودة بينهم، وتعزيز ترابطهم وتعاونهم دائماً وأبداً، قال تعالى: ﴿وَأْمُرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨]. وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ﴾ [النور: ٦٢]، توضح الآية الكريمة مدى التزام المؤمنين بمبدأ الشورى، حيث إذا اجتمعوا على أمر من الأمور الدينية، أو السياسية، أو الاجتماعية لا يطبقونه قبل أن يستأذِنوا الرسول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فيه.

هذا، وأمر الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ** نبيه الكريم **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بتطبيق مبدأ الشورى مع جميع من حوله؛ حيث قال تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، يقول سيد قطب في تفسيره للآية الكريمة: "إن وضع الشورى أعمق في حياة المسلمين من مجرد أن تكون نظاماً سياسياً للدولة، فهو طابع أساسي للجماعة كلها، يقوم عليه أمرها كجماعة، ثم يتسرب من الجماعة إلى الدولة، بوصفها إفرازاً طبيعياً للجماعة^(٢)"؛ حيث لا يقتصر أمر الشورى في بعض الأمور عن بعض، بل يشمل جميع مجالات الحياة، وهو ضروري لبناء الدولة، وتحقيق مصالحها. ولا تكون الاستشارة من الضعيف إلى

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٦، ص ٨٨.

(٢) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج ٥، ص ٣١٦٠.

القوي، أو بمعنى آخر من الشعب إلى الحاكم فحسب، بل قد يستشير الحاكم أو صاحب السلطة ممن هو دونه من أصحاب أولي العلم والإيمان، ليعينوه على ما فيه صلاح وخير له ولمجتمعه الذي يحكمه، فمثلاً شاورت ملكة سبأ شعبها ليفتوها في أمرها بعد تلقي الرسالة من نبي الله سليمان عليه السلام، ولم تتخذ القرار بمفردها بل عازمت إتخاذها بعد مشورتهم، قال تعالى: ﴿قَالَتْ يَأْتِيَهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾ [النمل: ٣٢].

وضرب القرآن الكريم أسمى صور التعاون، ومنها ما جاء في قصة ذي القرنين عندما طلب من شعبه مساعدته لبناء الصرح الفاصل بينهم وبين يأجوج ومأجوج، قال تعالى: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ [الكهف: ٩٥]، فلا يستطيع الفرد العيش في هذه الحياة بمفرده، بل لا بد من وجود من يعاونه، ليستطيع بذلك مواجهة الصعاب، وينال حسن المآب، قال تعالى: ﴿وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي﴾ (٢٩) ﴿هَارُونَ أَخِي﴾ (٣٠) ﴿أَشَدُّ بِهِ أَزْرَى﴾ (٣١) ﴿وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي﴾ [طه: ٢٩-٣٢]، تبين الآية الكريمة طلب موسى عليه السلام من الله سبحانه وتعالى أن يجعل له أخاه هارون مخلصاً يسانده في الدعوة، ويقف بجانبه ويشاركه في الأمر.

وربى القرآن الكريم قلوب المسلمين على حب الخير للآخرين، والإحسان لهم، والعفو والصفح لمن أساء منهم، من خلال العديد من الآيات التي تؤكد أن العفو من صفات الخالق عز وجل، فهو العفو القدير الذي يعفو عن عباده، ويحثهم على عمل الخير والعفو عن السوء، قال تعالى: ﴿إِنْ يُبَدُّوا خَيْرًا أَوْ تُخَفُّوهُ أَوْ تُعَفُّوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ [النساء: ١٤٩]. وكذلك من الآيات التي تأمر بالعفو، قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُفْعَلُونَ قُلِ الْعَفْوُ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢١٩]، قال الواحدي: "المعنى: اقبل الميسور من أخلاق الناس، ولا تستقص عليهم؛ فيتولد منه البغضاء"^(١)، ويتضح من ذلك بيان أهمية العفو في رقي أخلاق الناس وما ينتج منه من محبة ومودة.

(١) الواحدي، التفسير الوسيط، ج ٢، ص ٤٣٧.

كما بين **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** في كتابه الكريم، محبته للمحسنين الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله في اليسر والشدة، ويكظمون غيظهم عند الحزن والغضب، ويعفون عن إساءة الناس إليهم، ويصفحوا ويصلحوا فيما بينهم، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْفَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤]، ويذكرهم تبارك وتعالى بعدم نسيان الفضل فيما بينهم، وعدم نكران الجميل، ففي الطلاق على سبيل المثال يكون العفو والإحسان في أهم مواضعه، لما كان بين المطلقين من فضل فيما بينهم، فوضع المنهج القرآني العفو فاصلاً للمطلق لما فرض للمطلقة من فريضة، حيث إما "أن يعفو الرجل المطلق عن حقه وهو نصف المهر، فيكون المهر كله للمرأة، وإما أن تعفو المرأة عن حقها ولا تأخذ شيئاً من المهر^(١)، مؤكداً أن العفو طريق التقوى، قال تعالى: ﴿وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٣٧].

والله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** خلق ما في السماوات وما في الأرض بالحق، وقدرها إلى وقت معلوم تقوم فيه الساعة، فليصفح الناس عن الإساءة صفحاً جميلاً لا يلحقه ضرر، ولا يشوبه أذى؛ لما فيه من الخير العظيم، والأجر الكريم، من العزيز الحكيم، قال تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [الشورى: ٤٠]؛ فالجزاء يكون بمثل الفعل دون زيادة أو إسراف، حتى لا يدخل ضمن دائرة الظلم المنهي عنه، والذي يؤدي إلى غضب الله جل في علاه وعدم محبته، أما من عفى عن رد الإساءة وأصلح بفعله وارتقى بفكره؛ فإن ذلك لا يضيع عند خالقه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، الذي سيجازيه بالأجر والثواب، الذي ينفعه يوم الحساب.

(١) الزحيلي، محمد مصطفى، الوجيز في أصول الفقه الإسلامي، ج ٢، ص ١١٤.

المطلب الثاني: المقومات الفكرية، والاقتصادية.

يتناول هذا المطلب بقية الجوانب التي ترعى الحركة العمرانية، وتحافظ عليها، وتعبّر عن أهم مقوماتها، على النحو الآتي:

- أولاً: المقومات الفكرية:

اعتنى المنهج القرآني بالتنمية النفسية باعتبارها المحرك الرئيس الذي يدفع إلى التنمية الخارجية؛ فإعمار الذات المحور الأساس الذي يضمن استمرارية التنمية، ويؤدي إلى إعمار الخارج. ويحقق القرآن الكريم للإنسان حياته المتوازنة والتي يتم من خلالها تلبية الحاجات الروحية والعقلية، والمعنوية والمادية من خلال مخاطبة العقل، وإمتاع العاطفة، وما يقدمه من توجيهات عقائدية وأخلاقية تبني الإنسان ومجتمعه؛ حيث "تضمن القواعد الرصينة الكفيلة بقيام المجتمع الإنساني السليم، تشده الإنسانية فتجد فيه مبتغاه من التشريعات الفردية، والعلائق الأسرية، والمعاملات الاقتصادية والحربية، والقوانين المدنية، والأنظمة الدولية^(١)، والهدف الرئيس هو تربية النفس الإنسانية على الإيمان بالله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** وعلى تقواه، وحب الخير، والعمل الصالح، والتحصن بالأخلاق الفاضلة، والابتعاد عن الأخلاق الذميمة.

فتستند التعاليم القرآنية في عمران الفرد وعمارة مجتمعه على الأساس الروحي النفسي، وعلى الأساس العقلي الفكري، وتلقي على العقل المهمة الرئيسة في تشخيص الأمور، وكيفية معالجتها وفق ما تقتضيه الحاجة النفسية التي تدفع الإنسان نحو الإنتاج والإعمار. فالعلاقة بين النفس والعقل والروح في اتصال بالجسد، علاقة وثيقة ومتشابكة، وتأتي المعالجة القرآنية التي تقيم وتوجه حضارة الإنسان على أساس الربط بين الابتكار والتقدم، ونمو واتساع الفكر الإنساني، وبين توجهات القيم النابعة من الدين والإيمان بما يمكن من قيام مجتمع متحضر ومتقدم^(٢) فبناء الجانب النفسي إنما يبدأ مع الإيمان بالله سبحانه؛ وهذا الإيمان كفيل بزرع القوة في نفس المؤمن بأن لا أحد يستطيع أن يعيق مهمته في عمارة الأرض وإصلاحها؛ "فالعمران - وإن حصل الإيمان بالقرآن ومقاصده، وانكمش

(١) السايح، أحمد عبدالرحيم، الحضارة الإسلامية، ص ٧٥.

(٢) جبر، محمد أمين، الإنسان والخلافة في الأرض، ص ١٣٩ و ص ١٦٨، بتصرف.

العقل دون المنهجية المثمرة- بوصفه مقصداً قرآنياً لن يكون له أي تحقق، وفي تاريخ المسلمين مصداق لذلك في كسبهم العمراني، وعلاقته في صعوده ونزوله بمنهجية التفكير خلال ذلك التاريخ^(١).

ويعتبر جوهر العمران في القرآن الكريم وعي الإنسان حول سبب استخلافه في الأرض، أو أهمية وجوده فيها؛ مما يؤدي إلى تعزيز قواه العقلية والنفسية والبدنية نحو كيفية تطويره وتقديمه من أجل ممارسة خلافته في الأرض على النحو المذكور في القرآن الكريم، واستخدام الثروات التي أودعها الله جل في علاه لخدمة الإنسان؛ فهو مطالب باستغلال تلك الثروات بعلمه ومعرفته وتقديمه النظري والاستخدام الأمثل لقوته الإنتاجية، دون الإغفال عن الجانب المعنوي وقيم الروح والمادة، والذي يستطيع من خلالها تحويل تلك الثروات والموارد الطبيعية إلى ما يخدم مجتمعه، وتزدهر من خلاله الدائرة الإنتاجية لمجتمعه الذي يعيش فيه؛ "فالجمع بين الجوانب المادية والروحية يعطي الاقتصاد الإسلامي خصائص مميزة لوضع نظام اجتماعي متوازن"^(٢)، بل ويعطي سائر المجالات المختلفة اقتصادية كانت أو اجتماعية، أو سياسية، أو غيرها من المجالات المختلفة التي تؤثر على مستوى الحضارة.

وجاءت العناية الإلهية لتنهض بالإنسان من خلال تحقيق التوازن الدقيق في جميع مجالات الحياة من خلال تزكية الإنسان بالقيم الأخلاقية؛ فيصوغ القرآن الكريم الإنسان المتوازن الصالح الذي يتحلّى بمكارم الأخلاق الموزونة، ويكون التركيز عليها جميعاً تاركاً التطبيق للإنسان كل على حسب قدرته واستطاعته دون إهمال بعضها مقابل البعض الآخر؛ "فالإنسان يحتاج إلى منهج يدرك خصائصه وأبعاده، ويدرك مسائله المحيطة به وأبعادها؛ لتكتمل صورة التكريم له، ولعمارة عالمه الباطني وعالمه الظاهري عن انسجام، وهذا لا يمكن أن يكون إلا من أدرك ذلك، وهو الذي خلقه فأحسن خلقه وخُلقه"^(٣).

(١) النجار، مقاصد القرآن في بناء الفكر العمراني، ص ٧٦.

(٢) براهمي، عبد الحميد، العدالة الاجتماعية والتنمية في الاقتصاد الإسلامي، ص ٢٨.

(٣) المطرودي، الإنسان وجوده وخلافته في الأرض في ضوء القرآن الكريم، ص ٤١٦.

والإنسان يتميز عن بقية المخلوقات بالعقل الذي أوجده خالقه له من أجل التمكين والاستخلاف في الأرض؛ لذلك حظى الاهتمام بالعقل والعلم في القرآن الكريم والشريعة الإسلامية العناية البالغة حتى أصبح العلم مقدماً عن سائر الأمور الأخرى؛ فبالعقل والعلم يتعرف الإنسان على خالقه، وعلى جميع الأمور، وبه يميز الخير من الشر، والحق من الباطل، قال تعالى:

﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

ويدعو القرآن الكريم العقل إلى التأمل في ملكوت السماوات والأرض، وكيف سخر الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** للإنسان جميع ما في الأرض من أجل توظيف القدرات والطاقات، واستغلال الموارد الطبيعية. كما يدعو القرآن الكريم إلى التفكير في دروب الكون وما فيها من نتائج سابقة، ودروس يستفاد منها في العمران، وممارسة الخلافة في الأرض بجميع الوسائل التي تحقق إنسانية الإنسان، وتقرر مسؤوليته تجاه نفسه واتجاه مجتمعه، وتجعله ساعياً إلى الخير وباذلاً له، ولا يقصر في أدائه؛ نظراً لاستقامة فكره.

هذا ولأن أكد المنهج القرآني على أهمية العلم وفضله، ووضح كيفية بناء الإنسان المتحصن بالعلوم والمعارف والمستغل لقدراته العقلية في الخير والصالح؛ فكذلك نبه ونهى عن ما يضاد العلم، أو يعيقه من جهل، واتباع ظن، قال تعالى: ﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَنْتَعُونَ إِلَّا الْأُظُنُّ وَإِنَّ الْظُنَّ لَا يَغْنَى مِنْ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ [النجم: ٢٨]؛ فالعمران الحقيقي إنما يبدأ من فكر الإنسان، ومدى استيعابه بما له وما عليه من واجبات وحقوق تجاه التنمية، "وعمارة الأرض تتطلب معرفة جيدة بعلوم الحياة، بل آخر ما توصل إليه الإنسان في هذه العلوم، التي تتطور يوماً بعد يوم"^(١)؛ فما تشكيل الإنسان وكيفية بناء حضارته إلا من خلال نتاج فكره وعقله، وهو القائد الذي يسير ما في الجسد فإن صلح الفكر صلح الجسد، وإن فسد فسد معه الجسد، وفسدت معه الأفعال والأقوال، وتحول الحق إلى باطل، وأصبح الفساد هو الجانب الظاهر؛ ولهذا أكد المنهج القرآني على ضرورة التدبر والتعقل في الآيات القرآنية الكريمة، وضرورة التفكير في الكون وفي خلق الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، وما أودع على الإنسان من نعم،

(١) السامرائي، نعمان عبدالرزاق، نحن والحضارة والشهود، ج ١، ص ١٠٨.

ولفت النظر حول العلم، ودوره في بناء الإنسان وإعدادة نفسياً وسلوكياً، ويكفي في ذلك نزول أول آية قرآنية تؤكد على العلم، قال تعالى: ﴿ أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ [العلق: ١].

كما يلفت القرآن الكريم النظر ويجذب الفكر نحو بعض النماذج العمرانية السامية، موضحاً مدى غايتها في بناء المباني، وقيام الحضارات، وأنها غاية أخروية قبل أن تكون دنيوية، وغاية تسعى لرضى الخالق، وتسعى إلى الفوز بالجنة، على سبيل المثال - كما مر بنا في مبحث النماذج العمرانية - في بناء سليمان عليه السلام الصرح المشيد بالزجاج والذي كانت الغاية الرئيسية في بناؤه الدعوة إلى الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، والإيمان به ولفت النظر حول نعمه وآلائه وقدراته التي تفوق قدرات البشر؛ حيث بعد ما بنى عليه السلام الصرح العجيب الذي سبق عصره، دعا ملكة سبأ إليه لتنظر فيه داعيها إلى الإيمان بالله تعالى، وأن لا تشرك به شيئاً، لافتاً نظرها حول قدرة الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** في الخلق، ونعمه على الإنسان.

وبالمقابل يذكر لنا القرآن الكريم بعض النماذج التي عاثت في الأرض فساداً، وتكبرت وطغت، واستخدمت نعم الله فيما لا يرضيه، كفرعون الذي بنى صرحاً عالياً وضخماً، وكانت الغاية من بنائه التكبر والفساد والإعراض عن الحق، مبينة ما حل به من عذاب.

والقرآن الكريم عندما يضرب القصص والأمثال، بتنوع الأساليب والأشكال، يترك الإنسان يتعرف على الصواب من الخطأ بعقله وفكره، قال تعالى: ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ بِصَافِرٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴾ [الأنعام: ١٠٤]، وقال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ [الجاثية: ١٥]؛ فكل إنسان مسؤول عن عمله، الصادر نتيجة عقله وفكره، والذي سيجازى عليه؛ فإن كان عمل صالحاً فلنفسه، وسيجني ثمرته في دنياه وآخرته، وإن كان خلاف ذلك؛ فإنها الجزاء من جنس العمل.

ومن خلال التعقل في النماذج العمرانية في القرآن الكريم، والتأمل في نهج الأنبياء عليهم السلام نرى بكل وضوح أن الصورة الواقعية لبناء المجتمعات وتقدمها الحضاري إنما يتمحور حول إعمار الأرض بالخيرات والعمل الصالح، والمحافظة على تلك الثمرات، أو المقومات بالعمل على تطويرها واستغلالها جيداً، ودفع الضرر والمفسدة من الأرض، وسد المداخل التي تؤدي إلى إهلاكها

ودمارها. وتحصين أفراد المجتمع بمكارم الأخلاق التي تمثل العمود الفقري لبناء كل حضارة، وال عمران في القرآن الكريم يعني الاستقرار، وهو ليس مجرد شكل مادي من أشكال الحضارة والاجتماع البشري مفصلاً عن غائته وحركيته القاصدة، وإلا تحول العمران إلى خراب وطغيان وتلبس بما يقابله في اللفظ القرآني من فساد، وقتل، وهدم، وخراب، وتدمير، وخواء؛ وحينها لا يبقى من العمران إلا اسمه^(١)

ولا يمكن للإنسان أن ينهض بنفسه وبمجتمعه، إلا إذا كان الإنسان على قدر كاف من العلم بنفسه وقيمتها، وكيفية تزويدها بمكارم الأخلاق وتحصينها بالتقوى والعمل الصالح؛ ومن خلال ذلك يستطيع أن يوافق بينه وبين غيره من الناس، وبين بيئته ومجتمعه والكون أجمع؛ فمنهجية عقل الإنسان وفكره هي الأداة التي يتم من خلالها حماية الإنسان ومجتمعه، بل ويتم من خلالها أيضاً حماية الدين والشريعة الإسلامية، وهي السبيل نحو إصلاح المجتمع وإعماره، قال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٤٧]؛ تبين الآية الكريمة سبب اصطفاء طالوت والمتمثل في العلم، والشجاعة، وقوة الجسم، وهذا بشأنه تتحقق التنمية، ويزدهر العمران.

يتضح مما سبق أن من أهم خصائص الإنسان امتلاكه العقل الذي يستطيع من خلاله معرفة نفسه ومعرفة جميع ما حوله، وبه يستطيع التفكير في الآيات القرآنية الكريمة التي تدعو إلى شمولية التفكير، وتساعد على تنشيط أسلوب المقارنة، والنقد، وتعالج الفكرة، والتي يستطيع من خلالها التمييز بين الحق والباطل، وبين الصواب والخطأ؛ فبعد التحصن بمقومات التقدم العمراني، التي تكمن في الإيمان بالله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، وتقواه، أي: التحصن بالعقيدة الدينية، وما يندرج تحتها من أحكام شرعية، وقيم أخلاقية تضبط أحوال العباد، وأحوال مجتمعاتهم، قد يملك ذلك الإنسان الذي وهبه خالقه نعمة العقل القدرة على القيام بدوره خليفة الله سبحانه في الأرض، والتي تمثل العلاقة الاتصالية التي تربط الخالق بال مخلوق، وتقوم على العقل والفكر والمعرفة.

(١) البطيوي، سنن العمران، ص ١٢٣، بتصرف.

- ثانياً: المقومات الاقتصادية:

اعتنى المنهج القرآني في الاقتصاد عناية فائقة كونه أحد أهم القضايا التي تساعد على تحقيق مقاصد الشريعة الإسلامية في عمارة الأرض ومن عليها، قال تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: ٦١]، ويتمحور البناء الاقتصادي في القرآن الكريم حول قضيتي التسخير والاستخلاف، فالتسخير بما فيه التمكين وتسخير المكونات والموارد الطبيعية لخدمة الإنسان، ولا سيما الإنسان الصالح الذي يقدر ما أنعم الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** عليه، ويستخدم تلك النعم كما أمر الله جل في علاه في محكم كتابه، ويعمل على تطويرها وفق إمكانياته مما يعزز مكانته ويرفع مكانة مجتمعه الذي يعيش فيه.

ويؤكد المنهج القرآني أن الإنسان محور التنمية الاقتصادية، والمحرك الفعال لبناء المجتمع وتطوره، وهو مصدر تحقيق الأمان البيئي الذي يواجهه المتغيرات المختلفة؛ فينبغي على الإنسان التخطيط المستمر وعدم الإغفال عن هذا الجانب أبداً من أجل تحقيق التقدم الاقتصادي وكذلك الاجتماعي، وتحسين نمط الحياة من الناحية المادية والمعنوية من حالٍ إلى أحسن حال؛ وذلك عن طريق العديد من الأمور التي من أهمها: استخدام الموارد المادية والطبيعية وتوظيفها واستثمارها، ووضع استراتيجيات وخطط بديلة في حال وجود أي اعتراضات أو عوائق تعيق استكمال المسير، وأن يضع الإنسان مهمة الخلافة في الأرض نصب عينيه؛ فيحاول جاهداً العمل في تطوير أساليب الاستثمار، والانتفاع بالإمكانيات والمهارات، والمحافظة على الجهود السابقة التي بذلت من أجل جمع الثروات حتى وصلت لهذا الجيل الذي نعيشه؛ فيجب علينا نحن أيضاً أن نهيئ للأجيال القادمة ما هياً لنا من المستخلفين في الأرض من قبلنا!

وأن يسعى وي بذل جهده ويعمل ويثابر ويكافح ويطور مهاراته وقدراته العقلية؛ بحيث يستطيع من خلالها اكتشاف الموارد الطبيعية واستثمارها؛ وذلك من أجل كسب الرزق الحلال، وإنتاج الطيبات، يقول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير، أو إنسان، أو بهيمة إلا كان له بعد صدقة^(١)»؛ نلتمس من هذا الحديث الشريف الترغيب في الإنتاج الطيب العائد بالخير إلى الغير، وبيان الأجر والثواب الحاصل من هذا الإنتاج الذي يعتبر جزء لا يتجزأ من العبادة.

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المزارعة، باب فضل الزرع والغرس، ج ٤، ص ٥، رقم (٢١٩٥). ومسلم في صحيحه، كتاب المساقاة، باب فضل الغرس والزرع، ج ١٠، ص ١٦٦، رقم (٣٠٠٣).

ولقد استوعبت الشمولية في القرآن جميع الأمور فأقرت للفرد الخلافة، وأمرته بالعمارة، وفرضت الولاية، وحاربت الفساد؛ فخلقت ترابطاً شاملاً بين الفرد والمجتمع ونظمت العلاقة ما بين الاثنين تحت إشراف الحاكم؛ فالكل يسعى إلى طاعة الخالق ويوفي حاجاته دون إلحاق الضرر بالآخرين، والحاكم الجيد الذي يوفر كفاية الناس وينهض بعمران الأمة^(١)

هذا ويستهدف القرآن الكريم إيجاد دولة تتخذ منهجية القرآن الكريم، وتقوم بوضع سياسي تضمن فيه مسارها الاقتصادي من خلال المحافظة على الموارد والثروات السابقة، والاستفادة من الموارد الطبيعية، والإعداد والتخطيط المسبق، واستغلال الطاقات والإمكانات البشرية وغيرها. وتحقيق مبدأ العدل والتكافل والتكامل، وتطبيق الشريعة الإسلامية من تعاون ومؤاخاة، ودعوة إلى عدم التمايز الطبقي، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُ﴾ [الحجرات: ١٣]، والعديد من مكارم الأخلاق الأخرى التي تؤثر إيجاباً على اقتصاد الدول.

واعتنى المنهج القرآني في بناء الإنسان وتنميته ابتداءً من محتواه الداخلي وحتى عالمه الخارجي، كما وجه الإنسان إلى نظام اقتصادي دقيق يؤدي إلى تحقيق الأمن والسلام الداخلي والخارجي، ويقضي على جميع أنواع الاستغلال، ويبرز العلاقة بين الاقتصاد وقضيتي التسخير والاستخلاف.

ويحدد القرآن الكريم أهم عوامل التمكين في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١]؛ حيث جاء في الآية الكريمة ما يصون النفس البشرية ويقويها (الصلاة)، وما يطهر المالية (الزكاة)، وما يحفظ الأنظمة الحياتية (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) خاتمة الآية الكريمة بأن كل هذه العوامل ترجع عاقبتها إلى خالق كل شيء ومليكه الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

كما يحدد القرآن الكريم منهجية الإدارة المالية المثالية التي تضمن للإنسان خيري الدنيا والآخرة، ويدعو إلى اقتصاد عادل متوازن تُستخدم من خلاله المواد والموارد استخداماً مثالياً، ويصل استخدامها إلى الأجيال القادمة بالمحافظة عليها واستثمارها وتطويرها وزيادتها.

(١) العاني، أسامة عبد المجيد، المنظور الإسلامي للتنمية البشرية، ص ٣٢، بتصرف يسير.

وجاءت العديد من الآيات القرآنية الكريمة التي تحدد ملامح الرشد في المجال الاقتصادي، من خلال الدعوة إلى التوسط في الإنفاق، قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٩]، أي: "الاقتصاد والتوسط بين الإفراط والتفريط وذلك هو الجود الممدوح فخير الأمور أوسطها"^(١)، كما قال تعالى في التأكيد على الاعتدال في الإنفاق: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧].

هذا وجاء النهي عن التبذير والإسراف الذي يهدر الأموال في العديد من الآيات القرآنية الكريمة، قال تعالى: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنعام: ١٤١]؛ مشيراً بذلك إلى التوسط في الإنفاق، والتوازن والاتساق، لصيانة الأرزاق.

كما حذر القرآن الكريم من اكتناز الأموال، مؤكداً وجوب استغلالها، واستثمارها؛ فتكون بذلك الأداة الفعالة للإنتاج النافع، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ٣٤].

كما جاء معنى التنمية في القرآن الكريم بما يقابل معاني العمارة والتعمير ويركن إليه؛ حيث يعتبر الاقتصاد أداة هذه العمارة التي هي من أهم مقاصد وجود الإنسان، والتي تشمل تطوير الموارد الطبيعية والبشرية، قال تعالى: ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾ [هود: ٦١]؛ يقول السعدي في تفسيره للآية الكريمة: "أي خلقكم واستخلفكم فيها وأنعم عليكم من النعم التي لا تحصى؛ لتوظفوها لما يخدم أنفسكم ومجتمعكم الذي تعيشونه، ولتبنوا وتغرسوا، وتنتفعوا بمنافعها، وتستغلوا مصالحها"^(٢)، وهذه دعوة إلى الإنسان أن يحقق ذاته من خلال توظيف الموارد المستخرجة له، بأن يعمل، ويكد لخدمة دينه وموطنه الذي له الفضل عليه؛ مما قد يساعد على تحقيق المزيد من الدخل، وبالتالي ينعكس ذلك إيجاباً على اقتصاد الدولة.

(١) الألوسي، روح المعاني، ج ٨، ص ٦٣.

(٢) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ج ١، ص ٣٨٤.

هذا ويتميز ديننا الإسلامي الحنيف بالأساس العادل في توزيع الثروات أثناء الشراكة، أو المشاركة بين الطرفين فلا يأخذ من مال أحد على حساب أحد، بل تكون شراكة في الربح والخسارة معاً، فلا ضرر ولا ضرار، قال تعالى: ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجِكَ إِلَىٰ نَعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۝﴾ [ص: ٢٤]؛ وجاء في تفسير الآية الكريمة: "قال داود: لقد ظلمك أخوك بسؤاله ضم نعجتك إلى نعاجه، وإن كثيراً من الشركاء ليعتدي بعضهم على بعض، ويظلمه بأخذ حقه وعدم إنصافه من نفسه إلا المؤمنين الصالحين، فلا يبغي بعضهم على بعض، وهم قليل^(١)؛ فالالاقتصاد الإسلامي يهدف إلى تحقيق التوازن بين مصالح الفرد خاصة، ومصالح المجتمع عامة.

المبحث الثاني: عوائق العمران والعمارة في القرآن الكريم.

تعتبر العوائق المعنوية عن الأمور التي لا تُدرك بل يُحس ويُشعر بها؛ فهي تلك الأشياء الغير ملموسة. وأما العوائق المادية فهي التي تكون محسوسة وظاهرة يمكن ملاحظتها، وقياس شكلها، وعلى هذا الأساس تم تقسيم هذا المبحث إلى مطلبين، الأول يوضح العوائق المعنوية، والثاني يوضح العوائق المادية، ولا نغفل في هذا السياق أن: "حضارة الإسلام وما تتميز به من التوفيق بين متطلبات الروح والجسد وما تقيمه من انسجام بين العقل والنفس، وتوازن بين الماديات والمعنويات، أنها بذلك تضع المنهج الصحيح لقيادة الشعوب المتدينة في توازن متكامل في جانبي الحياة الروحية والمادية، وذلك لتحقيق الغاية التي تنشدها الإنسانية والمتمثلة في السعادة والسلام والأمن الإنساني في أرجاء العالم ونواحيه المختلفة^(٢)، ويهدف هذا المبحث لبيان أهم العوائق التي تقف أمام العمران والعمارة بمحاولة لتفادي الوقوع فيها.

(١) نخبة من أساتذة التفسير، التفسير الميسر، ج ١، ص ٤٥٤.

(٢) القاضي، نصر الدين مصباح، منهج الإسلام في مواجهة التحديات الحضارية المعاصرة، ص ١٥٢.

المطلب الأول: عوائق معنوية.

يعتبر الإيمان الأساس الذي يبنى عليه تحصين الوجدان، فهو الذي يدفع إلى ارتباط الإنسان بخالقه، وهذا لا شك يؤدي إلى التحلي بالفضائل والابتعاد عن الرذائل، ويدفع إلى الخير والجد والاجتهاد نحو ما يحقق أمن وأمان النفس، واتجاهها نحو عمران الذات والمجتمع، وهناك أسباب أدت إلى عدم فاعلية الأمة في وقتها الراهن للقيام بدورها الحضاري أهمها ضعف العاطفة الإيمانية العقلية بالدور الحضاري للأمة الإسلامية، بالإضافة إلى عدم اعتبار مصادر الإسلام الصحيحة مرجعا أولياً لأخذ القوانين والنظم التي تقود الفرد والجماعة^(١).

فبالإيمان يستطيع الإنسان تحديد وجهته، ومعرفة غايته، وغاية وجوده على الأرض، أما بالكفر، وضعف الإيمان، والوازع الديني قد لا يصل الإنسان إلا للطريق الذي يؤدي إلى الخراب والدمار، يقول تعالى: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارٍ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [التوبة: ١٠٩]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء: ١٦]، وفي الآية الكريمة سنة من سنن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ** في التعامل مع القوم الفاسقين، الذين يخرجون عن طاعة خالقهم **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ**، ويعيشون في الأرض فساداً؛ فالعمران القائم على الكفر، والشرك، والفسوق والعصيان، وليس قائماً على دين الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ**، ومنهجية القرآن الكريم إنما هو عمران زائل أو مؤقت؛ عمران لا يؤتمن أبداً ولا يطمئن له؛ لأن قوامه نابع من شيء لا أساس له، بل لا يطلق عليه عمران ألبتة، لأن مصيره الخراب والدمار، قال ابن مسعود رضي الله عنه: «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ مَأْدِبَةُ اللَّهِ، فَمَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَتَعَلَّمَ مِنْهُ شَيْئًا فَلْيَفْعَلْ، فَإِنَّ أَصْفَرَ الْبُيُوتِ مِنَ الْخَيْرِ الْبَيْتُ الَّذِي لَيْسَ فِيهِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَىٰ شَيْءٌ، وَإِنَّ الْبَيْتَ الَّذِي لَيْسَ فِيهِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَىٰ شَيْءٌ خَرِبَ كَخَرَابِ الْبَيْتِ الَّذِي لَا عَامِرَ لَهُ^(٢)»؛ وفي هذا لبيان واضح حول دور القرآن الكريم في حفظ البيت من الخراب والهلاك.

(١) نخبة من الباحثين الكتاب، الدور الحضاري للأمة المسلمة في عالم الغد، ص ٧١٦-٧١٧، بتصرف يسير.

(٢) عبدالرزاق، عبدالرزاق بن همام بن نافع الحميري اليان الصنعاني، المصنف، ج ٣، ص ٣٦٨، رقم (٥٩٩٨).

ويكفيها من الأمثال والقصص تلك التي يقصها علينا القرآن الكريم، والمتمثلة في قصص الأقسام السابقة، التي كذبت برسل الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، وتمادت بالكفر والطغيان والفساد في الأرض، ولم تقابل نعم الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** بالشكر والإيمان، وتمكنوا من إقامة عمارة يضرب بها المثل مغترين بما وهبهم الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** من قدرات وإمكانات مكنتهم من بناء المباني الشاهقة، والتمتع بالخيرات والموارد الطبيعية، ولكن لم يكن تأسيس بنائهم على تقوى الله وخشيته، فطغوا وعاثوا في الأرض فساداً؛ مما أدى إلى هلاكهم، وتدمير مبانيهم التي كانوا يظنون أنها ستبقى خالدة مدى الدهر، ولن تصاب بأذى، قال تعالى: ﴿ **وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ** ﴾ [النحل: ١١٢].

فلو انحرفت العقيدة عن مسارها الصحيح، وفسدت الأخلاق، وفسدت معها الأعمال، يصبح المجتمع مجتمعاً مادياً أنانياً بطبعه، يشوبه الفتن والنزاعات، مجتمع يهتم بالعمارة بشكلها المادي، ويغفل عن الجانب الإنساني بقيمه الروحية والمعنوية التي تصلح العمران، وتصلح معه العمارة، وتنهض بتقدمه الحضارة؛ فعمارة تهتم بالمكان وتغفل دور الإنسان عمارة لا طعم لها، ولا بقاء يضمن استمرارها.

ومن أهم العوائق المعنوية التي تقف عائقاً أمام العمران، وما ينتج عنه من آثار مادية جسيمة تقع على الفرد ومجتمعه هو عائق الفساد والسعي في الأرض لخرابها؛ وذلك لما يندرج تحت الفساد من أمور عديدة، ومن تلك الأمور التي تندرج تحت مظلة الفساد ونص عليها القرآن الكريم: "الغبن، والتدليس، والغش، والسرقة في البيع، وعدم الصدق في العقود، وغياب الأمانة عن الأسواق، إضافة إلى الجشع، والظلم، والاعتداء، وفقدان الأمن، وعدم الثقة بين أفراد المجتمع؛ مما يؤدي إلى زعزعة المجتمع وتهديد أمنه واستقراره^(١).

ولهذا جاءت المنهجية القرآنية تحرم الفساد، وتمنع ارتكابه من خلال عدة آليات، كالضرب على أيدي المفسدين في نصوص صريحة، منها قوله تعالى: ﴿ **فَلَمَّا أَفْقَوْا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَابِقُكُمُ** ^ط **إِنَّ اللَّهَ لَا يَصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ** ﴾ [يونس: ٨١]؛ حيث تبين الآية الكريمة أن المفسدين

(١) كالم، فلسفة العمران الحضاري من منظور قرآني، ص ٧.

مهما أوتوا من قوة أو علم، إلا أن مآل أعمالهم البطلان والفشل وسوء العاقبة والمنقلب. هذا ونص القرآن الكريم على عقوبة من يفسد في الأرض، قال تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ۖ فَظَلَمُوا بِهَا فَأَنْظَرُ كَيْفَ كَانَتْ عِقَابَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ١٠٣]، وقال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۖ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عِقَابُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [النمل: ١٤]؛ وبالتأمل بالنهاذج الفاسدة الذي جاء ذكرها في القرآن الكريم، وبالنظر إلى ما حل بهم من سوء عاقبة؛ يدرك الإنسان أن الفساد خطر يهدد المجتمعات، وعائق يقف أمام النهضة والعمران.

كما جاءت العديد من الآيات القرآنية الكريمة التي تؤكد عدم محبة الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ** لمن يفسد، ويسعى لخراب الأرض ودمارها عوضاً عن إصلاحها وإعمارها، ومن تلك الآيات قوله تعالى: ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة: ٦٤]، وقوله تعالى: ﴿وَأَبْتَغَ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۚ وَأَحْسِنَ ۚ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٧٧]؛ ومن خسر محبة الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ** خسر كل ما في الوجود، وخسر دنياه وآخرته.

هذا وجاءت العديد من الآيات القرآنية الكريمة التي تنهى عن الفساد، منها قوله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ۚ وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦]، ومنها قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ ۖ تَتَخَذُونَ مِّنْ سُهُولِهَا قُصُورًا ۚ وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَادْكُرُوا ۚ آيَاتَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ٧٤]، تعيد الآية الكريمة النظر إلى نعم الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ** وآلائه، والتي من أهمها تمكين الإنسان في الأرض وتزويده بالقدرات والإمكانات من أجل القيام بعمارة الأرض، وبناء المساكن والقصور في الجبال والسهول، وذلك للمساهمة في إصلاح الأرض، وازدهار العمارة، لا الفساد في الأرض والسعي في خرابها والذي جاء النهي عنه في ختام الآية الكريمة.

ولما كان من معاني الفساد في القرآن الكريم الخروج عن دائرة العدل والاعتدال، جاءت المنهجية القرآنية لتأمر بالوفاء وإعطاء كل ذي حق حقه دون إجحاف حق أحد، أو الاحتيال من أجل أكل أموال الناس بالباطل، وهذا كله يصنف تحت دائرة الفساد المنهي عنه في القرآن الكريم، يؤكد ذلك

قوله تعالى: ﴿وَيَقَوْمٌ أَوْفُوا بِالْمِكَالِ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [هود: ٨٥]، أي: "بعد أن أصلحها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بَعِثَهُ الرسل وإقامة العدل^(١)؛ فالعدل، والوفاء، وإعطاء كل ذي حق حقه من مكارم الأخلاق التي تناقض الفساد، ومجتمع المفسدين.

هذا وجاءت العديد من الآيات القرآنية الكريمة التي تؤكد اقتران الطغيان بالفساد، وتبين دور القيادة الفاسدة في تدمير مجتمعاتها وخرابه وزوال حضارتها، ومن تلك الآيات قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۖ (٦) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (٧) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (٨) وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (٩) وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ (١٠) الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ (١١) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (١٢) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (١٣) إِنَّ رَبَّكَ لِبَالْمُرْصَادِ﴾ [الفجر: ٦ - ١٤]؛ يعرض لنا القرآن الكريم في هذه الآيات الكريمة مجموعة من الأنظمة الفاسدة؛ وما نتج عنها من خراب ودمار، "نعم إنه الفساد الذي يدمر المجتمعات ويفقدها أمنها وسعادتها، ولا يمكن للمجتمعات الإنسانية أن تعيش بهناء إلا إذا قامت بالقضاء على بؤر الفساد والظلم التي تمثلها الأنظمة الطاغية أو بناء سد يحول بين ظلمهم وبينها، وهكذا فإن الخلاص من الظلمة هو الطريق إلى سعادة المجتمع وعمرانه واستقراره وازدهاره^(٢)"، ومما أوحى إليه الآيات الكريمة السابقة أن العمران في القرآن الكريم ينبغي أن يكون عمرانا شاملا متكاملا، يتوازن فيه البناء المادي مع البناء المعنوي؛ فالمباني بمختلف أحجامها وخصامتها، وتنوع أشكالها إن لم تكن بنيت على الإيمان بالله وتقواه، ولم تكن مشيدة بالقيم المعنوية، بل كانت قائمة على مساوئ الأخلاق ورذائلها، والفساد والطغيان، والظلم؛ إنها يكون مصيرها الهلاك والدمار، والتدهور والانحلال؛ وهذا لا شك يؤدي إلى تشكل صورة فنية تتلاحم فيها الروح بالمادة، والذي يطلق عليه في القرآن الكريم بالعمران، قال تعالى: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾ [هود: ٦١]؛ فلما كان من غايات استخلاف الإنسان في الأرض إعمارها، دعا المنهج القرآني إلى السعي في الأرض والإصلاح.

(١) القنوجي، فتح البيان في مقاصد القرآن، ج ٤، ص ٤٠٦.

(٢) كالو، فلسفة العمران الحضاري من منظور قرآني، ص ٨.

كما جاءت المقابلة في النهي عن ما يضاد الإصلاح، ويعيق الإعمار والذي يترأسه الفساد في الأرض، والذي يأتي بسبب مخالفة منهج الله تعالى في الاستخلاف والإعمار على سطح الأرض، وهذا في جوهره يأتي بسبب اختلال منظومة القيم المحركة للنشاط الإنساني، أو الضابطة له؛ حيث ظهرت النزعات المادية التي تعكس الجشع والطمع الكبير باسم تحقيق أقصى درجات النفع والربح، حتى وإن كان الثمن اختلال نظام الحياة بعمامة وفسادها، ولا يعود الحال إلى النظام والتوازن إلا بالعودة إلى منظومة القيم، التي جاء بها الوحي لرسم ملامح حياة إيجابية فاعلة على الأرض^(١)

ومن عوائق العمران المعنوية الظلم؛ حيث "يؤكد ابن خلدون أن الظلم يؤثر في بنية المجتمع وتماسكه، ويفضي إلى تدمير نسيجه؛ لأن الظلم مؤذن بخراب العمران المفضي لفساد النوع"^(٢)؛ ولذلك جاءت العديد من الآيات القرآنية الكريمة التي تنهى عن الظلم من خلال العديد من الأمور، منها ما يؤكد عدم نيل الظالمين هداية الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، قال تعالى: **﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾** [البقرة: ٢٥٨]، ومنها ما يؤكد عدم محبة الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** للظالمين، ومن خسر محبة الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** خسر كل ما في الحياة، قال تعالى: **﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾** [آل عمران: ٥٧]، ومنها ما يبين استحقاق لعنة الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** على الظالمين، قال تعالى: **﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾** [الأعراف: ٤٤]، ومنها ما يؤكد العقوبة والعذاب الذي سيحل على الظالمين في الدنيا والآخرة، بالإضافة إلى بيان آثار الظلم على الفرد ومجتمعه وكيف يهدم حضارات ويهلك أمماً بأكملها، قال تعالى: **﴿فَقُطِعَ دَائِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾** [الأنعام: ٤٥]، وقال تعالى: **﴿وَمَا أَوْفَوْهُمُ النَّارَ وَيُسَّ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾** [آل عمران: ١٥١]، وقال تعالى: **﴿إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾** [إبراهيم: ٢٢]، وقال تعالى: **﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فأنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾** [القصاص: ٤٠].

(١) نوري، القيم الحضارية في الخطاب القرآني سورة العنكبوت أنموذجاً، ص ١٤٨، بتصرف يسير.

(٢) عبد الشافي، عصام، الثورة والبناء الحضاري عند ابن خلدون، ص ١١.

هذا ويطلق الظلم على الشرك، ويؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَنُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَبْنَىٰ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]، يقول ابن عاشور: "فالذين ظلموا يشمل جميع الذين أشركوا مع الله غيره في الإلهية، وهذا إطلاق الظلم غالباً في القرآن الكريم^(١). كما يوضح المنهج القرآني أفعال الظالمين وصفاتهم، التي ينبغي على المتأمل في الآيات القرآنية الكريمة تفادي الوقوع فيها؛ ليساهم بدوره في تنمية المجتمع وازدهار الحضارة، لا إلى خرابها، وتدني مستواها، ومن تلك الصفات ما جاء في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ عَثَرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّ إِثْمًا فَاخْرَجَ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوَّلِينَ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهِدُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهِدَتَيْهِمَا وَمَا أَعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ١٠٧]، توضح الآية الكريمة صفة من صفات الظالمين، وهي مؤثرة الباطل على الحق، والحلف بالباطل.

وقد تكررت إشارة القرآن الكريم إلى صفات الظالمين في العديد من الآيات الأخرى؛ فمنها: الجحود، والإعراض عن آيات الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، قال تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَاعَتِ اللَّهُ بِجَحْدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣]، ومن صفاتهم طرد أهل الدين والعبادة، وعدم مجالستهم، قال تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٢].

ومن صفات الظالمين أيضاً من يدع من دون الله جل في علاه، ما لا ينفع ولا يضر، ويهلك ويندثر، قال تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٦]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٨٨].

يتضح مما سبق محاربة الإسلام الظلم، وأكل أموال الناس بالباطل، بكافة أنواعه، لأن الظلم عنوان الأنانية، وثغرة الخطر إلى الأمة، ومن ذلك: أنه حرم وحارب وقاوم الغش، والاحتكار،

(١) ابن عاشور، التحرير والتوير، ج ٢٥، ص ٢٥٠.

والميسر والقمار، والسرقه والغلول، والغصب والهلب، والرشوة والخيانة، والربا والاحتيال، وكل هذا تنحية لعوامل الهدم الذي يعتبر في اللفظ القرآني نقيض العمران^(١)

فمن أهم العوائق التي تقف عائقاً أمام الحضارة وازدهار عمرانها مساوئ الأخلاق، فإذا فسدت الأخلاق فسد معها كل شيء؛ حيث تعتبر مسألة الأخلاق مسألة أصيلة، تتصل بجميع الأحكام الشرعية وهي التي تضعها في دائرة السلوك الديني والعبادي، وتدفع الإنسان نحو حب الخير والعمل الصالح، والسعي لتحقيق الغاية الاستخلافية.

والقرآن الكريم في نهجه البنائي يحث الإنسان على السعي في سبيل الله هادفاً إلى تحقيق حياة مستقيمة مليئة بالخير والسعادة، ويقرر أن بناء الأمم وتقدم أفرادها وازدهار حضارتها مرتبط بالأخلاق، وانهدام الأمم وتقعاس أفرادها وتدهور حضارتها مرتبط كذلك بالأخلاق، يبرهن على صحة ذلك "التجارب الإنسانية، والأحداث التاريخية، أن ارتقاء القوى المعنوية للأمم والشعوب ملازم لارتقاءها في سلم الأخلاق الفاضلة، ومتناسب معه^(٢)؛ فالأخلاق التي تعتبر القوام الذي يركز عليه الجانب المعنوي في العمران إن كانت صالحة صلح معها العمران، وإن كانت فاسدة فسد معها العمران.

ولذلك جاءت المنهجية القرآنية لتوضح للإنسان الأخلاق الفاضلة التي ينبغي أن يكون عليها ويحافظ عليها، ويتمسك بها، وفي الوقت ذاته تبين مساوئ الأخلاق، التي ينبغي على الإنسان أن يتبعد عنها، ويتجنب الوقوع فيها؛ حتى يظفر بحياة طيبة يسودها الأمن والأمان، وتتميز بقوة البناء والعمران.

فعلى سبيل المثال يدعو القرآن الكريم إلى التعاون، وأن يكون المسلم للمسلم كالبنیان المشدود؛ فإنما المسلمون جميعهم إخوة ينبغي أن تربطهم أواصر المحبة، ليعم السلام بين جميع أفراد الأمة الإسلامية، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوِيكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ١٠]؛ حيث تحث الآية الكريمة المسلمين على التعاون والوحدة، لا الأنانية

(١) حمادة، فاروق، بناء الإنسان والمجتمع، ص ٥٣ بتصرف يسير.

(٢) حبنكة، عبدالرحمن حسن، الأخلاق الإسلامية وأسسها، ج ١، ص ٣٤.

والفرقة التي باتت تهدد الحضارة الإنسانية، وتأذن للمجتمعات بالزوال؛ "فإن أعظم الأخطار التي تعرض للمجتمع بعد الإيمان والأخلاق، هو خطر الانحلال الاجتماعي وتقطيع أواصره وتضامنه وتربطه، وأول تقطيع لهذه الأواصر والعرى يكون بتضخيم الذات الأنانية على حساب المجتمع، فيدور الإنسان حول نفسه ولا يتوجه لغيره، فإذا استحكمت الأنانية والفردية في مجتمع ما فقد آذن بالزوال، ولهذا كان تمام الإيمان أن يحب المرء لغيره ما يحب لنفسه^(١)، وبالتأمل في مجتمعاتنا وبمحاولة استقراء ومتابعة أخطر الظواهر المرضية المسببة للتخلف الحضاري، نجدها تلخص في: هبوط الوعي الاجتماعي، وعدم استقرار الشخصية، والنفاق، وضعف الشعور بالمسؤولية، والنكوص أمام الانبهار بالجانب المادي، واليأس من التغيير والإصلاح^(٢) وغيرها من رذائل الأخلاق، -ولن نقف هنا كثيراً حول الجانب الأخلاقي؛ حيث تم التطرق إليه بشيء من التفصيل في المبحث السابق-.

هذا ويؤدي عدم تقدير المسؤولية إلى اضمحلال المهمة في العمل وممارسة عملية الاستخلاف في الأرض على الوجه المطلوب، فيتجه الإنسان نحو الاتكالية واللامبالاة، ويعتمد على الغير في جميع الأمور، ويصبح الإنسان فاقداً للأهلية التي تؤهله نحو عمارة الأرض، قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة: ٣٦]؛ فتدعو المنهجية القرآنية إلى ضرورة محاسبة النفس، وتركيتها، وتسليحها بالعقيدة السليمة والشريعة الإسلامية، وضبطها بالواجبات والحقوق التي تصلحها، قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۖ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۚ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ [الشمس: ٧-٩]؛ قد أفلح من زكى نفسه وصانها بكمكارم الأخلاق، واتجه نحو الإصلاح في الأرض، وبذل جهده في تنمية مجتمعه، وبناء حضارته؛ باحثاً عن رضا خالقه، وتطبيقاً للشريعة الإسلامية، وتحقيقاً لمقاصدها.

كما يعتبر الجهل، وتدني مستوى الجانب الفكري من أبرز العوائق التي تهدد العمران والعمارة، وتقف حاجزاً أمام التنمية والنهضة والتقدم والازدهار؛ فتراجع العقل عن الإنتاج الحضاري، والفكر العمراني، ووقوفه عاجزاً أمام ما يتعرض له من تحديات تفرضها ثقافات مختلفة؛ لا شك

(١) حمادة، بناء الإنسان والمجتمع، ص ٥٣.

(٢) بوسلهام، العربي، إشكالية التقدم والتخلف الحضاري، دراسة مقارنة بين التصور الإسلامي وآراء الغربيين، ج ٢، ص ٢٣١-٢٣٢، بتصرف يسير.

يؤدي إلى اختلال منظومة الحضارة، وتدهور عمرانها؛ ولذلك دعت المنهجية القرآنية إلى ضرورة اكتساب العلوم والمعارف التي يتحصن بها الإنسان، ونبذ الجهل وما يندرج تحت مظلته؛ هادفاً بذلك بناء عقلية متوازنة؛ تؤدي إلى حياة متوازنة.

فالقرآن الكريم يدعو إلى احترام العقل، وإعماله من خلال العديد من الأساليب والأشكال المختلفة، كالدعوة إلى التفكير في خلق الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** في الكون، والتأمل في نعم الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** التي لا تعد ولا تحصى، والسعي نحو الاستزادة بالعلوم والمعارف التي تؤدي إلى رقي الفكر، واكتشاف قوانين الكون ونواميسه التي تحكمه، وإدراك وحدانية الخالق **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** الذي تفرد بشؤون كل ما في الحياة، والتأمل في صفاته، وهذا كله كفيل بارتقاء فكر الإنسان، وبحثه بكل ما أوتي من قوة عن العلوم، والاتجاه بفكره نحو الإبداع والتقدم والتطور الذي تحتاج إليه كل حضارة، وتختلف الجانب الفكري وغياب المنهج النقدي قد يتأثر المجتمع وتتدنى من خلاله جميع المستويات التي تشكل من خلالها الحضارة، فبالعلم تنهض الأمم، وبالجهل تتدهور وتتعرش، ويتدنى معها كل شيء.

يقول تعالى في كتابه الكريم: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩]؛ تؤكد الآية الكريمة التفاوت بين درجات من يعلم ومن لا يعلم، "وهو تحريك لطالب العلم، وتوبيخ على الرضا بالجهل^(١). وقال تعالى: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٥٩]، فالذين لا يعلمون لا يملكون البصيرة التي يتأملون من خلالها نعم الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** عليهم، ويستغلونها في خدمة عمرانهم؛ فهم أصحاب قلوب مطموسة، وأبصار معمية، خالقهم أدرى بهم وبما يجول في خفاياهم؛ فلذلك استحقوا أن يطبع الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** على قلوبهم.

كما جاءت العديد من الآيات القرآنية الكريمة التي تنهى عن الجهل، وتأمّر بالإعراض عنه وعن أهله، منها قوله تعالى: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٥]، ومنها قوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، ومنها قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَعْطُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [هود: ٤٦]، ومن خلال التأمل في الآيات السابقة يتضح أن "الإسلام منهج حياة يكفل للعقل البشري الضمانات التي تقيه عيوب تركيبه الذاتي، وعيوب الضغوط التي تقع عليه من

(١) القنوجي، فتح البيان في مقاصد القرآن، ج ٣، ص ٢١٠.

الأهواء والشهوات والنزعات، ثم يقيم له الأسس، ويضع له القواعد، التي تكفل استقامته في انطلاقه للعلم والمعرفة والتجربة كما تكفل له استقامة الحياة الواقعية التي يعيش في ظلها وفق شريعة الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** (١).

هذا ووضحت المنهجية القرآنية صفات الجاهلين: فمنها الاستهزاء والسخرية، والاستصغار بعقول الآخرين، والكذب، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَنْتَ خَدُّنَا هُزُؤًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [البقرة: ٦٧]، ومنها الاعتقاد الخاطيء، والمخالف لحقيقة الأمر، قال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَاقًا﴾ [البقرة: ٢٧٣]، ومنها ارتكاب الآثام، ومآثرة لذة دنيوية زائلة مقابل لذائذ أخروية دائمة، قال تعالى: ﴿وَالَا تَصْرِفْ عَنَّا كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [يوسف: ٣٣].

المطلب الثاني: عوائق مادية.

قبل الخوض في عوائق العمران المادية، ينبغي الإشارة هنا بتقدم الجوانب المعنوية بما فيها النفسية، والفكرية، على الجوانب المادية بما فيها من موارد، وإمكانات من ناحية الأهمية في مجال العمران والعمارة؛ وذلك لما تقدمه النفس، والروح، ولما يقدمه العقل، والفكر، في حركة نمو الإنسان، ونمو المجتمع، وبناء الحضارة، ولما لذلك من أثر يعود على مواكبة المتغيرات، ومواجهة العوائق الحضارية، التي لا يساهم في تصويبها سوى العقل النابع من الفكر المقتبس من المنهج القرآني الحكيم، الذي اعتنى بفكر الإنسان، واهتم بعمران الوجدان، قبل الاهتمام بعمارة البنيان، وأحاط بجميع المجالات الأخلاقية، والاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية، وأشار إلى ضرورة التفكير والإمعان في معايير البناء الفكري والنفسي، والنظر في خبرات الأمم السابقة التي يقصها القرآن الكريم، ومحاولة تطبيقها والاستفادة منها في ظل الدروس الحياتية المختلفة، والتي يستطيع من خلالها الإنسان مواجهة كل ما يطراً عليه من متغيرات، وتحديات حضارية؛ "فكثيراً ما تصاب الإنسانية بويلات

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج ٢، ص ١٠٩٨.

جسام نتيجة لسبق حضاري مادي مجرد عن حضارة خلقية ونفسية ذات سلوك فاضل، فيكون هذا السبق المادي وسيلة للطغيان وخراب العمران، والإفساد في الأرض، وحلول الشر المستطير^(١)؛ فبالإخلاق الفاضلة تزدهر الحضارة، وبالعمران الوجدان يتفوق البنيان.

ولا شك أن للحالة النفسية الأثر البالغ في إنتاجية الشخص، ولكي يستطيع الإنسان تأهيل ذاته نحو سلم التنمية والعمران؛ لا بد في البداية من ترويض الأفكار، والكشف عن مكامن الأسرار المتوفرة في مختلف الموارد الطبيعية، ومحاولة الاستفادة منها، وتنمية العقول بالمعارف والعلوم المختلفة؛ التي من شأنها تسهم في تحقيق الذات الإنسانية، وبنائها من الداخل والخارج على السواء. فإن مقاصد القرآن الكريم في البناء الفكري قد تمثلتها الأجيال الأولى من المسلمين فيما يشبه التلقائية بقوة الأثر القرآني في النفوس والعقول، وعلى أساس هذا البناء الفكري، انطلق المسلمون في إقامة العمران المعنوي عموماً، ومعارف، وفنوناً، والعمران المادي، من: صناعة، وزراعة، وعمارة، حتى بلغ العمران درجة من التقدم المشهود. ثم دب الخلل في البناء الفكري، وانعكس ذلك خللاً على العمران؛ إذ العمران هو ثمرة الفكر؛ فحري بالمسلمين اليوم أن يعيدوا النظر في القرآن الكريم من حيث مقاصده في البناء الفكري، سعياً إلى نهضة عمرانية؛ فإن تاريخ الحضارات في نهوضها وسقوطها يشهد بما للفكر من دور محوري في أسباب ذلك^(٢).

وبعد ذكر المقدمة السابقة يمكن الانتقال إلى ذكر أهم العوائق المادية، التي تؤثر على العمران والعمارة بشكل كبير، والتي من أهمها: المشكلات الاقتصادية، بمختلف أنواعها وتنوع أشكالها، سواء كانت تتعلق بالفقر الشديد، أو خلاف ذلك كالثراء الشديد؛ فالفقر قد ينتج بعض السلوكيات الخاطئة، والتدهور الأخلاقي، وشيوع الحقد، والحسد، والانتقام بين أفراد المجتمع؛ مما يتسبب إلى تفكك المجتمع وانقسامه، ويقف عائقاً أمام ازدهاره وعمرانه؛ حيث يعتبر "الفقر من الظواهر التي

(١) الدمشقي، الحضارة الإسلامية أسسها ووسائلها وصور من تطبيقات المسلمين لها، ص ٢٤.

(٢) النجار، مقاصد القرآن في بناء الفكر العمراني، ص ٩٨، بتصرف.

واكبت مسيرة الحضارة البشرية على مر العصور، وشكلت تحدياً صعباً للقيم الإنسانية، والأمان الاجتماعي، والرقي الحضاري^(١).

وكذلك الثراء الفاحش قد يؤدي إلى مساوئ الأخلاق كاستصغار الآخرين، والتكبر والتعالي عليهم، واللهو والانغماس في ملذات الدنيا، والإسراف والتبذير وهذا كله لا شك يؤدي إلى أضرار جسيمة تقع على عاتق الحضارة، وتضعف مستواها، وتؤثر على تقدمها وازدهارها، وتؤدي إلى تراجع أفرادها، وتقاعسهم عن العمل.

ولقد أشار المنهج القرآني إلى المشكلات الاقتصادية وبين آثارها ومساوئها وأضرارها، وحدد مداركها، ونهى عن الامتثال بها، فمثلاً جاءت العديد من الآيات القرآنية الكريمة التي تنهى عن الإسراف والتبذير، وتحذر من الوقوع فيه، وجاء ذلك التحذير والنهي بأشكال مختلفة إما تصريحاً، أو تلويحاً، قال تعالى: ﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١]، وقال تعالى: ﴿وَأَتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا يَبْذُرْ تَبْذِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٦]، تبين الآيات الكريمة النهي بشكل صريح عن الإسراف والتبذير، مؤكداً **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** أنه لا يحب المسرفين.

وأما صيغة التلويح، في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧]، ويقول سيد قطب في تفسير هذه الآية الكريمة: "الإسراف مفسدة للنفس والمال والمجتمع، والتقتير مثله حبس للمال عن انتفاع صاحبه به وانتفاع الجماعة من حوله فالمال أداة اجتماعية لتحقيق خدمات اجتماعية. والإسراف والتقتير يحدثان اختلالاً في المحيط الاجتماعي والمجال الاقتصادي، وحبس الأموال يحدث أزمات ومثله إطلاقها بغير حساب، ذلك فوق فساد القلوب والأخلاق^(٢).

(١) اشتبه، معتصم نمر حسن، الفقر الحضري وأثره على التطور العمراني، ص ٣٥.

(٢) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج ٥، ص ٢٥٧٩.

هذا وأشار المنهج القرآني إلى ظاهرة البطر والترف، وما تؤدي به إلى هلاك المجتمعات، وتدني مستوى الحضارات؛ حيث يعتبر الترف "الأمانة التي تصدر أمارات الاتجاه المادي في المجتمع"^(١)، قال تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا ۝﴾ [الإسراء: ١٦]، وقال تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فَبَلَكَ مَسْكَنُهَا لَمْ تَكُنْ مِنْ بَعْدِهَا إِلَّا قَلِيلًا ۚ وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ [القصص: ٥٨]، تتضمن الآيات السابقة تقريراً لناموس إلهي تتحول من خلاله الحضارة من الازدهار إلى الاندثار؛ حيث تبين مدى تأثير الترف والبطر على الحضارة؛ فالمترفون في كل أمة هم طبقة الكبراء الناعمين الذين يجدون المال، وينعمون بالدعة والراحة والسيادة، حتى تترهل نفوسهم وتأسن، وترتع في الفسق والمجانة، وتستعثر بالقيم والمقدسات، وهم إذا لم يجدوا من يضرب على أيديهم عاثوا في الأرض فساداً، ونشروا الفاحشة في الأمة وأشاعوها، وأرخصوا القيم العليا التي لا تعيش الشعوب إلا بها ولها؛ ومن ثم تتحلل الأمة وتسترخي، وتفقد حيويتها وعناصر قوتها وأسباب بقاءها، فتهلك وتطوى صفحتها^(٢).

كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٢٨١) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ﴾ [البقرة: ٢٧٨ - ٢٧٩]، تحذر الآية الكريمة من الربا وتنهى عنه، وذلك لأضرارها الجسيمة التي تعود على أفراد المجتمع، من خلال التلاعب بالأموال، التي يجب على الإنسان أن يستغلها بالخير، ويحسن التصرف فيها، وإلا عادت تلك الأموال نقمة على صاحبها؛ حيث تؤكد الآية الكريمة لمن لم يقلع عن آفة الربا بالحرب من الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، ورسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، وأي حرب أعظم، وأخطر من هذه الحرب؛ "حرب تواجهها النفس البشرية، حرب رهيبة معروفة المصير، مقررة العاقبة، فأين الإنسان الضعيف الفاني من تلك القوة الجبارة الساحقة الماحقة^(٣)، وكيف لحضارة أن تزدهر، ويتقدم عمرانها، ولا ينكمش اقتصادها، ولا تتدهور أوضاعها؛ إن لم تكن قائمة على أحكام الله جل في علاه، ومحبه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، ومحبة رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**!

(١) البهي، محمد، منهج القرآن في تطوير المجتمع، ص ١٦٨.

(٢) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج ٤، ص ٢٢١٧، بتصرف يسير.

(٣) سيد قطب، المرجع السابق، ج ١، ص ٣٣٠.

هذا ونقض المنهج القرآني اقتصاد الجاهلية القائم على الظلم، والبطش، والغش، والكسب الحرام، وعدم الاستغلال الصحيح للموارد الطبيعية التي أنعمها الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، والفساد في الأرض ابتداءً من الفساد الإداري؛ مروراً بالبيع الفاسدة، وانتهاك حقوق الناس، والربا، والأخلاق الذميمة التي لا شك تؤثر سلباً على اقتصاد الدول وتهدد أمنها واستقرارها.

وحارب المنهج القرآني كل أشكال الاستغلال، وعالج تلك العادات بوضع القواعد التي تنظم سير الحركة الاقتصادية والخلافة العمرانية، والتي من أهمها العدل "الذي يعتبر الركيزة الأساسية للاقتصاد؛ لأن الاقتصاد يعني اختيار البدائل المثالية والعدل في القول أو العمل"^(١)، وغيرها من مقومات العمران، - والتي تم التطرق إليها في المبحث السابق من هذا الفصل -.

وكذلك من أهم عوائق العمران المادية المشكلات السياسية، والتي من أبرزها: الاستبداد وجور السلاطين؛ حيث يكتفم الاستبداد أنفاس العمران، ويسوق الأفراد نحو عدم الإدراك والوعي، وسوء التفكير، ويجعل جميع الأفراد بعقل واحد، وهذا لا شك خطر يهدد المجتمع؛ لما فيه من اضطهاد للحقوق، وإهدار للواجبات، وتعسف، وجشع، وتفكك، وانقسام، ويؤكد على ذلك ما ذكره الكواكبي في كتابه الذي يدور حول الاستبداد بأنه: "أعظم بلاء؛ لأنه وباء دائم بالفتن وجذب مستمر بتعطيل الأعمال، وحريق متواصل بالسلب والغضب، وسيل جارف للعمران، وخوف يقطع القلوب، وظلام يعمي الأبصار، وألم لا يفتر، وصائل لا يرحم، وقصة سوء لا تنتهي"^(٢)؛ كيف لا وهو من أهم الأسباب التي أدت إلى تعطل الحركة الفكرية، ناهيك عن ما ينتج غرار ذلك من تعطل جميع الجوانب الأخرى الاقتصادية، والاجتماعية، والحضارية، وغيرها؛ حيث يهدف الاستبداد بشكل رئيس إلى الجهل، والفساد، والفقر، وكل ما يؤدي إلى تدهور الحضارة ويساعد على انحدارها.

ولعل أقرب مثال مقتبس من القرآن الكريم يوضح أمر الاستبداد ودواعيه، ويبين مساوئه وآثاره، ويحذر منه، ويبرز من خلاله كيفية استبداد الحاكم وتسلبه على قومه هي قصة موسى عليه السلام مع فرعون الملك الطاغية المتكبر والمتعالي، وكيف مارس الاستبداد مع قومه، واستهان بهم،

(١) قعدان، زيدان عبدالفتاح، منهج الاقتصاد في القرآن الكريم، ص ١٩.

(٢) الكواكبي، عبد الرحمن بن أحمد بن مسعود، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، ص ٢٤.

وتسلط عليهم، وكيف كانوا يتبعونه متجهين نحو طريق الفساد، والضعف والهوان الذي أودى بهم، نتيجة سوء فكرهم واعتقادهم، وفسوقهم، واتباعهم لحاكمهم المستبد، قال تعالى: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ، فَاطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَتْسِقِينَ﴾ [الزخرف: ٥٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الفصل: ٤]، توضح الآية الكريمة صور الاستبداد الذي يرمي إلى الفساد، والمتمثلة في التكبر والتعالي على الناس بأقصى مراحلها، وتقسيم المجتمع إلى فئات بطريقة غير عادلة فئة يقتل منها، وفئة يستحيي منها، وفئة يستعبدوها، متصرفاً بالخلق كيفما يشاء، وفي نطاق حكمه، وأمره الطاعني، دون قبول مشورتهم، أو السماح لهم بإبداء آرائهم، والمشاركة في شؤونهم، وكيف لأمة أن تنهض من كبوتها إلا إذا سلكت طريق الشورى، وأعدت تركيبها الإدارية حسب التوجيه الأخلاقي الذي جاء به ديننا الحنيف وسير المسلمين الأوائل، والتحرر من التعصب^(١)

كما يحدد القرآن الكريم في قصة موسى عليه السلام مع فرعون وقومه دعامات الاستبداد التي من أهمها الملك الطاغية، ومن هم تحته من قادة وأولي أمر، وأناس همهم رضا حاكمهم ولو كان يسعى في الأرض فساداً وطغياناً، فيبين القرآن الكريم ذلك الملك المستبد الجبار الذي عاثى في الأرض فساداً وطغياناً واستبداداً؛ مستصغراً من حوله من الناس، وحظي بوزير منافق وهو هامان الذي سار على خطاه دون أن يرشد ملكه، ويصحح مساره، بل عاونه على الشر والفساد والتمادي في الطغيان، وفرض الاستبداد وطبقه على الناس، قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمَنُ ابْنُ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾ [غافر: ٣٦].

وكذلك من دعامات الاستبداد التي وضحها القرآن الكريم رجل الأعمال الذي يوظف إمكانياته وما أنعم الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** عليه من المال والقوة والسلطان في ممارسة الاستبداد، والسعي في خدمة الملك الطاغية المستبد لنيل رضاه، وتحقيق مبتغاه الذي يدور حول الفساد والاستبداد، ولا يوظف تلك النعم فيما يرضي خالقه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** الذي وهبه تلك النعم، وهو القادر وحده على سلبها في أي وقت شاء وكيفما يشاء، قال تعالى: ﴿إِنَّ قُرُونًا كَانَتْ مِن قَوْمِ مُوسَى فَبَعَثْنَا عَلَيْهِمْ

(١) نخبة من الباحثين الكتاب، الدور الحضاري للأمة المسلمة، ص ٥٥، بتصرف.

وَأَيْنَنَّهُ مِنَ الْكُؤُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ
الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ [القصص: ٧٦].

فلاستبداد يهدف إلى ممارسة الدكتاتورية بعيداً عن الديمقراطية، ويسعى إلى قهر الشعوب وإخضاعها بالقوة والتسلط والسيطرة، وانتشار الظلم وغياب العدل والإنصاف؛ "فالشعوب التي تنشأ في مهد الاستبداد، وتساس بالظلم والاضطهاد، تفسد أخلاقها، وتذل نفوسها، ويذهب بأسها، وتضرب عليها الذلة والمسكنة، وتألف الخضوع، وتأنس بالمهانة والخنوع، وإذا طال عليها أمد الظلم تصير هذه الأخلاق موروثاً ومكتسبة حتى تكون كالغرائز الفطرية، والطبائع الخلقية^(١). وكذلك من أهم العوائق المادية ذات الآثار الجسيمة على الإنسان والعمران والعمارة الحروب والنزاعات وسفك الدماء؛ "فإذا كان الأمن من شأنه أن تزدهر معه الحياة بكل أبعادها، فإن الاعتداء على النفس الإنسانية وسفك الدماء هو اعتداء على القائم بالتعمير، وقطع للطريق نحو البناء المراد إنجازه على هذه الأرض^(٢). هذا "وتعرض العالم الإسلامي لصراعات مريعة وأحداث دموية، راح ضحيتها نخبة من فلذات كبده، فأنهكت قواه واستنزفت خيراته، وأصابته في بعض أجزائه بشلل، وعرضته لتدخل أجنبي في شؤونه الداخلية، وأعاقت تنميته، بمفهومها العام، وساهمت كثيراً في تهميش دوره الحضاري^(٣).

ومن خلال التأمل في آيات الذكر الحكيم التي تدور حول القتال نرى جميعها ترمي إلى مفاد معين، وتتجه نحو اتجاه واحد، وهو القتال من أجل الدفاع عن الدين والنفس، وذلك لمن بدأ بالعدوان واعتدى، وتنهى عن البغي والاعتداء بكافة أنواعه، ومختلف أشكاله، كقتل من لم يبدأ بالقتل، أو قتل من لم يكن له يد ولا يملك من الأمر شيء كالأطفال وكبار السن، قال تعالى: ﴿وَقَتِّلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَتِّلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠].

(١) رشيد رضا، تفسير المنار، ج ٦، ص ٢٧٨.

(٢) بوسلامة، فاطمة، كتاب المؤتمر الدولي العمران والقرآن دراسة في مقومات البناء وعوامل الأفل، ص ٣٩.

(٣) نخبة من الباحثين الكتاب، الدور الحضاري للأمة المسلمة، ص ٢٩٢.



هذا ويعتبر التلوث من أهم عوائق العمران والعمارة، سواء كان ذلك التلوث يتعلق بالماء، أو الهواء، أو الأتربة، وعبر القرآن الكريم عن التلوث بلفظ الفساد؛ حيث يؤدي التلوث إلى فساد الأرض، وتدهور عمرانها، ويؤدي إلى جلب الأمراض، وإلحاق الضرر بصحة الإنسان الذي يعتبر العمود الذي يرتكز عليه العمران.

وينتج التلوث غالباً بفعل من الإنسان، وبسوء تقديره لما أنعم الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** عليه من موارد طبيعية أمر أن يحافظ عليها، ويسعى إلى استغلالها في خدمة العمارة، قال تعالى: ﴿ **ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ** ﴾ [الروم: ٤١]؛ تقرر الآية الكريمة ظهور الفساد في البر والبحر بفعل من الإنسان، الذي ارتكب الذنوب والمعاصي، وأساء التصرف مع الطبيعة، وألحق الضرر في البيئة.

ومن الأمثلة على إساءة تصرف الإنسان مع بيئته القيام بحرق الغابات وإزالتها من أجل استخدامها للزراعة والفلاحة، حسب منافعه الشخصية ورضا لأهوائه الزائلة المؤقتة، متجاهلاً لما تحتويه تلك الغابات من فوائد جمة تعود بالنفع عليه، وعلى غيره، وعلى جميع الكائنات الحية، متغافلاً عن الأثر الذي سيلحق بالضرر على بيئته، وعمران مجتمعه.

وكذلك سوء استخدام موارد المياه الجوفية، وإلقاء النفايات بمختلفها، وبما تحمله من سموم تؤدي إلى انعدام حياة الأسماك الموجودة فيها، وغير ذلك الكثير من أشكال التلوث والفساد البيئي، الذي شمل الأرض بسهولها وجبالها وبرها ورمالها، وبحرها وأنهارها؛ فليذق الإنسان حصيلة ما قدمت يدها من فساد في الأرض نتيجة ارتكابه الذنوب والمعاصي، ولسوء أخلاقه، ومحدودية تفكيره، وعدم تقديره للموارد الطبيعية الموزعة حوله في البر والبحر، يقول تعالى: ﴿ **وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ [الأعراف: ٥٦]، أي: لا تفسد أيها الإنسان الأرض التي أصلحها خالقها لك، وهياها لخدمتك، وأنعم عليك فيها بالخيرات، ومدك بالإمكانات، وزودك بالقدرات التي أهلتك إلى ممارسة الخلافة على أكمل وجه.

كما تؤكد الآيات السابقة ما تفعله الذنوب والمعاصي التي تنتج من فساد فكر الإنسان، وما تؤدي به إلى فساد كل ما حوله، ووقوع الكوارث وانتشار الأمراض، والأوبئة؛ نتيجة صنيعه، وأن الله جل

في علاه ليس بظلام للعبيد؛ "فالمعاصي والرذائل هي الداء العضال، والوباء القتال، الذي به هلاك الأمم، وخراب المجتمعات، وانهارها وسقوطها^(١)، يقول عبدالله بن المبارك في وصف دقيق لما تفعله الذنوب في القلوب:

رَأَيْتُ الذُّنُوبَ تُمِيتُ الْقُلُوبَ وَيُتْبِعُهَا الذُّلُّ إِدْمَانَهَا
وَتَرَكْتُ الذُّنُوبَ حَيَاةَ الْقُلُوبِ وَالْخَيْرُ لِلنَّفْسِ عَصِيَانَهَا^(٢)

وأقول ما الذي أهلك الأقوام السابقة التي أشار إليها القرآن الكريم في مواضع عديدة، وبأشكال مختلفة من وقوع أنواع الهلاك والخراب والعقوبات الشديدة عليها، إنها الذنوب والمعاصي والآثام، التي أهلكت الأقوام، وتسببت في انتشار الأوبئة والأسقام، والتي تصدر نتيجة عدم تطبيق تعاليم الإسلام، وما فيه من مقاصد وأحكام، تسعى إلى حفظ كينونة الإنسان على مر السنين والأعوام؛ فنرى هلاك قوم عاد، وقوم ثمود، وقوم لوط، وقوم شعيب، وهلاك فرعون ومن معه، وجميع الأقوام التي عاثت في الأرض فساداً، وتمادت بالظلم والعدوان، والبطش والطغيان، قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾ [الأنعام: ٦].

حيث يوضح القرآن الكريم كيف عوقبت مدن ودمرت مبانيها؛ نتيجة لسوء صنيعهم، قال تعالى: ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوَقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النحل: ٢٦]. والعكس الصحيح كيف ساعدت الأعمال الصالحة، والأخلاق الحميدة في رقي الحضارة وازدهار العمران، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٥٦]؛ حيث مكن الله سبحانه وتعالى يوسف في الأرض من أجل ممارسة الخلافة فيها وعمارها بالخير والإصلاح الذي يوسف عليه السلام من أهله، وذلك لما كان عليه من

(١) كهوس، العمران الإسلامي، ص ٦٦.

(٢) المالكي، أبو بكر أحمد بن مروان الدينوري، المجالسة وجواهر العلم، ج ٢، ص ٣٠.



أخلاق فاضلة، وما يقوم به من أعمال صالحة نابعة من الإيمان بالله جل في علاه، وحسن عبادته، والتوكل عليه سبحانه؛ "فالأمة الإنسانية في أمس الحاجة إلى الحضارة المؤسسة على: ركائز الوحي، وهداية الحق، وإلهام القيم، التي تعالج كل أدواء الإنسانية^(١)، والعوائق العمرانية.

نلتمس مما سبق أن هناك عوائق أخلاقية، واجتماعية، وعوائق فكرية، وعوائق اقتصادية، وعوائق سياسية، وعوائق بيئية تقف أمام العمران والعمارة، يجب مواجهتها بالرجوع إلى القرآن الكريم ومنهجيته، التي يجد فيها الإنسان جميع ما يحتاج إليه لضبط نفسه، وكل ما يؤدي إلى رفعته، ورفعة مجتمعه، وبناء حضارته التي لها حق عليه.

ويقوم القرآن الكريم بمعالجة تلك العوائق جميعاً من خلال الإشارة إليها تارة، وبيان أضرارها على الفرد ومجتمعه وحضارته تارة، وتوضيح الطرق التي تؤدي إلى تفاديها وتجنب الوقوع فيها تارة أخرى -والتي تم توضيحها في المبحث السابق الذي يدور حول مقومات العمران الأخلاقية، والاجتماعية، والفكرية، والنفسية، والاقتصادية-، وتوضيح كل ما ينهض بالإنسان، ويؤدي إلى ازدهار الحضارة والعمران؛ مؤكداً دور الأخلاق في العمران والعمارة، التي تؤثر على النسيج العمراني، وتعزز تماسكه؛ كتأثير قيمة العدل في البناء والتعمير، التي لها الأثر في جعل المباني السكنية على وتيرة واحدة في الارتفاع؛ فلا يرتفع عن مستواها سوى مآذن المساجد؛ نظراً لمرعاة حقوق الغير، وعدم التطاول والتعالي على الغير.

وفي ختام هذا الباب الذي وضح الاستخلاف والتسخير وعلاقتها بالعمران والعمارة، وبين المقومات التي ترعى الحركة العمرانية، وتحافظ عليها، وأبرز العوائق التي تقف أمامها، والذي أكد أن من أهم متطلبات العمران والعمارة تماسك البنيان، ليس البنيان المادي، وملاً فراغات المكان؛ بل البنيان المعنوي المتمثل بالقيم الأخلاقية والإنسانية التي تدعو إلى تلاحم الأوصال الاجتماعية، وملاً الفراغات من خلال المجتمع المتماسك الذي يحافظ على كينونته، وينفر من الانقسام.

(١) سفر، محمود محمد، دراسة في البناء الحضاري محنة المسلم مع حضارة عصره، ص ١٢٠.

فمن خلال تتبع منهجية القرآن الكريم في المحافظة على العمران والعمارة تتضح الدعوة إلى إنشاء مجتمع عمراني قيمى، ومدينة قيمية، متمسكة بأخلاق الدين الإسلامى الحنيف؛ حيث يهدف القرآن الكريم إلى عمارة أخلاق الإنسان، قبل عمارة البنیان، واستغلال جميع النعم والقدرات والإمكانات التي سخرها الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** على الإنسان، ليمارس مرحلة استخلافه، ويحقق غاية وجوده في الأرض والمثل في عمارتها وعمرانها والسعي نحو إصلاحها.

كما يتضح مما سبق امتلاك الحضارة الإسلامية مقومات العمران والعمارة من ريادة وصناعة تسجلها الأحداث التاريخية، وكيف تم استغلال الإمكانيات، والموارد الطبيعية. كما يقع على عاتق الحكام والقادة والعلماء الكثير من المسؤوليات من أجل المساهمة في تمكين الإنسان، ومساعدته على القيام بدوره في الخلافة، وتنمية مجتمعه.



الخاتمة:

لقد تبين من خلال هذا البحث مدى علاقة عمران الوجدان بعمارة البنيان، وضرورة الاهتمام بجانب الروح (العمران) الذي يدفع الجانب المادي (العمارة) نحو التقدم والازدهار، وهذا ما سعى المنهج القرآني لإيجاده؛ حيث وضع الركائز والأساليب والخصائص العمرانية، وبين الضوابط والعناصر والمميزات المعمارية، وعالج العوائق التي تقف أمام العمران والعمارة، وأبرز المقومات التي تدفع إلى ازدهار الحضارة، كما ينتهي هذا البحث إلى العديد من الخلاصات والنتائج والتوصيات، ومن أهم النتائج التي تمخضت عن هذا البحث:

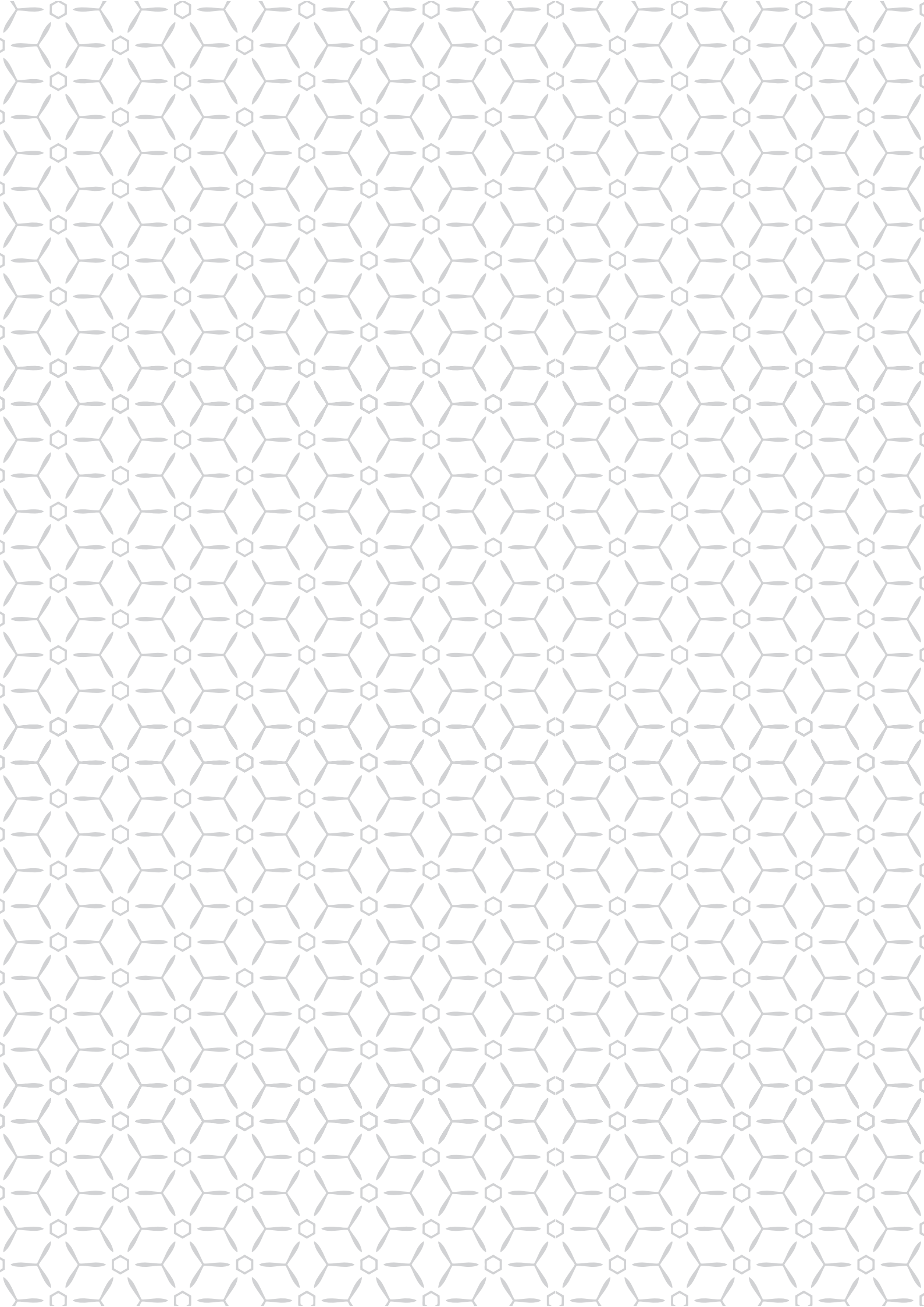
- ١- عدم اقتصار العمران في القرآن الكريم على البناء المادي فحسب؛ بل يشمل العمران الروحي والوجداني، والمتمثل بالإيمان، والتحلي بمكارم الأخلاق.
- ٢- للعمران في القرآن الكريم العديد من الأبعاد الدينية، والأخلاقية، والمقاصدية، والاستخلافية، والمعمارية التي تخدم الحضارة الإنسانية.
- ٣- للتقوى الدور البارز في بناء الحضارة الإسلامية، وازدهار عمرانها.
- ٤- تفنن القرآن الكريم بأساليب متنوعة، مفادها تنمية الإنسان والمجال الذي يحيط به؛ هادفاً لبناء إنسان عمراني يساهم في تقوية مجتمعه، والنهوض بحضارته.
- ٥- من أهم خصائص العمران في القرآن الكريم شموليته، وتكامل عرضه لقضايا الفرد منذ بداية نشأته وحتى نهايته؛ فيحدد له المنهج المتكامل الذي ينظم سير حركته، ويضمن له السعادة في دنياه وآخرته.
- ٦- تكمن عبقرية العمارة الإسلامية في استمراريتها بالمحافظة على المضمون والغرض الوظيفي من البناء، وتطبيق المضامين والضوابط التي كانت عليها سابقاً عبر امتداد الدهر حتى وقتنا الراهن.
- ٧- تتميز العمارة في القرآن الكريم بتعدد عناصرها وتنوعها، والتي أدت إلى تميز العمارة الإسلامية، وغنى قيمها المعنوية والمادية.
- ٨- هناك اختلافات في شكل العماائر الحديثة عن العماائر التي شيدت في العصور المبكرة، ولكن غالبها يتحد في التركيز على الجوهر والمضمون.

- ٩- يخاطب القرآن الكريم عقل الإنسان وقلبه، ويراعي جميع الجوانب التي تؤثر عليه، وفق أساليب مختلفة تدعوه إلى التفكير والتأمل في جميع ما حوله من مسخرات تساعده في تحقيق الخلافة والعمارة في الأرض.
- ١٠- الغاية من تسخير كل ما في الكون للإنسان تتمثل في عبادة الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** وتوحيده، وعمارة الأرض وعمرانها بالخير والعمل الصالح.
- ١١- يتضمن العمران في القرآن الكريم العمران الفردي، والعمران الجماعي.
- ١٢- خير علاج لعوائق العمران والعمارة المعنوية والمادية التركيز على مقومات العمران والعمارة التي جاء ذكرها في القرآن الكريم.
- وبعد القيام بمتطلبات البحث ومنطلقاته التي انطلقت لتجيب عن إشكالية البحث وأسئلته، وبعد توضيح نتائج البحث التي تم التوصل إليها أخيراً، بقيت الآفاق والتطلعات التي تتعلق بتكملة جوانب هذا البحث، وتحقيق الاستفادة المرجوة منه على النحو الذي يخدم جميع أفراد الأمة الإسلامية وينهض بحضارتها، ومن أهم تلك الآفاق والتوصيات التي تتضمن مختلف المستويات المجتمعية، والحضارية، والثقافية، والبيئية، والعلمية، والمؤسسية:
- ١- الاستفادة من تجارب الأمم السابقة التي جاء ذكرها في القرآن الكريم حول العمران والعمارة، ودراستها جيداً؛ لتفادي الوقوع في أخطائها.
- ٢- إخضاع مواكبة العصر لمنهجية الإسلام والثوابت والقواعد الشرعية، بأن لا يبنى المبنى على هوى الإنسان، بل يضع الضوابط الشرعية نصب أعينه قبل البدء في أي شيء.
- ٣- عدم فصل العمارة الإسلامية عن الجانب الإنساني، بزيادة التعاون بين المختصين في العلوم الإنسانية والمختصين في العلوم الهندسية؛ تأكيداً على عمران الإنسان قبل عمارة البنيان.
- ٤- تنمية الوعي الثقافي في مختلف وسائل الإعلام حول أهمية العمران الوجداني في إبراز جمالية العمارة الإسلامية.



- ٥- الالتزام بالضوابط المعمارية التي جاءت في القرآن الكريم، والتي تخدم الجانب البيئي والجغرافي والتصميمي، واعتمادها كاستراتيجية للعمارة المثالية.
- ٦- زيادة الاهتمام بالتفاعل مع البيئة، وضرورة استثمار واستغلال الموارد الطبيعية في خدمة العمارة.
- ٧- الدعوة إلى التأصيل في الفنون المعمارية الإسلامية من خلال الدراسات العلمية، والاهتمام بعلم الآثار الإسلامية كونه التاريخ الذي يبنى عليه الحاضر.
- ٨- عدم إهمال المباني الأثرية، وضرورة ترميمها بالشكل الذي لا يؤثر على أصالتها، وعراقتها، ويضمن بقاءها.
- ٩- أن يكون مبدأ جلب المصالح ودرء المفاسد حاضراً نصب أعين كل مسلم يحاول بناء مجتمعه بناءً عمرانياً حضارياً مستمداً من منهج رباني.
- ١٠- ضرورة فهم الإنسان وإدراكه لحقيقة الاستخلاف وماهيته، وجوهر التسخير؛ وذلك من خلال الرجوع إلى القرآن الكريم ومنهجيته التي وضحت خيوط الفعل الاستعماري.
- ١١- التركيز على القضايا التي تقف عائقاً أمام الحركة العمرانية، ومعالجتها بما جاءت به المنهجية القرآنية من ضوابط وأحكام تتعلق بالعمران والعمارة.
- ١٢- التشجيع على طرح الندوات والمؤتمرات التي تهتم بموضوع العمران والعمارة في القرآن الكريم، وتبرز أهمية القيم العمرانية في العمارة.
- ١٣- دعوة المؤسسات المختصة لإعداد دليل تصميمي مقتبس من المنهج القرآني يحتوي على القيم العمرانية في البناء والعمارة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وهو الهادي سبحانه إلى سواء السبيل



فَهْرُسُ الْفَهَّارِسِ

فهرس الآيات القرآنية.

فهرس الأحاديث النبوية.

فهرس الآثار.

فهرس المصادر والمراجع.

فهرس موضوعات البحث.



فهرس الآيات القرآنية الكريمة التي وردت في البحث

ملاحظة: تم ترتيب السور والآيات حسب تسلسل السور في المصحف الشريف.

م	الآية القرآنية	السورة، ورقم الآية	رقم الصفحة في البحث
١.	﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾	[الفاتحة: ٥ - ٦]	٢٥٩
٢.	﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ۝ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾	[البقرة: ٢ - ٤]	٦٥
٣.	﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾	[البقرة: ١١]	١٠٠
٤.	﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾	[البقرة: ٢٢]	١٠٣ - ١٠٠ ٢٤٣
٥.	﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾	[البقرة: ٢٥]	١١٥
٦.	﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾	[البقرة: ٣٠]	٥٥ - ٨٠ ١١٠ - ١١١ ١١٩
٧.	﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾	[البقرة: ٣١]	٢٢٦
٨.	﴿قَالُوا سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ۖ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾	[البقرة: ٣٢]	٢٢٦
٩.	﴿قَالَ يَتْلُوا آيَاتِهِمْ بِأَسْمَائِهِمْ ۖ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ	[البقرة: ٣٣]	٢٢٦

		تَكُونُونَ ﴿١٠﴾	
٤٠	[البقرة: ٣٦]	﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾	١٠.
١١٠	[البقرة: ٤٤]	﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾	١١.
٤٢	[البقرة: ٥٨]	﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾	١٢.
	[البقرة: ٦٠]	﴿فَإِنفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾	١٣.
٢٨٤	[البقرة: ٦٧]	﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَنْتَ خَدُّنَا هَٰؤُلَاءِ قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾	١٤.
٤٢	[البقرة: ١٠٢]	﴿بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَرْوَتَ﴾	١٥.
٢٠٩	[البقرة: ١١٢]	﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾	١٦.
١٥٥	[البقرة: ١١٤]	﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ وَاسْعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾	١٧.
١٨٦-٤٣	[البقرة: ١٢٥]	﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾	١٨.
٩٤	[البقرة: ١٢٧]	﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾	١٩.
١٠٨	[البقرة: ١٤٣]	﴿وكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾	٢٠.
١٧٠-١٤٧ ١٨٩	[البقرة: ١٤٤]	﴿قَدْ زَرَىٰ ثَقَلُوبُ وَجْهَكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُؤْيِيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾	٢١.
٢٠٩	[البقرة: ١٥٠]	﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾	٢٢.

٢٤٥-٢٤٢	[البقرة: ١٦٤]	﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْمُلُكِ الَّتِي تَجْرَى فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾	٢٣.
٦٦	[البقرة: ١٧٧]	﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾	٢٤.
٢٥٨	[البقرة: ١٨٥]	﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِلْمَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَيْتُمْ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾	٢٥.
٦٢	[البقرة: ١٨٨]	﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ ﴾	٢٦.
١٦٥	[البقرة: ١٨٩]	﴿ وَأَتُوا الْيَتَامَى مِنْ آبَائِهِمْ وَأَتَقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ ﴾	٢٧.
٢٩٠	[البقرة: ١٩٠]	﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُم وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾	٢٨.
٦٧	[البقرة: ١٩٤]	﴿ وَأَتَقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾	٢٩.
٦٧	[البقرة: ١٩٦]	﴿ وَأَتَقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾	٣٠.
٦٨	[البقرة: ١٩٧]	﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ الْتَقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ ﴾	٣١.
٤٢	[البقرة: ١٩٨]	﴿ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ ﴾	٣٢.
٢٦٤	[البقرة: ٢١٩]	﴿ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْغَفْوُ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ	٣٣.

		لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿١٢٠﴾	
١٢٠	[البقرة: ٢٢٠]	وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ ﴿٣٤﴾	٣٤.
٩٦	[البقرة: ٢٢٤]	وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِإِيمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾	٣٥.
٢٦٥	[البقرة: ٢٣٧]	وَإِنْ طَلَقْتُمْوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوكَ أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٦﴾	٣٦.
٢٧٠	[البقرة: ٢٤٧]	قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٧﴾	٣٧.
٢٧٥	[البقرة: ٢٥٠]	رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٣٨﴾	٣٨.
٤٣	[البقرة: ٢٥٥]	وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴿٣٩﴾	٣٩.
٢٧٩	[البقرة: ٢٥٨]	وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾	٤٠.
٤٠	[البقرة: ٢٥٩]	أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْبَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا ﴿٤١﴾	٤١.
	[البقرة: ٢٦٥]	كَمَثَلِ جَنَّتٍ بِرَبْوَةٍ ﴿٤٢﴾	٤٢.
٢٨٤	[البقرة: ٢٧٣]	لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَاقًا ﴿٤٣﴾	٤٣.
٢٨٧	[البقرة: ٢٧٨-٢٧٩]	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴿٢٧٩﴾	٤٤.
٩٦	[البقرة: ٢٨٦]	رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴿٤٥﴾	٤٥.

٢٣٠	[آل عمران: ١٤]	﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾	٤٦.
١٠٠	[آل عمران: ٢٦]	﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ﴾	٤٧.
١٧٠-٤٣	[آل عمران: ٣٧]	﴿كَلَّمَ دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾	٤٨.
١٧٠	[آل عمران: ٣٩]	﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ﴾	٤٩.
٢٧٩	[آل عمران: ٥٧]	﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾	٥٠.
٧١	[آل عمران: ٧٦]	﴿بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾	٥١.
١٤٣-٤٢ ١٧٥	[آل عمران: ٩٦]	﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾	٥٢.
٦٦	[آل عمران: ١٠٢]	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾	٥٣.
٢٦٢-١٢٣	[آل عمران: ١٠٣]	﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾	٥٤.
٩٥	[آل عمران: ١٠٤]	﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾	٥٥.
٤٢	[آل عمران: ١٢٣]	﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾	٥٦.
٧٠-٦٥ ١١٤	[آل عمران: ١٣٣]	﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَعْفَرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾	٥٧.
٢٦٥	[آل عمران: ١٣٤]	﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظَّيْنِ وَالْفَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾	٥٨.

٥٩.	﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَجَسَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ ذُنُوبَكُمْ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾	[آل عمران: ١٣٥]	١١٤
٦٠.	﴿ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴾	[آل عمران: ١٥١]	٢٧٩
٦١.	﴿ قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ ﴾	[آل عمران: ١٥٤]	٤٣
٦٢.	﴿ فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾	[آل عمران: ١٥٩]	٢٥٧-٢٦٣
٦٣.	﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أَضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ ﴾	[آل عمران: ١٩٥]	٢٢٩
٦٤.	﴿ لَا يَغْرُنَك تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ﴾	[آل عمران: ١٩٦]	٩٦
٦٥.	﴿ يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾	[النساء: ١]	٦٦
٦٦.	﴿ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مِيلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴾	[النساء: ٢٦-٢٨]	٢٥٨
٦٧.	﴿ وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾	[النساء: ٣٦]	٦٠
٦٨.	﴿ آيِنَمَا تَكُونُوا يَذْرِكُمْ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ ﴾	[النساء: ٧٨]	٤٣-١٥٩
٦٩.	﴿ إِنْ يُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخَفُّوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴾	[النساء: ١٤٩]	٢٦٤

۳۰۷

		﴿ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾	
٨٣.	[الأنعام: ٦٥]	﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْضِكُمْ أَوْ يَلْسِكُمْ سُيَاحًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ أَنْتُمْ كَيْفَ تُحْصَوْنَ أَلَا يَتْلُو لَعْنَهُمْ يَفْقَهُونَ ﴾	٩٥
٨٤.	[الأنعام: ٩٢]	﴿ وَلِنُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾	٤٠
٨٥.	[الأنعام: ١٠٤]	﴿ قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ. وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴾	٢٦٩
٨٦.	[الأنعام: ١٢٠]	﴿ وَذَرُوا ظَهْرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ ﴾	٢٥٥
٨٧.	[الأنعام: ١٤١]	﴿ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾	٢٧٣
٨٨.	[الأنعام: ١٦٥]	﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾	٢٢٠-٢٣٠
٨٩.	[الأعراف: ٤]	﴿ وَكَمْ مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيِّنًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴾	٩٨
٩٠.	[الأعراف: ١٠]	﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشًا قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ ﴾	٢٣٧
٩١.	[الأعراف: ٢٦]	﴿ يَبْنَئِ عَادَمٌ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُّورِي سَوَاءَ بَعْضِكُمْ وَرِيثًا وَلِبَاسَ الْفَقْوَىٰ ذَلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾	٦٨
٩٢.	[الأعراف: ٢٩]	﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾	١٥٥-١٧٥
٩٣.	[الأعراف: ٣١]	﴿ يَبْنَئِ عَادَمٌ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾	١٨٦-٢٨٦
٩٤.	[الأعراف: ٣٢]	﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ كَذَٰلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾	١١١

١١١	[الأعراف: ٣٣]	﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنْزَلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْمُونَ ﴾	٩٥.
٢٧٩	[الأعراف: ٤٤]	﴿ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾	٩٦.
٢٧٣	[الأعراف: ٥٤]	﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِ رَبِّهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾	٩٧.
٩٦-٦٢ ٢٩١-١٧٧	[الأعراف: ٥٦]	﴿ وَلَا تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾	٩٨.
٢٢٧	[الأعراف: ٦٩]	﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَضْطَةً فَاذْكُرُوا ءَالَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ ﴾	٩٩.
٨٣	[الأعراف: ٧٣]	﴿ وَإِلَىٰ شَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَتَقَوَّمُ عِبَدُ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِّنَ إِلَهِ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ ءَايَةٌ فَذُرُّوهَا تَأْكُلُ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ ﴾	١٠٠.
٩٧-٤١ ١٥٦-١٤٦ ٢٧٧-٢٢٧	[الأعراف: ٧٤]	﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَخَذُونَ مِّنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْجِبُونَ الْجِبَالَ طَبَا فَاذْكُرُوا ءَالَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾	١٠١.
٨٤	[الأعراف: ٧٧-٧٦]	﴿ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي ءَامَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يُصْلِحُ أَتَيْنَا بِمَا نَعِدُنَا إِنْ كُنَّا مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾	١٠٢.
٨٤	[الأعراف: ٧٨]	﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَنَاحٍ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ ﴾	١٠٣.

	[٧٨ - ٧٩]	وَقَالَ يَنْقُورٍ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَ اللَّهِ رَيٍّْ وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّصِيحَ ﴿٧٨﴾	
١٠٤.	[الأعراف: ٨٥]	﴿وَالِى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ﴿٨٥﴾﴾	١٠٠-٤٢
١٠٥.	[الأعراف: ٩٦]	﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَّقُوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾	٢٥٠-٦٧
١٠٦.	[الأعراف: ١٠٣]	﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَأَنْظَرَكِيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾﴾	٢٧٧
١٠٧.	[الأعراف: ١١١]	﴿وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿١١١﴾﴾	٨٩-٤١
١٠٨.	[الأعراف: ١٢٣]	﴿إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَّكْرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ ﴿١٢٣﴾﴾	٤١
١٠٩.	[الأعراف: ١٢٨]	﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عَبْدِهِ الْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾﴾	٢٢٤
١١٠.	[الأعراف: ١٢٩]	﴿قَالُوا أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾﴾	٢٢٩
١١١.	[الأعراف: ١٣٦]	﴿فَانْقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾	٩٠
١١٢.	[الأعراف: ١٣٧]	﴿وَدَمَرْنَا مَا كَانَتْ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾﴾	٤٣
١١٣.	[الأعراف: ١٤٢]	﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾﴾	٢٢٢
١١٤.	[الأعراف: ١٦١]	﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ ﴿١٦١﴾﴾	١٥٧
١١٥.	[الأعراف: ١٩٩]	﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾	٢٨٣
١١٦.	[الأنفال: ١]	﴿يَسْتَأْذِنُكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾﴾	٩٧

٦١	[الأَنْفَال: ٢٧]	﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَتَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾	١١٧.
٨٨	[الأَنْفَال: ٥٢]	﴿كَذَابَ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾	١١٨.
٢٦٣-٩٧	[الأَنْفَال: ٧٥]	﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ بَعْدِ وَهَاجَرُوا وَجْهَهُدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾	١١٩.
٤٣	[التوبة: ٥]	﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ﴾	١٢٠.
١٥٤-١٠٨	[التوبة: ١٧]	﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكَفْرِ أُولَئِكَ حِطَّتْ أَعْمَلُهُمْ فِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ﴾	١٢١.
١٠٨-٧٩ ١٨٦-١٥٤	[التوبة: ١٨]	﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾	١٢٢.
٤٣	[التوبة: ١٩]	﴿وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾	١٢٣.
٤٢	[التوبة: ٢٥]	﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾	١٢٤.
٢٧٣	[التوبة: ٣٤]	﴿وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾	١٢٥.
٤٣	[التوبة: ٤٠]	﴿إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾	١٢٦.
٤٣	[التوبة: ٥٧]	﴿لَوْ يَخِدُونَ مَلَجًا أَوْ مَغْرَبًا أَوْ مَدْخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾	١٢٧.
١٠٨	[التوبة: ٦٨]	﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُتَنَفِّقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾	١٢٨.
٢٦٢-٢٥٥	[التوبة: ٧١]	﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾	١٢٩.

		وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٣٠﴾	
١٣٠.	[التوبة: ٧٢]	وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبَةٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣١﴾	١٥٧-١٠٨
١٣١.	[التوبة: ٨٤]	وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ ﴿١٣٢﴾	٤٣
١٣٢.	[التوبة: ١٠٥]	وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلِّيِّ الْعَالِيِّ وَالشَّهَادَةُ فَيُنْتَكَبُ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٣٣﴾	١٢١
١٣٣.	[التوبة: ١٠٨]	لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ ﴿١٣٤﴾	٦٩-٤٤
١٣٤.	[التوبة: ١٠٩]	أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارٍ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٣٥﴾	١٠١-٤١ ١٨٠-١٤٤ ٢٧٥
١٣٥.	[التوبة: ١٢٣]	وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٣٦﴾	٧٠
١٣٦.	[يونس: ٥]	هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِيعْلَمُوا عَدَدَ السَّيِّئِينَ وَالْحِسَابَ ﴿١٣٧﴾	٤٤
١٣٧.	[يونس: ١٤]	ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٣٨﴾	٢١٧-١١٨ ٢٤٧-٢٢١
١٣٨.	[يونس: ٢٤]	حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ ﴿١٣٩﴾	١٧٧
١٣٩.	[يونس: ٢٦]	لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِحُسْنَىٰ وَزِيَادَةً وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٤٠﴾	١٠٧
١٤٠.	[يونس: ٢٧]	وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ يَمْثِلُهَا وَيَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٤١﴾	١٠٧
١٤١.	[يونس: ٨١]	إِنَّ اللَّهَ لَا يَصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾	٢٧٦-١٢٠

١٩٠-١٤٨	[يونس: ٨٧]	﴿وَجْعَلُوا يُؤْتِكُمْ قِيلَةً﴾	١٤٢.
٢٨٠	[يونس: ١٠٦]	﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ الظَّالِمِينَ﴾	١٤٣.
٢٨٣	[هود: ٤٦]	﴿إِنِّي أَعْظَمُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾	١٤٤.
٨١	[هود: ٥٠]	﴿وَالِإِيَّاهُمْ هُودًا قَالَ يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾	١٤٥.
٨٢	[هود: ٥٣]	﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾	١٤٦.
٢٣٣	[هود: ٥٧]	﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أَرْسَلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيفٌ﴾	١٤٧.
١٣-٦ ٨٣-٧٩ ١١٦-٩٤ ١٣٠-٢٢٦ ٢٣٤-٢٢٧ ١٧٨-٢٧٣	[هود: ٦١]	﴿وَالِإِيَّاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَإِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾	١٤٨.
٢٧٨	[هود: ٨٥]	﴿وَيَقَوْمِ أَوْفُوا أَلْمِكيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾	١٤٩.
٧٥	[هود: ١٠٠-١٠٤]	﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقِصُهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ﴾	١٥٠.

١١٩	[هود: ١١٧]	﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ ﴾	١٥١.
٤١	[يوسف: ١٠]	﴿ وَالْقُوَّةُ فِي عَيْبَتِ الْجَبِّ ﴾	١٥٢.
٤٢	[يوسف: ٢١]	﴿ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ ۚ ﴾	١٥٣.
٤٤	[يوسف: ٣١]	﴿ وَأَعَدَّتْ لَهَا مَتَكًا ﴾	١٥٤.
٢٨٤-٤٤	[يوسف: ٣٣]	﴿ وَإِلَّا نَصْرَفْ عَنْكَ كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْنَ وَأَنْتَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾	١٥٥.
٧٧	[يوسف: ٤٦]	﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا الصَّادِقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلَّكَ أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾	١٥٦.
٢٩٢-٧٧	[يوسف: ٥٦]	﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ شَاءَ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾	١٥٧.
٦١-٤١	[يوسف: ١٠٠]	﴿ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ ﴾	١٥٨.
١٠٥	[يوسف: ١١١]	﴿ لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾	١٥٩.
١٦٧-١٤٨ ٢٥٠	[الرعد: ٢]	﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴾	١٦٠.
١٢٥	[الرعد: ١١]	﴿ لَهُ، مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ، يَحْفَظُونَهُ، مِّنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ۖ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَ لَهُ، وَمَا لَهُم مِّنْ دُونِهِ، مِنْ وَّالٍ ﴾	١٦١.
١٢٠	[الرعد: ٢٥]	﴿ وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ، وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴾	١٦٢.
٢٧٩	[إبراهيم: ٢٢]	﴿ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾	١٦٣.
٢٤٩-٢٤٠	[إبراهيم: ٣٢]	﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرٍ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ	١٦٤.

		الْأَنْهَارِ ﴿١٦٥﴾	
٢٣٨	[إبراهيم: ٣٣]	﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾	١٦٥.
٢٥٧	[إبراهيم: ٣٥]	﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾	١٦٦.
٩٤	[إبراهيم: ٣٧]	﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْنِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْعَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾	١٦٧.
٧٤-٤٣	[الحجر: ٨٢]	﴿وَكَاثِبُونَ يَتَخَوَّنُونَ مِنَ الْجِبَالِ يُوْتُونَ آمِنِينَ﴾	١٦٨.
٢٣٩-٢٣٤	[النحل: ١٢]	﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِي إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾	١٦٩.
٢٣٩	[النحل: ١٤]	﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾	١٧٠.
١٨٠-١٦٨ ٢٩٢	[النحل: ٢٦]	﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَفَاقَ اللَّهُ بَيْنَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾	١٧١.
١٣٩-٤١ ١٦٤-١٥٧	[النحل: ٦٨]	﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾	١٧٢.
١٦٠	[النحل: ٦٩]	﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَنْفَكِرُونَ﴾	١٧٣.
٢٤١	[النحل: ٧٩]	﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوْاءِ السَّمَاءِ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾	١٧٤.
١٤٧-٤٤ ١٦٤-١٥٦	[النحل: ٨٠]	﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا	١٧٥.

١٨٠-١٦٨ ١٨٥-١٨١ ١٨٨		وَأَوْبَارَهَا وَاشْعَارَهَا أَتْنَا وَمَتَعْنَا إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٦٨﴾	
١٨٧-٩٣	[النحل: ٨١]	﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُم سُرِيرًا وَقَيَّعَ لَكُمُ الْحَرَّ وَسَرِيرًا تَقِيَّكُمْ بِأَسْكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿١٧٦﴾﴾	١٧٦.
١٢٠	[النحل: ٨٨]	﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴿١٧٧﴾﴾	١٧٧.
٦١	[النحل: ٩٠]	﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَنِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ ﴿١٧٨﴾﴾	١٧٨.
٢٧٦	[النحل: ١١٢]	﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَافَهَا اللَّهُ لِبَاسِ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١٧٩﴾﴾	١٧٩.
٥٩	[النحل: ١١٤]	﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا ﴿١٨٠﴾﴾	١٨٠.
٦٢	[النحل: ١١٦]	﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا نَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١٨١﴾﴾	١٨١.
٢٥٧-١٢٥	[النحل: ١٢٥]	﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴿١٨٢﴾﴾	١٨٢.
١٧٥	[الإسراء: ١]	﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١٨٣﴾﴾	١٨٣.
٢٥٣	[الإسراء: ٩]	﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿١٨٤﴾﴾	١٨٤.
٢٧٥	[الإسراء: ١٦]	﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴿١٨٥﴾﴾	١٨٥.
٢٨٧-٢٨٦	[الإسراء: ٢٦]	﴿وَعَاتَىٰ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿١٨٦﴾﴾	١٨٦.

٢٧٣	[الإسراء: ٢٩]	﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾	١٨٧.
٦٢	[الإسراء: ٣٢]	﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾	١٨٨.
٦٢	[الإسراء: ٣٣]	﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾	١٨٩.
١٢١	[الإسراء: ٣٦]	﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾	١٩٠.
٢٤٠	[الإسراء: ٤٤]	﴿ تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾	١٩١.
١٠٣	[الإسراء: ٥٨]	﴿ وَإِنْ مِنْ قَرِيبَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْفَيْكَمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴾	١٩٢.
	[الإسراء: ٩٠]	﴿ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ﴾	١٩٣.
١٧٨	[الإسراء: ٩٣]	﴿ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ ذُرِّهِ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُفَيْكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴾	١٩٤.
٤٤	[الكهف: ١٦]	﴿ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِّنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا ﴾	١٩٥.
٤٤	[الكهف: ١٧]	﴿ نَزَّوْرٌ عَنْ كَهْفِهِمْ ﴾	١٩٦.
٩٥	[الكهف: ٢١]	﴿ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴾	١٩٧.
	[الكهف: ٣٣]	﴿ وَفَجَرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا ﴾	١٩٨.
٤٤	[الكهف: ٥٨]	﴿ لَنْ يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْيلًا ﴾	١٩٩.
١٦٩-١٤٨	[الكهف: ٧٧]	﴿ فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَىٰ أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلُهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّقُوا لَهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾	٢٠٠.
٨٤-١٠٣	[الكهف: ٨٣]	﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾	٢٠١.
١٠٣	[الكهف: ٨٤]	﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴾	٢٠٢.

٢٠٣.	﴿ فَأَنْعَ سَبِيًّا ﴾	[الكهف: ٨٥]	١٠٣
٢٠٤.	﴿ لَمْ نَجْعَلْ لَهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴾	[الكهف: ٩٠]	٤٤
٢٠٥.	﴿ عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴾	[الكهف: ٩٤]	٤٤
٢٠٦.	﴿ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴾	[الكهف: ٩٥]	١٠٣-٤٤ ٢٦٤
٢٠٧.	﴿ ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴾	[الكهف: ٩٦]	١٦٤-١٤٧ ١٨٢
٢٠٨.	﴿ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّيَدَّتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْفِيًّا ﴾	[مريم: ١٦]	١٤٣
٢٠٩.	﴿ خَلَّفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَةَ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ﴾	[مريم: ٥٩]	٢٢٩
٢١٠.	﴿ وَاجْعَلْ لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ۖ هَٰزُونَ أَحْيَىٰ ۖ أَشَدُّ بِهِ ۖ أَزْرَىٰ ۖ ﴾ ﴿ وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي ﴾	[طه: ٢٩-٣٢]	٢٦٤-٦١
٢١١.	﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ۖ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَمَكُمُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ ﴾	[طه: ٥٣-٥٤]	٧٧
٢١٢.	﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرَبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ ۚ يَبْسًا لَا تَخَفْ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴾	[طه: ٧٧]	١٥٨
٢١٣.	﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرِيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ۚ آخَرِينَ ﴾	[الأنبياء: ١١]	٨٧
٢١٤.	﴿ أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتْا رَتْقًا ۖ فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾	[الأنبياء: ٣٠]	١٦٣-١٦١
٢١٥.	﴿ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴾	[الأنبياء: ٣٢]	١٦٨
٢١٦.	﴿ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ ۖ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴾	[الأنبياء: ٧٩]	٢٤٠
٢١٧.	﴿ إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾	[الأنبياء: ٩٢]	١٨٤

٢١٨.	﴿ أَفَمَنْ أَتَسَسَ بِئْسَ كُنْهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَتَسَسَ بِئْسَ كُنْهُ عَلَىٰ شَفَا جُرْفٍ هَارٍ ﴾	[الحج: ٥٠]	١٠٢
٢١٩.	﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾	[الحج: ١٨]	٥٧
٢٢٠.	﴿ يَأَيُّهَا مَنْ كُلِّ فَجِّ عَمِيقٍ ﴾	[الحج: ٢٧]	٤١
٢٢١.	﴿ وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعِيرٍ اللَّهُ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَادْكُرُوا أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ إِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِعُوا الْقَانِعَ وَالْمَعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾	[الحج: ٣٦]	٢٤١
٢٢٢.	﴿ لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ النُّقُورُ مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴾	[الحج: ٣٧]	٢٤٣
٢٢٣.	﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾	[الحج: ٤١]	٢٢٨-٢٢٥ ٢٧٢
٢٢٤.	﴿ وَبَشِّرِ مُعْطَلَةَ وَقَصِرٍ مَشِيدٍ ﴾	[الحج: ٤٥]	٤١-٤٤
٢٢٥.	﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾	[الحج: ٤٦]	٢٤٧
٢٢٦.	﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ﴾	[الحج: ٦٣]	١٨٣
٢٢٧.	﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفَلَكَ تَجْرَىٰ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾	[الحج: ٦٥]	٢٤٨

٢٢٨.	﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ ﴾	[المؤمنون: ٢٠]	٤٢
٢٢٩.	﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَمَّا كُنْتُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾	[النور: ٢٧]	١٥٠-١٥٦ ١٨٦-١٦٦ ١٨٩
٢٣٠.	﴿ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكُوفٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ﴾	[النور: ٣٥]	٤٤
٢٣١.	﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾	[النور: ٣٦]	١٧٠-١٥٤
٢٣٢.	﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾	[النور: ٥٥]	٢٢٨-٢٢٢ ٢٣٢-٢٢٩
٢٣٣.	﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَيَسْتَغْفِرَنَّ لَكُمْ أَلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَوةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَوةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَھُنَّ طَوُّفَاتٍ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾	[النور: ٥٨]	١٥٠
٢٣٤.	﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ ﴾	[النور: ٦٢]	٢٦٣
٢٣٥.	﴿ وَقَالُوا مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمَشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُتُبُ مَعَهُ نَذِيرًا ﴾	[الفرقان: ٧]	١٦٠-٤٤
٢٣٦.	﴿ تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَٰلِكَ جَنَّتِ بَحْرِي مِنْ تَحْتِهَا أَلْأَنْهَرُ وَجَعَلَ لَكَ فُصُورًا ﴾	[الفرقان: ١٠]	١٥٦
٢٣٧.	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴾	[الفرقان: ٢٠]	١٦٠

٢٣٨.	﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ۝٤٥ ﴾ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿	[الفرقان: ٤٥-٤٦]	١٨١
٢٣٩.	﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿	[الفرقان: ٦٧]	٢٨٦-٢٧٣
٢٤٠.	﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿	[الشعراء: ٩]	
٢٤١.	﴿ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿	[الشعراء: ٣٦]	٨٩
٢٤٢.	﴿ فَأَرْسَلْ فِرْعَوْنَ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿	[الشعراء: ٥٣]	٨٩
٢٤٣.	﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿ ۝١٠٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿	[الشعراء: ١٠٧-١٠٨]	٦٧
٢٤٤.	﴿ أَتَجْنُونَ بِكُلِّ رِيحٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿ ۝١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿ ۝١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿ ۝١٣٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿ ۝١٣١﴾ وَاتَّقُوا الَّذِيَ أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿ ۝١٣٢﴾ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴿ ۝١٣٣﴾ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿	[الشعراء: ١٢٨-١٣٤]	٤٤-٤١ ٨٢
٢٤٥.	﴿ كَذَبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿	[الشعراء: ١٤١]	٨٤-٨٢
٢٤٦.	﴿ وَحَدِّثُوا بِهَا وَأَسْتَيْقِنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿	[النمل: ١٤]	٢٧٧-١١
٢٤٧.	﴿ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُمُ ﴿	[النمل: ١٨]	٤٤
٢٤٨.	﴿ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَاٍ يَفِينٍ ﴿	[النمل: ٢٢]	٨٦-٤٢
٢٤٩.	﴿ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿	[النمل: ٢٣]	٨٦-٤٤
٢٥٠.	﴿ قَالَتْ يَتَايَأُ الْمَلِكُ الْفُتُوْنِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونَ ﴿	[النمل: ٣٢]	٢٦٤
٢٥١.	﴿ قَالَ عَفْرَيْتُ مِنَ الْجِنِّ أَنَا ءَانِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ ﴿	[النمل: ٣٩]	٤٥
٢٥٢.	﴿ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿ ۝٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿	[النمل: ٤٢-٤٣]	٨٧

		لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٢٦٥﴾	
٢٧٧	[القصص: ٧٧]	﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٢٦٦﴾﴾	٢٦٥.
٤١	[القصص: ٨١]	﴿فَنَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ ﴿٢٦٧﴾﴾	٢٦٦.
٢٨٠	[القصص: ٨٨]	﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٦٨﴾﴾	٢٦٧.
٢٤٦-١١٢	[العنكبوت: ٢٠]	﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦٩﴾﴾	٢٦٨.
٤٥	[العنكبوت: ٢٩]	﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ الْمُنْكَرَ ﴿٢٧٠﴾﴾	٢٦٩.
١٥٨	[العنكبوت: ٤١]	﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٢٧١﴾﴾	٢٧٠.
٤٥	[العنكبوت: ٥٨]	﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا يُجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ﴿٢٧٢﴾﴾	٢٧١.
٢٥١-٢٤٧	[العنكبوت: ٦١]	﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٢٧٣﴾﴾	٢٧٢.
٧٨-٧٢ ١٠٩-١٠٦ ٢٣٢-١٢٥ ٢٤٦	[الروم: ٩]	﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٢٧٤﴾﴾	٢٧٣.
٨٠ ٢٩١	[الروم: ٤١]	﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧٥﴾﴾	٢٧٤.
٨٠	[الروم: ٤٢]	﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانُوا	٢٧٥.

١١٢		أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ ﴿	
٢٨٣	[الروم: ٥٩]	كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿	٢٧٦.
٢٨٠	[لقمان: ١٣]	وَإِذْ قَالَ لُقْمَنُ لِبَنِيهِ ۖ وَهُوَ يَعِظُهُ ۚ يَبْنَىٰ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّكَ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿	٢٧٧.
٢٣٨-١٢٤	[لقمان: ٢٠]	﴿الَّذِينَ تَرَوُا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴿	٢٧٨.
٢٥١	[لقمان: ٢٩]	﴿الَّذِينَ تَرَوُا أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿	٢٧٩.
٦٦	[الأحزاب: ١]	﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ﴿	٢٨٠.
١٠٧	[الأحزاب: ٢٤]	﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ ۖ إِنَّ شَاءَ اللَّهُ يُتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿	٢٨١.
٤٥	[الأحزاب: ٢٦]	﴿وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ ﴿	٢٨٢.
٦٧	[الأحزاب: ٧٠]	﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿	٢٨٣.
١١٩	[الأحزاب: ٧١]	﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴿	٢٨٤.
٢٣١-٢٢٠	[الأحزاب: ٧٢]	﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ ۖ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿	٢٨٥.
٤٥	[سبأ: ١٣]	﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَآءُ مِنْ مَّحْرِبٍ وَتَمَثَّلَ حِجَابٍ رَّاسِيَتٍ ﴿	٢٨٦.
٨٥	[سبأ: ١٥]	﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلٌّ مِنْ رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ بَلَدَهُ طَيِّبَةً وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿	٢٨٧.
٨٥	[سبأ: ١٦-١٧]	﴿فَاعْرَضُوا فَاَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَقِءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ يُجْزَىٰ إِلَّا الْكَفُورُ ﴿	٢٨٨.

٢٨٩.	﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرَى ظَاهِرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ﴾	[سبأ: ١٨]	٨٥-٨٦ ١٥٨
٢٩٠.	﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾	[سبأ: ١٩]	٨٦
٢٩١.	﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾	[فاطر: ١٣]	٢٤٩
٢٩٢.	﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿١١﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿١٢﴾ وَلَا	[فاطر: ١٩-٢١]	١٤١
٢٩٣.	﴿الزُّلُمُ وَلَا الْحَرُورُ﴾	[فاطر: ٢٧]	١٨٣
٢٩٤.	﴿الَّذِي جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا﴾	[فاطر: ٣٩]	٢٢١-٢٢٢
٢٩٥.	﴿فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾	[يس: ٥١]	٤٥
٢٩٦.	﴿قَالُوا يَتَوَلَّوْنَا مِنْ بَعْثِنَا مَنْ مَرْقَدًا﴾	[يس: ٥٢]	٤٥
٢٩٧.	﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ﴾	[يس: ٨٠]	٢٤٣
٢٩٨.	﴿إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ﴾	[الصفات: ٦]	١٧٨
٢٩٩.	﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُيُوتًا فَأَلْفُوهُ فِي الْجِجَمِ﴾	[الصفات: ٩٧]	٩٥
٣٠٠.	﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ﴾	[الصفات: ١٧٧]	٤١
٣٠١.	﴿وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْدَادِ﴾	[ص: ١٢]	٨٨
٣٠٢.	﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَجِّيكَ إِلَيَّ نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخَاطِئَةِ لَنَبْعِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾	[ص: ٢٤]	٢٧٤

٢٢١ ٢٢٤	[ص: ٢٦]	﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾	٣٠٣.
٤٥	[ص: ٤٢]	﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾	٣٠٤.
٢٥٠	[الزمر: ٥]	﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ۚ أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾	٣٠٥.
٢٨٣	[الزمر: ٩]	﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾	٣٠٦.
٨٩	[غافر: ٢٩]	﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾	٣٠٧.
٩٥-٩٠ ٢٨٩	[غافر: ٣٦-٣٧]	﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمَنُنِ ابْنُ لِي صَرَخًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ۖ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كُذِّبًا وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾	٣٠٨.
٢٤٣	[غافر: ٦١]	﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾	٣٠٩.
٢٤١	[غافر: ٦٤]	﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمُ فَوَحَّشَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾	٣١٠.
٥٧	[فصلت: ١٣-١٤]	﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ۚ إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾	٣١١.
٨١	[فصلت: ١٥-١٦]	﴿فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا	٣١٢.

		يُحَدِّثُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾	
١٣٠	[فصلت: ٥٣]	﴿ سَرَّيْهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾	٣١٣.
٢٦٣	[الشورى: ٣٨]	﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾	٣١٤.
٢٦٥	[الشورى: ٤٠]	﴿ وَحِزْبُوا سَيِّئَةً سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾	٣١٥.
٢٤١	[الزخرف: ١٣]	﴿ لِيَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴾	٣١٦.
٢٤٢	[الزخرف: ٣٢]	﴿ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا ﴾	٣١٧.
١٤٩-٤٥ ١٦٨	[الزخرف: ٣٣-٣٥]	﴿ وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِيُوشِيَهُمْ سُقْفًا مِّنْ فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِيُوشِيَهُمْ أَتُونَا وَسِرًّا عَلَيْهِمْ يَتَكَلَّمُونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرَفًا وَإِن كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَّعِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾	٣١٨.
٨٨	[الزخرف: ٥١]	﴿ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَنْقُورِ آلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾	٣١٩.
٢٨٩	[الزخرف: ٥٤]	﴿ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾	٣٢٠.
٨٨	[الدخان: ٢٥-٢٨]	﴿ كَمْ تَرَكُوا مِّنْ جَنَّتٍ وَعَيْوُنٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَنَكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا ءَاخِرِينَ ﴾	٣٢١.
٢٥٠-٢٤١	[الجنات: ١٢]	﴿ اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِيَسْلَبَوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾	٣٢٢.
٢٤١	[الجنات: ١٣]	﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾	٣٢٣.

٣٢٤.	﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾	[الجاثية: ١٥]	٢٦٩
٣٢٥.	﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا زَادَهُمْ هُدًى وَءَانِسُهُمْ قَوْلُهُمْ ﴾	[محمد: ١٧]	٦٥
٣٢٦.	﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾	[محمد: ٢٢]	٦١
٣٢٧.	﴿ وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ ﴾	[محمد: ٣٨]	٢٣٣
٣٢٨.	﴿ يَطَّيِّرُ مَكَّةَ ﴾	[الفتح: ٢٤]	٤٢
٣٢٩.	﴿ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ اللَّعِينَةَ حِمَّةَ الْبُهْلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾	[الفتح: ٢٦]	٦٧
٣٣٠.	﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾	[الفتح: ٢٩]	١٢٣
٣٣١.	﴿ إِنَّ الَّذِينَ ينادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ ﴾	[الحجرات: ٤]	٤٥
٣٣٢.	﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾	[الحجرات: ٩]	٩٥
٣٣٣.	﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾	[الحجرات: ١٠]	٢٨١-٩٥
٣٣٤.	﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرُونَ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءِ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَلْسَمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾	[الحجرات: ١١]	٢٥٦
٣٣٥.	﴿ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾	[الحجرات: ١٢]	١٠٩
٣٣٦.	﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾	[الحجرات: ١٣]	٧١-٧٠

٢٧٢-١٢٩			
١٧٨	[ق:٦]	﴿ أَفَلَا يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴾	.٣٣٧
٢٥٨	[ق:١٦]	﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تُوَسَّوَسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾	.٣٣٨
٢٤٨	[الذاريات: ٤٧]	﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾	.٣٣٩
١١٦	[الذاريات: ٥٨-٥٦]	﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾	.٣٤٠
٢٦٨	[النجم: ٢٨]	﴿ وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴾	.٣٤١
٤٥	[القمر: ٥٥]	﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقْنَدٍ ﴾	.٣٤٢
٤٥	[الرحمن: ٥٤]	﴿ مُتَكِبِينَ عَلَى فُرْشٍ بَطَّانِيهَا مِنْ إِسْتَرْجٍ ﴾	.٣٤٣
٤٥	[الرحمن: ٧٢]	﴿ حُرُورٌ مَقْصُورَتٌ فِي الْخِيَامِ ﴾	.٣٤٤
١٨٣	[الرحمن: ٧٦]	﴿ مُتَكِبِينَ عَلَى رَقَرٍ خُضِرَ وَعَبَقَرِي حَسَانِ ﴾	.٣٤٥
١٤١	[الواقعة: ٣٠-٣١]	﴿ وَظِلٌّ مَمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَاءٌ مَسْكُوبٍ ﴾	.٣٤٦
٢٥٨	[الحديد: ٤]	﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾	.٣٤٧
٢٢٤	[الحديد: ٧]	﴿ ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾	.٣٤٨
٤٥	[الحديد: ١٣]	﴿ فَضْرَبَ بَيْنَهُمُ يَسُورَ لَهُ بَابٌ بِأَطْنَهٗ فِيهِ الرِّحْمَةُ وَظَهَرَ مِنْ قَبْلِهِ الْعَذَابُ ﴾	.٣٤٩
٢٦٨	[المجادلة: ١١]	﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾	.٣٥٠
١٨٧-١٥٩	[الحشر: ٢]	﴿ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَلْنَاهُمْ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ﴾	.٣٥١
١٥٩-٤٥	[الحشر: ١٤]	﴿ لَا يَقْنِزُوكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ ﴾	.٣٥٢

١٢١	[الحشر: ٢١]	﴿وَذَلِكَ الْأَمْتَلُ نَصْرُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾	٣٥٣.
٧٧	[الجمعة: ٢]	﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِينَ رُسُلًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ لَفَى ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾	٣٥٤.
١٢٧	[الجمعة: ١٠]	﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾	٣٥٥.
٧٠	[الطلاق: ٢]	﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾	٣٥٦.
٧٠	[الطلاق: ٤]	﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾	٣٥٧.
٧٠	[الطلاق: ٥]	﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾	٣٥٨.
٢٥٨	[الطلاق: ٧]	﴿لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُتَّقِ اللَّهَ فَمَا أَنَّهُ فَقِيرٌ﴾ ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَّا آتَتْهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾	٣٥٩.
١٠٣	[الطلاق: ٨ - ٩]	﴿وَكَاذِبِينَ قَرِيَةً عَنَّتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسِبْنَهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَبْنَهَا عَذَابًا ثَقِيلًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عِقَبُهُ أَمْرًا خُسْرًا﴾	٣٦٠.
٩٤	[التحریم: ١١]	﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾	٣٦١.
١٧٨	[الملك: ٥]	﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾	٣٦٢.
١٦١-١٠٤	[الملك: ١٥]	﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ﴾	٣٦٣.
١١٢	[الملك: ٢٣ - ٢٤]	﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾	٣٦٤.
٨٢	[الحاقة: ٦ - ٨]	﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأَهْلِكُوهَا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَتَمَنِيَةً أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعِجَابُ غَحَلٍ خَاطِبَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾	٣٦٥.
٤١	[نوح: ٢٠]	﴿لَنَسْلُكُنَّ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾	٣٦٦.

١٦٠	[المذثر: ٤]	﴿وَيَأْتِيكَ فَطَهْرٌ﴾	٣٦٧.
٢٨٢	[القيامة: ٣٦]	﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾	٣٦٨.
١٣٩	[الإنسان: ١٣]	﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمَهْرِيرًا﴾	٣٦٩.
١١٠	[المرسلات: ١٦]	﴿الْمُرْتَلِكِ الْأُولَى﴾	٣٧٠.
١١٣	[المرسلات: ٤٧]	﴿وَبَلِّغْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾	٣٧١.
٢٤٢	[النبا: ١٢]	﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾	٣٧٢.
١٦١	[النبا: ٣١-٣٢]	﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا﴾	٣٧٣.
٧٦	[النازعات: ٢٧- [٣٣]	﴿ءَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّيْنَاهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٢٩﴾ وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾ وَالْجِبَالُ أَرْسَاهَا ﴿٣٢﴾ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾	٣٧٤.
٤٥	[النازعات: ٣٩]	﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾	٣٧٥.
١٦١	[عبس: ٢٤-٣٠]	﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ﴿٢٤﴾ أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعَبْنَا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيَّنَّاهَا أَنْجَالًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَّائِقَ عُلبًا﴾	٣٧٦.
	[الأعلى: ٤]	﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى﴾	٣٧٧.
٤٥	[الغاشية: ١٥]	﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ﴾	٣٧٨.
١٦٩	[الغاشية: ٢٠]	﴿وَالِإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾	٣٧٩.
٢٧٨-٩٩	[الفجر: ٦-١٤]	﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْنَادِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾	٣٨٠.
٤١	[البلد: ١]	﴿لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾	٣٨١.
٢٤٢	[الشمس: ٥]	﴿وَالسَّمَاءَ وَمَا بَنَاهَا﴾	٣٨٢.

٢٥٦ ٢٨٢	[الشمس: ٧ - ١٠]	﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّيْنَاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَزَّكَهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّهَا﴾	.٣٨٣
١١٣	[الشرح: ٥ - ٦]	﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾	.٣٨٤
١٢١ ٢٣١	[العلق: ١ - ٥]	﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾	.٣٨٥

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة التي وردت في البحث

ملاحظة: تم ترتيب الأحاديث بناء على حروف المعجم حسب أوائل الأحاديث.

م	نص الحديث	تخريج الحديث	رقم الصفحة في البحث
١	«إذا أتيتم الغائط فلا تستقبلوا القبلة ولا تستدبروها، ولكن شرقوا أو غربوا».	متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب استقبال القبلة، ج ١، ص ٨٤، رقم (٣٨٣)، ومسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب الاستطابة، ج ٣، ص ١٥٣، رقم (٣٩٣).	١٩٠
٢	«إن الله جميل يحب الجمال».	أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه، ج ٢، ص ٨٩، رقم (١٣٤).	١٣١
٣	«ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً يأكل منه طير، أو إنسان، أو بهيمة إلا كان له بعد صدقة».	متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المزارعة، باب فضل الزرع والغرس، ج ٤، ص ٥، رقم (٢١٩٥). ومسلم في صحيحه، كتاب المساقاة، باب فضل الغرس والزرع، ج ١٠، ص ١٦٦، رقم (٣٠٠٣).	٧٣ ٢٧١
٤	«مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى».	أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، ج ١٦، ص ١٤٠، رقم (٤٦٩١).	١٢٣
٥	«المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً».	متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب استقبال القبلة، ج ١، ص ١١٤، رقم (٤٨١)، ومسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، ج ١٦، ص ١٤٠، رقم (٢٥٨٧).	٦٠
٦	«من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه حتى يدعه، وإن كان أخاه لأبيه أو أمه».	أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن الإشارة بالسلاح لأخيه المسلم، ج ١٦، ص ١٦٩، رقم (٤٧٤٧).	٦٢

فهرس الآثار التي وردت في البحث

ملاحظة: تم ترتيب الآثار بناء على حروف المعجم حسب أوائل الآثار.

م	الأثر	الراوي	رقم الصفحة في البحث
١	أَنَّ الْمُسْجِدَ كَانَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَبْنِيًّا بِاللِّبْنِ، وَسَقْفُهُ الْجَرِيدُ، وَعُمْدُهُ خَشْبُ النَّخْلِ، فَلَمْ يَزِدْ فِيهِ أَبُو بَكْرٍ شَيْئًا، وَزَادَ فِيهِ عُمَرُ، وَبَنَاهُ عَلَى بُنْيَانِهِ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِاللِّبْنِ وَالْجَرِيدِ وَأَعَادَ عُمْدَهُ خَشْبًا، ثُمَّ غَيَّرَهُ عُثْمَانُ فَرَادَ فِيهِ زِيَادَةً كَثِيرَةً وَبَنَى جِدَارَهُ بِالْحِجَارَةِ الْمَنْقُوشَةِ وَالْقَصَّةِ وَجَعَلَ عُمْدَهُ مِنْ حِجَارَةٍ مَنْقُوشَةٍ وَسَقَفَهُ بِالسَّاجِ.	عبدالله بن عمر رضي الله عنهما	٢١١
٢	إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ مَادْبَةٌ اللَّهِ، فَمَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَتَعَلَّمَ مِنْهُ شَيْئًا فَلْيَفْعَلْ، فَإِنَّ أَصْفَرَ الْبُيُوتِ مِنَ الْخَيْرِ الْبَيْتُ الَّذِي لَيْسَ فِيهِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى شَيْءٌ، وَإِنَّ الْبَيْتَ الَّذِي لَيْسَ فِيهِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ شَيْءٌ خَرِبَ كَخَرَابِ الْبَيْتِ الَّذِي لَا عَامِرَ لَهُ.	ابن مسعود رضي الله عنه	٢٧٥
٣	أَوْصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ، لَا بُدَّ لَكَ مِنْ لِقَائِهِ، وَلَا مُنْتَهَى لَكَ دُونَهُ وَهُوَ يَمْلِكُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ أَوْ عَلَيْكَ بِالَّذِي يُقَرِّبُكَ إِلَى اللَّهِ فَإِنَّ فِيهَا عِنْدَ اللَّهِ خَلْفًا مِنَ الدُّنْيَا.	علي بن أبي طالب رضي الله عنه	٦٤
٤	حَسَبُ الرَّجُلِ: دِينُهُ، وَمُرُوءَتُهُ: خُلُقُهُ، وَأَصْلُهُ: عَقْلُهُ.	عمر بن الخطاب رضي الله عنه	٢٢٦
٥	نهانا النبي ﷺ أن نشرب في آنية الذهب والفضة، وأن نأكل فيها، وعن لبس الحرير والديباغ وأن نجلس عليه.	حذيفة رضي الله عنه	١٥١

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

أولاً: الكتب.

كتب التفسير وعلوم القرآن والدراسات القرآنية.

- ١ - إسماعيل، تومي، العمارة والعمران في ظلال القرآن، (د.م: بيت المعماريين العرب، د.ط، د.ت).
- ٢ - الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ت: علي الباري عطية، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٥هـ).
- ٣ - ابن باديس، عبد الحميد محمد الصنهاجي، في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ت: أحمد شمس الدين، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م).
- ٤ - البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء، معالم التنزيل في تفسير القرآن، ت: عبدالرزاق المهدي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ١، ١٤٢٠هـ).
- ٥ - البقاعي، أبو بكر إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، د.ط، د.ت).
- ٦ - البهي، محمد، منهج القرآن في تطوير المجتمع، (القاهرة: مكتبة وهبة، ط ٢، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م).
- ٧ - البوطي، محمد سعيد رمضان، منهج الحضارة الإنسانية في القرآن، (بيروت: دار الفكر، د.ط، ١٩٨٢م).
- ٨ - البضاوي، أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ت: محمد عبد الرحمن المرعشلي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ١، ١٤١٨هـ).
- ٩ - التلاوي، أحمد، أسس الحضارة والعمران في القرآن الكريم مع تصحيح لمفاهيم خاطئة في فضائنا الإسلامي، (الزقاق: دار مسار للنشر والتوزيع، ط ١، ١٤٤١هـ).
- ١٠ - تلوت، جميلة، مقاصد الأسرة في القرآن من الإنسان إلى العمران، (لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ط ١، ١٤٣٩هـ / ٢٠١٨م).
- ١١ - الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ت: أبو محمد بن عاشور، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ١، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م).
- ١٢ - ابن جزي، أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، التسهيل لعلوم التنزيل، ت: عبد الله الخالدي، (بيروت: شركة دار الأرقم، ط ١، ١٤١٦هـ).
- ١٣ - الجصاص، أبو بكر أحمد بن علي الرازي، أحكام القرآن، ت: محمد صادق القمحوي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ط، ١٤٠٥هـ).

- ١٤ - ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، ت: عبدالرزاق المهدي، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط ١، ١٤٢٢هـ).
- ١٥ - حسن، نوبي محمد، عمارة المسجد في ضوء القرآن والسنة، (القاهرة: دار نهضة الشرق، ط ١، ٢٠٠٢م).
- ١٦ - حسن، نوبي محمد، العمران والتعمير في ضوء القرآن والسنة، (مصر: جمعية الإعجاز العلمي للقرآن والسنة، د.ط، د.ت).
- ١٧ - الخطاب، أحمد، القرآن الكريم وأزمة البيئة والتنمية، (المغرب: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط ٢، ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م).
- ١٨ - حمادة، فاروق، دراسات إسلامية في القرآن والفقه واللغة والفكر والحضارة، (دمشق: دار القلم، ط ١، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م).
- ١٩ - حمادة، فاروق، الورثة الصالحة للحضارة المعاصرة بحث قرآني في الحضارة، (المغرب: دار الثقافة، ط ١، ١٩٩٠م).
- ٢٠ - دراز، محمد عبدالله، دستور الأخلاق في القرآن، (د.م: مؤسسة الرسالة، ط ١٠، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م).
- ٢١ - الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ٣، ١٤٢٠هـ).
- ٢٢ - الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف، المفردات في غريب القرآن، ت: صفوان الداودي، (بيروت: دار القلم، ط ١، ١٤١٢هـ).
- ٢٣ - رشيد رضا، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين، تفسير القرآن الحكيم - تفسير المنار، (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، ١٩٩٠م).
- ٢٤ - الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل، معاني القرآن وإعرابه، ت: عبد الجليل عبده شلبي، (بيروت: عالم الكتب، الطبعة ١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م).
- ٢٥ - الزحيلي، وهبة بن مصطفى، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، (دمشق: دار الفكر المعاصر، ط ٢، ١٤١٨هـ).
- ٢٦ - الزحيلي، وهبة بن مصطفى، القيم الإنسانية في القرآن الكريم، (سوريا: دار المكتبي، ط ٢، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م).
- ٢٧ - الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط ٣، ١٤٠٧هـ).
- ٢٨ - السعدي، أبو عبدالله عبدالرحمن بن ناصر بن عبدالله، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ت: عبدالرحمن بن معلا، (د.م: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م).

- ٢٩ - أبو السعود، العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ط، د.ت).
- ٣٠ - سلقيني، محيي الدين خطيب، العمارة والقرآن، إحياء للنفس والعمران، (حلب: دار شعاع، د.ط، ٢٠٠٦م).
- ٣١ - أبو سليمان، عبد الحميد، الرؤية الكونية الحضارية القرآنية المنطلق الأساس للإصلاح الإنساني، (د.م: د.ن، د.ط، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م).
- ٣٢ - سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، (القاهرة: دار الشروق، ط١٧، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م).
- ٣٣ - سيد قطب، إبراهيم حسين الشاربي، في ظلال القرآن، (القاهرة: دار الشروق، ط١٧، ١٤١٢هـ).
- ٣٤ - السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، الإتقان في علوم القرآن، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م).
- ٣٥ - السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، أسرار ترتيب القرآن، (د.م: دار الفضيلة للنشر والتوزيع، د.ط، د.ت).
- ٣٦ - بنت الشاطي، عائشة عبد الرحمن، القرآن وقضايا الإنسان، (بيروت: دار العلم للملايين، ط٥، ١٩٨٢م).
- ٣٧ - الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م).
- ٣٨ - الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله، فتح القدير، (بيروت: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، ط١، ١٤١٤هـ).
- ٣٩ - الصالح، محمد أديب، الإنسان والحياة في وقفات مع آيات معالم قرآنية في البناء، (الرياض: شركة العبيكان، ط١، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م).
- ٤٠ - صبح، علي علي، التصوير القرآني للقيم الخلقية والتشريعية، (د.م: المكتبة الأزهرية للتراث، د.ط، د.ت).
- ٤١ - صديق خان، أبو الطيب محمد صديق خان حسن القنوجي، فتح البيان في مقاصد القرآن، (بيروت: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، د.ط، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م).
- ٤٢ - الصَّلَابي، علي محمد محمد، تبصير المؤمنين بفقہ النصر والتمكين في القرآن الكريم أنواعه - شروطه وأسبابه - مراحل وأهدافه، (الإمارات: مكتبة الصحابة، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م).
- ٤٣ - طاهيري، عبد الله، الإنسان والعمران من خلال قصص القرآن، دراسة في فقه القصص القرآني، (مصر: دار الكلمة للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٨م).
- ٤٤ - الطبري، محمد بن جرير بن يزيد الآملي، جامع البيان في تأويل القرآن، ت: أحمد محمد شاكر، (د.م: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م).

- ٤٥ - الطنطاوي، محمد سيد، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، (القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٩٩٨م).
- ٤٦ - ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي التحرير والتنوير - تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، (تونس: الدار التونسية للنشر، د.ط، ١٩٨٤هـ).
- ٤٧ - عبد الباقي، محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن (القاهرة: مطبعة دار الحديث، د.ط، ١٣٦٤هـ).
- ٤٨ - ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ت: عبد السلام عبد الشافي محمد، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٢هـ).
- ٤٩ - العلواني، طه جابر، التوحيد والتزكية والعمران محاولات في الكشف عن القيم والمقاصد القرآنية الحاكمة، (بيروت: دار الهادي، ط١، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م).
- ٥٠ - علي، سعيد إسماعيل، القرآن الكريم رؤية تربوية، (القاهرة: دار الفكر العربي، ط١، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م).
- ٥١ - الغريب، رمضان خميس زكي، مفهوم السنن الربانية من الفهم إلى التسخير دراسة في ضوء القرآن الكريم، (القاهرة: دار المقاصد، ط١، ١٤٢١هـ / ٢٠١٥م).
- ٥٢ - الفارسي، أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار، الحجة للقراء السبعة، ت: بدر الدين قهوجي، (بيروت: دار المأمون للتراث، ط٢، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م).
- ٥٣ - أبو الفداء، إسماعيل حقي مصطفى الإستانبولي، روح البيان، (بيروت: دار الفكر، د.ط، د.ت).
- ٥٤ - الفيروزآبادي، أبو طاهر محمد بن يعقوب، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، ت: محمد النجار، (القاهرة: المجلس الأعلى للثئون الإسلامية / لجنة إحياء التراث الإسلامي، د.ط، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م).
- ٥٥ - قجوي، محمد، التفسير الموضوعي وأهميته في فهم القرآن الكريم، (المغرب: الرابطة المحمدية للعلماء، سلسلة الإسلام والسياق المعاصر ٧٠، د.ط، د.ت).
- ٥٦ - القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ط٢، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م).
- ٥٧ - القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك، لطائف الإشارات، ت: إبراهيم البسيوني، (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٣، د.ت).
- ٥٨ - القطان، إبراهيم، تيسير التفسير (د.م: د.ن، د.ط، د.ت).
- ٥٩ - قعدان، زيدان عبدالفتاح، منهج الاقتصاد في القرآن الكريم، (د.م: منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، د.ط، ١٩٩٠م).
- ٦٠ - القنّوجي، أبو الطيب محمد صديق خان، فتح البيان في مقاصد القرآن، (بيروت: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، د.ط، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م).

- ٦١ - القيرواني، يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التصارييف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسائه وتصرفت معانيه، تـ: هند شليبي (تونس: الشركة التونسية للتوزيع، د.ط، ١٩٧٩م).
- ٦٢ - كالمو، محمد محمود، فلسفة العمران الحضاري من منظور قرآني، (مجلة فصلية: المجلس الإسلامي السوري، مقاربات).
- ٦٣ - ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، تـ: سامي بن محمد سلامة، (د.م: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م).
- ٦٤ - كهوس، أبو اليسر رشيد، العمران الإسلامي دراسة تأصيلية في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية، (مصر: دار الحكمة، ط١، ١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م).
- ٦٥ - الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، النكت والعيون، تـ: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ط، د.ت).
- ٦٦ - المراغي، أحمد بن مصطفى، تفسير المراغي، (مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط١، ١٣٦٥هـ / ١٩٤٦م).
- ٦٧ - المطرودي، عبد الرحمن إبراهيم، الإنسان وجوده وخلافته في الأرض في ضوء القرآن الكريم، (القاهرة: مكتبة وهبة، ط١، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م).
- ٦٨ - النجار، عبد المجيد، مقاصد القرآن في بناء الفكر العمراني، (د.م: د.ن، د.ط، ١٤٣٨هـ / ٢٠١٧م).
- ٦٩ - نخبة من أساتذة التفسير، التفسير الميسر، (السعودية: مجمع الملك فهد، ط٢، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م).
- ٧٠ - النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، تـ: يوسف بدوي (بيروت: دار الكلم الطيب، ط١، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م).
- ٧١ - نوري، موفق سالم، القيم الحضارية في الخطاب القرآني سورة العنكبوت أنموذجاً، (الدوحة: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط١، ١٤٣٨هـ / ٢٠١٧م).
- ٧٢ - الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي، أسباب نزول القرآن، تـ: عصام بن عبد المحسن الحميدان، (الدمام: دار الإصلاح، ط٢، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م).
- ٧٣ - الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تـ: عادل عبد الموجود، وآخرون، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م).
- ٧٤ - الوزيري، يحيى حسن، إعجاز القرآن الكريم في العمارة والعمران، (القاهرة: عالم الكتب، ط١، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٨م).
- كتب السنة النبوية.

- ٧٥- البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، ت: مصطفى ديب البغا، (بيروت: دار ابن كثير، ط٣، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م).
- ٧٦- ابن شيبّة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي، المصنف في الأحاديث والآثار، ت: كمال يوسف الحوت (الرياض: مكتبة الرشد، ط١، ١٤٠٩هـ).
- ٧٧- عبدالرزاق، عبدالرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني، المصنف، ت: حبيب الرحمن الأعظمي، (الهند: المجلس العلمي، ط٢، ١٤٠٣).
- ٧٨- المالكي، أبو بكر أحمد بن مروان الدينوري، المجالسة وجواهر العلم، ت: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، (بيروت: دار ابن حزم، د.ط، ١٤١٩هـ).
- ٧٩- مسلم، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط١، د.ت).
- كتب الفقه الإسلامي وأصوله.
- ٨٠- ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، ت: محمد عبد الكريم كاظم الراضي (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م).
- ٨١- الزحيلي، محمد مصطفى، الوجيز في أصول الفقه الإسلامي، (دمشق: دار الخير للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م).
- ٨٢- السعدي، أحمد محمد سعيد، أحكام العمران في الفقه الإسلامي، (دمشق: دار الرواد للنشر، ط١، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م).
- ٨٣- الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد الغرناطي، الموافقات، ت: مشهور بن حسن آل سلمان، (د.م: دار ابن عفان، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م).
- ٨٤- الفاسي، علّال، مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، (مصر: دار الكلمة للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٤م).
- ٨٥- القحطاني، مسفر بن علي، الوعي الحضاري، مقاربات مقاصدية لفقه العمران الإسلامي، (د.م: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط١، ٢٠١٢م).
- كتب اللغة العربية والمعاجم.
- ٨٦- الألوسي، صفا لطفي، معجم مصطلحات وأعلام في الفكر والزخرفة والعمارة الإسلامية، (الأردن: الدار المنهجية للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م).
- ٨٧- الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ت: أحمد عبدالغفور، (بيروت: دار العلم للملايين، ط٤، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م).

- ٨٨ - أبو العباس، أحمد بن محمد بن علي الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، (بيروت: المكتبة العلمية، د.ط، د.ت).
- ٨٩ - عمر، أحمد مختار عبد الحميد، معجم اللغة العربية المعاصرة، (د.م: عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م).
- ٩٠ - ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء، معجم مقاييس اللغة، ت: عبدالسلام محمد، (د.م: دار الفكر، د.ط، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م).
- ٩١ - الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم، العين، ت: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، (د.م: دار ومكتبة الهلال، د.ط، د.ت).
- ٩٢ - الفيروزآبادي، أبو طاهر محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، ت: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، (بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط٨، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م).
- ٩٣ - الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، ت: عدنان درويش، ومحمد المصري، (بيروت: مؤسسة الرسالة، د.ط، د.ت).
- ٩٤ - مجمع اللغة العربية: مصطفى، إبراهيم، وآخرون، المعجم الوسيط، (القاهرة: دار الدعوة، د.ط، د.ت).
- ٩٥ - المرتضى، أبو الفيض محمد بن محمد بن عبد الرزاق، تاج العروس من جواهر القاموس، ت: مجموعة من المحققين، (د.م: دار الهداية، د.ط، د.ت).
- ٩٦ - ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي، لسان العرب، (بيروت: دار صادر، ط٣، ١٤١٤هـ). كتب العلوم الإنسانية والاجتماعية.
- ٩٧ - الأهدل، أحمد بن يوسف بن محمد، الأخلاق الزكية في آداب الطالب المرضية، (الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ط٣، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م).
- ٩٨ - الجاسر، عمر عبدالله، حضارة الإسلام أنارت الطريق للأئام، (الرياض: دار أطلس الخضراء، ط١، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م).
- ٩٩ - جبر، محمد أمين، الإنسان والخلافة في الأرض، (القاهرة: دار الشروق، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م).
- ١٠٠ - جندي، بتول أحمد، على عتبات الحضارة - بحث في السنن وعوامل التخلق والانقياد، (سوريا: دار الملتقى للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م).
- ١٠١ - حبنكة، عبدالرحمن حسن، الأخلاق الإسلامية وأسسها، (دمشق: دار القلم، ط٥، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م).
- ١٠٢ - حمادة، فاروق، بناء الإنسان والمجتمع، (دمشق: دار القلم، ط١، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م).

- ١٠٣ - الحميدان، عبداللطيف بن محمد بن عبدالعزيز، سنن قيام الحضارات وسقوطها قديماً وحديثاً مقارنة بآراء ابن خلدون، (المملكة العربية السعودية: العبيكان للنشر، ط١، ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م).
- ١٠٤ - الخراز، خالد بن جمعة عثمان، موسوعة الأخلاق، (الكويت: مكتبة أهل الأثر، ط١، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م).
- ١٠٥ - الخزندار، أبو أسامة محمود محمد، هذه أخلاقنا عندما نكون مؤمنين حقاً، (الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م).
- ١٠٦ - الخطيب، محمد عبدالفتاح، قيم الإسلام الحضارية نحو إنسانية جديدة، (قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط١، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م).
- ١٠٧ - ابن خلدون، عبدالرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تـ: حامد أحمد الظاهر، (القاهرة: دار الفجر للتراث، ط١، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م).
- ١٠٨ - الدسوقي، فاروق، استخلاف الإنسان في الأرض نظرات في الأصول الإعتقادية للحضارة الإسلامية، (الرياض: مكتبة فرقد الخاني، ط٢، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦).
- ١٠٩ - الدمشقي، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَكَة، الحضارة الإسلامية أسسها ووسائلها وصور من تطبيقات المسلمين لها ولمحات من تأثيرها في سائر الأمم، (دمشق: دار القلم، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م).
- ١١٠ - السامرائي، نعمان عبدالرزاق، نحن والحضارة والشهود، (قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م).
- ١١١ - السايح، أحمد عبدالرحيم، الحضارة الإسلامية، (المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية، د.ط، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م).
- ١١٢ - السباعي، مصطفى، أخلاقنا الاجتماعية، (الرياض: دار الوراق، ط١، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م).
- ١١٣ - سفر، محمود محمد، دراسة في البناء الحضاري محنة المسلم مع حضارة عصره، (قطر: رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، ط١، ١٤٠٩هـ).
- ١١٤ - الصالح، محمد أديب، المسلم والبناء الحضاري الوجود الذاتي وعمارة الأرض، (الرياض: شركة العبيكان للأبحاث والتطوير، ط١، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م).
- ١١٥ - عباس، رامي سامي، وخطاطبة، عدنان مصطفى، مظاهر التكريم الإلهي للنفس الإنسانية، (القدس: مجلة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، ٢٠١٦م).
- ١١٦ - عزب، خالد، فقه العمران، العمارة والمجتمع والدولة في الحضارة الإسلامية، (القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ط١، ٢٠١٣م).
- ١١٧ - عكاشة، ثروت، القيم الجمالية في العمارة الإسلامية، (القاهرة: دار الشروق، ط١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م).

- ١١٨ - عيساوي، عادل بن بوزيد، فقه السنن الإلهية ودورها في البناء الحضاري، (قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط١، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م).
- ١١٩ - غنيمه، عبدالفتاح مصطفى، ميادين الحضارة العربية الإسلامية وأثرها على الحضارة الإنسانية، (د.م: دار الفنون العلمية، د.ط، د.ت).
- ١٢٠ - القاضي، نصر الدين مصباح، منهج الإسلام في مواجهة التحديات الحضارية المعاصرة، (القاهرة: دار الفكر العربي، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م).
- ١٢١ - الكيلاني، ماجد عرسان، مقومات الشخصية المسلمة أو الإنسان الصالح، (قطر: المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، ط١، ١٤١١هـ).
- ١٢٢ - بن نبي، مالك، ميلاد مجتمع، ترجمة: عبدالصبور شاهين، (دمشق: دار الفكر، ط٣، ٢٠٠٢م).
- ١٢٣ - النجار، عبدالمجيد، خلافة الإنسان بين الوحي والعقل، (الولايات المتحدة الأمريكية: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط٣، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م).
- ١٢٤ - النجار، عبدالمجيد عمر، قيمة الإنسان "الإنسان في العقيدة الإسلامية ٢"، (المغرب: دار الزيتونة للنشر، ط١، ١٩٩٦م).
- ١٢٥ - نخبة من الباحثين الكتاب، الدور الحضاري للأمة المسلمة في عالم الغد، (قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م).
- ١٢٦ - الهذلول، صالح بن علي، أثر التشريع في تكوين البيئة العمرانية، (الرياض: الجمعية السعودية لعلوم العمران، ط١، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م).
- ١٢٧ - يالجن، مقداد، دور التربية الأخلاقية الإسلامية في بناء الفرد والمجتمع والحضارة الإنسانية، (الرياض: دار عالم الكتب، ط٢، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م).

كتب السير والتاريخ.

- ١٢٨ - أحمد، يوسف، المحاضرات الأثرية جامع أحمد بن طولون، (مصر: مطبعة الترقى، ط١، ١٣٣٥هـ/١٩١٧م).
- ١٢٩ - إسماعيل، كامل، دراسات أثرية مسجد أحمد بن طولون، (د.م: دار الجيل للطباعة، د.ط، د.ت).
- ١٣٠ - البطيوي، عزيز، سنن العمران البشري في السيرة النبوية، (عمان: مركز معرفة الإنسان للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٣٩هـ/٢٠١٨م).
- ١٣١ - البناء، السيد محمود، المدن التاريخية خطط ترميمها وصيانتها، (القاهرة: مكتبة زهراء الشرق، ط١، ٢٠٠٢م).

- ١٣٢ - البهسي، عفيف، العمارة عبر التاريخ، (د.م: طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط ١، ١٩٨٧م).
- ١٣٣ - التازي، عبدالحادي، جامع القرويين المسجد والجامعة بمدينة فاس موسوعة لتاريخها المعماري والفكري، (المغرب: دار نشر المعرفة، ط ٢، ٢٠٠٠م).
- ١٣٤ - الجزنائي، علي، جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تـ: عبد الوهاب بن منصور، (الرباط: المطبعة الملكية، ط ٢، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م).
- ١٣٥ - الحداد، عبدالله عبدالسلام، مقدمة في الآثار الإسلامية، (صنعاء: دار الشوكاني للنشر والطباعة، د.ط، د.ت).
- ١٣٦ - أبو خليل، شوقي، الحضارة العربية الإسلامية وموجز عن الحضارات السابقة، (دمشق: دار الفكر، ط ٣، ١٤٢٨/ ٢٠٠٧م).
- ١٣٧ - ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي، الاشتقاق، تـ: عبد السلام محمد هارون، (بيروت: دار الجيل، ط ١، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م).
- ١٣٨ - صلاح، مروى عصام، التاريخ والثقافة المعمارية، (عمان: مكتبة المجتمع العربي، ط ١، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م).
- ١٣٩ - عبد الباقي، إبراهيم، رحلة البحث عن الذات وأصول العمارة في الإسلام، النشأة، العقيدة، المنهج، النظرية، سيرة ذاتية، (د.م: دن، د.ط، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م).
- ١٤٠ - عبد الجواد، توفيق أحمد، تاريخ العمارة والفنون الإسلامية، (مصر: مكتبة الانجلو المصرية، د.ط، ١٨٨٠م).
- ١٤١ - عبد الحافظ، عبدالله عطية، الآثار والفنون الإسلامية، (القاهرة: د.م، د.ط، ٢٠٠٥م).
- ١٤٢ - عثمان، حسن، منهج البحث التاريخي، (القاهرة: دار المعارف، ط ٨، ١٩٦٤هـ).
- ١٤٣ - الفاسي، بن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، (الرباط: صور للطباعة والوراقة، د.ط، ١٩٧٢م).
- ١٤٤ - ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، قصص الأنبياء، تـ: مصطفى عبد الواحد، (القاهرة: دار التأليف، ط ١، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م).
- ١٤٥ - المالكي، قبيلة، تاريخ العمارة عبر العصور، (الأردن: دار المناهج للنشر والتوزيع، ط ١، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٤م).
- ١٤٦ - الموسوي، هاشم عبود، العمارة وحلقات تطورها عبر التاريخ القديم، (عمان: دار دجلة، ط ١، ٢٠١١م).
- ١٤٧ - وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مساجد مغربية عبر التاريخ، (المغرب: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، د.ط، ٢٠١٢م/ ١٤٣٣هـ).

١٤٨ - اليسير، رنا إسماعيل، تاريخ العمارة بين القديم والحديث، (عمان: دار اثراء للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٩م).

كتب الفنون المعمارية والهندسية.

١٤٩ - الأندلسي، القاضي أبو الأصبع عيسى بن سهل، وثائق في شؤون العمران في الأندلس المساجد والدور، مستخرجة من مخطوط الأحكام الكبرى، تـ: محمد عبدالوهاب الخلاف، (القاهرة: المركز العربي الدولي للإعلام، ط١، ١٩٨٣م).

١٥٠ - الباشا، حسن، موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية، (بيروت: أوراق شرقية، ط١، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م).

١٥١ - باسيليو بابون مالدونادو، عمارة المساجد في الأندلس مدخل عام، (أبوظبي: هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، كلمة، ط١، ٢٠١١م).

١٥٢ - البهنسي، عفيف، فنون العمارة الإسلامية وخصائصها في مناهج التدريس، (د.م: منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، د.ط، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).

١٥٣ - البهنسي، عفيف، العمارة العربية الجمالية والوحدة والتنوع، (الرباط: المجلس القومي للثقافة العربية، د.ط، د.ت).

١٥٤ - جودي، محمد حسين، العمارة العربية الإسلامية، خصوصيات، ابتكاراتها، جمالياتها، (عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م).

١٥٥ - حريري، مجدي محمد عبدالرحمن، أسس تصميم المسكن في العمارة الإسلامية، (مكة المكرمة: دن، ط١، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م).

١٥٦ - حسين، محمود إبراهيم، الارابيسك دراسات في الحضارة والفنون الإسلامية، (الكويت: مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م).

١٥٧ - حمودة، ألفت يحيى، الطابع المعماري بين التأصيل والمعاصرة، (القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، د.ط، ١٩٨٧).

١٥٨ - الحميدي، عبدالعزيز عبدالله، عمارة المساجد المعنوية وفضلها، (المملكة العربية السعودية: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ط١، ١٤١٩هـ).

١٥٩ - خلوصي، محمد ماجد عباس، عمارة المساجد تصميم وتاريخ وطراز وعناصر خمسة وثمانون مسجداً، (د.م: دن، د.ط، ١٩٩٨م).

١٦٠ - الخولي، محمد بدر الدين، المؤثرات المناخية والعمارة العربية، (د.م: دار المعارف، د.ط، د.ت).

- ١٦١ - الريحاوي، عبدالقادر، العمارة في الحضارة الإسلامية، (السعودية: جامعة الملك عبدالعزيز، ط١، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م).
- ١٦٢ - سالم، عبدالعزيز صلاح، روائع الفنون الإسلامية في المغرب الأقصى، (القاهرة: مركز الكتاب للنشر، ط١، ٢٠٠٩م).
- ١٦٣ - سامح، كمال الدين، العمارة في صدر الإسلام، (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، ١٩٨٧م).
- ١٦٤ - الطحان، عبدالله عبدالسلام، النقوش الكتابية على العمائر الدينية، (مصر: العلم والإيمان للنشر والتوزيع، د.ط، ٢٠٠٥م).
- ١٦٥ - عبدالجواد، توفيق حمد، العمارة الإسلامية فكر وحضارة، (مصر: مكتبة الأنجلو المصري، د.ط، د.ت).
- ١٦٦ - عبدالحافظ، عبدالله عطية، العمارة الإسلامية نشأتها تطورها طُرزها، (كويت: آفاق للنشر، ط٢، ١٤٣٩هـ/٢٠١٨م).
- ١٦٧ - عبدالحافظ، عبدالله عطية، الفنون الزخرفية الإسلامية في العصر العثماني، (الكويت: آفاق للنشر، ط٢، ١٤٣٩هـ/٢٠١٨م).
- ١٦٨ - عبدالحמיד، سعد زغلول، العمارة والفنون في دولة الإسلام، (الإسكندرية: منشأة معارف، د.ط، د.ت).
- ١٦٩ - عبده، عبدالله كامل موسى، عمارة المساجد في الجزيرة العربية والعالم الإسلامي منذ ما قبل الهجرة النبوية حتى نهاية العصر الراشدي، (الإسكندرية: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط١، ٢٠١٩م).
- ١٧٠ - عزب، خالد، فقه العمارة الإسلامية، (مصر: دار النشر للجامعات، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م).
- ١٧١ - عزب، خالد، السياسة الشرعية وفقه العمارة الحدود الفاصلة والمشاركة، (مصر: مكتبة الإسكندرية، د.ط، ٢٠١٢م).
- ١٧٢ - عزب، خالد محمد مصطفى، تخطيط وعمارة المدن الإسلامية، (قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، د.ط، ١٤١٨هـ).
- ١٧٣ - عيسى، جهاد، والبدوان، غسان، أسس التصميم والتشكيل العمراني، (دمشق: جامعة دمشق، د.ط، د.ت).
- ١٧٤ - غالب، عبدالرحيم، موسوعة العمارة الإسلامية، (بيروت: د.م، ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨).
- ١٧٥ - غولي، أنوار علي علوان عباس، الأنظمة التصميمية لزخارف المساجد الإسلامية، (عمان: دار الرضوان للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م).
- ١٧٦ - فكري، أحمد، مساجد القاهرة ومدارسها، (مصر: دار المعارف، د.ط، ١٩٦٩م).
- ١٧٧ - بن قربة، صالح، المثلثة المغربية الأندلسية في العصور الوسطى دراسة معمارية وفنية، (الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، د.ط، ١٩٨٦م).

- ١٧٨- مؤنس، حسين، المساجد، (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، د.ط، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م).
- ١٧٩- مرزوق، محمد عبدالعزيز، الفنون الزخرفية الإسلامية في المغرب والأندلس، (بيروت: دار الثقافة، د.ط، د.ت).
- ١٨٠- المرسي، سامي محمد، المساجد الكبرى في العالم الإسلامي، (القاهرة: دار العالم العربي، ط١، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م).
- ١٨١- المسلمي، أحمد منصور، العمران الأصالة والمعاصرة رؤية إسلامية لتخطيط المدينة العصرية، (مصر: المكتبة الأزهرية للتراث، د.ط، ١٤٤٠هـ/ ٢٠١٩م).
- ١٨٢- منشورات ندوة المعهد الوطني للتهيئة والتعمير، العمران في الوطن العربي بين التخطيط والتشريع والإدارة، (الرباط: المعهد الوطني للتهيئة والتعمير، د.ط، ٢٠٠١م).
- ١٨٣- الموسوي، صبا هاشم، تأملات في العمارة، (العراق: دار دجلة، ط١، ٢٠١١م).
- ١٨٤- نظيف، عبدالسلام أحمد، دراسات في العمارة الإسلامية، (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، ١٩٨٩م).
- ١٨٥- والي، طارق، البيان والتبيان في العمارة والعمران، (د.م: دن، ط١، ١٩٩٣م).
- ١٨٦- الوزيري، يحيى حسن، العمران والبنين في منظور الإسلام، (الكويت: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط١، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م).
- ١٨٧- الوزيري، يحيى حسن، العمارة الإسلامية والبيئة، (الكويت: مطابع السياسة، د.ط، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م).
- ١٨٨- الوزيري، يحيى حسن، موسوعة عناصر العمارة الإسلامية، (القاهرة: مكتبة مدبولي، ط١، ١٩٩٩م).
- كتب العلوم القانونية والاقتصادية والسياسية.
- ١٨٩- اشتيه، معتصم نمر حسن، الفقر الحضري وأثره على التطور العمراني، (عمان: دار الأيام للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٥م).
- ١٩٠- براهيم، عبد الحميد، العدالة الاجتماعية والتنمية في الاقتصاد الإسلامي، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، ١٩٩٧م).
- ١٩١- صالح، أماني، وآخرون، الأوقاف الخيرية وعمارة الإنسان والمكان نحو توطين نموذج إسلامي معاصر للتنمية البشرية، (القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط١، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م).
- ١٩٢- العاني، أسامة عبد المجيد، المنظور الإسلامي للتنمية البشرية، (الإمارات: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ط١، ٢٠٠٢م).

- ١٩٣ - عبدالشافي، عصام، الثورة والبناء الحضاري عند ابن خلدون، (مصر: المعهد المصري للدراسات السياسية والاستراتيجية، د.ط، ٢٠١٦م).
- ١٩٤ - نخبة من الباحثين والكتاب، إشكالية التنمية ووسائل النهوض، (قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط١، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م).
- ١٩٥ - الكواري، فاطمة عبدالله علي عمران، منع ومكافحة التعذيب في المواثيق الدولية لحقوق الإنسان، (الكويت: آفاق للنشر، ط١، ١٤٤٠هـ/٢٠١٩م).
- ١٩٦ - الكَوَاكِبِي، عبد الرحمن بن أحمد بن مسعود، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، (حلب: المطبعة العصرية، ط١، د.ت).
- كتب المعارف العامة.
- ١٩٧ - دويدري، رجاء وحيد، البحث العلمي أساسياته النظرية وممارسته العملية، (دمشق: دار الفكر، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م).
- ١٩٨ - السلمي، عز الدين عبدالعزيز بن عبد السلام، فوائد الصوم، تـ: عبدالله نذير أحمد، (بيروت: دار ابن حزم، ط١، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م).
- ١٩٩ - الصدر، محمد باقر، الإسلام يقود الحياة، تـ: اللجنة التابعة للمؤثر العالمي للإمام الصدر، (د.م: د.ن، ط٤، ١٤٢١هـ).
- ٢٠٠ - عرجون، محمد الصادق، الموسوعة في ساحة الإسلام، (السعودية: الدار السعودية للنشر والتوزيع، د.ط، د.ت).
- ٢٠١ - عمارة، محمد، الدين والحضارة عوامل امتياز الإسلام شهادة غربية، (القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ط١، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م).
- ٢٠٢ - قنديلجي، عامر، والسامرائي، إيمان، البحث العلمي الكمي والنوعي، (عمان: دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، د.ط، ٢٠٠٩م).
- ٢٠٣ - لانج، جيفري، ضياع ديني صرخة المسلمين في الغرب، ترجمة: إبراهيم يحيى الشهابي، (دمشق: دار الفكر، ط١، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م).
- ٢٠٤ - لانج، جيفري، الصراع من أجل الإيمان انطباعات أمريكي اعتنق الإسلام، ترجمة: منذر العبيسي، (دمشق: دار الفكر، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م).



ثانياً: الرسائل الجامعية.

- ٢٠٥ - بوسلهام، العربي، إشكالية التقدم والتخلف الحضاري، دراسة مقارنة بين التصور الإسلامي وآراء الغربيين، (الدراسات العليا في الدراسات الإسلامية): إشراف: بلبشير، محمد (الرباط: جامعة محمد الخامس، د.ط، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م).
- ٢٠٦ - ضاهر، عبد الوهاب مصطفى، العمارة وحل مشاكل البيئة في الإسلام، (ماجستير): إشراف: زعتري، علاء الدين (بيروت: كلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية، د.ط، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م).
- ٢٠٧ - طرشاوي، بلحاج، العمارة الإسلامية، أصولها الفكرية ودلالاتها الثقافية والبيئية، (دكتوراه): إشراف: بلحاج، معروف (الجزائر: النشر الجديد الجامعي، د.ط، ٢٠١٧م).
- ٢٠٨ - العوفي، ماهر محمد، العمران في القرآن الكريم، دراسة تحليلية (ماجستير): إشراف: الزغلول، محمد (الأردن: جامعة مؤتة، د.ط، ٢٠١٥م).
- ٢٠٩ - فرج الله، طارق محمد أحمد، المنهج الإسلامي في الاستدامة وأثره في بناء البيئة العمرانية المعاصرة (ماجستير): إشراف: محسن، عبد الكريم حسن، (غزة: الجامعة الإسلامية، د.ط، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م).
- ٢١٠ - محمد، مصطفى عبد الحميد، القيم الإنسانية في العمارة الإسلامية (ماجستير): إشراف: أحمد، محمد عزمي، ومرغني، عزت عبد المنعم، (مصر: جامعة أسيوط، د.ط، ٢٠٠٨م).
- ٢١١ - المرابط، زكرياء، التخطيط والبنين في الفقه الإسلامي (دكتوراه): إشراف: البوشيخي، الشاهد، (القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط ١، ١٤٣٩هـ/ ٢٠١٨م).

ثالثاً: المجلات والمؤتمرات.

- ٢١٢ - الأحمر، عبد السلام محمد، استخلاف الإنسان في الأرض بوصفه مقصداً عاماً للقرآن والشريعة والحضارة، (د.م: مجلة إسلامية المعرفة، السنة الثالثة والعشرون، العدد ٨٩، ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م).
- ٢١٣ - بوسلامة، فاطمة، كتاب المؤتمر الدولي العمران والقرآن دراسة في مقومات البناء وعوامل الأفلول، (المغرب: مؤسسة منارات الفكر الدولية، ط ١، ٢٠٢٢م).
- ٢١٤ - سلمان، عبدالله سعدون، دور نظم العقيدة الإسلامية في تشكل العمارة، (د.ب: مجلة الهندسة والتكنولوجيا، د.ط، ٢٠١٦م).
- ٢١٥ - شريف، أنوار مشعل، والعمرى، حفصة رمزي، بلاغة الشكل في العمارة الإسلامية: دراسة تحليلية لأسلوب الإطناب، (الرياض: مجلة العمارة والتخطيط، ١٤٤١هـ/ ٢٠٢٠م).
- ٢١٦ - الشجاع، عبد الكريم محمد باقر، التنمية المستدامة وإبداع تخطيط المعمار في القرآن، (بغداد: مجلة مركز دراسات الكوفة، ٢٠١٣م).
- ٢١٧ - القحطاني، مسفر بن علي، سلسلة المؤتمرات، الدين والحضارة حفظ العمران مقصد شرعي، (د.م: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ط ١، ١٤٤٠هـ/ ٢٠١٨م).

- ٢١٨- النحاس، نيفين حسن، التأثيرات المعمارية الإسلامية على العمارة الأوروبية في العصور الوسطى، العقد المذهب أنموذجاً دراسة حضارية أثرية، (الإسكندرية: مجلة كلية الآداب-جامعة الإسكندرية، د.ط، ٢٠١٨م).
- ٢١٩- وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، أعمال ندوة حول خصوصيات معمار المساجد بالمملكة المغربية، (المغرب: مطبعة التومي، د.ط، ٢٠٠٨م).

رابعاً: المواقع الإلكترونية.

- ٢٢٠- <http://www.habous.gov.ma>، الموقع الرسمي لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية/ مملكة المغرب، تاريخ الاطلاع: ١٢/٤/٢٠٢٢م.
- ٢٢١- <https://egymonuments.gov.eg/ar/monuments/ibn-tulun-mosque>، الموقع الرسمي لوزارة السياحة والآثار/ جمهورية مصر العربية، تاريخ الاطلاع: ٢٤/٨/٢٠٢٢م.
- ٢٢٢- الحسيني، زين العابدين، محاضرة بعنوان النبوغ المغربي وإشعاعه الحضاري جامعة القرويين نموذجاً، برعاية مؤسسة الحاج البشير الخاصة للتعليم العتيق، ٢٠١٣م، تاريخ الاطلاع: ٩/٤/٢٠٢٢، <https://www.youtube.com/watch?v=31sKuAaKgwU>

خامساً: المراجع الأجنبية.

- ٢٢٣- Basilo Pavon Maldonado, **El Arte Hispano-Musulman En Su Decoracion Geometrica Una teoria para estilo**, (Spain: M.A.E. Agencia Espanola de cooperacion internacional, Instituto de cooperacion con el Mundo Arabe, segunda edicion aumentade, 1989).
- ٢٢٤- Christiane Gruber, **Islamic Architecture on the move, motion and modernity** (Uk, USA: The university of Chicago press, 2016).
- ٢٢٥- Devonshire, **Quelques influences islamiques sur les arts de l'Europe**, (Le Caire: 1929).
- ٢٢٦- Fikry, Ahmad, **L'Art roman du puy et les influences islamiques**, (Paris: Etudes d'art et d'archeologie publiees sous la direction d'Henri Focillon, 1934).
- ٢٢٧- Henry Matthews, **Mosques of Istanbul including the mosques of Bursa and Edirne**, (Istanbul: Istanbul European capital of culture avrupa kultur baskenti, 2010).
- ٢٢٨- Manuel Salcines, photos by: Archivo Noria Oronoz, **La Mezquita De Cordoba**, (Spain: Ediciones Noria, 1990).
- ٢٢٩- Moya Carey, **An Illustrated history of Islamic architecture an introduction to the architectural wonders of islam, from mosques, tombs and mausolea to gateways, palaces and citadels** (UK: Anness publishing, 2012).

الملاحق

ملحق (١)

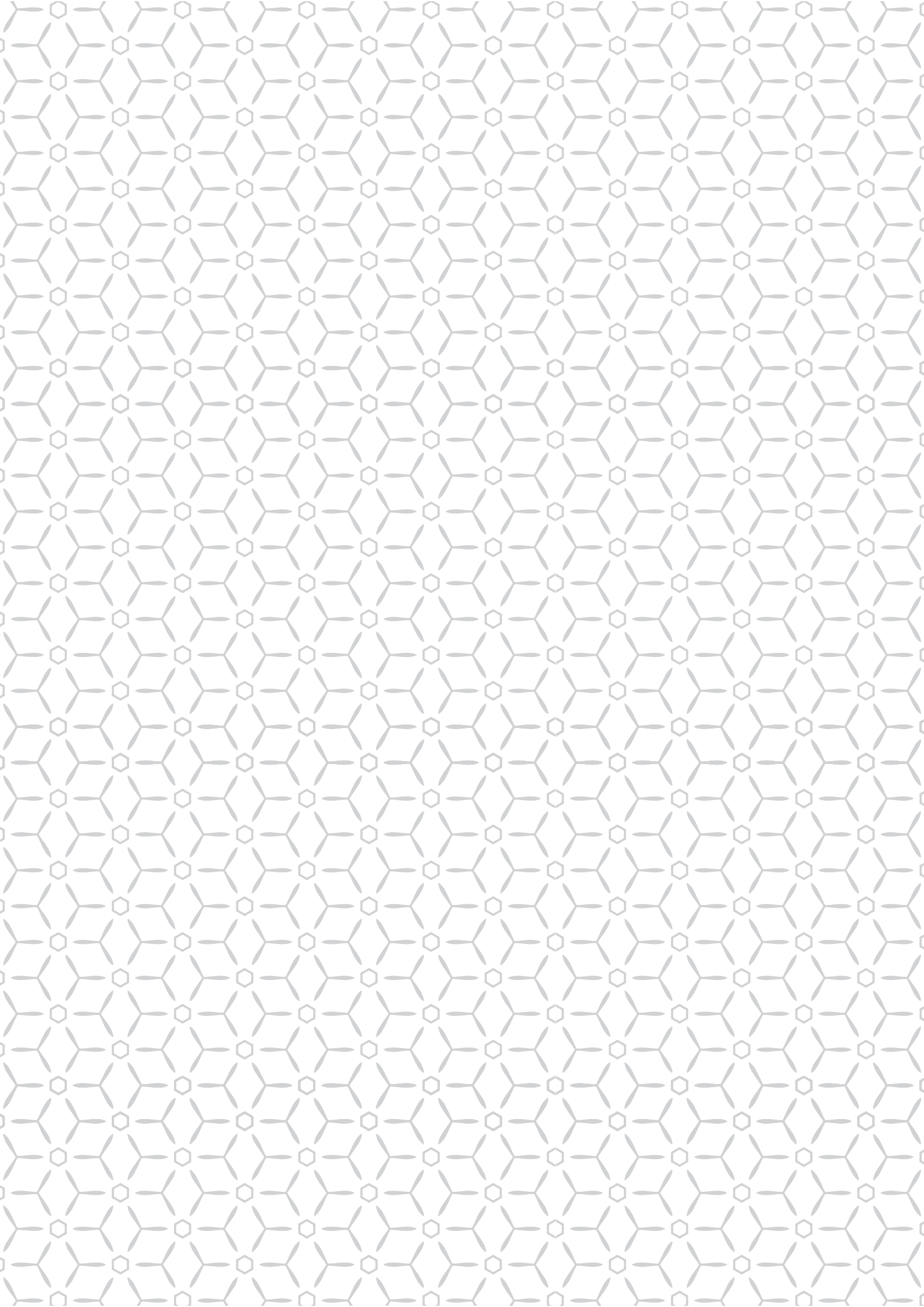
صور من المساجد المذكورة في المبحث المتعلق بالنماذج المعمارية.

ملحق (٢)

صور تتعلق بموضوع البحث، وتم الإشارة إليها في البحث بشكل عام.

ملحق (٣)

المركز الثقافي الإسلامي، ومسجد قرطبة / الأندلس.

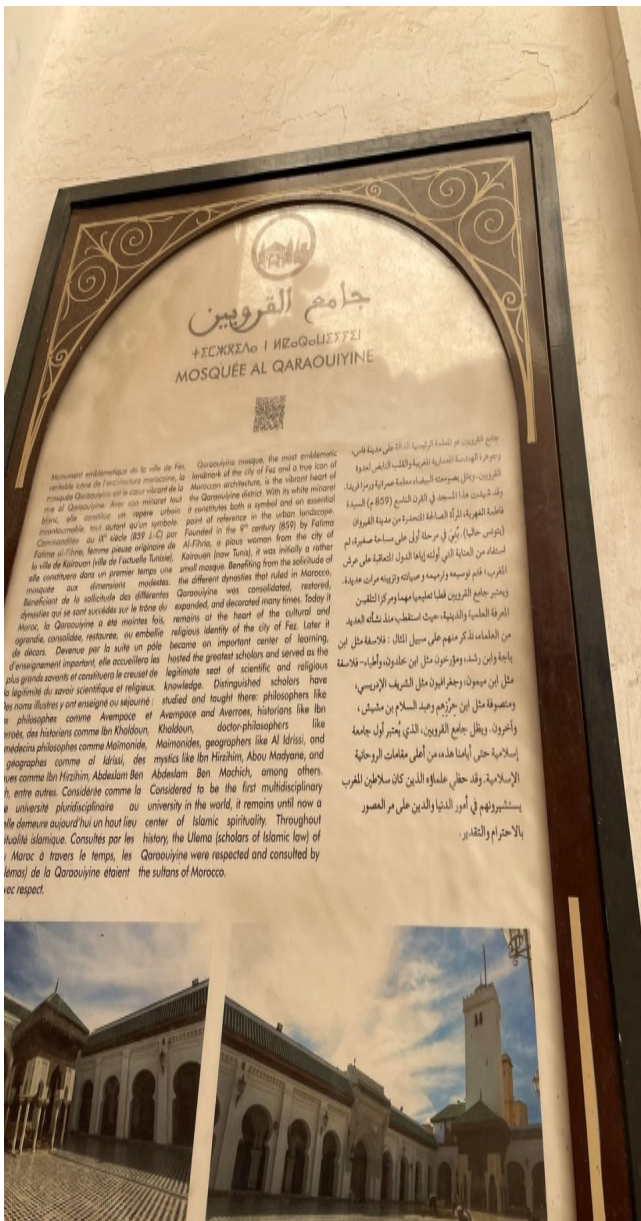


ملحق (١)

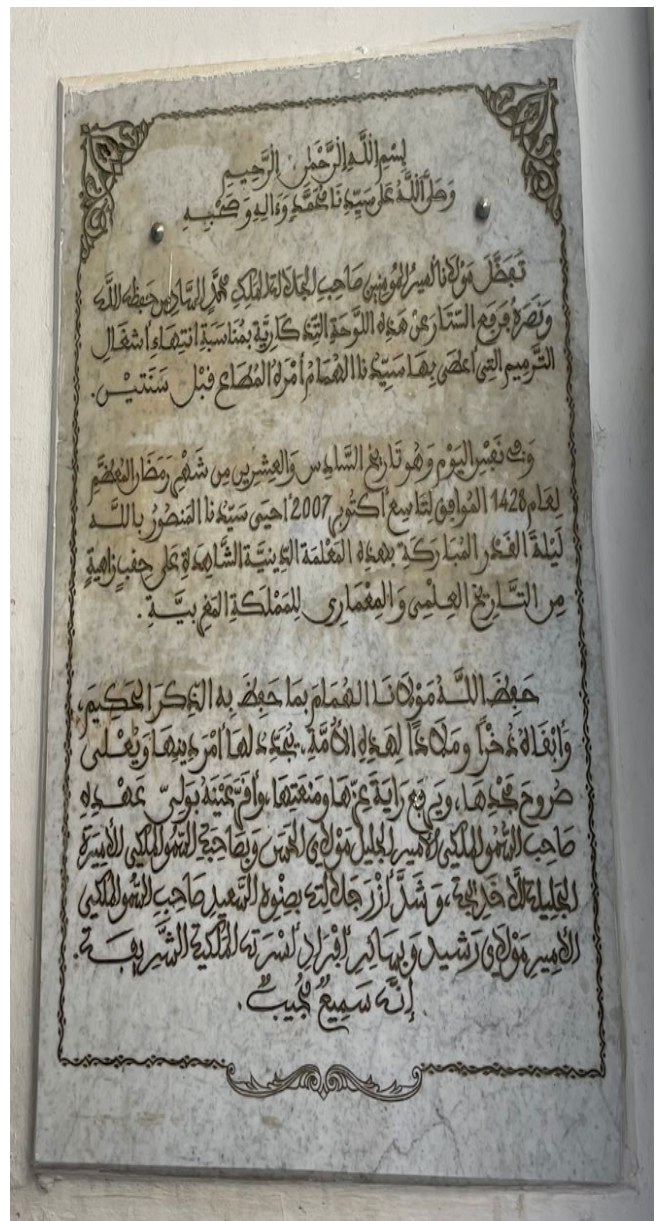
صور من المساجد المذكورة في المبحث المتعلق بالنماذج المعمارية الإسلامية.

ملاحظة: تم التقاط جميع الصور من خلال زيارتي للنماذج المعمارية المذكورة، - عدا مسجد ابن طولون في جمهورية مصر العربية -.

أولاً: مسجد القرويين / فاس



رقم الصورة (٢)



رقم الصورة (١)



رقم الصورة (٤)



رقم الصورة (٣)



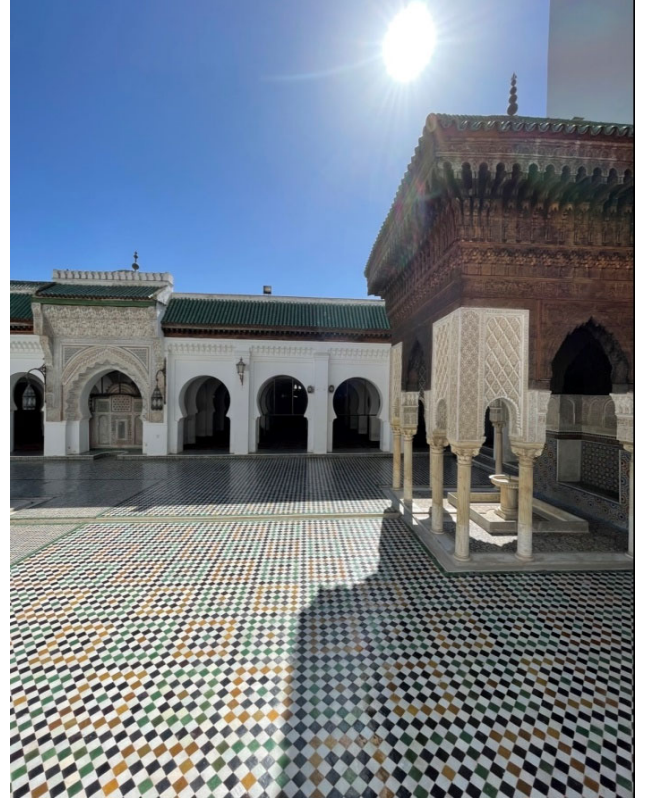
رقم الصورة (٦)



رقم الصورة (٥)



رقم الصورة (٨)



رقم الصورة (٧)



رقم الصورة (١٠)



رقم الصورة (٩)

ثانياً: مسجد أحمد بن طولون / جمهورية مصر العربية^(١)



رقم الصورة (١١)



رقم الصورة (١٢)

(١) تصوير: حمادة الطائر - وزارة السياحة والآثار / جمهورية مصر العربية

<https://egymonuments.gov.eg/ar/monuments/ibn-tulun-mosque>

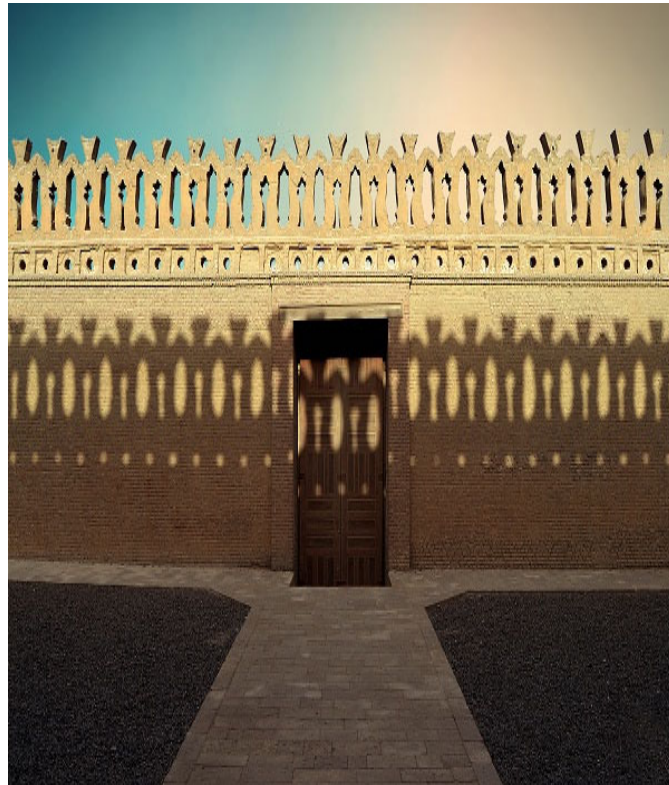
تاريخ الاطلاع: ٢٤/٨/٢٠٢٢ م.



رقم الصورة (١٤)



رقم الصورة (١٣)



رقم الصورة (١٥)



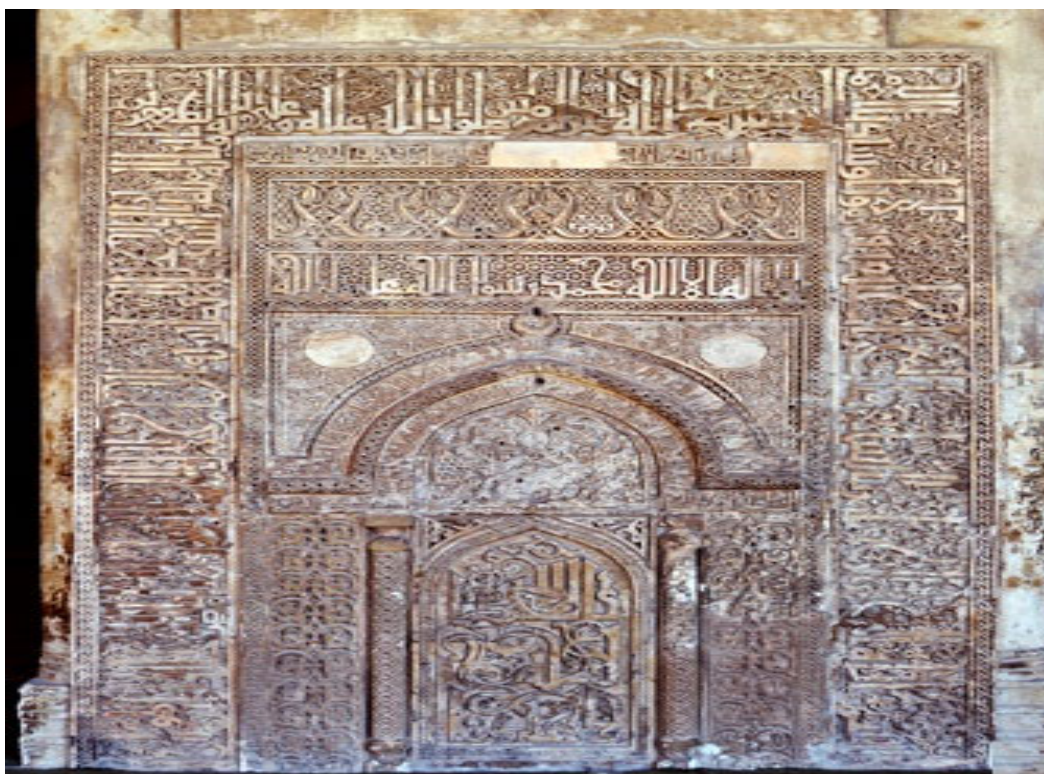
رقم الصورة (١٦)



رقم الصورة (١٧)



رقم الصورة (١٨)



رقم الصورة (١٩)

ثالثاً: مسجد السلطان أحمد / جمهورية تركيا.



رقم الصورة (٢٠)



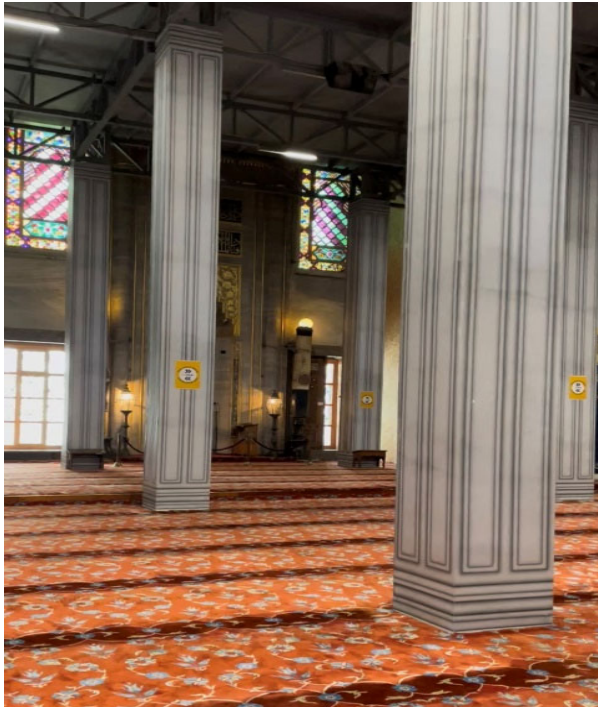
رقم الصورة (٢١)



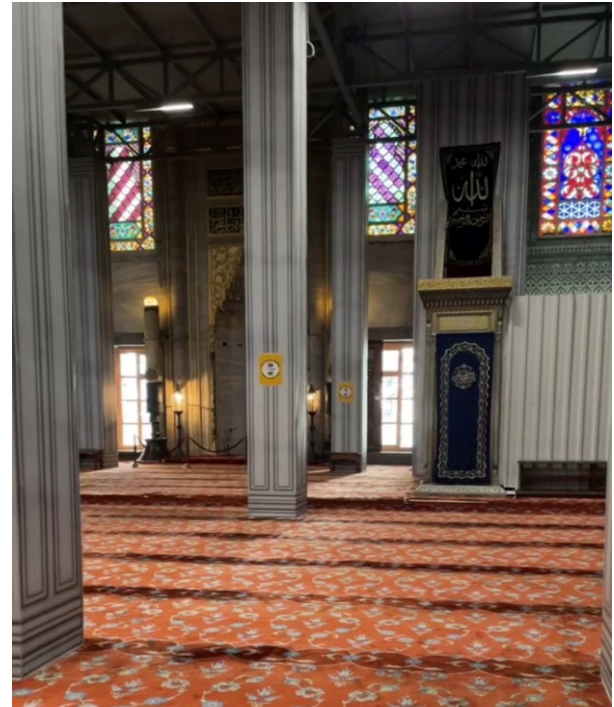
رقم الصورة (٢٣)



رقم الصورة (٢٢)



رقم الصورة (٢٥)



رقم الصورة (٢٤)



رقم الصورة (٢٧)



رقم الصورة (٢٦)

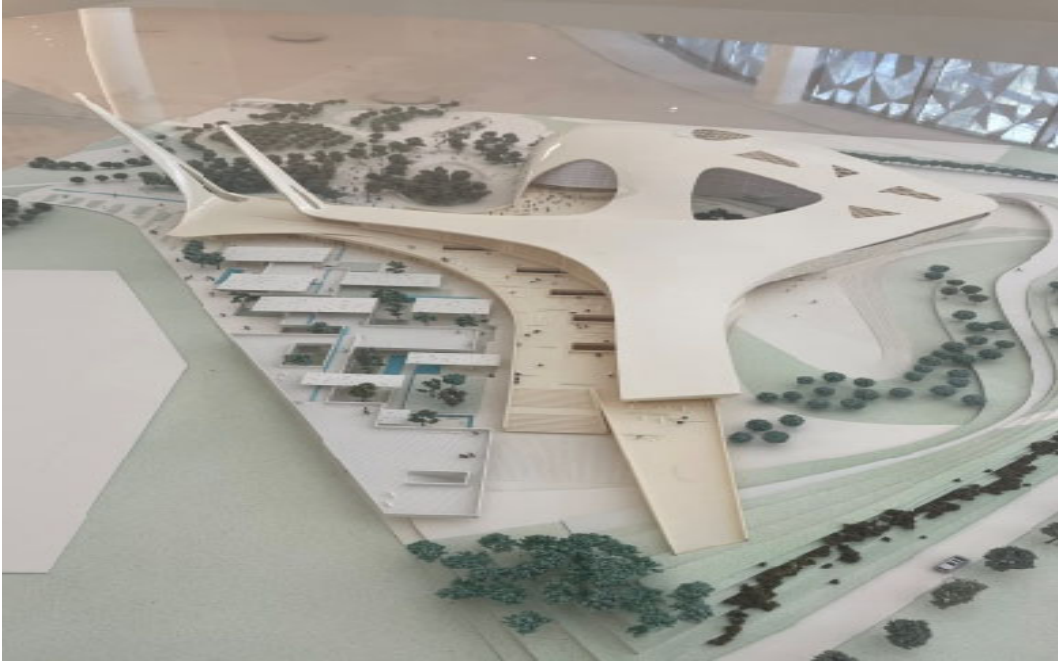


رقم الصورة (٢٩)



رقم الصورة (٢٨)

رابعاً: مسجد المدينة التعليمية / دولة قطر.



رقم الصورة (٣٠)



رقم الصورة (٣١)



رقم الصورة (٣٣)



رقم الصورة (٣٢)



رقم الصورة (٣٥)



رقم الصورة (٣٤)



رقم الصورة (٣٧)



رقم الصورة (٣٦)



رقم الصورة (٣٩)



رقم الصورة (٣٨)



رقم الصورة (٤٠) منبر رئيس ثابت



رقم الصورة (٤١) منبر متحرك

ملحق (٢)

صور تتعلق بموضوع البحث، وتم الإشارة إليها في البحث بشكل عام.

ملاحظة: تم التقاط الصور من خلال زيارتي للنماذج المعمارية المذكورة.

أولاً: نماذج معمارية إسلامية في مملكة المغرب.

١ - مسجد السنة في الرباط.



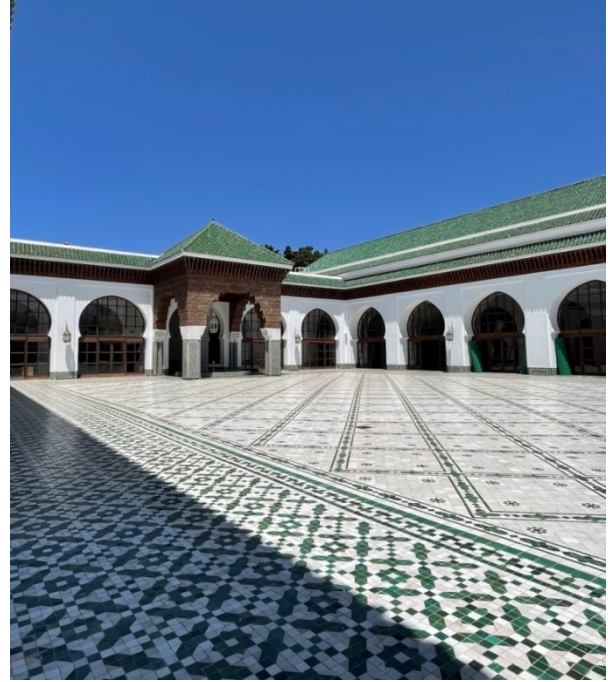
رقم الصورة (١)



رقم الصورة (٢)



رقم الصورة (٤)



رقم الصورة (٣)



رقم الصورة (٦)



رقم الصورة (٥)

٢- مسجد الكتبية في مراكش.



رقم الصورة (٧)

٣- مسجد الحسن الثاني في الدار البيضاء.



رقم الصورة (٨)

٤- إحدى المساجد الموجودة في طنجة.



رقم الصورة (٩)

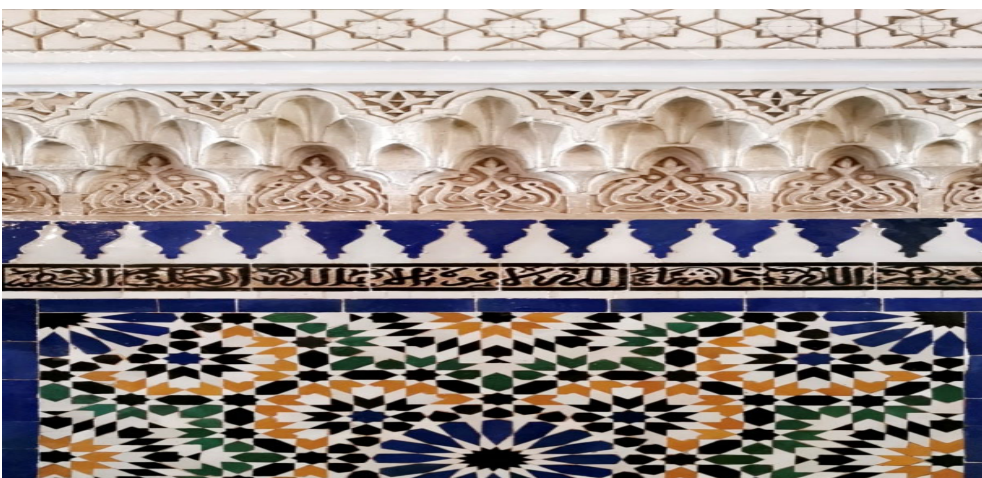
٥- زخارف ونقوش إسلامية / مراكش



رقم الصورة (١٠)



رقم الصورة (١١)



رقم الصورة (١٢)

ثانياً: نماذج معمارية إسلامية في جمهورية تركيا.

١ - مسجد آيا صوفيا.



رقم الصورة (١٣)

٢ - إحدى المساجد الموجودة في إسطنبول.



رقم الصورة (١٤)

٣- إحدى المساجد الموجودة في سكاريا.



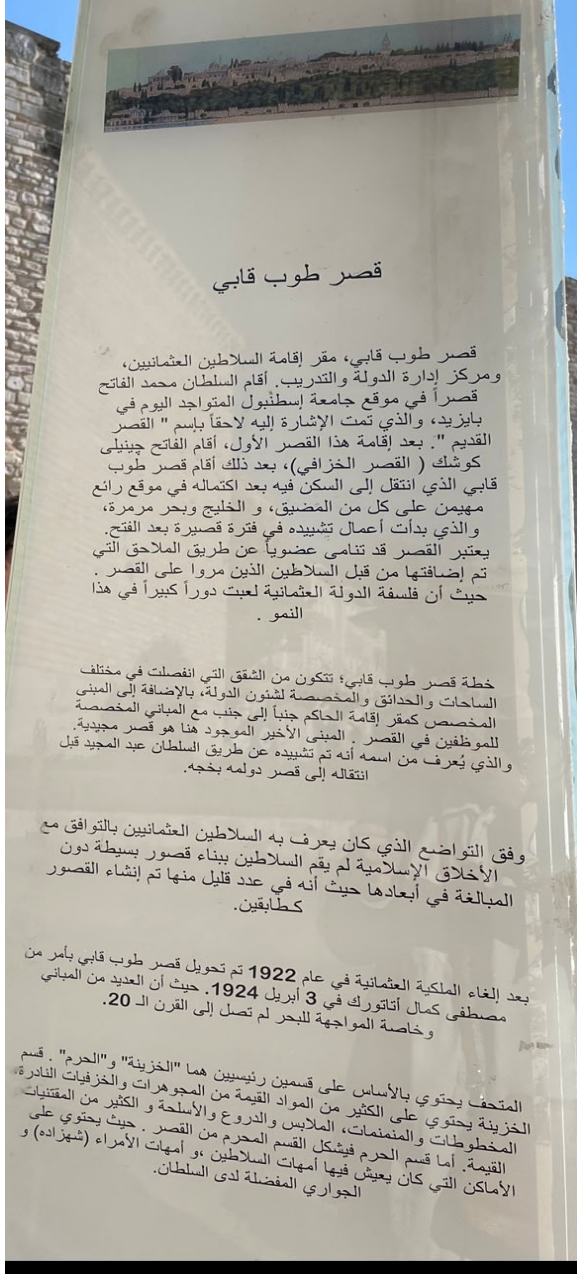
رقم الصورة (١٥)

٤ - مئذنة لمسجد يوجد في صابنجا.



رقم الصورة (١٦)

٥- قصر توب قابي.



رقم الصورة (١٨)



رقم الصورة (١٧)



رقم الصورة (٢٠)



رقم الصورة (١٩)



رقم الصورة (٢١)

ملحق (٣)

المركز الثقافي الإسلامي، ومسجد قرطبة / الأندلس.

ملاحظة: تم التقاط الصور من خلال زيارتي للمركز الثقافي الإسلامي في مدريد، وبالنسبة للصور المتعلقة بمسجد قرطبة تم اقتباسها من كتاب تشرف عليه إدارة قرطبة^(١)

أولاً: المركز الثقافي الإسلامي في مدريد.



رقم الصورة (٢)



رقم الصورة (١)

Manuel Salcines, phtos by: Archivo Noria Oronoz, La Mezquita De Cordoba, ^(١)

(Spain: Ediciones Noria, 1990).

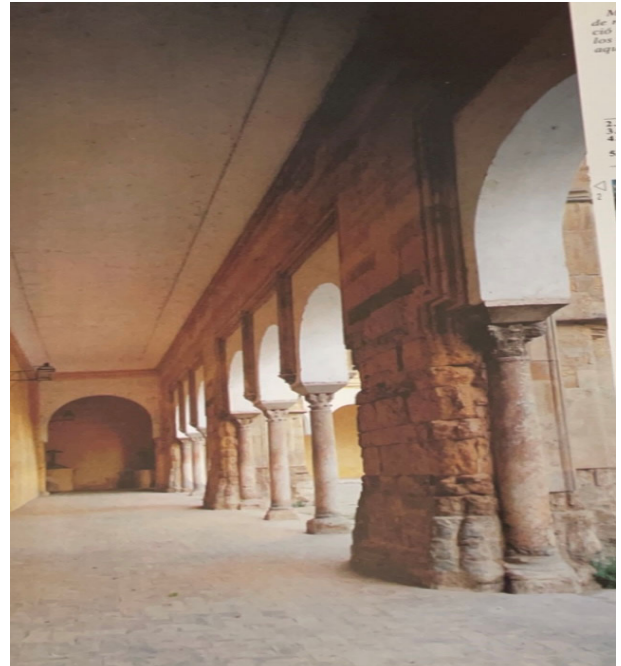
ثانياً: مسجد قرطبة في الأندلس.



رقم الصورة (٣) شكل المسجد الخارجي



رقم الصورة (٥) أعمدة المسجد



رقم الصورة (٤) ممرات خارجية



رقم الصورة (٦)



رقم الصورة (٧)



رقم الصورة (٨) المدخل الرئيس

فهرس الموضوعات

٥	تقديم بقلم أ.د. علي محيي الدين القره داغي
٩	الإهداء
١١	شكر وتقدير
١٣	المقدمة
١٤	أولاً: أهمية البحث
١٥	ثانياً: أسباب اختيار البحث
١٦	ثالثاً: مصطلحات البحث
١٧	رابعاً: الدراسات السابقة
٢٤	خامساً: إشكالية البحث، وأسئلته
٢٤	سادساً: فرضيات البحث
٢٥	سابعاً: أهداف البحث
٢٥	ثامناً: حدود البحث
٢٦	تاسعاً: منهج البحث
٣٠	عاشراً: خطة البحث
٣٣	تمهيد:
٣٥	أولاً: مفهوم العمران والعمارة.
٣٥	١ - في اللغة:
٣٦	٢ - في الاصطلاح:
٣٧	٣ - في الاصطلاح القرآني:
٤٠	ألفاظ العمران في القرآن الكريم.
٤٢	ألفاظ العمارة في القرآن الكريم.
٤٦	الفرق بين ألفاظ العمران وألفاظ العمارة في القرآن الكريم.
٤٦	ثانياً: لمحة تاريخية حول العمارة الإسلامية.
٥١	الباب الأول: ركائز العمران وإبداعه وأساليبه وخصائصه في القرآن الكريم
٥٣	تمهيد

٥٥	الفصل الأول: ركائز العمران وإبداعه في القرآن الكريم
٥٥	المبحث الأول: ركائز العمران في القرآن الكريم
٥٦	المطلب الأول: علاقة الإنسان بالخالق والمخلوق
٦٤	المطلب الثاني: علاقة العمران بالتقوى
٧١	المبحث الثاني: صور الإبداع العمراني، ونماذج لم تلتزم بالعمران في القرآن الكريم
٧٢	المطلب الأول: صور الإبداع العمراني في القرآن الكريم
٨٠	المطلب الثاني: نماذج لم تلتزم بالعمران في القرآن الكريم
٩٢	الفصل الثاني: أساليب العمران وخصائصه في القرآن الكريم
٩٢	المبحث الأول: أساليب العمران في القرآن الكريم
٩٣	المطلب الأول: تنمية المجال
١٠٥	المطلب الثاني: تنمية الإنسان
١١٥	المبحث الثاني: خصائص العمران والعمارة في القرآن الكريم
١١٥	المطلب الأول: خصائص العمران في القرآن الكريم
١٢٦	المطلب الثاني: خصائص العمارة في القرآن الكريم
١٣٣	الباب الثاني: ضوابط العمارة وعناصرها ومميزاتها في القرآن الكريم
١٣٥	تمهيد
١٣٧	الفصل الأول: ضوابط العمارة وعناصرها في القرآن الكريم
١٣٧	المبحث الأول: ضوابط العمارة في القرآن الكريم
١٣٨	المطلب الأول: ضوابط بيئية، وجغرافية
١٤٤	المطلب الثاني: ضوابط إنشائية، وتصميمية
١٥٢	المبحث الثاني: عناصر العمارة في القرآن الكريم
١٥٢	المطلب الأول: عناصر عمارة المدن
١٦٢	المطلب الثاني: عناصر عمارة المباني
١٦٧	أولاً: العناصر المعمارية المشتركة بين المباني الإسلامية
١٦٩	ثانياً: العناصر المعمارية المتعلقة بالمساجد
١٧٣	الفصل الثاني: سميات العمارة في القرآن الكريم، ونماذج للعمارة الإسلامية
١٧٣	المبحث الأول: سميات العمارة في القرآن الكريم

المطلب الأول: القيمة المادية، والجمالية.....	١٧٣
المطلب الثاني: القيمة المعنوية، والروحانية.....	١٨٣
المبحث الثاني: نماذج للعمارة الإسلامية.....	١٩٠
المطلب الأول: نماذج إسلامية مبكرة.....	١٩٣
المطلب الثاني: نماذج إسلامية معاصرة.....	٢٠٢
الباب الثالث: منهج القرآن الكريم في حماية العمران والعمارة.....	٢١٣
تمهيد.....	٢١٥
الفصل الأول: الاستخلاف والتسخير وعلاقتهما بالعمران والعمارة.....	٢١٧
المبحث الأول: الاستخلاف وعلاقته بالعمران والعمارة.....	٢١٧
المطلب الأول: مفهوم الاستخلاف.....	٢١٨
أولاً: تعريف الاستخلاف.....	٢١٨
ثانياً: أنواع الاستخلاف.....	٢٢١
ثالثاً: شروط الاستخلاف.....	٢٢٢
المطلب الثاني: ارتباط الاستخلاف بالعمران والعمارة.....	٢٢٥
المبحث الثاني: التسخير وعلاقته بالعمران والعمارة.....	٢٣٣
المطلب الأول: مفهوم التسخير.....	٢٣٤
المطلب الثاني: ارتباط التسخير بالعمران والعمارة.....	٢٤٢
الفصل الثاني: مقومات العمران والعمارة وعوائقهما في القرآن الكريم.....	٢٥٣
المبحث الأول: مقومات العمران والعمارة في القرآن الكريم.....	٢٥٣
المطلب الأول: المقومات الأخلاقية، والاجتماعية.....	٢٥٤
المطلب الثاني: المقومات الفكرية، والاقتصادية.....	٢٦٦
المبحث الثاني: عوائق العمران والعمارة في القرآن الكريم.....	٢٧٤
المطلب الأول: عوائق معنوية.....	٢٧٥
المطلب الثاني: عوائق مادية.....	٢٨٤
الخاتمة:.....	٢٩٥
فهرس الفهارس.....	٢٩٩
فهرس الآيات القرآنية.....	٣٣١

٣٣٣ فهرس الأحاديث
٣٣٥ فهرس الآثار
٣٣٦ قائمة المصادر والمراجع
٣٣٥ أولاً: الكتب.
٣٣٥ كتب التفسير وعلوم القرآن والدراسات القرآنية.
٣٣٩ كتب السنة النبوية.
٣٤٠ كتب الفقه الإسلامي وأصوله.
٣٤٠ كتب اللغة العربية والمعاجم.
٣٤١ كتب العلوم الإنسانية والاجتماعية.
٣٤٥ كتب الفنون المعمارية والهندسية.
٣٤٧ كتب العلوم القانونية والاقتصادية والسياسية.
٣٤٨ كتب المعارف العامة.
٣٤٩ ثانياً: الرسائل الجامعية.
٣٤٩ ثالثاً: المجلات والمؤتمرات.
٣٥٠ رابعاً: المواقع الإلكترونية.
٣٥٠ خامساً: المراجع الأجنبية.
٣٥١ الملاحق:
٣٨١ فهرس الموضوعات